

أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية في

"جواهر الأفكار لابن بدران"

The Effect of Syntactic and Rhetoric Rules in  
Interpretive Choices in "Jewels Ideas of Ibn Badran"

إعداد الطالب : حسام خليل يوسف الخوار

الرقم الجامعي : 401220129

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد الرؤوف زهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وأدابها

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

أيار - 2015 م

ب

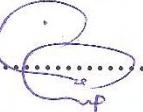
## التفويض

أنا حسام خليل يوسف الخوار أُفْوِضُ جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً  
وإلكترونياً للمكتبات، أو المنظمات، أو الهيئات، والمؤسسات المعنية بالابحاث، والدراسات العلمية  
عند طلبها .

الاسم: حسام خليل يوسف الخوار .

التاريخ: 5 / شعبان / 1436هـ.

الموافق: 2015 / 5 / 23م.

..... التوقيع: .....  


## قرار لجنة المناقشة

ثُوِّقْتَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ وَعُنوانُهَا (أَثْرُ الْقَواعِدِ النَّحْوِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ فِي الْاِخْتِيَارِ التَّفْسِيرِيَّةِ فِي

" جَوَاهِيرِ الْأَفْكَارِ لِابْنِ بَدْرَانِ " )

وَأُجْزِيَتْ بِتَارِيخِ: ٥ / سُبْطَانَ / ١٤٣٦هـ.

الموافق: ٢٠١٥ / ٥ / ٣٠م.

### التَّوْقِيع



### جَهَةُ الْعَمَلِ

جامعة الشرق الأوسط

### أَعْضَاءُ لَجْنَةِ الْمَنَاقِشَةِ:

1. أ. د. عبد الرؤوف زهدي

2. أ. د. سعود عبدالجابر

3. أ. د. كمال أحمد المقابلة

جامعة الشرق الأوسط

جامعة آل البيت

## كلمة شكر وامتنان وثناء وعرفان

الحمد لله الذي بسط على عباده سوابع النعم، وأفاض عليهم من واسع الفضل، والكرم، وهو القائل في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .  
وأصلّى، وأسلم، وأبارك على إمام الشاكرين، وذوة المتعين محمد سيد الخلق أجمعين، وقد روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".  
أما بعد،

ولو أتّي أُوتّيت كُلَّ بِلَاغَةٍ  
وأنفنت بحر النطق في النظم والثثِ  
لَمَا كنْتَ بعْدَ الْقَوْلِ إِلَّا مُقْسِرًا  
وَمُعْتَرِفًا بِالْعَجْزِ عَنْ واجِبِ الشَّكِّرِ

وبعد أن استوّت هذه الرسالة على سوقها، أشعر أن هناك من يطّوّق عنقي بأفضاليه، ويغمرنني بعظم أفعاله... فتفق العبارات عاجزة عن بلوغ شكركم، وتعذر الكلمات عن الثناء لعظيم فضلكم، وحسبنا أن لكم من القدر في الفؤاد، ما يفوق ما جاد به المداد.

وإنني لأنقدم بأسمى آيات الشّكر والثناء لكلّ يد عملت في الخفاء مكثرة، أو مقلة...  
كما وإنني لأنظم عقد الشّكر موصولاً بلا انقطاع، إلى أبي، وأمي قرة عيني كما ربياني صغيراً...  
وإلى زوجي رفيقة دربي، ومهجة قلبي، وإلى أبنائي فلذات الكبد، ومزيلي الكمد... وإلى أستادي الكبير الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي الذي لم يتوان عن إسداء النصح، والإرشاد؛ للسير على طريق الرشاد... وإلى أخي الصديق الذي وهبني من وقته الكثير علي عيدة... وإلى صهري محمد باسم، وإلى الزميلين الفاضلين أحمد جرار، وسائد الحاج... فأنتم أصحاب الأيدي البيضاء، والصفات المشرقة بالبذل والعطاء.

كما وأنقدم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة؛ لنقويم اعوجاجها، وسد ثُلُومها... فائلاً لكم جميعاً :

وَفَقْكُمُ اللَّهُ لَمَا يُحِبَّ وَيُرِضِي، وَكَسَّاكُمْ لِبَاسَ الصَّحَّةِ وَالنَّقْوَى.

## الإهداء:

إلى الأمة الإسلامية، إلى خير الخلق والبرية، إلى الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعَلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

إلى ابن بدران - ذلك الهرم الضخم - الذي ذكر قليلاً، ونبي كثيراً.

إلى المهتمين بعلوم القرآن... دستور كل إنسان.

إلى المخلصين المخلصين الذين انتدبهم الله - سبحانه - للدفاع عن حومة العربية التي اصطفها رب البرية بأقلامهم، وأوقاتهم... فكانوا شموساً ساطعة، وأقماراً لامعة - بددت الظلم، وحجمت الأقزام - تشبعوا بالعربية، وحافظوا على الهوية... .

وأخيراً:

إلى محبّي الضاد... أشرف لغات العباد.

أهدى هذه الرسالة

الباحث

## أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية في

"جواهر الأفكار لابن بدران"

الباحث: حسام خليل يوسف الخوار

المشرف: أ. د عبدالرؤوف زهدي

### الملخص

تناولت هذه الدراسة تفسيراً مهماً من تفاسير القرآن الكريم، لعالم جليل من العلماء المعاصرين وهو عبد القادر بدران، إلا أن هذا التفسير لم يُتممه مؤلفه بسبب وفاته حيث انتهى به التفسير إلى آية (189) من سورة البقرة. وحاولت الدراسة تجلية العلاقة بين علمي النحو والبلاغة، وعلم التفسير، وإبراز مدى قوّة الرابط بينهما، من خلال دراسة أثر القواعد النحوية والبلاغية في تفسير جواهر الأفكار.

إذ تبيّن للباحث بعد استقراء هذا التفسير، أنه يشتمل على كثير من القواعد النحوية والبلاغية التي اعتمدتها المفسّر في توجيهه معنى كثير من الآيات القرآنية؛ لبيان مُراد الله منها.

وقد عمل الباحث على دراسة بعضها كأنموذج تطبيقي؛ لبيان أهمية علمي النحو والبلاغة في توجيهه المعنى المُراد.

وقام الباحث بتقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول : فيحتوي على مقدمة الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، والتعريف بمصطلحاتها، ومنهجيتها، ونشأة علوم النحو، والبلاغة، والتفسير، وتطورها، وعلاقة كل علم منها بالآخر، ثم ختم الباحث الفصل ببُنْدَة عن عبد القادر بن أحمد بن بدران، تضمنت حياته ومكانته العلمية، ومؤلفاته، وثناء العلماء عليه، والتعريف بتفسيره (جواهر الأفكار).

وأما الفصل الثاني : فيحتوي على الأدب النظري، والدراسات السابقة التي لها علاقة وثيقة بالدراسة.

وأمّا الفصل الثالث : فيحتوي على مبحثين :

**المبحث الأول :** أثر القواعد النحوية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران ؛ إذ شملت عشر مسائل قامت على دراسة تطبيقية للقواعد النحوية، وأثرها في توجيه المعنى في تفسير الآيات القرآنية.

**وأمّا المبحث الثاني :** فهو أثر القواعد البلاغية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران، إذ شملت خمس مسائل أظهرت أثر القواعد البلاغية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران من خلال الدراسة التطبيقية التحليلية.

ثم أعقبت ذلك بالخاتمة التي تحتوي على أهم التوصيات، والنتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

#### **الكلمات المفتاحية:**

- القواعد النحوية.
- القواعد البلاغية.
- الاختيارات التفسيرية.

# **The Effect of Syntactic and Rhetoric Rules in Interpretive Choices in "Jewels Ideas of Ibn Badran"**

**Researcher: Husam Khalil Yousef Al Khawar**

**Supervisor: prof. Abd Alraoof Mustafa Zohdi**

## **Abstract**

This study deals with an important explanation of the interpretations of the Holy Quran, by one of contemporary scholars, Abdulkadir Badran however; the author did not finish his explanation because of his death, until he reached to Ayah 189 of Surat Al Bakara. His study tried to highlight the relationship between syntax, rhetoric and science of interpretation, and to highlight the strength of the link between them, through the study of the effect of grammatical rules and the interpretation of rhetorical "Jawaher Alafkar".

The researcher found out, after extrapolation of this interpretation that incorporates many of the rhetorical and grammatical rules adopted by the interpreter in directing the meaning of many of the Quranic verses to demonstrate Allah's purpose. The researcher works on this study as an applied sample to demonstrate the importance of scientific grammar and rhetoric channeled to this effect. The researcher divided the study into three chapters and a conclusion.

**Chapter One:** Contains an introduction of the study, problems, goals, importance, the definition of terminology, methodology, and the emergence of syntax, rhetoric and interpretation, evolution, the relationship between each other. Then the researcher finished his chapter with an overview of the Abdulkadir bin Ahmed bin Badran including his scholarly career and prestige and the scholars' appraisal, and the definition of interpretation "Jawaher Alafkar".

**Chapter Two:** Contains the theoretical literature and previous studies that have a close relationship with the study.

**Chapter Three:** contains two sections:

First section: the impact of the grammatical syntax on the interpretations of Ibn Badran; it included ten cases depending on the applied study of grammatical rules and their effect on directing meaning.

The second section: is the impact of the rules in the rhetorical choices explanatory of Ibn Badran. Also it included five issues that showed its impact explanatory through analytical applied study.

The study ends with a conclusion that contains the most important findings and results presented here.

**Key words:**

- Syntactic Rules
- Rhetoric Rules
- Interpretive Choices

## قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	التقويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر وامتنان
هـ	الإهداء
و - ز	الملخص باللغة العربية
ح - ط	الملخص باللغة الإنجليزية
ي - ك - ل - م	قائمة المحتويات
	<b>الفصل الأول : الإطار العام للدراسة</b>
6-1	مقدمة الدراسة
7	مشكلة الدراسة وأسئلتها
7	أهداف الدراسة
7	أهمية الدراسة
7	حدود الدراسة
11-8	مصطلحات الدراسة
12	منهجية الدراسة
12	طرق والإجراءات
13	نشأة النحو وتطوره
16-13	عوامل نشأة النحو
17-16	واضع علم النحو
20-17	تطور علم النحو
22-21	نشأة علم البلاغة

25-22	أطوار نشأة علم البلاغة
26-25	أقسام علم البلاغة
27	نشأة علم التفسير
34-27	مراحل التفسير
36-35	العلاقة بين النحو والبلاغة
43-37	العلاقة بين "النحو والبلاغة" والتفسير
47-43	ضوابط التفسير باللغة
48	نبذة عن حياة الإمام عبدالقادر أحمد بدران
50-49	طلبه للعلم ومشايخه
55-51	ثناء العلماء عليه وتلاميذه
57-55	مؤلفاته
58-57	مرضه ووفاته
59-58	التعريف بتفسير ابن بدران (جواهر الأفكار)
الفصل الثاني : الأدب النظري والدراسات السابقة	
80-60	الأدب النظري
83-81	الدراسات السابقة
84	ما يميز الدراسة
الفصل الثالث : الجانب التطبيقي والتحليلي للدراسة	
210-85	أولاً : أثر القواعد النحوية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران
100-85	المسألة الأولى: أثر الباء في توجيه المعنى في قوله - تعالى - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
108-101	المسألة الثانية: أثر اسم الإشارة ﴿ذَلِك﴾ في توجيه المعنى في قوله - تعالى - ﴿الَّذِي ذَلِكَ أَكْتَبَ لَا رَبَّ فِيهِ هُدَىٰ لِمُتَّقِينَ﴾

118-109	المسألة الثالثة: أثر دلالة ﴿مِن﴾ في تحريم الإسراف، أو في منع بذل المال كله، في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْعَلُونَ﴾
123-119	المسألة الرابعة : أثر دلالة ( الذي والذين ) على العهد والجنس في توجيهه معنى قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْنَاهُمْ أَمْ لَمْ نُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
138-124	المسألة الخامسة : أثر معنى (عل) في توجيهه معنى قوله - تعالى - : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَسَقَّونَ﴾
149-139	المسألة السادسة: أثر الخلاف في عَوْدُ الضمير في قوله - تعالى - : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ على إعجاز القرآن والتَّحْدي به.
165-150	المسألة السابعة: أثر الاستثناء المنقطع في تحديد أصل إبليس في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا لِإِدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبْنَى وَأَسْتَكَبَ﴾ ٢٤
188-166	المسألة الثامنة: أثر عَوْدُ الضمير في تأويل حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " خَلَقَ الله آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " في توجيهه معنى قوله - تعالى - : ﴿وَقُلْنَا يَكَادُ أَسْكُنْ أَنَّتِي وَرَوْجُوكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
201-189	المسألة التاسعة: أثر دلالة زمن الفعل في بيان استمرار جرائم اليهود في قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَثْيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ﴾
210-202	المسألة العاشرة: أثر التعريف والتَّكير في كلمة ( حياة ) في بيان استغراق تعلق اليهود بالدنيا في قوله - تعالى - : ﴿وَتَاجِدُهُمْ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
278-211	ثانياً : أثر القواعد البلاغية في الاختيارات التَّقْسِيرِيَّة عند ابن بدران
233-211	المسألة الأولى : أثر الحقيقة والمجاز في مفهوم ( المرض ) في قوله - تعالى - : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾

243-234	المسألة الثانية: أثر الإسناد المجازي في تأويل قوله - تعالى :- ﴿ فَمَا رَيَحْتَ تِجَرَّتُهُمْ ﴾
252-244	المسألة الثالثة: أثر خروج كيف عن أصل دلالتها في توجيه معنى قوله - تعالى :- ﴿ كَيْفَ تَكُونُوا بِاللَّهِ إِنْ كَفُورُونَ ﴾
265-253	المسألة الرابعة : أثر الكناية في توجيه معنى كلمة ﴿ الرَّفَثُ ﴾ في قوله - تعالى :- ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَاءِكُمْ ﴾
278-266	المسألة الخامسة: أثر الحقيقة والمجاز في قوله - تعالى :- ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجَرِ ﴾
281-279	الخاتمة: النتائج والتوصيات
315-282	قائمة المراجع والمصادر

## المقدمة:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ أَصْلُ الْعِلُومِ الشَّرِيعَةِ كُلُّهَا، وَهُوَ الْمَعْجَزَةُ الْخَالِدَةُ بِنَظْمِهِ وَبِيَانِهِ. وَقَدْ افْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ يَرْسُلَ رَسُولَهُ بِلِسَانِ قَوْمِهِ؛ لِيَبْلُغُوا شَرِيعَتَهُ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمٌ: ٤]، وَأَرْسَلَ اللَّهُ خَاتَمَ رَسُولَهُ فِي قَوْمٍ عَرَفُوا بِالْفَصَاحَةِ، وَالْبَلَاغَةِ فَجَعَلَ مَعْجَزَتَهُ مِنْ جَنْسِ مَا اشْتَهَرُوا بِهِ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُفٌ: ٢].

وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى نَظَمٍ هُوَ غَايَةُ الْفَصَاحَةِ عِنْهُمْ عَلَى مَا تَعَارِفُوهُ وَاعْتَادُوهُ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ<sup>(١)</sup> قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ أَلَّا مِنْ عَلَىٰ كُلِّكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشِّعْرَاءُ: ١٩٢-١٩٥]؛ لِيُثَبِّتَ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِلِغَتِهِمْ، عَجَزُهُمْ عَنْ مَجَارَاتِهِ فِي نَظَمِهِ وَبِيَانِهِ، فِي وَقْتٍ كَانُوا فِيهِ يَتَفَاخِرُونَ بِلِغَتِهِمْ وَفَصَاحَتِهِمُ الَّتِي وَصَلَّتْ ذَرْوَتَهَا فِي عَهْدِهِمْ. وَلَقَدْ شَرَفَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنْ جَعَلَهَا لِغَةَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الْمَحْفُوظِ مِنْ كُلِّ تَحْرِيفٍ وَتَغْيِيرٍ، قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحْفِظُونَ﴾ [الْحَجَرُ: ٩]؛ فَسَخَّرَ اللَّهُ لِكِتَابِهِ مِنْ يَقُومُ عَلَى خَدْمَتِهِ مِنْذِ عَهْدِ الصَّحَابَةِ - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَقَدْ حَظِيَ بِمَا لَمْ يَحْظِ بِهِ كِتَابٌ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ؛ لِذَلِكَ عَكَفَ الْعُلَمَاءُ عَلَى خَدْمَتِهِ بِبَيَانِ عِلْمِهِ، وَأَحْكَامِهِ، وَتَفْسِيرِ آيَاتِهِ، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَكْنُونَاتِهِ، وَكُلِّ مَا يَتَعلَّقُ بِهِ، حَتَّى أَصَبَّتِ الْمَكْتَبَةَ التَّفَسِيرِيَّةَ مِنْ أَوْسَعِ الْمَكْتَبَاتِ، وَأَكْثَرَهَا إِنْتَاجًا، وَأَعْمَقَهَا فَكَرًا. قَالَ النَّيْسَابُورِيُّ (ت١٨٥٥هـ) فِي غَرَائِبِ الْقُرْآنِ : " وَلَقَدْ انتَصَبَ جُمُّ غَفِيرٍ، وَجَمَعَ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالْتَّابِعِينَ ثُمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ، وَالْفَضَلَاءِ الْمَحْقُقِينَ، وَالْأَئمَّةِ الْمُتَقْنِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَحِينٍ؛ لِلْخُوضِ فِي تِيَارِ بَحَارِهِ وَالْكَشْفِ عَنْ أَسْتَارِ أَسْرَارِهِ، وَالْفَحْصِ عَنْ غَرَائِبِهِ، وَالْاطْلَاعِ عَلَى رَغَائِبِهِ نَقْلًا، وَعَقْلًا، وَأَخْذًا، وَاجْتِهادًا، فَتَبَيَّنَتْ مَطَامِحُهُمْ، وَتَبَاعَدَتْ مَوَاقِعُ نِيَاتِهِمْ، وَتَشَعَّبَتْ مَسَالِكُ أَقْدَامِهِمْ، وَتَفَنَّتْ مَقَاطِرُ أَقْلَامِهِمْ

<sup>١</sup> الجُرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)، دُرُجُ الدُّرُرِ فِي تَشْبِيرِ الْآيِّ وَالسُّورِ، تَحْقِيقُ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ طَلَعَتْ صَلاَحُ فَرَحَانُ، الْقَسْمُ الثَّانِي مُحَمَّدُ أَدِيبُ شَكُورُ أَمْرِيرُ، دَارُ الْفَكْرِ - عُمَانُ، الْأَرْدُنُ، ط١ ١٤٣٠، ج١، ص٢٤.

فمن بين وجيزة وأوجز، ومطنب ومُلْغِز، ومن مقتصر على حل الألفاظ، ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان ونعم اللحاظ، فشكر الله - تعالى - مساعيهم، وصان عن إزراء القادح معاليهم<sup>(1)</sup>.

وقد تنوّعت خدمة المسلمين للقرآن وعنايتهم به، وفي سبيل هذه العناية نشأت علوم، وترعرعت علوم أخرى، ومن أشهرها: علم التفسير، وعلوم العربية بفروعها: النحو، والصرف، واللغة، والبلاغة.

ولمّا كان من أسباب نشأة بعض العلوم خدمة القرآن الكريم، والمحافظة عليه، والعناية به؛ فإنّه مما لا شكّ فيه أنّ ثمة علاقةً بين كلّ هذه العلوم؛ إذ إنّها تشتمل في مضامينها على دراسة أي القرآن الكريم.

وبما أنّ علم التفسير معنٍّ بمعاني القرآن، وألفاظه إفراداً وتركيبياً؛ كان لا بدّ من وضع قواعد عامة تضبط ألفاظه، وتركيبيه من اللحن، والتحريف، والتغيير، في وقت كان قد دخل اللحن في لسان العرب؛ لاختلاطهم بغيرهم من الأعاجم. فظهرت علوم شتى، منها: علم النحو؛ ليضبط اللسان، ويحفظه من اللحن.

وقد عُزِّي العلماء بعلم النحو أيمًا عناية، وسطّروه في كتب لا يعلم عددها إلا الله، منذ نشأته إلى يومنا هذا، وقد حظي علماء النحو بالرقة، والمكانة، والإجلال على ما قدّموه من حفظ اللغة العربية من اللحن والفساد، وقد سُطّرت ذكراتهم بصحائف كُتُبَت بمداد التبجيل والتكريم. قال ابن شُبُرُّمَةَ (ت 144هـ): "إذا سرّك أن تَعْظُمْ في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً، فتعلم العربية؛ فإنّها تجريك على المتنق، وتدنّيك من السلطان"<sup>(2)</sup>.

وكان لزاماً على من يريد أن يلّج باب تفسير القرآن الكريم أن يكون عالماً بالعربية وعلومها؛ فأغنى هؤلاء المفسرون كتب التفسير بالأراء النحوية، واللغوية التي كان لها أثر بارز في فهم كلام الله، وفي توجيه النص القرآني، ويظهر ذلك جلياً في اختلاف آرائهم في بيانهم لمعاني القرآن الكريم.

<sup>1</sup> النيسابوري، نظام الدين الحسين بن محمد الحسين القمي (ت 850هـ)، *غَرَائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغَائِبُ الْفُرْقَانِ* ، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1416هـ، ج 1، ص 5.

<sup>2</sup> ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، *عِيُونُ الْأَخْبَارِ*، شرحه وضبطه د. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 3 1424هـ، ج 2، ص 172.

وفي سياق التدليل على أهمية علم النحو؛ إذ لا غُنْيَة عن له لفهم كتاب الله ، وسُنّة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، يقول ابن هشام (ت 761 هـ)<sup>(1)</sup> في المغني: "فَإِنَّ أَوَّلَيْ مَا نَقْرَبُهُ الْقِرَاجُ وأَعْلَى مَا تَجْنَحُ إِلَى تَحْصِيلِهِ الْجَوَاحُ مَا يَتَسَرَّ بِهِ فَهُمْ كَتَابُ اللَّهِ الْمَنْزَلُ، وَيَتَضَّحُ بِهِ مَعْنَى حَدِيثِ نَبِيِّ الْمُرْسِلِ؛ فَإِنَّهُمَا الْوَسِيلَةُ إِلَى السُّعَادَةِ الْأَبْدِيَّةِ، وَالذِّرْيَةُ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ، وَالدِّينِيَّةِ أَوْصَلَ ذَلِكَ عِلْمُ الْإِعْرَابِ الْهَادِيِّ إِلَى صُوبِ الصَّوَابِ "<sup>(2)</sup>.

وقد عُنِيَ علماء النحو بالتفسيير أيما عناية منذ بدايات نشأته، بل إنَّ المُتَتَّبِعَ لجهودهم في تفسير القرآن الكريم يجدوها أكثر من أن تُحصى قديماً وحديثاً؛ فهذا كتاب سيبويه باكوره التأليف النحووي نجده زاخراً في تفسير أي القرآن الكريم، من خلال التحليل الفي لماعني بعض آيات القرآن الكريم؛ فيكون بذلك قد وضع اللبنة الأولى للتفسير اللغوي للقرآن الذي أعلى بنائه علماء التفسير والإعراب - فيما بعد -. ولقد أكثر سيبويه من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، ولم يكن ذلك عارضاً وإنما كان يقصد منه؛ لبيان صحة القاعدة النحووية التي تبنّاها من ناحية، ومن ناحية أخرى كان في كثيرٍ من الأحيان يقف موضحاً، ومطللاً ومستبطاً. إذن لا بد من إمام المفسر بهذه العلوم إذ بها ثُقُوم نصوص الشريعة وأيات القرآن على ما أراد الله، وتشتبط أحکامه الشرعية التي يُتعبد بها.

ولم يقتصر الأمر على معرفة علم النحو في تفسير القرآن فحسب؛ بل إنَّ العلماء بيّنوا أهمية العناية بعلم البلاغة لمن أراد تفسير القرآن الكريم، حيث إنَّهم ربطوا بين القدرة على التصدير لعلم التفسير، والبراعة في علم البيان والمعاني. وهذا ما أكدَه الرمخشي (ت 538 هـ) في الكشاف بقوله: "وَاللَّغْوِيُّ وَإِنْ عَلَكَ الْلِّغَاتِ بِقَوْةِ لَحْيِيهِ لَا يَتَصَدِّيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِسْلُوكِ تَلْكَ الطَّرَائِقِ، وَلَا يَغُوصُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَلْكَ الْحَقَائِقِ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ بَرَعَ فِي عِلْمِيْنِ مُخْتَصِّيْنِ بِالْقُرْآنِ، وَهُمَا: عِلْمُ الْمَعْنَى، وَعِلْمُ الْبَيَانِ، وَتَمَهَّلَ فِي ارْتِيَادِهِمَا آوْنَةً، وَتَعَبَ فِي التَّتَقْرِيرِ عَنْهُمَا أَزْمَنَةً "<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بال المغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أئمّة من سيبويه. من تصانيفه ( مغني الليب عن كتب الأعرب ) و ( عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب ). انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس (ت 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، ج 4، ص 146-147.

<sup>2</sup> ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، مغني الليب عن كتب الأعرب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط 1424هـ، ص 13.

<sup>3</sup> الرمخشي، أبو القاسم محمود بن عمرو أحمد (ت 538هـ) الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل، دار الكتاب العربي، ط 3 1407هـ، ج 1، ص 2.

وممّا سبق يظهر لنا مدى علاقة العربية بالتفسيير لاسيما في أهم علميْن من علومها: النحو والبلاغة، وكيف أنَّ العلماء ألغوا المؤلفات، وصنفوا المصنفات، خدمةً للقرآن الكريم، وبيان معانيه ومراميه، يقول أبو حاتم الرَّازِي (ت 322 هـ) في كتاب الزينة: "ورأينا العلماء باللغة العربية قد كفوا الناس مؤونة هذا الشأن، وأحكموا إحكاماً بيناً لما دونوه من أشعار الشعراء، وألغوه من المصنفات، ووصفوه من الصفات في كلٍ ما قدروا عليه، مما يحتاج الناس إلى استدراكه... وذلك كله لشدة حاجة الناس إلى معرفة لغة العرب؛ ليصلوا به إلى ما ذكرنا من معانٍ القرآن الكريم، والألفاظ الغربية فيه"<sup>(1)</sup>.

ولا يخفى أنَّ هذه اللغة هي لغة القرآن، وقد حُفظت بحفظ الله لكتابه؛ لذلك فإنّها ارتبطت بالقرآن بأوثق رباط؛ إذ إنّها لا تنفك عن آلته، ولا يمكن الخوض في غمار القرآن دون الإلمام بعلوم العربية وفنونها، وهذا ما أكدَه الرافعِي (ت 1356 هـ)<sup>(2)</sup> بقوله: "فإنَّ هذه العربية لغة دين قائم على أصلٍ خالد هو القرآن الكريم، وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحتِه، إلا مَنْ لا حَفْلَ له به من زنديق يتتجاهل، أو جاهِلٌ يتزندق"<sup>(3)</sup>. لذلك لا بدَّ من فهم اللغة العربية، ومعرفتها فهي شرط في فهم القرآن وتفسيره، إذ من المُحال فهمه، وتفسيره لغير عارف العربية؛ لأنَّه لا شكَّ سيقع في الزلل، والخطأ بل سُيحرّف الكلم عن مواضعِه.

ومن هنا تظهر أهمية بيان أثر التوجيه النحوي في العلاقة القوية بين المعنى النحوي (الإعراب)، والمعنى الدلالي في التفسير. فقضية العلاقة بين الجانب النحوي، والجانب التفسيري من المشكلات الدقيقة التي أحسَّ بها اللغويون، والمفسرون، والدارسون لعلوم القرآن، بل إنَّ الدارسين لهذه المسألة يجدون العلماء يلحّون على العلاقة القوية بين الإعراب والمعنى. كيف لا؟! والإعراب فرع المعنى.

<sup>1</sup> الرَّازِي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322 هـ)، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عرضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمданى، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ط 1415 هـ، ص 134.

<sup>2</sup> هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن عبد القادر الرافعِي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكُتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم (بنزل والد أمه) ووفاته في طنطا ( بمصر ) أصيّب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، له (ديوان شعر)، و(تاريخ آداب العرب)، ثالثهما (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) و (تحت راية القرآن) و (رسائل الأحزان). انظر: الأعلام للزركلي 7 / 235.

<sup>3</sup> الرافعِي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (ت 1356 م)، تحت راية القرآن، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط 1423 هـ، ص 16.

و لقد عُني عدد من الباحثين، و الدارسين ببيان أثر القواعد النحوية، و البلاغية في توجيه معاني الآيات القرآنية في تفاسير القرآن الكريم القديمة، و الحديثة. و لم يقف الباحث - بعد التحرّي و التقصي - على دراسة، أو بحث تناولت دراسة أثر القواعد النحوية، و البلاغية في توجيه معاني الآيات القرآنية في تفسير كتاب "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار" لعبد القادر بن أحمد بدران، فوقع اختيار الباحث عليه؛ إذ يعُد نفيسة من نفائس التفسير المتداولة بين خواص أهل العلم؛ فكان لهذا الكتاب من اسمه نصيب.

وسيقوم الباحث - بعد عون الله و توفيقه - على دراسة تفسير ابن بدران؛ لتجليّة المنهج النحووي والبلاغي في هذا التفسير.

وبعد تقرّي المادّة النحوية والبلاغية في هذا التفسير، و دراستها دراسة متأنيّة، تتبنّى للباحث أنه يشتمل على مسائل، و تدقيقـات، و تحقـيقـات نحوـية، و بلاغـية تستـحق الـدرـاسـة و التـحلـيل؛ لـاسـيـما أنـ هذه المسـائل، و التـطـبـيقـات تـبـرـز أـثـرـ النـحـوـ وـ الـبـلـاغـةـ فيـ تـوـجـيـهـ الـمـعـنـىـ، وـ هـذـاـ ماـ اـعـتـمـدـهـ اـبـنـ بـدـرـانـ - رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ - فـيـ تـقـيـرـهـ غـيرـ مـقـيـدـ، وـ لـاـ مـلـتـرـمـ مـذـهـبـ عـالـمـ مـنـ الـعـلـمـاءـ، اوـ رـأـيـ مـفـسـرـ مـنـ الـمـفـسـرـيـنـ، فـتـارـةـ يـأـخـذـ بـرـأـيـ عـالـمـ فـيـ تـوـجـيـهـ مـعـنـىـ آـيـةـ، وـ تـارـةـ يـرـدـ عـلـيـهـ فـيـ تـوـجـيـهـ مـعـنـىـ آـيـةـ أـخـرىـ؛ لـذـلـكـ إـنـ اـعـتـمـدـهـ فـيـ تـقـيـرـ الـآـيـاتـ بـنـيـ علىـ تـقـيـرـهـ بـالـمـأـثـورـ، وـ مـاـ أـجـمـعـتـ عـلـيـهـ الـأـمـةـ، آـخـذـاـ بـأـقـوـالـ الصـحـابـةـ - رـضـوـانـ اللهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـيـنـ - وـ التـابـعـيـنـ، فـضـلـاـ عـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ أـفـادـ مـنـهـاـ كـثـيرـاـ فـيـ تـوـجـيـهـ مـعـنـىـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ، مـعـتـمـدـاـ عـلـيـهـاـ فـيـ تـرـجـيـحـاتـهـ الـتـقـسـيـرـيـةـ الـتـيـ يـرـاـهـاـ صـوـابـاـ، وـ حـقـاـ فيـ بـيـانـ مرـادـ اللهـ - جـلـ شـائـهـ - مـنـ الـآـيـةـ. غـيرـ آـبـهـ بـقـوـلـ مـنـ خـالـفـهـ مـنـ الـعـلـمـاءـ، وـ الـمـفـسـرـيـنـ وـ إـنـ كـانـ الـجـمـهـورـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ نـقـلـهـ لـكـلـامـ الـعـلـمـاءـ وـ الـمـفـسـرـيـنـ قـبـلـ بـتـمامـهـ، وـ كـمـالـهـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـايـيـنـ. وـ قـدـ وـافـتهـ الـمـنـيـةـ - رـحـمـهـ اللهـ - قـبـلـ إـتـامـ تـقـيـرـهـ، حـيـثـ وـقـفـ عـنـ تـقـيـرـ الـآـيـةـ (189)ـ مـنـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ. وـ يـقـعـ الـكـتـابـ فـيـ (552)ـ صـفـحةـ. وـ أـسـأـلـ اللهـ - فـيـ عـلـاهـ - أـنـ يـعـيـضـ لـهـذـاـ التـقـسـيـرـ مـنـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ الـمـجـدـيـنـ مـنـ يـشـمـرـ عـنـ سـاعـدـ الـجـدـ، وـ يـبـسـطـ رـاحـاتـ الـعـلـمـ؛ لـيـتـمـ إـنـجـازـ هـذـاـ السـفـرـ الـعـظـيمـ، الـذـيـ سـتـحـقـ بـإـتـامـهـ الـفـوـائـدـ الـعـظـيمـةـ، وـ الـفـرـائـدـ الـجـلـيلـةـ. إـنـهـ مـوـلـيـ ذـلـكـ وـ الـقـادـرـ عـلـيـهـ. وـ أـسـأـلـ اللهـ - الـذـيـ تـمـ بـفـضـلـهـ الـصـالـحـاتـ - أـنـ يـجـعـلـ لـنـاـ نـصـيـبـاـ مـنـ ذـلـكـ.

وقد عَمَدَ الباحث في دراسته إلى بيان مدى اعتماد ابن بدران على القواعد النحوية والبلاغية في توجيهه معنى الآيات القرآنية، **مستقِصِيًّا** لبعضها من غير حَصْرٍ لها، من خلال ذكر المسألة، وقول ابن بدران فيها، ثم بيان الخلاف بين العلماء في تلك المسألة، واستقراء أقوال العلماء مطيلًا النَّفَسَ في ذلك، متتبعًا ترجيحاتهم، وتأويلاً لهم، ثم مبيّنًا القول الراجح فيما يراه الباحث، ومدى موافقته لقول ابن بدران.

وقد وقع اختيار الباحث على عشر مسائل نحوية، وخمس مسائل بلاغية، و لعلَّ المسائل الأخرى شقَّ طريقها للبحث في **مُفتَبِلِ الأَيَامِ**، لينتفع بها الأنام.

وَاللهُ الْمَوْفُّقُ وَهُوَ الْهَادِيُّ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

## مشكلة الدراسة:

### سحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مدى العلاقة بين علمي النحو والبلاغة والتفسير؟
2. ما تأثير القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية عند بعض علماء التفسير؟
3. ما القواعد النحوية والبلاغية التي تبناها ابن بدران في منهجه التفسيري؟

## أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية العلاقة بين علمي النحو والبلاغة وبين علم التفسير من خلال:

1. إظهار أهمية النحو والبلاغة في التفسير، والعلاقة الوثيقة بينها.
2. إبراز أهم القواعد النحوية والبلاغية التي أفاد منها بعض المفسرين في اختيارتهم التفسيرية.
3. دراسة القواعد النحوية والبلاغية التي أفاد منها ابن بدران وبيان تأثيرها في اختياراته التفسيرية.

## أهمية الدراسة:

### تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

- الأولى: أنها تمثل أنموذجًا تطبيقيًا لفهم النصوص عن طريق القواعد النحوية، والبلاغية المضطربة.
- الثانية: أنها تتناول تفسيرًا متداولاً بين أهل العلم، يعتمد على النحو والبلاغة في تحليل النص القرآني.
- ولم يحظ بعناية أو دراسة سابقة من الجهة النحوية أو البلاغية، في حدود اطلاع الباحث.
- الثالثة: إثراء المكتبة العربية بدراسة علمية مُحكمة تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه.

## حدود الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على تتبع القواعد النحوية والبلاغية في كتاب "جواهر الأفكار" لابن بدران (1420هـ - 1999م)، مبينةً أهميتها ودورها في توجيه المعنى في ذلك التفسير.

## مصطلحات الدراسة:

### القواعد:

عرفها السُّبْكِيَّ (ت 771هـ) بقوله:

"الأمر الكلّي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يُفهم أحکامها منها"<sup>(1)</sup>.

وعرفها الجُرجانِيُّ (ت 816هـ)<sup>(2)</sup> في التعريفات بقوله:

"هي قضيّة كليّة منطبقة على جميع جزئياتها"<sup>(3)</sup>.

وعرفها الكَفَوِيُّ (ت 1094هـ) بقوله:

"قضيّة كليّة من حيث اشتمالها بالقوّة على أحکام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعًا، واستخراجها منها تفريغًا كقولنا: كل إجماع حق"<sup>(4)</sup>.

إذاً، فالتعريف الإجرائي لقاعدة التّحوّيّة هي:

مجموعة من الأحكام التّحوّيّة الكليّة، التي يتم تطبيقها على ما لا ينحصر من الأحكام الجزئيّة.

<sup>1</sup> السُّبْكِيُّ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين (ت 771هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط 1411هـ، ج 1، ص 11.

<sup>2</sup> هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجُرجانِيَّ: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استریاد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فرَّ الجُرجانِي إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها (التعريفات) و (شرح مواقف الإيجي) و (شرح كتاب الجغماني) في الهيئة. انظر: الأعلام للزرکلي 5 / 7.

<sup>3</sup> الجُرجانِيُّ، علي بن محمد بن علي (ت 816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 1403هـ، ج 1، ص 171.

<sup>4</sup> الكَفَوِيُّ، أبوبكر بن موسى (ت 1094هـ)، الكلمات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص 728.

## النحو:

عَرَفَهُ ابْنُ جَنِيِّ (ت 392هـ)<sup>(1)</sup> بِقُولِهِ:

" انتفاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالثنوية، والجمع، والتحبير، والتكسير، والإضافة، والتسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليتحقق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة؛ فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شد بعضهم عنها رُدّ به إليها "<sup>(2)</sup>.

وَعَرَفَهُ ابْنُ النَّاظِمِ (ت 686هـ) بِقُولِهِ:

" عبارة عن العلم بأحكام مستتبطة من استقراء كلام العرب، أعني أحكام الكلم في ذاتها، أو فيما يعرض لها بالتركيب؛ لتأدية أصل المعاني من الكيفية، والتقديم، والتأخير؛ ليحترز بذلك عن الخطأ في فهم معاني كلامهم، وفي الحذو عليه "<sup>(3)</sup>.

وَعَرَفَهُ الْجَرْجَاوِيُّ (ت 905هـ) بِقُولِهِ:

" علم بأصول يُعرفُ بها أحوال أبنية الكلم إعراباً وبناءً "<sup>(4)</sup>.

إذاً، فالتعريف الإجرائي للنحو هو:

علم ثُعُورُّ به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً.

<sup>1</sup> هو إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف. لزم أبا علي الفارسي دهراً، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد، وتخرج مع الكبار. وله: سر الصناعة، واللمع، والتصريف، والتقفين في النحو، والتعاقب، والخصائص، والمقصور والممدود، وما يذكر ويؤثر، وإعراب الحماسة. انظر: الذبيهي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3 1405هـ، ج 17، ص 17-18.

<sup>2</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، ج 1، ص 35.

<sup>3</sup> ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت 686هـ)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 1 1420هـ، ص 4.

<sup>4</sup> الجرجاوي، زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد المعروف بالوقاد (ت 905هـ)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 1 1421هـ، ج 1، ص 11-12.

## البلاغة:

عَرَفَهَا الْجَاحِظُ (ت 255هـ)<sup>(١)</sup> بِأَنَّهَا:

"إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل"<sup>(٢)</sup>.

وَعَرَفَهَا الْعَسْكَرِيُّ (ت 395هـ) بِقَوْلِهِ:

"كُلُّ مَا تَبَلَّغُ بِهِ الْمَعْنَى قَلْبُ السَّامِعِ فَتَمَكَّنَهُ فِي نَفْسِهِ كَمَكَنَهُ فِي نَفْسِكَ مَعَ صُورَةِ مُقْبُولَةٍ، وَمَعْرُضِ حَسْنٍ"<sup>(٣)</sup>.

وَعَرَفَهَا السَّكَاكِيُّ (ت 626هـ)<sup>(٤)</sup> بِقَوْلِهِ:

"هِيَ بِلُوغِ الْمُتَكَلِّمِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى حَدَّاً لِهِ اخْتِصَاصِ بِتَوْخِيَةِ خَواصِ التَّرْكِيبِ حَقَّهَا، وَإِبْرَادِ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْكَنَاءِ عَلَى وَجْهِهَا"<sup>(٥)</sup>.

وَعَرَفَهُ الْكَفُوِيُّ (ت 1094هـ) بِقَوْلِهِ: "هِيَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِمَا طَابَقَهُ مِنَ الْفَظْلِ الرَّائِقِ مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ عَلَى الْمَقْصِدِ، وَلَا اِنْتِقَاصٍ عَنْهُ فِي الْبَيَانِ"<sup>(٦)</sup>.

إِذَاً، فَالْتَّعْرِيفُ الْإِجْرَائِيُّ لِلْبَلَاغَةِ هُوَ: إِيصالُ الْمَعْنَى الْمَقصُودِ إِلَى الْمَتَلَقِّيِّ بِالْأَفْاظِ فَصِيقَةٌ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ أَوْ تَقْصِيرٍ.

<sup>١</sup> هو العالمة، المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعترلي، صاحب التصانيف. مات سنة خمس وخمسين ومئتين، كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جدًا. قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى أنه كان يكتري داكيين الكتبين، ويبت فيهما للطالعة، وكان باقة في قوة الحفظ. انظر: سير أعلام النبلاء/11: 526-527.

<sup>٢</sup> الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ، ج 4، ص 151. وانظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1423هـ، ص 295.

<sup>٣</sup> أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو 395هـ)، الصناعتين، تحقيق علي محمد البخاري ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ، ص 10.

<sup>٤</sup> هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكى الخوارزمي الحنفى أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم، من كتبه "مفتاح العلوم - ط" و "رسالة في علم المناظرة - خ". انظر: الأعلام للزرکلی 8/222.

<sup>٥</sup> السكاكى، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2 1407هـ، ص 415.

<sup>٦</sup> الكفوبي، الكليات، ص 236.

## التفسير:

عَرْفَهُ أَبُو حِيَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت 745هـ) فِي مُقْدَمَةِ تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ:

"علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة،

و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمّات لذالك " (١) .

وَعَرَفَهُ الْجُرجَانِيُّ (ت 816هـ) فِي التَّعْرِيفَاتِ بِقَوْلِهِ:

"توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة"

ظاهره<sup>(2)</sup>.

وعرفة ابن عاشور (ت 1393ھ)<sup>(3)</sup> بقوله:

" هو اسم للعلم الباحث عن بيان معانٍ لفاظ القرآن، وما يُستفاد منها باختصار أو توسيع" (4).

إذاً، فالتعريف الإجرائي للتقسيم هو:

علم يبحث في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وأياته؛ لمعرفة مراد الله، واستنباط أحكامه.

<sup>١</sup> أبو حيـان الأندلسيـ، مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ عـلـيـ (تـ745هـ)، الـبـحـرـ الـمـحيـطـ فـيـ التـفـسـيرـ، تـحـقـيقـ صـدـقـيـ مـحـمـدـ جـمـيلـ، دـارـ الـفـكـرـ - بـيـرـوـتـ، 1420هـ، جـ1ـ، صـ26ـ.

<sup>2</sup> التعريفات للجرجاني، ص 63.

<sup>3</sup> هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة فروعه بتونس، مولده ووفاته دراسته بها، عُيِّنَ (عام 1932) شيخاً للإسلام مالكيّاً، وهو من أعضاء المجمعين العربّيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتبيير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وأثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) وما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيراً في المجالات، وهو والد محمد الفاضل. انظر: الأعلام للزركي/ 174.

<sup>4</sup> ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، ج 1، ص 11.

## **منهجية الدراسة:**

تتبع الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي التحليلي، حيث عمد الباحث إلى عرض المسائل النحوية والبلاغية التي أثرت في الاختيارات التفسيرية، وقام بتحليلها تحليلاً علمياً منهجياً، وقد التزم حدود المنهج العلمي.

## **الطرق والإجراءات:**

**تقع الدراسة في ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول:** يحتوي على المقدمة، وتشمل مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجيتها، والتعريف بالمصطلحات، ونشأة النحو، والبلاغة، والتفسير والعلقة الوثيقة بينهما، ونبذة عن حياة المفسّر.

**الفصل الثاني:** يحتوي على الأدب النظري والدراسات السابقة.

**الفصل الثالث:** يحتوي على المسائل والتطبيقات التي تُبرِّزُ أثر النحو والبلاغة في توجيه المعنى في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران.

## نشأة النحو وتطوره:

### أهمية علم النحو:

يُعد علم النحو من أجل العلوم قدرًا، وأنفعها أثراً، وصدق إسحاق التهرواني إذ يقول:

النحو يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَكْنِ  
وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنْ

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا  
فَاجْلَهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَسْنِ<sup>(1)</sup>

"وبه يسلم الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف، وهما موئل الدين وذخيرة المسلمين،  
فكان تدوينه عملاً مبروراً، وسعياً في سبيل الدين مشكوراً"<sup>(2)</sup>.

فالنحو علم يقرب الأفهام ويحدد المعنى ويبعد الإبهام، وبه تعرف مقاصد الكلام، قال ابن خلدون (ت 808هـ)<sup>(3)</sup> في مقدمته: "والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو؛ إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولو لا يجهل أصل الإفادة".<sup>(4)</sup>

### عوامل نشأة علم النحو:

ظلّت اللغة العربية نقية سليمة محفوظة من كل شائبة في قلب الصحراء، خالصة لأنبائها يتحدثون بها على سجيّتهم وسليقتهم، فبقيت نقية صافية لم تشبعها شائبة، حتى بزغ فجر الإسلام على

<sup>1</sup> عيون الأخبار لابن قتيبة 172/2-173هـ.

<sup>2</sup> الطنطاوي، محمد كبيشة (ت 1379هـ)، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط 1426 هـ، ص 11.

<sup>3</sup> هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولد الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البخاثة. أصله من إشبيلية، وموله ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس، وغرناطة، وتلمسان، والأندلس، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزوج بزوج القضاة محتفظاً بزوج بلاده. واغُزل، وأُعْبَد. وتوفي فجأة في القاهرة. كان فصيحاً، جميلاً الصورة، عاقلاً، صادقاً للهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية. ولما رحل إلى الأندلس اهتمّ له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعماليق - ط) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (ال عبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبة، وسيرته، وما ينصلّ به من أحداث زمنه. ثم أفرد هذا الفصل، فنبّسط فيه، وجعله ذيلاً لل عبر، وسماه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبة، وسيرته، وما ينصلّ به من أحداث زمنه. ثم أفرد هذا الفصل، فنبّسط فيه، وجعله ذيلاً لل عبر، وسماه

.330/3 - ط). انظر: الأعلام للزرکلی

<sup>4</sup> ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وخَرَجَ أحدياته وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب - دمشق، ط 1425 هـ، ج 2، ص 367.

جزيرة العرب وما حولها، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فاختلط العرب بالعجم في كل مناحي الحياة وتصايروا حتى أصبحوا شعباً واحداً. عندها بدأ اللحن يتسرّب إلى ألسنة متكلّمي العربية من العرب وغيرهم وبدأ يسمع اللحن في التخاطب حتى أصبحت ظاهرة لافته للأنظار تُنذر بشرٌ يُعكرُ صفو العربية ونقاءها، قال أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ): "واعلم أنَّ أول ما اختلَّ من كلام العرب فأحوج إلى التعلم بالإعراب؛ لأنَّ اللحن ظهر في كلام الموالى والمتعرّبين"<sup>(1)</sup>.

فكان اللحن هو الباعث الأول على تدوين اللغة، وجمعها، وعلى استبطاط قواعد النحو وتصنيفها<sup>(2)</sup>.

عندما صاحت الأصوات وانتقضت الأقلام، سالت الأحبار نصرة للغة العربية؛ لحفظها، وصونها والتّصدّي لعلاج ما يشوبها؛ فقعدوا القواعد وليس ذلك إلا حفاظاً لكتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – مخافة أن ينغلق القرآن والحديث على المفهوم. فنقطوا الإعراب؛ مخافة اللحن في القرآن ونقطوا الإعجام؛ مخافة التصحيف في القرآن. فكان حفظ كتاب الله هو الدافع الرئيس في تقييد القواعد وحفظ اللغة.

فولا الإسلام والقرآن، لم تحظِّ اللغة العربية بما حظيت به من خدمة، بتدوين علومها، وتبويب مسائلها، وتتابعت الأجيال على النّظر فيها جمعاً، وتاليفاً، وتقعيداً، وبحثاً عن أوجه جمالها، وإعجاز قرآنها، وتمجيداً لها وتعظيمها<sup>(3)</sup>.

وقد اختلف العلماء واضطربوا في بدايات اللحن على حكايات، وروايات كثيرة، ولكن مما لا شكّ فيه أنَّ اللحن ظهر بصورة واضحة بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول كثير من غير العرب في

<sup>1</sup> أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبـي (ت 351هـ)، مراتب النـحويـن، حـقـقه وعلـق عـلـيـه مـحـمـدـ أـبـوـ الفـضـلـ إـبـراهـيمـ، مـكـتبـةـ نـهـضـةـ مصرـ وـمـطـبـعـتهاـ، الفـجـالـةـ - القـاهـرـةـ، صـ5ـ، وـانـظـرـ: السـيـوطـيـ، جـلـالـ الدـينـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ (ت 911هـ)، المـزـهـرـ فـيـ عـلـوـمـ الـلـغـةـ وـأـنـوـاعـهـ، تـحـقـيقـ فـوـادـ عـلـيـ مـنـصـورـ، دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ - بـيـرـوـتـ، طـ1ـ4ـ1ـ8ـهـ، جـ2ـ، صـ3ـ4ـ1ـ.

<sup>2</sup> الأفغاني، سعيد بن محمد (ت 1417هـ)، من تاريخ النـحـوـ العـرـبـيـ، مـكـتبـةـ الـفـلاحـ، صـ8ـ، وـانـظـرـ: الصـاعـديـ، عـبـدـ الرـزـاقـ بـنـ فـرـاجـ، أـصـوـلـ عـلـمـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ، مـجـلـةـ الـجـامـعـةـ إـلـسـلـامـيـةـ، الـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ، طـ2ـ8ـ، الـعـدـدـانـ 105ـ-106ـ، 1407ـهـ-1418ـهـ جـ1ـ، صـ2ـ8ـ6ـ.

<sup>3</sup> العـاـيدـ، سـلـيـمانـ بـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ مـحـمـدـ، عـنـيـةـ الـمـسـلـمـيـنـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ خـدـمـةـ لـلـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، مـجـمـعـ الـمـلـكـ فـهـدـ لـطـبـاعـةـ الـمـصـفـ الشـرـيفـ، بـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ، صـ6ـ.

الإسلام كما أسلفنا، مما دفع العلماء لإرساء قواعد النحو الذي تتطلبها الحوادث، وتقضيه الحاجات خدمةً للقرآن والسنّة فيحسن قرائتهما ويُفهم مُرادهما.

من هنا نلحظ أنّ عوامل نشأة النحو وأسبابه تكمن في ظهور اللحن على السنة الناس، ونقشّيه وانتشاره، ووصوله إلى القرآن، وتلاوته، وفهمه.

ولعلّ هذا ما بيّنه ابن خلدون في مقدمته حيث أشار إلى أنّ اللحن كان سبباً مباشرًا لنشأة النحو، إذ يقول: " وخشي أهل الحُلُوم<sup>(1)</sup> منهم أن تفسد تلك المَلَكَة رأساً ويطول العهد؛ فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستبطوا من مجري كلامهم قوانين لتلك المَلَكَة مطْرِدة شبه الكلمات والقواعد، يقيسون عليها أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباء، مثل: أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثمّ رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميتها إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالكتاب ، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو " <sup>(2)</sup>.

وروايات نشأة النحو كثيرة جداً، لا حاجة للاسترسال في تفصيّ ما ورد منها، إذ يكفي بيان سبب نشأة النحو من خلالها والوقوف على اختلافات العلماء في مضامينها من حيث زمنها ومؤسسها، ومن خلال هذه الروايات يتبيّن لنا أمران:

### الأول: زمن نشأة النحو:

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في زمن نشأة علم النحو وتعدّت آراؤهم، وأغلب الروايات <sup>(3)</sup> تشير إلى أنّ الصدر الأول من العصر الإسلامي هو زمن نشأة النحو، وبالتحديد في عصر الخلفاء الراشدين.

<sup>1</sup> الحُلُوم: جمع حلم وهي الأئنة والعقل، انظر: لسان الرب 12 / 146، فصل الحاء المهملة.

<sup>2</sup> مقدمة ابن خلدون 2 / 368 - 369.

<sup>3</sup> انظر: ابن خلkan، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، ص537، والذبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1 2003م، ج2، ص735، وسير أعلام النبلاء للذهبي 4 / 83، والسيوطى، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت911هـ)، سبب وضع علم العربية، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، بيروت - دمشق، ط1، 1409هـ، ج1، ص42-43 و ص53-54، والسيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 1425هـ، ص139-140.

أما بالنسبة لمكان النشأة فيتفق العلماء والباحثون قديماً وحديثاً على أن العراق هي بلد النشأة وتحديداً البصرة. قال ابن سلّام: "وكان لأهل البصرة في العربية قُمْمة، وبالنَّحو وبلغات العرب والغريب عناية"<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: واضح علم النَّحو:

اختلف العلماء قديماً وحديثاً حول الواضع الأول وصاحب السبق لعلم النَّحو، نتيجة لاضطراب الروايات وتعددتها فمنهم من نسبه إلى عليّ بن أبي طالب، ومنهم من نسبه إلى أبي الأسود الدؤلي، ومنهم من نسبه إلى نصر بن عاصم، ومنهم من نسبه إلى عبد الرحمن بن هرمز، ومنهم من نسبه إلى يحيى بن يعمر الليثي، ومنهم من نسبه إلى غير هؤلاء. وقال آخرون: إنه قديم قدم العرب.

قال السيرافي: "اختلف الناس في أول من رسم النَّحو فقال قائلون أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون: نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال: الليثي، وقال آخرون: عبد الرحمن بن هرمز"<sup>(2)</sup>.

والذي إخاله قريباً إلى الواقع ويرتضيه النظر أنَّ أبو الأسود الدؤلي<sup>(3)</sup> هو واضح علم النَّحو.

وفيما يأتي الأدلة<sup>(4)</sup> القاطعة على نسبة وضع علم النَّحو إلى أبي الأسود<sup>(5)</sup>:

**أولاً:** اتفاق جمهور الرواة من القدماء على ذلك، بل إنَّ المبرّد جعله إجماعاً لعلماء العربية<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> ابن سلّام، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سلّام بن عبيد الله الجمي، (ت 232هـ)، طبقات حول الشعراء، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر ، دار المدنى - جدة، ج 1، ص 12.

<sup>2</sup> السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزيان (ت 368هـ)، أخبار المؤمنين البصريين، تحقيق طه مُحَمَّد الزيني ومُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الناشر مصطفى الحلبى، ط 1373هـ، ص 11.

<sup>3</sup> هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدبل بن بكر الديلي، ويقال: الدؤلي، وفي اسمه ونسبته اختلاف كثير؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدتهم عقلاً. وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف، وعمره خمس وثمانون سنة - رضي الله عنه -، وقيل إنَّه مات قبل الطاعون بعلة الفالج، وقيل إنَّه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل لأنَّه الأسود عند الموت: أبشر بالمعفورة، فقال: وأين الحياة مما كانت له المغفرة. انظر: وفيات الأعيان 2/535-539.

<sup>4</sup> الدجني، فتحي عبد الفتاح، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النَّحو، وكالة المطبوعات - الكويت، ط 1، 1974م، ص 173-174.

<sup>5</sup> انظر: طبقات حول الشعراء لابن سلّام 12/1، وأخبار المؤمنين البصريين للسيرافي ص 11، وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل محمد عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معرض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1415هـ، ج 3، ص 455-456، وفيات الأعيان، 456، و وفيات الأعيان، 6/391-392.

<sup>6</sup> انظر: وفيات الأعيان 6/392، والموجز في نشأة النَّحو ص 21.

ثانيًا: رواية ابن النديم (ت438هـ) في الفهرست. قال مُحَمَّد بن إسحق كان بمدينة الحديثة رجل يُقال له مُحَمَّد بن الحسين ويعرف بابن أبي برة، جماعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو، واللغة، والأدب، والكتب القديمة. فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي... فرأيتها وقلبتها، فرأيت عجباً إلا أن الزمان قد أخلفها. عمل فيها عملاً أدرسها وأحرفها،... ورأيت ما يدل على أن النحو عند أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربع أوراق أحسبها من ورق الصّين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل، والمفعول من أبي الأسود - رحمة الله عليه - بخط يحيى ابن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق: "هذا خط علان التخوي"، وتحته: "هذا خط النضر بن شمبل" <sup>(1)</sup> " <sup>(2)</sup>.

ثالثاً: قول علي بن أبي طالب لأبي الأسود: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! <sup>(3)</sup>.

### تطور علم النحو:

كان لأبي الأسود الفضل الوافر في بدء الغرس الذي نما وترعرع وازدهر على كر الزمان بالإضافة اللاحقة إلى السابقة ما استدركه، وما ابتدعه، فازداد فيه التدوين، والتصنيف شيئاً فشيئاً <sup>(4)</sup>.

ولقد مر علم النحو بمراحل وأطوار حتى غدا يانعاً ناضجاً وقد تم تقسيمه إلى أربع مراحل وهي:

طور الوضع والتكون، وطور الشوء والثمو، وطور النضج والكمال، وطور الترجيح والبساط في التصنيف <sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> هو النضر بن شمبل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عترة بن زهير بن تميم، بصرى الأصل، نزل مرو الروذ وهي بلاد مازن، أخذ عن الخليل وعن فصحاء الأعراب، توفي سنة أربع ومئتين أو ثلاثة، وله من الكتب كتاب الصفات، وكتاب الأنواء، وكتاب المعاني، وكتاب غريب الحديث. انظر: ابن النديم، أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحق بن مُحَمَّد الوراق (ت438هـ)، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2 1417هـ ص74-75. وهو ثقة ثبت، صاحب غريب وشعر ونحو وحديث وفقه ومعرفه بأيام الناس. انظر: المزهر في اللغة 2/347.

<sup>2</sup> الفهرست لابن النديم ص62-63.

<sup>3</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي 4/82.

<sup>4</sup> نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص30.

<sup>5</sup> المرجع السابق ص36.

## أولاً: طور الوضع والتكونين:

ولقد انفردت البصرة وعلماؤها في هذا الطور؛ إذ الكوفة منشغلة بالقراءة، والرواية، والأشعار والأخبار، وقد بدأ هذا الطور من الواضع الأول لعلم النحو أبي الأسود الدؤلي (ت 65هـ)، إلى أول عصر الأفذاذ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، ويقسم هذا الطور من حيث علماؤه إلى طبقتين:

أما الطبقة الأولى: فقد شملت تلامذة الدؤلي ومن أشهرهم: ونصر بن عاصم الليثي (ت 89هـ)، عنبرة بن معان الفيل (بعد 100هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (ت 117هـ)، ويحيى بن يعمر العداني (ت 129هـ). ويتميز منهج هذه الطبقة بالخلو من التوسيع والتشعب والتعقيد<sup>(1)</sup>.

وأما الطبقة الثانية: فبدأت من عهد عبد الله بن أبي اسحق (ت 117هـ) إلى عهد أبي عمرو ابن العلاء (ت 154هـ)، مروراً بعيسي بن عمر (ت 149هـ). ويتميز منهج هذه الطبقة بالاستباط واستعمال القياس، يقول ابن سالم: "ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي، وكان أول من بَعَجَ<sup>(2)</sup> النحو، وَحَدَ القياس والعلل، وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وبقي بعده بقاءً طويلاً، وكان ابن أبي إسحق أشد تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علمًا بكلام العرب، ولغاتها، وغريبها"<sup>(3)</sup>.

"وبرزت عند رجال هذه الطبقة ظاهرة الخلاف النحوي بين مصوب ومخطئ؛ حيث لم تعد المسائل النحوية واللغوية متفقاً عليها، وأن وجه الصواب فيها لم يعد متفقاً عليه"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 32-33 وص 59.

<sup>2</sup> قال الأزهري: لَعَجَ حُبُّه أصوب من بَعْجَه لِأَنَّ الْبَعْجَ الشَّقَّ. يقال: بَعْجَ بطنه بالسكين، إذا شَقَه وخضضه فيه. انظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 2001م، ج 1/ ص 249، باب العين والجيم مع الميم، وقال ابن منظور: وبعجه بطيء لفلان باللغة في نصيحته، وقيل في قول أبي ذؤيب وبطيء بالكلام بعجه أي نصحي لهم مبذول. وتبعج السحاب وانبعج بالمطر انفوج عن الودق والويل الشديد. انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الانصارى (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3-1414هـ، ج 1، ص 308، مادة بعجه.

<sup>3</sup> طبقات حول الشعراء لابن سالم 1 / 14.

<sup>4</sup> الخثران، عبدالله بن حمد، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ط 1413، ص 81.

## ثانياً: طور النشوء والنمو:

ويببدأ هذا الطور من عهد الخليل بن أحمد الفراهidi من البصريين، وأبى جعفر الرؤاسي من الكوفيين، إلى أول عصر المازني البصري، وابن السكّيت الكوفي<sup>(١)</sup>. إذ يضمّ هذا الطور ثلاث طبقات من البصريين وثلاثة من الكوفيين.

## أعلام طبقات البصريين:

الطبقة الثالثة وأشهر أعلامها: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (الأخفش الأكبر) (ت 172هـ)<sup>(٢)</sup>، والخليل بن أحمد الفراهidi (ت 175هـ)، ويونس بن حبيب (ت 182هـ)، وقد تزامنت هذه الطبقة مع الطبقة الأولى من الكوفيين ومن أشهر علمائها: أبو جعفر الرؤاسي (ت 175هـ)، ومعاذ ابن مسلم الهراء (ت 187هـ).

الطبقة الرابعة وأشهرهم: أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) (ت 180هـ)، وأبو محمد يحيى ابن المبارك اليزيدي (ت 202هـ) وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري (ت 215هـ)، وأبو سعيد عبد الملك بن قریب الأصمی (ت 216هـ). وقد تزامنت هذه الطبقة مع الطبقة الثانية من الكوفيين ومن أشهر علمائها: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ).

الطبقة الخامسة وأشهر علمائها: سعيد بن مسدة الأخفش الأوسط (ت 211هـ)، وأبو علي محمد بن المستير المعروف بقطرب (ت 206هـ).

وتتزامن هذه الطبقة مع الطبقة الثالثة من الكوفيين ومن أشهر علمائها: أبو الحسن علي بن المبارك الأحمر (ت 194هـ)، وأبو زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء (ت 207هـ)، وأبو الحسن علي بن المبارك اللحياني (ت 220هـ).

<sup>١</sup> انظر: نشأة التّحوُّل وتاريخ أشهر النّحاة ص 35.

<sup>٢</sup> هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر من مواليم، وكان نحوياً لغويّاً وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيبويه - وحمل عنه التّحوُّل، ولو لا ذلك لما اشتهر - وأخذ عنه أيضاً: عيسى بن عمر التّحوّي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، ومن في طبقتهما وغيرهم. شيخ العربية، ومن كبار علمائها . مولى قيس ابن ثعلبة. لقى الأعراب وأخذ عنهم. وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها. ولم يظفر له ابن خلّان والحافظ الذهبي بوفاة. انظر: وفيات الأعيان 3/301، وسير أعلام النبلاء 7/323، والأعلام للزرکلي 3/288.

### ثالثاً: طور النَّضج والكمال:

ويبدأ هذا الطُّور من عهد أبي عثمان المازني البصري (ت 249هـ)<sup>(1)</sup> إمام الطبقة السادسة، ويعقوب بن السكري الكوفي (ت 244هـ) إمام الرابعة، إلى آخر عصر المبرد البصري (ت 285هـ) شيخ السابعة، وثعلب الكوفي (ت 291هـ) شيخ الخامسة<sup>(2)</sup>. ويتميز منهج هذا الطُّور بالفصل بين المباحث النحوية والصرفية.

### رابعاً: طور الترجيح:

ظهر هذا الطُّور نتيجة للخلافات القائمة بين المذهبين البصري والكوفي في الطُّور السابق فجاء علماء هذا الطُّور وهم من بغداد فعملوا على المفاضلة بين المذهبين، وإيثار المختار منهما، وقاموا بمسألة الترجيح بينهما، ومن أشهر علماء هذا الطُّور: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، والحسن بن عبد الله بن المرزباني السيرافي (ت 368هـ)، ومحمد بن القاسم الأنباري (ت 327هـ)، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 267هـ)<sup>(3)</sup>.

وتميّز منهج هذا الطُّور بكثرة تأليفه وتصانيفه، إذ عملوا على الترجيح بين المذهبين البصري والكوفي، وشرحوا المختصرات، وعلّقوا عليها بالتقارير والحواشي.

<sup>1</sup> هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب المازني البصري النحوي، كان إمام عصره في النحو والأدب، وأخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصممي وأبي الأنصاري وغيرهم، وأخذ عنه أبو العباس المبرد، وله من التصانيف كتاب ما ثُلحن به العامة وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج، توفي سنة تسع وأربعين ومترين، وقيل ثمان وأربعين، وقيل ست وثلاثين ومترين بالبصرة. النظر: وفيات الأعيان 1/283-286.

<sup>2</sup> انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 39-40، ومراحل تطور نشأة النحو ص 111-112.

<sup>3</sup> انظر: مراحل تطور الدرس النحوي ص 125-127، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 150-156.

## نشأة علم البلاغة

"يرجع تاريخ نشأة البلاغة العربية إلى نشأة النقد الأدبي عند العرب، وقد ولد النقد الأدبي بميلاد الشعر العربي، ولازمه في جميع مراحله المختلفة، يرسم له المنهج القويم، ويلحّ عليه بالإصلاح ويوضح له أسباب النماء والاكتمال، كما يتبيّن له عوامل الضعف والفساد؛ ليجتذبها... ولذلك طُبع النقد في العصر الجاهلي بطابع العجلة والارتجال، فهو من قبيل "النقد الذاتي" "(١).

وهذا ما أكدّه الصعيدي<sup>(٢)</sup> في قوله: "ليس من بعيد أن يكون العرب في الجاهلية قد عرّفوا بعض مسائل البلاغة والفصاحة، وممّا يُروى من ذلك أنّ التابعة الذبياني كانت تُضربُ له قبة حمراء بسوق عكاظ، فتأتيه الشّعراء فتعرض عليه أشعارها" (٣).

وهذا دليل على معرفة العرب في جاهليتهم بالبلاغة، تلك البلاغة التي يعرفونها بفطرتهم وسليقتهم بعيدة عن التّقعيد والتّعقيد، وظلّ الأمر كذلك في صوره الأولى، ثمّ أخذ ينمو شيئاً فشيئاً بمرور الأيام واختلاف العصور الأدبية والنقدية والتي استبّطت منها المقاييس البلاغية "فيما بعد" (٤).

ولمّا جاء الإسلام ونزل القرآن بدأت العلوم الإسلامية تظهر شيئاً فشيئاً إما حفاظاً على كتاب الله - عزّ وجلّ - مثل: علم القراءات القرآنية، وعلم النحو، وإما تبياناً وفهمًا لآياته ومعرفة سرّ إعجازه مثل العلوم القرآنية التي عُنيت بشرح كتاب الله وتفسيره وهي كتب التفسير، وأيضاً ببلاغته وبيان وجوه إعجازه، وهي كتب الإعجاز القرآني.

ويؤكّد ذلك العайд بقوله: "أما ما يتعلّق بالإعجاز والبلاغة، فهذا الأمر من الوضوح بما يكفينا ويفغينا عن أن نزدّ ما قاله الآخرون، فلولا القرآن لم يكن ثمّ بحث في إعجاز، ولا عمل في بلاغة، فالبلاغة إنما ولدت لتبيّن عن إعجاز القرآن" (٥).

<sup>١</sup> الحربي، محمد رمضان، ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص.61.

<sup>2</sup> هو عبد المتعال الصعيدي عالم إصلاحي من شيوخ الأزهر بمصر، ولد في قرية "كفر النجا" من الدقهلية، ومات أبوه وهو ابن شهر فريته أمه، وتخرج بالجامع الأحمدي (١٣٣٦) ودرس فيه، ثمّ كان أستاذًا بكلية اللغة العربية بالأزهر (١٣٦٨) وألف كتاباً كثيرة طبعت كلها، منها "نقد نظام التعليم الحديث للأزهر" و "العلم والعلماء ونظام التعليم". انظر: الأعلام للزركي 148/4.

<sup>3</sup> الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالمية (علم المعاني)، قدم له وراجعه عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها، ط٢ ١٩٩١م، ص.34.

<sup>4</sup> ابن قتيبة ومقاييسه النقدية، ص.62.

<sup>5</sup> عناية المسلمين باللغة العربية للعايد، ص.64.

من خلال ذلك نلحظ أنَّ الهدف من دراسة البلاغة لا يعود أن يكون هدفًا من الأهداف

الآتية:

**أولاً: هدف فني:** يتمثل في التعليم والتدريب والإرشاد، لمن أراد إصابة القول من الخطباء والداعية الذين يتصدرُون الكلام أمام الجموع الغفيرة من الناس. هذا من ناحية، أمّا من ناحية أخرى فيتمثل في تمييز جيد الكلام من ردئه، وبيان مواطن الحسن والجمال والإبداع.

**ثانياً: هدف دينيٌّ**: وذلك للوقوف على سرّ إعجاز القرآن وبلايته وبيان أحكامه وفهم معانيه.

واضع علم البلاغة:

إنَّ أَوَّلَ مِنْ أَصْلِ أَصْوَلِ الْبَلَاغَةِ وَصَاغُهَا فَنًا لَهُ قَوَاعِدُهُ وَمِبَادِئُهُ هُوَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرجَانِيُّ، وَلَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ: يَحِيَّيِّ بْنُ حَمْزَةَ الطَّالِبِيِّ (ت 745هـ) صاحبُ كِتَابِ "الطَّرَازِ فِي عِلْمِ حَقَائِقِ الْإِعْجَازِ"، بِقَوْلِهِ: "أَوَّلُ مَنْ أَسَسَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ قَوَاعِدَهُ، وَأَوْضَحَ بِرَاهِينَهُ، وَأَظْهَرَ فَوَائِدَهُ، وَرَتَّبَ أَفَانِينَهُ، الشَّيْخُ الْعَالَمُ النَّحَرِيرُ عَلَمُ الْمُحَقِّقِينَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرجَانِيُّ، فَلَقَدْ فَاقَ قِيدَ الْغَرَائِبِ بِالْتَّقْيِيدِ، وَهَذِهِ مِنْ سُورِ الْمُشَكَّلَاتِ بِالشَّوَّيْرِ الْمُشَيْدِ، وَفَتَحَ أَزْهَارَهُ مِنْ أَكْمَامِهَا، وَفَتَقَ أَزْرَارَهُ بَعْدِ اسْتِغْلَاقِهَا وَاسْتِبْهَامِهَا"<sup>(١)</sup>. فَتَكَادُ تَجْتَمِعُ كَلْمَةُ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى أَنَّ وَاضْعَفَ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ، وَمِؤْسِسُهَا هُوَ عَبْدُ الْقَاهِرُ الْجُرجَانِيُّ.

## أطوار نشأة علم البلاغة:

لم تظهر البلاغة العربية وليداً مكتمل الخلق، ولا واضح الملامح؛ بل اكتفتها الإيجاز، والغموض، والخفاء<sup>(2)</sup>. وما دامت البلاغة العربية وجدت منثورة في مسائل العلوم الأخرى، ولم تولد

<sup>1</sup> الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلواني الملقب بالمؤيد بالله (ت 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، ط 1423 هـ، ج 1، ص 6، وانظر: الرافعي، مصطفى صادق (ت 1356هـ)، تاريخ أداب العرب، دار الكتاب العربي، ج 2، ص 14-15، ومراد، وليد محمد، نظرية النظم وقيمتها العالمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجوهري، دار الفك، ط 1، 1983هـ، ص 55.

<sup>2</sup> الخولي، كامل، صور من تطور البيان العربي، دار الأنوار للطباعة والنشر، 1962م، ص 1.

واضحة المعالم كحقيقة العلوم الأخرى؛ لذا فإنّا نجدها قد مرّت بأطوار مختلفة، تزداد في كلّ طور حيوية ووضوحاً، إلى أنّ بلغت أوج مجدها في القرن الخامس الهجري <sup>(1)</sup>.

### الطور الأول: الوضع والتّكوين:

من المعلوم أنّ البلاغة وجدت منذ العصر الجاهلي في أنس تميّزاً بالبلاغة والفصاحة، وكانت الأحكام البلاغية تظهر على فلاتات السنن في الحكم على حسن الشّعر من رديئه، ولعلّ النّابغة الذّياني كان من أوائل أولئك الذين يصدرون هذه الأحكام، إلّا أنّها كانت تُنشَّم بالأحكام الفطرية غير المعلّة، وظلّ الأمر كذلك حتّى جاء أبو عبيدة معاشر بن المثنى (ت 208هـ) <sup>(2)</sup> في كتابه "مجاز القرآن"، إذ إنّه بين سبب تأليفه لكتابه، وأنّه أراد الكشف عن أسرار البيان في القرآن الكريم.

ثمّ تتابعت جهود العلماء تترى، من غير الالتفات إلى وضع القواعد، والقوانين لعلم البلاغة، وإنّما كان هدفًا دينيًّا <sup>(3)</sup>.

### الطور الثاني: طور النّشوء والنّمو:

بدأ الطّور الأول في الدفاع عن القرآن الكريم، وكشف أسراره وبيانه، ثمّ أخذت الأنظار تتّجه نحو أسرار الجمال وصور البيان في القرآن، وغيره من كلام العرب، سواء أكان شعراً أم نثراً، ولعلّ أول من طرق هذا الباب وخاض فيه هو بشر بن المعتمر (ت 210هـ) فيما عُرف "بصحيفة بشر ابن المعتمر"، تحدّث فيها عن مدى تصوّره للأدب، واستعداد الأديب وأحوال المخاطبين، والأصول التي يجب مراعاتها في كلّ أولئك <sup>(4)</sup>، فكانت بمثابة بداية التّكوين للبيان العربي، لاسيما أنه تناول

<sup>1</sup> انظر: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية ص 68.

<sup>2</sup> الإمام، العلامة، البحر، أبو عبيدة معاشر بن المثنى التّيمي مولاهم، البصري، التّحوي، صاحب التصانيف. ولد في سنة عشر ومائة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وقال ابن قتيبة في كتاب المعرف: كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره، وكان يخطي إذا قرأ القرآن الكريم نظراً، وكان بيغضّ العرب، وألف في مطالبها كتاباً، وكان يرى رأي الخوارج. وقيل: إن الرشيد أقام أبا عبيدة، وقرأ عليه بعض كتبه، وهي تقارب مانتي مصنف، منها: كتاب (مجاز القرآن)، وكتاب (غريب الحديث)، وكتاب (مقتل عثمان)، وكتاب (أخبار الحجاج)، وكان أللث، بذيء اللسان، وسخ الثوب. قارب مائة عام، أو كملها. فقيل: مات سنة تسعة ومائتين. وقيل: مات سنة عشر. وفيات الأعيان 5/235، وسير أعلام النبلاء 9/445-447.

<sup>3</sup> ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية، ص 75.

<sup>4</sup> طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي، المطبعة الفنية الحديثة، ط 5، 1969م، ص 138.

قضايا بلاغية من أهمها "قضية اللُّفْظِ وَالْمَعْنَى" بقوله: " ومن أراد معنىًّا كريماً فليتمس له لفظاً كريماً، فإنّ حُقَّ المَعْنَى الشَّرِيفُ الْلُّفْظُ الشَّرِيفُ، ومن حُقَّهُمَا أَنْ تَصُونَهُمَا عَمَّا يَفْسُدُهُمَا وَيَهْجُّهُمَا " <sup>(1)</sup>.

وأيضاً من القضايا التي تطرق إليها ابن المعتمر "قضية مطابقة الكلام لمقتضى الحال" <sup>(2)</sup>. وقد سار على منواله الجاحظ، فصال قلمه في إثارة القضايا الأدبية والفنية في ميدان البلاغة والنقد <sup>(3)</sup>.

ثم جاء بعد الجاحظ ابن المعتر (ت 296هـ) في كتابه "البديع" وقد عده العلماء أول كتاب في البلاغة العربية.

### الطور الثالث: طور النضوج والكمال:

جادت قريحة العلماء، وارتقت هممهم، وازداد بحثهم؛ لإرساء قواعد هذا الفن، فأخذ ينمو ويتزرع حتى جاء الجرجاني، فأرسى قواعده وبين غواصيه، وحدّ حدوده، كما بين ذلك الحريي بقوله: " تولّت جهود الباحثين في ميدان النقد والبلاغة آخذه في النمو والازدهار شيئاً فشيئاً، إلى أن طلع الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) <sup>(4)</sup> في القرن الخامس الهجري، فوضّح الغامض، وفصل المجمل، وابتكر الجديد " <sup>(5)</sup>. والجرجاني تميّز بذكائه وسعة اطّلاعه، فاستطاع أن يتوصّل إلى ما لم يستطع أحد أن يتوصّل إليه من سابقيه ومعاصريه؛ لقدرته على تقدير القيم الجمالية والفنية بحسه المرهف وذوقه المتقدّف. عكف على كتب سابقيه فكان قارئاً نهماً ينظر في التراث، وينتقى، ويناقش، ويحلّ آراء العلماء بكلّ موضوعية وأمانة علمية في نقله لكلام سابقيه، وبيان جهودهم وأرائهم، وذكر فضلهم، حتى أولئك الذين كانوا يخالفونه في المذهب والمعتقد، فقد عمل الجرجاني على لملمة آراء سابقيه التي كانت منثورة في كتبهم، وقد اكتفتها الخفاء والإيجاز، كما بين ذلك الجرجاني بقوله: " واعلم أنك لا ترى في الدنيا علمًا قد جرى الأمر فيه بيّناً وأخيراً، على ما جرى عليه فيه "علم

<sup>1</sup> الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال - بيروت، 1423هـ، ج 1، ص 129.

<sup>2</sup> انظر: المرجع السابق، 129/1.

<sup>3</sup> انظر: المرجع السابق، 82/1.

<sup>4</sup> هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضح أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه "أسرار البلاغة - ط" و "دلائل الإعجاز - ط" و "الجمل - خ" في النحو، و "التنمية - خ" نحو، و "المغني" في شرح الإيضاح، ثلاثة جزءاً، اختصره في شرح آخر سماه "المقصد - خ" في الظاهرة، و "إعجاز القرآن - ط" و "العدة في تصريف الأفعال، و "العوامل المثلة - ط". انظر: الأعلام للزرکلي 48/4-49، والذهبي 18/432-433.

<sup>5</sup> ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية، ص 78.

الفصاحة والبيان". أما البديء: فهو أنك لا ترى نوعاً من أنواع العلوم إلا إذا تأملت كلام الأولين الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر في علم "الفصاحة" بالضدّ مِنْ هذا فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه، وجدت جله أو كلّه رمزاً ووحياً، وكناية وتعريفاً، وإيماءً إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكرة، وأدقّ النّظر<sup>(1)</sup>.

وبذلك تكون البلاغة العربية قد وصلت إلى نضجها وكمالها وبلغت ذروتها على يد عبد القاهر الجرجاني<sup>(2)</sup>.

### أقسام علم البلاغة:

جاء بعد الجرجاني أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكى (ت626هـ) بكتابه "مفتاح العلوم" حيث عمل على تقسيم علم البلاغة وبوبه ونظمها وجعله في قواعد وقوانين، حتى ظن بعضهم أنه مؤسس علم البلاغة.

### وقد قسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

#### أولاً: علم المعاني:

هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهو بالتالي الطريق التي يجب أن يسلكها الأديب للوصول إلى هذه الغاية<sup>(3)</sup>. وأول من صرّح بعلم المعاني هو الزمخشري في قوله: " ولا يغوص على شيءٍ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علميْن مختصيْن بالقرآن وهما: علم المعاني وعلم البيان<sup>(4)</sup>".

<sup>1</sup> الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة- دار المدنى بجدة، ط3، 1992، ص455.

<sup>2</sup> انظر: صور من تطور البيان العربي، ص2.

<sup>3</sup> مطرجي، عرفان، الجامع لفنون اللغة العربية والعروض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط1 1407هـ، ص27.

<sup>4</sup> الكشاف، ج1، ص2.

**ثانياً: علم البيان:**

البيان لغة: هو الكشف والإيضاح.

وأصطلاحاً: هو إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة<sup>(1)</sup>.

وواضع هذا العلم هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني، أما موضوع هذا العلم فهو اللفظ العربي<sup>(2)</sup>.

**ثالثاً: علم البديع:**

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته بخلوها من التعقيد المعنوي. وواضع هذا العلم هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) صاحب كتاب "البديع"<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup> الجامع لفنون اللغة العربية والعرض للمطرجي، ص 105.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 105.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 175.

## نشأة علم التفسير:

إذا كانت علوم القرآن هي أجل العلوم الشرعية وأفضلها، فإن علم التفسير هو أجل علوم القرآن وأعلاها منزلة، ذلك لأن موضوع هذا العلم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فازداد هذا العلم شرفاً وفضلاً بموضوعه. ويظهر ذلك جلياً من اسمه الذي تميز به للكشف والتبيين عما جاء في كتاب الله - عز وجل - لبيان مراده - سبحانه وتعالى - كما بين ذلك الزرقاني (ت 1367هـ) بقوله: "وسمى علم التفسير لما فيه من الكشف والتبيين، واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين؛ لأنَّه لجلالة قدره واحتياجه إلى زيادة الاستعداد وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كان كأنَّه هو التفسير وحده دون ماعداه" <sup>(1)</sup>.

## مراحل التفسير:

من المعلوم أنَّ علم التفسير نشأ بالتزامن مع نزول القرآن الكريم، ولما كان القوم الذين نزل عليهم القرآن الكريم أهل فصاحة وبلاهة كان لزاماً أن يكونوا على دراية في فهم ما أنزل عليهم فكانوا يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية، قال - تعالى - ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعَقِّلُونَ﴾ [يوسف:2]. ومع ذلك هناك آيات وألفاظاً استشكلت عليهم فكان لا بدّ من بيانها ومعرفة مرادها فنشأ علم التفسير؛ ليبيّن ذلك وقد مرّ بمراحل أهمها:

**المرحلة الأولى: التفسير في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - :**

تعدّ هذه المرحلة أفضل مراحل تفسير القرآن، إذ كانت تعتمد في التفسير على الوحيين الكتاب والسنة. وقد تكفل الله بحفظ كتابه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر:9]، وكان من لوازم حفظ الله لكتابه جمعه وبيانه لقوله - تعالى - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعُهُ وَقُوَّاتُهُ﴾ <sup>﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعَ قُرْءَانَهُ﴾</sup> <sup>﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾</sup> <sup>﴿[القيامة:17-19]﴾</sup>، فتكفل الله - عز وجل - ببيان كتابه وذلك من وجهين:

<sup>1</sup> الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ)، منهاج العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2، ص10.

أولاً: بيان الله - عز وجل - آياته وهو بيان القرآن الكريم بعضاً، وهو أولى طرق التفسير، " فالناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتفيد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد يُبسط في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يُبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التفيد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى " <sup>(1)</sup>.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في كتاب الله - عز وجل - ذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: قال - تعالى -: ﴿ أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيرَ ⑤ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:6-7]. فقد فسر المنعم عليهم بقوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ <sup>(2)</sup> [النساء:69]

ثانياً: بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - آيات الله:

وكان ذلك امثالاً لأمر ربه - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:44] فكان - صلى الله عليه وسلم - بيّن لأصحابه - رضوان الله عليهم - ما استشكل عليهم في فهم آيات الله - عز وجل - والأدلة الصحيحة على ذلك كثيرة جداً.

ولم يكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يُطْبِنُ في تفسير الآية، أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه، فكان جل تفسيره - صلى الله عليه وسلم - بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق، أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه <sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ <sup>(3)</sup> [الأنعام:82] شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا

<sup>1</sup> الذهبي، محمد السيد حسين (ت 1398هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج 1، ص 31.

<sup>2</sup> الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبية، ص 19

يظلم نفسه؟ قال: "ليس ذلك إنما هو الشرك. ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِيَ لَا

تُشْرِكُ بِإِلَهٍ إِنَّ الْشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13] <sup>(١)</sup>.

### المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

لا شك أن الصحابة كانوا أعرف الناس بكتاب الله وسنة نبيه؛ لأنهم كانوا ينهلون ويقيدون من التبع الصافي؛ فهم ملازمون للوحين، فضلاً عن معرفتهم بأصول العربية، ومواطن الحسن والجمال فيها، فهم البلغاء الفصاء.

ولما انقطع الوحيان كان الصحابة يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بأقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأيضاً يعتمدون الاجتهاد والاستباط <sup>(٢)</sup>. وقد برز مجموعة من الصحابة اشتهروا بالتفسير. فكان أكثرهم شهرة: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله ابن عباس، وأبي بن كعب - رضي الله عنهم -. ظهرت مدرسة علي بن أبي طالب وابن مسعود - رضي الله عنهما - في الكوفة وظهرت مدرسة أبي بن كعب - رضي الله عنه - في المدينة. وظهرت مدرسة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في مكة.

### المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين - رحمهم الله تعالى:-

لم يكن ثمة فارق كبير بين منهج الصحابة - رضي الله عنهم - ومنهج التابعين، فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم - <sup>(٣)</sup>. فكان التابعون يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، والتفسير بأقوال الصحابة، إذ كانوا يقدمون أقوال الصحابة على أقوالهم، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس

<sup>١</sup> البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنته وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1422هـ، ج 4، ص 163، حديث رقم 3429، باب قول الله تعالى: "ولقد آتينا لقمان الحكمة أَن اشْكُرْ لِهِ" ، والنسيابوري، أبو الحسين مسلم بن الحاج الشيشري (ت 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحقيق مجموعة من المحققين، دار الجيل - بيروت، الطبيعة : مصورة من الطبيعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334هـ، ج 1، ص 80، حديث رقم 242، كتاب الإيمان، باب إن الشرك لظلم عظيم .

<sup>٢</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذبيحي 45/1.

<sup>٣</sup> بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 30

من فاتحته إلى خاتمتها أوقفه عليه عند كل آية منه، وأسئلته عنها<sup>(1)</sup>. فإن لم يجدوا اعتمدوا على الفهم والاجتهاد. وهم أهل لذلك؛ لأنهم عاصروا صاحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحالطوهم. قال ابن تيمية (ت728هـ)<sup>(2)</sup> في حجية تفسير التابعين: "أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك"<sup>(3)</sup>.

### ومن أشهر المفسرين من التابعين:

سعيد بن جبير (ت95هـ)، ومجاحد بن جبر (ت104هـ)، وعكرمة البريري (ت104هـ)، والحسن البصري (ت110هـ)، وعطاء بن رياح (ت114هـ)، وقادة بن دعامة السدوسي (ت117هـ)، وغيرهم.

### المرحلة الرابعة: التفسير في عهد التدوين:

لم يكن التدوين مشهوراً في المراحل الثلاث الأولى، وإنما كان تفسير القرآن الكريم بالرواية والتلقين. وقد مرّ تدوين تفسير القرآن الكريم بمراحل عدّة، حتى صار علماً له مصنفاته وأصوله.

### وأهم هذه المراحل هي:

أولاً: بدأ تدوين العلوم في القرن الأول الهجري حيث دُوّنت بعض علوم القرآن الكريم، كالقراءات وغريب القرآن، والناسخ والمنسوخ وغيرها، كما بدأ تدوين حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد شمل أبواباً متعددة، منها: باب الطهارة والصلوة والصيام وغيرها وكان علم التفسير باباً

<sup>1</sup> الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، ج11، ص77، حديث رقم 11097

<sup>2</sup> هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنفي، أبو العباس، نقى الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حرب وتحول به أبوه إلى دمشق فبنغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقد صدّها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712هـ واعتنقل بها سنة 720هـ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلًا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكم، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصريح اللسان، قلمه ولسانه مترافقان، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر الكامنة أنها ر بما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثة مجلدات، منها (الجامع - ط) في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) و (الفتاوى - ط) خمس مجلدات، و (الإيمان - ط)، انظر: الأعلام 1/144.

<sup>3</sup> ابن تيمية، نقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1980م، ص46

من هذه الأبواب. واشتَدَّتْ عنَيَة جماعةٍ برواية التفسير المنسوب إلى النبِيِّ - صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو إلى الصَّحَابةِ، أو إلى التَّابِعينَ، مع عنَيَّتهم بجمع الحديثِ، وفي مقدمة هؤلاء: سفيان بن عيينة (ت 198هـ)، عبد الرزاق بن همام (ت 211هـ)، عبد بن حميد (ت 249هـ)، ولم يصل إلينا من تفاسيرهم شيءٌ، وإنما رُوِيَ ما نُقلَ مسندًا إليهم في كتب التفسير بالتأثر<sup>(1)</sup>.

ثانيًا: في هذه المرحلة بدأ النظر إلى التفسير على أنَّه علم قائم بذاته منفصلاً عن الحديث فبدأ تدوين التفسير في مصنفات خاصة مشتملة على تفسير آيات القرآن مرتبة حسب ترتيب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه (ت 273هـ)، وابن جرير الطبراني (ت 310هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، وغيرهم من أئمَّة هذا الشَّأن<sup>(2)</sup>.

ولعلَّ ابن جُريج هو أول من صنَّف في التفسير كما بين ذلك ابن تيمية بقوله: "فأول من صنَّف ابن جُريج شيئاً في التفسير"<sup>(3)</sup>.

وأهم ما يميَّز هذه المرحلة اعتمادها على التفسير المتأثر عن النبِيِّ - صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصَّحَابةِ والتَّابِعينَ بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير.

ثالثًا: كانت تلك المرحلة منعطفاً خطيراً في تاريخ التفسير بدأت حين اتجه بعض المفسرين إلى اختصار الأسانيد، ونقلوا الآثار المرويَّة عن السلف دون أن ينسبوها إلى قائلها فاختلط الصحيح بالضعف، وكانت تلك الھفوة من أخطر الھفوات، وأوسع الفجوات؛ لتفوز الأعداء إلى الدين ليضعوا فيه ما لا يرضيه، وينحلوه ما ليس من بادئه، لولا أنَّ اللهَ هيَّأ لهذا الأمر من علماء الإسلام من كشف زيف الزائفين ودسَّ المغرضين وميَّزَ بين الصحيح والسقِيم وحفظ الله تعالى - لهذه الأمة هذا الدين<sup>(4)</sup>. وفي هذه المرحلة ظهر التفسير بالرأي في تفسير القرآن الكريم ويرجع ذلك لأسباب منها:

<sup>1</sup>قطان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 3 1421هـ، ص 351-352.

<sup>2</sup>الفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، 1/105.

<sup>3</sup>ابن تيمية، نقى الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1995م، ج 20، ص 322.

<sup>4</sup>بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 37.

1. عدم الاهتمام بالأسانيد في التفسير بالتأثر أدى إلى اختلاط الروايات الصحيحة بالضعفية فاختلف العلماء في قولها وردها.
  2. دخول كثير من الإسرائييليات في التفسير.
  3. تعدد الطوائف والمذاهب أدى إلى تفسير القرآن الكريم على ما يوافق المذهب أو الطائفة وإن خالف الحق المراد.
  4. تدوين العلوم المختلفة مثل: الفقه، واللغة، والنحو، والصرف. وكل من برع في فنٍ من الفنون فإن تفسيره يكاد يقتصر على الفن الذي برع فيه.
- وعلى هذا الأساس قسم العلماء علم التفسير إلى قسمين: التفسير بالتأثر، والتفسير بالرأي<sup>(1)</sup>.

#### أولاً: التفسير بالتأثر:

وهو بيان معنى الآية بما ورد في كتاب الله، أو سنته نبيه - صلى الله عليه وسلم - أو أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -<sup>(2)</sup>.

أما مكانته فهو أفضل أنواع التفسير وأعلاها؛ لأن التفسير بالتأثر إنما يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله - تعالى - فهو أعلم بمراده، وإنما أن يكون تفسيراً بكلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو المبين لكلام الله - تعالى -، وإنما أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرآن، والأقوال حين النزول<sup>(3)</sup>.

ولكن ثمة أمر ينبغي التنبيه إليه حتى لا يغتر القارئ، أو الناظر في كل ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - و أصحابه - رضوان الله عليهم - آخذًا به مسلمًا بصحته. إذ مما لا شك فيه أن التفسير بالتأثر دخله الوضع، وما لا يصح سندًا ومتى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابه الكرام.

<sup>1</sup> انظر: الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط 12 1424هـ، ص 150، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 2/11، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص 358.

<sup>2</sup> دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ص 151.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 133.

## وأما أشهر المؤلفات في التفسير بالتأثر:

1. جامع البيان في تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبرى (ت 310هـ).
2. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي (ت 617هـ)<sup>(1)</sup>.
3. تفسير القرآن العظيم لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ).
4. الدر المنثور في التفسير المتأثر لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ).
5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (ت 1325هـ).

## ثانياً: التفسير بالرأي:

وهو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد، أي أن المفسر يعتمد على فهمه الخاص، واستنباطه في بيان معاني القرآن وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

### 1. التفسير بالرأي المحمود:

وهو استناد المفسر في تفسيره إلى القرآن الكريم، والسنّة النبوية مع إمامه باللغة العربية وأساليبها، وقواعد الشريعة وأصولها. إذ ينبغي أن لا يخالف أصول الدين، ولا الأدلة الشرعية القائمة عليها.

### 2. التفسير بالرأي المذموم:

هو التفسير بمجرد الرأي والهوى. وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء، والبدع الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند، ولا دليل، ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفه وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متبع، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها، من كتبه "الجامع لأحكام القرآن - ط عشرون جزءاً، يعرف بتفسير القرطبي، و "قمع الحرص بالزهد والقناعة" و "الأنسى في شرح أسماء الله الحسنى" و "التنكار في أفضل الأذكار - ط" و "التنكارة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة - خ" مجلدان، في دار الكتب، طبع "مختصره" للشعراوي، و "التفريغ لكتاب التمهيد - خ" في مجلدين ضخمين، في خزانة القرويين بفاس (الرقم 80 / 117) وكان ورعاً متبعاً، طارحاً للتکلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. انظر: الأعلام للزرکلی 322/5.

<sup>2</sup> انظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي، ص 160.

## وأما أشهر المؤلفات في التفسير بالرأي:-

1. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل لأبی القاسم محمود بن عمر الرمّخري (ت538هـ).
2. مفاتيح الغیب لفخر الدین أبی عبد الله مُحَمَّد بن عمر الرازی (ت606هـ).
3. أنوار التنزيل وأسرار التأویل لناصر الدين البيضاوى (1).<sup>(1)</sup>
4. روح المعانی في تفسیر القرآن العظیم والسیع المثانی لشهاب الدين الألوسي (1270هـ).
5. تفسیر المنار لمُحَمَّد رشید رضا (2).<sup>(2)</sup>

---

<sup>1</sup> هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، عالمة، ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وهي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه "أنوار التنزيل وأسرار التأویل - ط" يعرف بتفسير البيضاوي، و "طوالع الأنوار - ط" في التوحيد، و " منهاج الوصول إلى علم الأصول - ط" و "لب الباب في علم الإعراب - خ" و "نظام التواریخ - خ" كتبه باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعريفها - خ" و "الغاية القصوى في دراسة الفتوى - خ" في فقه الشافعية. انظر: الأعلام للزرکلی 4/110.

<sup>2</sup> هو محمد رشید بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونی، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسّك، ونظم الشعر في صباح، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، رحل إلى الهند والهجاز وأوروبا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) و (الوحى المحمدى - ط) و (يسر الإسلام وأصول التشريع العام - ط) و (الخلافة - ط) و (الوهابيون والهجاز - ط) و (محاورات المصلح والمقداد - ط) و (ذكرى المولد النبوى - ط). انظر: الأعلام للزرکلی 6/126.

## العلاقة بين النحو والبلاغة

إن علم النحو من الضروريات التي تولج من خلاله علوم العربية؛ لذلك كان الاهتمام به من أوائل علوم اللغة إذ لا يمكن فهمها إلا من خلاله، ولم يقف الحد عند علوم العربية فحسب، بل إلى العلوم الشرعية كلها؛ لذلك عُد علم آلة لا يُستغني عنه في فهم باقي العلوم، مثل: علم التقسير، والفقه وغيرها<sup>(1)</sup>.

ومن علوم اللغة التي تأثرت به كثيراً وجاءت متممة له علم البلاغة، الأمر الذي جعلهما وحدة متكاملة تسهم في فهم اللغة العربية فهماً صحيحاً؛ للوقوف على إعجازها، وعمقها، وفصاحتها، وبلاوغتها.

من هنا فإن علوم العربية لا يمكن الفصل بينها بحال، فإذا كان علم النحو يعني بالحفظ على سلامة الجملة وصوغها على الكلام العربي الصحيح؛ فإن علم البلاغة يبدأ من حيث ينتهي علم النحو فيأتي مكملاً له في الوقوف على الأساليب البينانية من خلال تحليل النصوص لمعرفة دلالات المعاني والصور البينانية والفنون البدعية.

ولعل نظرية النظم هي من أكثر الدراسات التي أوضحت العلاقة الوثيقة بين النحو والبلاغة، إذ إن عبد القاهر الجرجاني لم يدرس القضايا التحويية بمعزل عن البلاغة إنما عمل على ربط النحو بالبلاغة يقول: "اعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تهجمت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"<sup>(2)</sup>.

وبؤكد الجرجاني في نظريته على عدم إمكانية الفصل بين النحو والبلاغة، وهو ما أكدته من المحدثين صالح بلعيد بقوله: "متلازمان كما تتلازم الفائدة والإسناد في الكلام"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: حمودة، عبد العزيز، المرايا المقرعة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة رقم 272، مطبع الوطن - الكويت، 1422هـ، ص242.

<sup>2</sup> دلائل الاعجاز للجرجاني، ص81.

<sup>3</sup> بلعيد، صالح، التركيب التحويية وبياناتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 1994م، ص147.

فلا يمكن بحال فصل النحو عن البلاغة؛ لأنَّ كلاً منها مُنْتَمٌ للآخر من حيث نظم الكلام وضم بعضه إلى بعض؛ لأنَّ فساد التركيب ناشئ عن عدم توخي معانِي النحو وأحكامه بين الكلمات. وهذا ما أثبته الجرجاني في نظريته بقوله: "أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معانِي النحو، وأحكامه، ووجوهه، وفروقه، فيما يَبْيَنَ معانِي الْكَلِم" <sup>(1)</sup>.

### وخلصة القول:

إنَّ ثمة علاقَة قويةً متلازِمةً ووطيدةً بين النحو والبلاغة، فالصلة بين هذين العَلَمَيْن ثابتة قائمةً مشابكة، لا يمكن الفصل بينهما بحدود عازلة، فبعضها يؤدِّي إلى بعض ويكمِّل بعضها بعضاً، وموضوعهما واحد؛ لأنَّهما يبحثان القوانين التي يجب مراعاتها في تأليف الكلام، والعلاقاتِ القائمة بين الكلمات في الجملة وبين الجمل بعضها مع بعض، وأنَّ ذلك على أداء المعنى المطلوب.

---

<sup>1</sup> دلائل الاعجاز للجرجاني، ص 525.

## العلاقة بين " النَّحْوُ وَالبَلَاغَةُ " والتفسير:

### أولاً: علاقـة النـحو بالـتفسـير:

الحمد لله الذي نـزل القرآن بـلسانٍ عـربـي مـبـين، فـكان من عـربـيـته ما أـصـابـ أـعـرابـ الـجـاهـلـيـةـ بأـعـظـمـ الـانـدـهـاشـ وـالـذـهـولـ، وـكـانـ منـ بـيـانـهـ وـفـصـاحـتـهـ ما يـبـهـرـ العـقـولـ، وـتـعـجـزـ عنـ غـوـامـضـهـ وـأـسـرـارـهـ الفـحـولـ<sup>(1)</sup>. فـأنـزلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ هـذـهـ المـعـجـزـةـ الـخـالـدـةـ وـتـكـفـلـ بـحـفـظـهـاـ، قـالـ - تـعـالـىـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الـحـجـرـ: 9] فـكـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - أـشـدـ النـاسـ حـرـصـاـ عـلـىـ حـمـاـيـةـ الـقـرـآنـ وـالـمـحـافـظـةـ عـلـيـهـ، ثـمـ جـاءـ أـصـحـابـهـ الـذـينـ جـنـدـواـ أـنـفـسـهـمـ لـحـمـاـيـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـوضـحـواـ غـرـيبـهـ، وـبـيـنـواـ مـشـكـلـهـ، وـجـلـوـاـ غـوـامـضـهـ، وـفـنـقـواـ أـسـرـارـهـ وـعـجـائـبـهـ<sup>(2)</sup>.

ولـعـلـ أـقـوىـ الـعـلـاقـاتـ وـأـوـطـدـهـاـ تـلـكـ الـعـلـاقـةـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ عـلـمـيـ "ـالـنـحـوـ وـالـبـلـاغـةـ"ـ وـعـلـمـ التـفـسـيرـ، كـيـفـ لـ؟ـ!ـ وـإـنـ مـنـ لـوـازـمـ مـنـ أـرـادـ أـنـ يـخـوضـ فـيـ عـلـمـ التـفـسـيرـ أـنـ يـكـوـنـ مـلـمـاـ بـالـنـحـوـ وـالـبـلـاغـةـ كـمـ بـيـنـ ذـلـكـ كـثـيرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ مـنـهـمـ الـإـمـامـ مـكـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (تـ437ـهـ)<sup>(3)</sup>ـ فـيـ مـقـدـمـةـ مـشـكـلـهـ بـقـوـلـهـ:ـ "ـوـرـأـيـتـ مـنـ أـعـظـمـ مـاـ يـجـبـ عـلـىـ الطـالـبـ بـعـلـومـ الـقـرـآنـ الرـاغـبـ فـيـ تـجـوـيدـ الـفـاظـهـ، وـفـهـمـ مـعـانـيـهـ، وـمـعـرـفـةـ قـرـاءـاتـهـ وـلـغـاتـهـ وـأـفـضـلـ مـاـ الـقـارـئـ إـلـيـهـ مـحـتـاجـ مـعـرـفـةـ إـعـرـابـهـ، وـالـوـقـوفـ عـلـىـ تـصـرـيفـ حـرـكـاتـهـ وـسـواـكـنـهـ يـكـوـنـ بـذـلـكـ سـالـمـاـ مـنـ الـلـحنـ فـيـهـ مـسـتـعـيـنـاـ عـلـىـ إـحـكـامـ الـلـفـظـ بـهـ مـطـلـعاـ عـلـىـ الـمـعـانـيـ الـتـيـ قـدـ تـخـلـفـ بـاـخـتـلـافـ الـحـرـكـاتـ مـتـقـهـمـاـ لـمـاـ أـرـادـ اللهـ بـهـ مـنـ عـبـادـ إـذـ بـمـعـرـفـةـ حـقـائـقـ الـإـعـرـابـ ثـعـرـفـ أـكـثـرـ الـمـعـانـيـ وـبـيـنـجـليـ الـإـشـكـالـ فـتـظـهـرـ الـفـوـائدـ وـيـفـهـمـ الـخـطـابـ وـتـصـحـ مـعـرـفـةـ حـقـيقـةـ الـمـرـادـ<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> درج الدرر في تفسير الآي وال سور للجزائري 4/1.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 4/1.

<sup>3</sup> أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسى المقرى، أصله من القبروان، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل، كثير التوأليف في علم القرآن محسناً لذلك، مجدداً لقراءات السبع عالماً بمعانيها، وكان خيراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بإجابة الدعاء، وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها: "الهداية إلى بلوغ النهاية" في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه، وهو سبعون جزءاً، و "منتخب الحجة" لأبي علي الفارسي، ثلاثون جزءاً، وكتاب "مشكل غريب القرآن" ثلاثة أجزاء، وكتاب "التبصر في القراءات" في خمسة أجزاء، وهو من أشهر تواليفه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان 5/274-276.

<sup>4</sup> مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت 437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2، ج 1، ص 63، 1405هـ.

ولم يتوقف علم العربية على علم التفسير فحسب بل يمتد إلى علوم الشريعة كلها، إذ لا يمكن فهم الشريعة الإسلامية وعلومها إلا بفهم اللغة العربية، فهي مفتاح علوم الإسلام: من تفسير، وحديث، وفقه وأصول، وغيرها من العلوم. فهذا يبيّن مدى العلاقة المتنية بين العربية وسائر العلوم من أراد أن يشتغل بها.

وهذا عمر بن الخطاب (ت 23هـ) - رضي الله عنه - يكتب لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - كتاباً يأمره فيه بالتفقه بالسنة، والعربية، وإعراب القرآن: أي بيانه إذ يقول: "أما بعد، فتفقّهوا في السنة، وتفقّهوا في العربية، وأعربوا القرآن؛ فإنّه عربي" <sup>(1)</sup>.

وكان حبّر الأمة وإمام المفسّرين عبد الله بن عباس (ت 68هـ) - رضي الله عنه - كثيراً ما يستشهد بكلام العرب في تفسير آي القرآن الكريم. وكان يأمر أصحابه بالرجوع إلى الشعر إذا أُشكِّل عليهم شيء من القرآن. روى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: "إذا أُشكِّل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر؛ فإنّه ديوان العرب، وكان يُسأَل عن القرآن فينشد الشعر" <sup>(2)</sup>.

وقد سار العلماء على نهج الصحابة في الاستشهاد بالعربية، والبحث على تعلمها؛ بغية سبر أغوار علوم الدين ومعرفة كنهها، وعلى رأسها التفسير <sup>(3)</sup>. فهذا ابن تيمية جعلها شعار الإسلام بقوله: "إنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله" <sup>(4)</sup>.

وقد عُني علماء النحو بالتفصير أياً عناية منذ بدايات نشأته، بل إنّ المتتبّع لجهودهم في تفسير القرآن الكريم يجدها أكثر من أن تحصى قديماً وحديثاً، فهذا كتاب سيبويه باكورة التأليف النحوي نجده زاخراً بتفصير آي القرآن الكريم.

<sup>1</sup> ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 235هـ)، المصنف في الحديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط 1409هـ، حديث رقم 25651، ج 5، ص 240، وحديث رقم 29914، ج 6، ص 116.

<sup>2</sup> المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 3 1421هـ، ص 10.

<sup>3</sup> انظر: ابن الجزي، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، منجد المقوّفين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط 1420هـ، ج 1، ص 9، ومغني اللبيب عن كتب الأعرايب لابن هشام ص 13.

<sup>4</sup> ابن تيمية، نقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط 7، 1419هـ، ج 1، ص 519.

ولقد أكثر سيبويه (ت180هـ)<sup>(1)</sup> من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ولم يكن ذلك عارضاً وإنما كان بقصد منه؛ لبيان صحة القاعدة النحوية التي تبناها من ناحية، ومن ناحية أخرى كان في كثيرٍ من الأحيان يقف موضحاً ومحللاً ومستبطاً.

ومن ذلك ما قاله سيبويه (ت180هـ) في معرض حديثه عن اتساع الكلام والاختصار:

ومثله في الاتساع قوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثْلُ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [البقرة:171] وإنما شبيهوا بالمنعوق به وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكن جاء على سعة الكلام والإجاز لعلم المخاطب بالمعنى<sup>(2)</sup>.

ويؤكد الزمخشري (ت538هـ) ذور علماء النحو الذين تعجب روایاتهم في كتب التفسير بقوله: " والتفسير مشحونة بالروايات عن سيبويه، والأخفش، والكسائي، والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والковيين، والاستظهار في مأخذ النصوص بأقوابهم والتشبه بأهداب فسراهم وتاويتهم"<sup>(3)</sup>.

قال السيوطي (ت911هـ)<sup>(4)</sup> معدداً شروط مفسر القرآن الكريم: "يجوز تفسيره لمن كان جاماً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماء:

<sup>1</sup> هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، مولىبني الحارث بن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي، كان أعلم المتقدمين والمتاخرين بال نحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الجاحظ يوماً فقال: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره، قال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه لأن جنتيه كانتا كالنقاhtين، بديع الحسن، وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه، سار إلى بلاد فارس، فاتفق موته بشيراز - فيما قيل - ، عاش اثنين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين، مات سنة ثمانين ومئة، وهو الأصح. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان/3 463-465، وسير أعلام النبلاء/8 351-352.

<sup>2</sup> سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط3 1408هـ، ج1، ص212.

<sup>3</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو أحمد (ت538هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط1 1993م، ص18.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيمًا (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، متزوياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فلألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبته السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. من كتبه (الإنقان في علوم القرآن - ط) و (إتمام الدرية لقراء النقاية - ط) كلاهما له، في علوم مختلفة، و (الأحاديث المنيفة - خ) ، و (الأرج في الفرج - ط) و (الاذکار في ما عقده الشعراء من الآثار - خ) و (إسعاف المبطئ في رجال الموطأ - ط) و (الأشباء والنظائر - ط) في العربية. انظر: الأعلام للزرکالی 301/3

أحداها: **اللغة**؛ لأنَّ بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع.

**الثاني: النحو**؛ لأنَّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بدَّ من اعتباره.

**الثالث: التصريف**؛ لأنَّ به ثُرُف الأبنية والصيغ.

**الرابع: الاشتغال**؛ لأنَّ الاسم إذا كان اشتغاله من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

ثم ذكر بقية العلوم <sup>(1)</sup>.

وهذا ما قرَّره الإمام الشافعي (ت 204هـ)<sup>(2)</sup> في بيان طريق الوصول إلى الله واستنباطِ أحكامه بقوله: "إِنَّمَا خاطبَ اللَّهَ بِكِتابِهِ الْعَرَبَ بِلِسَانِهِ، عَلَى مَا تَعْرِفُ مِنْ مَعَانِيهِ"<sup>(3)</sup>.

وأيَّدَهُ بذلك الشاطبي (ت 790هـ) بقوله: "إِنَّمَا الْبَحْثُ الْمَقصُودُ هُنَّا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى الْجَمْلَةِ، فَطَلَبَ فَهْمِهِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ خَاصَّةً... فَمَنْ أَرَادَ تَفْهُمَهُ فَمِنْ جَهَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ يُفْهَمُ، وَلَا سَبِيلٌ إِلَى تَطْلُبِ فَهْمِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجَهَةِ"<sup>(4)</sup>. بل إنَّه أبطل كُلَّ معنى مُسْتَبْطِي من القرآن على غير لسان العرب بقوله: "إِنَّمَا يَعْرِفُ الْمَعْنَى مُسْتَبْطِي الْقُرْآنِ غَيْرُ جَارٍ عَلَى الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ فَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ فِي شَيْءٍ، لَا مَمَّا يُسْتَفَادُ مِنْهُ، وَلَا مَمَّا يُسْتَفَادُ بِهِ، وَمَنْ ادْعَى فِيهِ ذَلِكَ فَهُوَ فِي دُعَوَاهُ مُبْطَلٌ"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإنقاذ في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ ج 4، ص 213-214.

<sup>2</sup> هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلي الشافعي، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور، وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرنين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكلام الصحابة - رضي الله عنهم - وأثارهم، واختلاف أقوال العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى إن الأصماعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذللين ما لم يجتمع في غيره، حتى قال أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي، ومولده سنة خمسين ومئة، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وكانت ولادته بمدينة غزة، وهو الأصح، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم ثم خرج إلى مصر، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل سنة إحدى ومتين. ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومتين، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى.

<sup>3</sup> الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204هـ)، رساله، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبـيـ مصر، ط 1358هـ، ج 1، ص 50.

<sup>4</sup> الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت 790هـ)، المواقفـاتـ، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، ط 1417هـ، ج 2، ص 102.

<sup>5</sup> المواقفـاتـ 4/224-225.

ويبين العайд مدى التلازم والتدخل والتآخي بين علوم اللغة وعلوم القرآن ومنها التفسير بقوله:<sup>(1)</sup>  
بل هو محاولة بيان تلازم علوم القرآن وعلوم العربية، وتآخيهما، حتى إنه ليُعسر فصل أحدهما عن الآخر في النّشأة والتّاريخ، والتّكوين والتّأليف، والدّوافع والمقاصد حتّى صار بينهما تزوج مكين، وتمازج وثيق متين، بحيث لا يستغني طالب علم عن العلم الآخر، ولا يؤتى شقّ ثمرته - على الوجه المرضي - بدون الشقّ الآخر؛ لافتقار كلٍّ إلى شقه، وتعذر استغنائه عنه".

فبات واضحًا مدى العلاقة بين علم النحو والتفسير، ولاشك بأن التفسير يقوم على علم النحو بل إنَّ من أهم شروط المفسر أن يكون على درايةٍ تامة به. وقد سبق أن بيّنا أن العلاقة بين علم النحو والبلاغة قوية متكاملة يكمل بعضها ببعضًا.

#### ثانيًا: علاقة البلاغة بالتفسير:

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين البلاغة والتفسير. إذ لا يجوز أبداً إقصاء علم البلاغة عن التفسير المعني ببيان معاني آيات القرآن الكريم، ومن المعلوم بالضرورة أنَّ البلاغة معنية بالمعاني الذي يُعد أحد أهم أقسامها التي جعلها السيوطى من العلوم التي يُشترط الإمام بها عند المفسر بقوله: "الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنَّه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالثانية خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنَّه لا بدَّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يُدرك بهذه العلوم".<sup>(2)</sup>

وحتى يستقر في الأذهان مدى العلاقة بين هذين العلمين لا بدَّ من الوقوف على معنى كلِّ منها لمعرفة المقصود منهما.

أما البلاغة فهي: "إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز ومعرفة الفصل من الوصل".<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> عناية المسلمين باللغة العربية خدمةً للقرآن الكريم للعайд، ص.2.

<sup>2</sup> الإنفاق في علوم القرآن للسيوطى 4/214.

<sup>3</sup> رسائل الجاحظ 4 / 151.

وأَمَّا التَّقْسِيرُ فَهُوَ: مِنَ الْفَسْرِ، أَيْ "تَوْضِيحُ مَعْنَى الْآيَةِ، وَشَانِهَا، وَقَصْتَهَا، وَالسَّبَبُ الَّذِي نَزَّلَتْ فِيهِ، بِلْفَظٍ يَدِلُّ عَلَيْهِ دَلَالَةً ظَاهِرَةً" <sup>(١)</sup>.

فَمِنْ خَلَالِ تَعرِيفِ كُلِّ مِنْهُمَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُمَا يَبْحَثُانِ عَنِ الْمَعْنَى وَالْوَصْولِ إِلَى الْمَقْصُودِ. وَهَذَا بَحْدُ ذَاتِهِ يَكْشِفُ عَنْ مَدِى الْعَلَاقَةِ بَيْنِهِمَا.

وَلَقَدْ أَكَّدَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَإِدْرَاكِ إِعْجَازِهِ إِلَّا مِنْ خَلَالِ تَعلُّمِ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ (ت 395هـ) فِي مُقدَّمةِ كِتَابِهِ الصَّنَاعَتَيْنِ: "إِنَّ أَحَقَّ الْعِلُومِ بِالْتَّعْلُمِ، وَأَوْلَاهَا بِالْتَّحْفَظِ" - بَعْدِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤَهُ - عِلْمُ الْبَلَاغَةِ، وَمَعْرِفَةُ الْفَصَاحَةِ، الَّذِي بِهِ يُعْرَفُ إِعْجَازُ كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - <sup>(٢)</sup>.

وَبِالْمَثَلِ يَتَّبِعُ الْبَيَانُ فِي مَدِى الْعَلَاقَةِ بَيْنِ عِلْمِيِّ الْبَلَاغَةِ وَالتَّقْسِيرِ، وَدُورِ الْبَلَاغَةِ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِبْرَازِ مَعَانِيهِ، فَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ الْذَّهَبِيُّ (ت 748هـ) <sup>(٣)</sup> فِي كِتَابِهِ مَعْرِفَةِ الْقَرَاءَةِ الْكَبَارِ: "قَالَ أَبُو عُمَرٍ الدَّانِي: سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ عَلَيِّ الْمَالِكِ يَقُولُ: دَخَلَ أَبُو الْفَرجِ غَلَامَ بْنَ شَبَّوْذَ عَلَى عَضْدِ الدُّولَةِ، زَانِرًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْفَرجِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفُ الْأَوْنُودُ وَفِيهِ شَقَاءُ لِلنَّاسِ﴾ [النَّحْل: 69] وَنَرَى الْعَسْلَ يَأْكُلُهُ الْمَحْرُورُ <sup>(٤)</sup>، فَيَتَأْدِيُ بِهِ، وَاللَّهُ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ. قَالَ: "أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلَكُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقُلْ (فِيهِ الشَّفَاءُ لِلنَّاسِ) بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ لِاسْتِفَاءِ الْجِنْسِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ مُنَكِّرًا مَعْنَاهُ فِيهِ شَفَاءٌ لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ" <sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> التَّعْرِيفَاتُ لِلْجَرْحَانِيِّ، ص 63.

<sup>٢</sup> الصَّنَاعَتَيْنِ لِأَبِي هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ ص 1، وَانْظُرْ: الْكَاشِفُ 1/2.

<sup>٣</sup> هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ فَاعِلَيَّا الزَّهَبِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَافِظٌ، مُؤْرِخٌ، عَلَّامٌ مُحَقِّقٌ. تُرْكِمَانِيُّ الْأَصْلُ، مِنْ أَهْلِ مِيافَارِقِينَ، مُولَدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي دَمْشِقَ. رَحَلَ إِلَى الْفَاطِرَةِ وَطَافَ كَثِيرًا مِنَ الْبَلَادَنَ، وَكَفَّ بِصَرِّهِ سَنَةَ 741هـ، تَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ تَقَارِبُ الْمِائَةَ، مِنْهَا (دُولُ الْإِسْلَامِ)، (الْمُشَبِّهُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَنْسَابِ، وَالْكَنَّى وَالْأَلْقَابِ)، وَ(الْعَبَابُ فِي التَّارِيخِ)، وَ(تَارِيخُ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ)، وَ(سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ) وَ(الْكَاشِفُ) فِي تَرَاجِمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ. اَنْظُرْ: الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 5/326.

<sup>٤</sup> الْحَرِيرُ: الْمَحْرُورُ الَّذِي تَدَخَّلُهُ حَرَارَةُ الْغَيْظِ وَغَيْرُهُ. اَنْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ، فَصْلُ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ 4/179.

<sup>٥</sup> الْذَّهَبِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت 748هـ)، مَعْرِفَةُ الْقَرَاءَةِ الْكَبَارِ عَلَى الطَّبَاقَاتِ وَالْأَعْصَارِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعُلُومِيَّةِ، طِ 1، 1417هـ، ص 187.

ونخلص بالقول إلى أن ثمة علاقة قوية بين علمي البلاغة والتفسير، إذ ينبغي لمن أراد الولوج في علم التفسير أن يكون على دراية تامة بعلم البلاغة بأقسامها الثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

### ضوابط التفسير باللغة:

أولاً: ما كان محتملاً لأكثر من معنى في لغة العرب إن كان اللفظ يحتمل هذه المعاني كلها من دون تعارض، ولا تناقض في السياق جاز حمل الآية عليها، وهذا يأتي - غالباً - في الألفاظ المشتركة، وإن كان قد يترجح أحدها مثل تفسيرهم لقوله - تعالى -: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةً﴾ [التوبه:10]، فقد ورد عنهم في (الإل) أقوال، الأول: العهد، الثاني: القرابة، الثالث: الله - سبحانه - فيحمل على هذه المعاني الثلاثة، واختاره الطبرى (ت310هـ) بقوله: " فإذاً كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها - جل ثناؤه - معانيها الثلاثة، فيقال: " لا يربون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهداً، ولا ميثاقاً" (1).

ثانياً: ما كان محتملاً أحد المعاني من معاني اللفظة فهناك ضوابط تدل على اختيار هذا المعنى دون غيره، وهي:

1. أن تكون اللفظة المفسرة صحيحة في اللغة، فلا يجوز تفسير القرآن بما لا يعرف في لغة العرب. ومثاله: تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:2] بأنه حالٌ ومقيم به. قال ابن عطية (ت542هـ) في تفسير هذه الآية: " وقال بعض المتأولين: وأنت حلّ بهذا البلد معناه: حالٌ ساكنٌ بهذا البلد" (2).

<sup>1</sup> جامع البيان للطبرى، 14/184، وانظر: درج الدر للجرجاني، 1/66.

<sup>2</sup> ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ، ج5، ص483.

قال الخفاجي (ت1069هـ): "والحل صفة أو مصدر بمعنى: الحال هنا على هذا الوجه، ولا عبرة بأنك لم تثبت في كتب اللغة" <sup>(1)</sup>.  
وقال ابن عاشور (ت1393هـ) معلقاً على ذلك: "وكيف يقال: لا عبرة بعدم ثبوته في كتب اللغة، وهل المرجع في إثبات اللغة إلا كتب أئمتها" <sup>(2)</sup>.  
وقال الطيار: "وهو يقتضي أن تكون جملة، {وأنت حل} في موضع الحال من ضمير {أفسِمُ}، فيكون القسم بالبلد مقيداً باعتبار كونه بلد مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو تأويل جميل لو ساعد عليه ثبوت استعمال «حل» بمعنى: حال؛ أي: مقيم في مكان، فإنَّ هذا لم يرد في كتب اللغة: «الصحاح» و «اللسان» و «القاموس» و «مفہمات الراغب»، ولم يعرج عليه صاحب «الکشاف»، ولا أحسب إعراضه عنه إلا لعدم ثقته بصحة استعماله" <sup>(3)</sup>.

2. تفسير القرآن على الأغلب المعروف من لغة العرب دون الشاذ أو القليل، ومثاله: تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النَّبَأٌ: 24] قال النَّحَاسُ (ت338هـ): "واختلف العلماء في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ [النَّبَأٌ: 24] فقيل: أي لا يذوقون فيها بردًا يبرد عنهم السعير، وقيل: نوماً... وأصح هذه الأقوال القول الأول: لأنَّ البرد ليس باسم من أسماء اللؤم؛ وإنما يُحتال فيه. فيقال للنؤم: برد؛ لأنَّه يهدى العطش. والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله - جلَّ وعزَّ - على الظاهر والمعرف من المعاني إلا أن يقع دليل على غير ذلك" <sup>(4)</sup>.
3. مراعاة السياق، بحيث يراعي المفسر عند تفسيره للفظة السياق؛ فلا يختار إلا ما يتناسب معه؛ ولذا كان من أوجه ردَّ أقوال بعض المفسرين عدم مناسبتها للسياق.

<sup>1</sup> الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت، ج8، ص361

<sup>2</sup> التحرير والتوجيه لابن عاشور 3/348.

<sup>3</sup> الطيار، مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير ، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط3 1420هـ، ص60-61.

<sup>4</sup> النَّحَاسُ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت338هـ)، إعراب القرآن، عَلَّقَ عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 1421هـ، ج5، ص83، وانظر: جامع البيان للطيري، 24/163-164.

وكان مِمَّنْ عُنِيَ بالجانب السِّيَاقِي لِلْفَظَةِ، الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (ت 502هـ)<sup>(1)</sup>، فِيَّنَ مَعْنَى الْفَظَةِ الْلُّغُوِيِّ بِنَاءً عَلَى مَا هِيَ فِيهِ مِنِ السِّيَاقِ، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ (ت 794هـ): "وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ الْمُفَرَّدَاتِ لِلرَّاغِبِ وَهُوَ يَتَصَبَّدُ الْمَعْنَى مِنِ السِّيَاقِ؛ لِأَنَّ مَدْلُولَاتِ الْأَفَاظِ خَاصَّةٌ"<sup>(2)</sup>.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْكَلْمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ لَهَا مَعْنَى خَاصًّا يَحْدُّدُهُ السِّيَاقُ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ تَالُ الْكَلْمَةِ؛ لَذَا يَنْبُغِي مَرَاعَاةُ ذَلِكَ.

4. معرفة أسباب النزول؛ لأنَّ بعض الألفاظ لا يعرف المراد بها في الآية إلَّا بمعرفة ملابسات النزول، قال الزركشي: "والتفسيير إِمَّا أَنْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَرِيبِ الْأَفَاظِ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ ... إِمَّا فِي كَلَامِ مُضْمَنٍ لِقَصَّةٍ لَا يُمْكِنُ تَصْوِيرَهِ إلَّا بِمَعْرِفَتِهَا كَوْلَهُ: ﴿إِنَّمَا الْنَّاسَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبه: 37] فَالنَّسِيءُ التَّأْخِيرُ، وَلَكِنْ تَحْدِيدُهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ قَصَّةِ الْآيَةِ، وَبِهَا يُعرَفُ تَقْسِيرُهَا".

قال الطبرى (ت 310هـ) في تفسير هذه الآية: "إِنَّمَا التَّأْخِيرُ الَّذِي يَؤْخُذُهُ أَهْلُ الشَّرِكِ بِاللَّهِ مِنْ شَهُورِ الْحَرَمِ الْأَرْبَعَةِ وَتَصْبِيرُهُمُ الْحَرَمَ مِنْهُ حَلَالًا وَالْحَلَالَ مِنْهُ حَرَامًا، زِيادةُهُ فِي كُفْرِهِمْ وَجَهودِهِمْ أَحْكَامُ اللَّهِ وَآيَاتِهِ"<sup>(3)</sup>.

5. تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي إذا تعارضَا ولا يُؤخذ بالمعنى اللغوي إلَّا إذا دلت القراءُ على أَنَّهُ الْمُرَادُ؛ لأنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِبِيَانِ الشَّرْعِ لَا لِبِيَانِ الْلُّغَةِ.

فالصلوة في قوله - تعالى - ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْبِدُ﴾ [التوبه: 84] تحمل الدُّعَاءَ بِالْمَعْنَى الْلُّغُوِيِّ، وتحتمل صلاة الجنائز بِالْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ، ولا يوجد قرينة تصرفه إلى المعنى اللغوي. فيكون المُرَاد صلاة الجنائز.

<sup>1</sup> هو العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (أو الأصفهاني)، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصفهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالى. من كتبه (محاضرات الأباء - ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة - ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير، أخذ عنه البيضاوى فى تفسيره، و (المفردات فى غريب القرآن - ط) و (حل مشابهات القرآن - خ) و (تفصيل النشأتين - ط) فى الحكمة وعلم النفس، و (تحقيق البيان - خ) فى اللغة والحكمة، وكتاب فى (الاعتقاد - خ) و (أفانيين البلاغة). انظر: سير أعلام النبلاء 120-121، والأعلام 255/2.

<sup>2</sup> الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1376هـ، ج 1، ص 291.

<sup>3</sup> الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت 310هـ)، جامع البيان فى تأویل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط 1420هـ، ج 11، ص 449-450.

قال النَّحَاسُ (ت 338هـ)<sup>(1)</sup>: "وَحَكَى أَهْلُ الْلِّغَةِ جَمِيعًا فِيمَا عَلِمْنَاهُ: أَنَّ الصَّلَاةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الدُّعَاءَ، وَمِنْهُ الصَّلَاةُ عَلَى الْجَنَازَةِ"<sup>(2)</sup>، وَيُبَيِّنُ أَنَّ يُقْطَنُ هُنَا لِأَمْرٍ لَا بُدًّا مِنْهُ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمِلَ كَلَامُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيُفَسِّرُ بِمَجْرِدِ الْاحْتِمَالِ النَّحْوِيِّ الْإِعْرَابِيِّ الَّذِي يَحْتَمِلُ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ بِهِ لَهُ مَعْنَى مَا، فَإِنَّ هَذَا مَقَامٌ غَلِطٌ فِيهِ أَكْثَرُ الْمُعَرِّبِينَ لِلْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُمْ يَفْسِرُونَ الْآيَةَ وَيَعْرِيْبُونَهَا بِمَا يَحْتَمِلُ تَرْكِيبَ تَلْكَ الْجَمْلَةِ، وَيُفَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ التَّرْكِيبِ أَيُّ مَعْنَى اتَّقَنَ؛ وَهَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ يَقْطَعُ السَّامِعَ بِأَنَّ مَرَادَ الْقُرْآنِ غَيْرُهُ، وَإِنْ احْتَمَلَ ذَلِكَ التَّرْكِيبُ هَذَا الْمَعْنَى فِي سِيَاقٍ آخَرَ وَكَلَامٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْقُرْآنُ، مَثَلُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي قِرَاءَةِ مِنْ قِرَاءَةِ **﴿وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا﴾** [النساء:1] بِالْجَرِّ أَنَّهُ قَسْمٌ، وَمَثَلُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: **﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفُرُّ بِهِ وَالْمَسِيْدِ الْحَرَامِ﴾** [البقرة:217] إِنَّ الْمَسْجِدَ مَجْرُورٌ بِالْعَطْفِ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ بِهِ<sup>(3)</sup>.

لَذِكَرٌ فَإِنَّ مِنْ أَرَادَ الولُوجَ فِي عِلْمِ التَّقْسِيرِ يَبْنِيْغِي أَنْ يُكَرِّسَ عَمَلُهُ، وَفَكْرُهُ، وَجَهْدُهُ فِي بَيَانِ مَعْنَى آيِّ الْقُرْآنِ، وَكَشْفُ كَنْهِهِ، وَمَرَادِهِ عَلَى الْوِجْهِ الَّذِي يَرِيدُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - لَا عَلَى الْوِجْهِ الَّذِي يَرِيدُهُ هُوَ. وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنْهُ مَعْرِفَةَ الْمَقْصِدِ، وَالْغَايَةِ الَّتِي نَزَّلَ مِنْ أَجْلِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَهِيَ هَدَايَةُ النَّاسِ، لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: **﴿الَّتِي ۚ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ لَهُ ۖ فِيهِ هُدَىٰ لِّلْمُتَّسِقِينَ ۚ﴾** [البقرة:1-2].

وَمِنْ هَنَا فَإِنَّ تَحْكِيمَ الْلِّغَةِ فِي تَقْسِيرِ الْقُرْآنِ وَحْدَهَا يَكُونُ فِيهِ إِقْصَاءُ لِكَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَرَادِهِ، وَمَا يَبْنِيْغِي اعْتِمَادَهُ، فَالْقُرْآنُ كِتَابٌ هَدَايَةٌ، وَتَشْرِيعٌ لَا كِتَابٌ لِغَةٌ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الطَّيَّارُ بِقَوْلِهِ: "...؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَّلَ لِبِيَانِ الشَّرْعِ لَا لِبِيَانِ الْلِّغَةِ".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن يوسف المرادي النَّحَاسُ، النَّحْوِيُّ الْمُصْرِيُّ، كَانَ مِنَ الْفَضَلَاءِ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ مُفَيِّدةٌ مِنْهَا: (تَقْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)، وَ(كِتَابُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ)، وَ(كِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ)، وَكِتَابُ فِي النَّحْوِ اسْمُهُ (النَّفَاحَةُ)، وَكِتَابُ فِي الْاِشْتَاقَاقِ، وَ(تَقْسِيرُ أَبْيَاتِ سَبِيلِهِ)، وَلَمْ يَسِقْ إِلَى مَثَلِهِ، وَكِتَابُ (الْكَافِي فِي النَّحْوِ)، وَتَوْفَى بِمَصْرِ يَوْمَ السَّبْتِ لِخَمْسِ خَلْوَنَ مِنْ ذِي الْحِجَةِ سَنَةُ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَمَّةَ، وَقَبِيلٌ: سَنَةُ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَانَ سَبْبُ وَفَاتَهُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى درَجِ الْمَقِيَاسِ عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ، وَهُوَ فِي أَيَّامِ زِيَادَتِهِ، وَهُوَ يَقْطَعُ بِالْعَرْوَضِ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ، فَقَالَ بَعْضُ الْعَوَامِ: هَذَا يَسْحَرُ النَّيلَ حَتَّى لَا يَزِيدَ فَتَغْلُوُ الْأَسْعَارُ، فَدَفَعَهُ بِرْجَلِهِ فِي النَّيلِ، فَلَمْ يَوْقُفْ لَهُ عَلَى خَبْرِهِ. وَالنَّحَاسُ بَقْتَحَ النُّونَ وَالْحَاءَ الْمَشَدَّدَةَ الْمَهْمَلَةَ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ سِينَ مَهْمَلَةَ، هَذِهِ النِّسَبةُ إِلَى مَنْ يَعْمَلُ النَّحَاسَ، وَأَهْلَ مَصْرِ يَقُولُونَ لِمَنْ يَعْمَلُ الْأَوَانِيَ الصَّفْرِيَّةَ: النَّحَاسَ.

<sup>2</sup> إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ، ج 2، ص 133.

<sup>3</sup> ابن الْقَيْمِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرِيْنِ أَبِيْوبَ (ت 751هـ)، بَدَاعُ الْفَوَادِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتُ، لَبَنَانُ، ج 3، ص 27.

<sup>4</sup> فَصُولُ فِي أَصْوَلِ التَّقْسِيرِ ص 44.

ولذلك فقد بات واضحًا مدى علاقة النَّحْو والبلاغة بالتقسيير؛ إذ لا يمكن الولوج في علم التقسيير إلَّا بمعرفة عِلْمِ النَّحْو والبلاغة.

## نُبْدَةٌ عَنْ حَيَاةِ الْعَلَمَةِ الْفَقِيهِ الْإِمامِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدَ بَدْرَانَ

اسمه ونسبة:

هو الشّيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن بدران، السّعدي<sup>(1)</sup>، الدّومي<sup>(2)</sup>، ثم الدمشقي<sup>(3)</sup>، الحنّابي<sup>(4)</sup>، الأثري<sup>(5)</sup>. المعروف بابن بدران كما أخبر عن نفسه في مقدمة كتابه "منادمة الأطلال" بقوله: "الشهير كأسلافه بابن بدران السّعدي الدمشقي"<sup>(6)</sup>.

ولادته ونشأته:

ولد ابن بدران في بلدة دوما من ريف دمشق، وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة 1265هـ<sup>(7)</sup>، وقيل سنة 1280هـ<sup>(8)</sup>، ونشأ فيها حيث تلقى علمه على يد مشايخها في مراحل تعليمه الأولى

<sup>1</sup> نسبة إلى قبيلة بني سعد الحجازية، حيث يعود نسب جده الأكبر بدران السّعدي، فهو حجازي الأصل.  
<sup>2</sup> نسبة إلى قريته التي ولد فيها وتُدعى (دوما)، تقع في ريف دمشق التي تبعد عنها ثلاثة عشر كيلوًّا من الجهة الشرقيّة الشماليّة، وهي مركز الغوطة.

<sup>3</sup> نسبة إلى دمشق موطن هجرته ووفاته.

<sup>4</sup> الحنّابي: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل الفقيهي حيث كان يعتمد ابن بدران بل إنّ أهل قريته دوما كانوا ينتسبون إلى المذهب الحنّابي منذ عدّة قرون، وقد عرفت بعلمائها ومشايخها الحنّابلة منهم: الشيخ سليمان المرداوي(ت950هـ) فقيه دوما، والشيخ عبد القادر التغلبي(ت1057هـ) صاحب كتاب (المأرب)، والشيخ أحمد الدّومي(ت1107هـ) قاضي الحنّابلة بدمشق، والشيخ مصطفى الدّوماني (ت1196هـ) شيخ الحنّابلة بالأزرهر، والشيخ محمد عثمان (ت1308هـ) مفتى الحنّابلة بالمدينة المنورة، والشيخ عبد القادر بن بدران(ت1346هـ)، والشيخ أحمد بن صالح الشامي(1414هـ) مفتى دوما وفقيقها، وغيرهم الكثير.

<sup>5</sup> الأثري، نسبة إلى الأثر وهو الحديث حيث يُنسب إليه كل من سلك مذهب المحدثين.

<sup>6</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت1346هـ)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير شاويش، المكتب الإسلامي-بيروت، ط2، 1985م، ص1.

<sup>7</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت1346هـ)، ديوان الإمام عبد القادر بن بدران المسمى بـ(تسلية اللبيب عن ذكرى الحبيب)، اعنى به نور الدين طالب، دار التواجد، ط1428هـ، ص13.

<sup>8</sup> العجمي، محمد بن ناصر، علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وأثاره، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط1417هـ، ص8.

### طلبـه لـلـعـلم وـمـشـاـيـخـه:

تلقى ابن بدران تعليمه على يد مجموعة من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ عدنان بن محمد عدس، والعلامة الفقيه المفتى محمد بن عثمان بن عباس الخطيب الدوّمي الحنفي المتوفى سنة (1308هـ)، ومحدث الشام العلامة محمد بدر الدين الحسني (ت 1354هـ)، والشيخ المحدث سليم ابن ياسين العطار الشافعي (ت 1307هـ) مسنـد الشـام، وقد تلقـى عنـه عـلـومـ الـحـدـيـثـ، وأخذـ منـه إـجازـةـ عـامـةـ.

بعد ذلك أكبـ ابن بـدرـانـ عـلـىـ الـكـتـبـ يـنـهـلـ مـعـيـنـهـ فـيـ كـلـ الـفـنـونـ وـالـعـلـومـ آـخـدـاـ بـنـصـيـحـةـ شـيـخـهـ فـيـ حـضـرـهـ عـلـىـ الـاجـتـهـادـ فـيـ الـقـرـاءـةـ وـإـرـادـةـ الـفـهـمـ حـيـثـ يـقـولـ رـحـمـهـ اللـهـ:ـ "ـ وـلـمـ أـخـذـتـ نـصـيـحـتـهـ مـأـخـدـ الـقـبـولـ،ـ لـمـ أـحـتـجـ فـيـ الـقـرـاءـةـ عـلـىـ الـأـسـانـدـةـ فـيـ الـعـلـومـ،ـ وـالـفـنـونـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ سـتـ سـنـينـ"ـ (ـ1ـ).

وقد برـعـ فـيـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ،ـ وـالـمـذـهـبـ،ـ وـمـعـرـفـةـ الـخـلـافـ،ـ وـسـائـرـ الـعـلـومـ الـعـقـلـيـةـ،ـ وـالـأـدـيـةـ،ـ وـالـرـيـاضـيـةـ.

إـلـأـ أـنـهـ أـوـلـىـ عـنـيـةـ خـاصـةـ لـعـلـمـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ الـذـيـ كـانـ يـنـأـيـ عـنـهـ طـلـابـ الـعـلـمـ،ـ وـلـاـ يـقـبـلـونـ عـلـيـهـ،ـ بـلـ كـانـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ يـزـهـدـونـ فـيـهـ؛ـ لـأـنـهـ يـفـتـحـ بـابـ الـاجـتـهـادـ الـمـسـدـودـ بـنـظـرـهـمـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ يـوـمـئـذـ أـحـدـ مـنـ الـطـلـبـةـ يـذـكـرـ هـذـاـ الـفـنـ،ـ أـوـ يـتـكـلـمـ بـهـ بـشـفـتـيـهـ،ـ زـاعـمـيـنـ أـنـهـ يـفـتـحـ بـابـ الـاجـتـهـادـ،ـ وـذـلـكـ الـبـابـ قـدـ أـوـصـدـ مـنـ قـرـونـ مـتـطاـولـةـ،ـ فـأـقـبـلـ عـلـىـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ،ـ وـقـدـ أـكـدـ ذـلـكـ بـقـوـلـهـ:ـ "ـ حـتـىـ كـنـتـ أـسـمـعـ مـنـ كـثـيرـ مـمـنـ يـدـعـيـ الـعـلـمـ يـقـولـ:ـ مـاـ ضـرـ الـأـمـةـ إـلـأـ فـنـ الـأـصـوـلـ؛ـ لـأـنـهـ يـعـلـمـ النـاظـرـ فـيـ الـأـخـذـ بـالـدـلـيلـ فـكـنـتـ لـأـعـبـاـ بـالـواـشـيـ،ـ وـلـاـ أـمـيـلـ إـلـىـ الـلـاحـيـ،ـ مـهـمـاـ كـانـتـ رـتـبـتـهـ"ـ (ـ2ـ).

<sup>1</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم (ت 1346هـ)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط 2، 1401، ص 488.

<sup>2</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المتأظر، دار الحديث بيروت مكتبة الهدى- الإمارات، ط 1، 1412هـ، ج 2، ص 409.

وبعد عودته من دمشق التي مكث فيها قرابة خمس سنوات ينهل من معين علمائها، عاد إلى بلدته، يقول ابن بدران: "إني بحمد الله - تعالى - لم أقرأ على الشیوخ إلا مدة لا تزيد على<sup>(1)</sup> خمس سنين مع الإشراف على فنون المعقول، ومنها الهيئة وفن المواقف، وغير ذلك"<sup>(2)</sup>.

#### محنته:

بدأ ابن بدران يلقي دروساً منتظمة في جامع دوما الكبير، يشرح فيها الفقه الحنفي من كتاب "شرح منتهى الإرادات" للبهوتى، وظل يدرس في جامع بلدته الكبير يفيد منه طلاب العلم، حتى حصلت له فتنه كبيرة، ومحنة عظيمة، حيث سعى به حساده ومناهضوه إلى قرينه الشاعر صالح بن أحمد الدومي (ت 1325هـ) وكان آنذاك رئيس بلدية دوما، واستنصر أمرًا بإبعاده عن دوما، فهاجر إلى دمشق، وعاني فيها الغربة والبعد، والعزلة والفقير، ونزل قرابة العامين والنصف بضيافة محمود البارودي، حتى استقر به الأمر في مدرسة عبد الله باشا العظم جنوب المسجد الأموي، وسكن فيها بغرفة علوية كان فيها مقامه، وطعامه، ومنامه، وتدريسه، وبقي فيها قرابة نصف عام<sup>(3)</sup>.

#### حياته العملية:

عين مدرساً تحت قبة النسر في الجامع الأموي، حيث درس كتاب "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني المقدسي<sup>(4)</sup>. وبعد عودته إلى قريته عقب انجلاء المحنة التي أبعد من أجلها، أصبح عضواً في شعبة المعارف التي تشكلت عام 1309هـ.

ثم عين مصححاً ومحرراً بمطبعة الولاية وجريدة في دمشق، وأنشأ مجلة (موارد الحكم) سنة 1329هـ. وعيّنه الملك عبد العزيز آل سعود مفتياً للديار الحجازية في سوريا<sup>(5)</sup>. وانصرف مدة إلى البحث عما بقي من الآثار، في مباني دمشق القديمة، فكان أحياناً يستعير سلماً خشبياً، وينقله بيده ليقرأ كتابة على جدار أو اسمًا فوق باب<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> في الأصل عن الصواب ما أثبتناه.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 409.

<sup>3</sup> ديوان ابن بدران "تسليمة للطيب"، ص 15.

<sup>4</sup> انظر: المدخل لابن بدران ص 470.

<sup>5</sup> انظر: الأعلام للزرکلی 4 / 37.

<sup>6</sup> المرجع السابق، 37/4، وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ص 3.

## ثناء العلماء عليه:

أثنى على ابن بدران أهل العلم والأدب، إذ بيّنوا سعة علمه، واتساع معارفه في شتى أصناف العلوم، فضلاً عن ديناته، وصلاحه، وعفته، وتقواه، وزهده في الدنيا، وإقباله على الآخرة. وهذا غيضٌ من فيضٍ من أقوال أهل العلم المنصفين الذين عرّفوا قدره وفضله:

1. قال الكاتب الكبير محب الدين الخطيب حين ذكر وفاته في مجلة "الفتح": "وهو - أي ابن بدران - من أفضل العلماء... وتلقى العلم عن المشايخ مدة خمس سنوات، ثم انصرف إلى تعليم نفسه بنفسه، فكان من أهل الصبر على التّوسيع في اكتساب المعرف من العلوم الشرعية، والأدبية والعلقانية والرياضية، وهو حنفي المذهب" <sup>(1)</sup>.

2. وقال عنه الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار في تقريره على كتاب "الكافي في علمي العروض والقوافي" لابن بدران "وقد شرحه الأديب الكامل، والأربيب العالم العامل" <sup>(2)</sup>.

3. وقال فضيلة العلامة الشيخ محمد بن سليمان الجراح في تقديمه لكتاب "أخص المختصرات" لابن بلبان: "ومما زاد هذا المختصر جمالاً ورونقًا الحاشية التي دمجتها براعة العلامة المتقن عبد القادر بن بدران، فأوضح المشكل وشرح الغريب" <sup>(3)</sup>.

4. وقال عنه الأستاذ محمد تقى الدين الحصني: "وهو متضلع من العلوم العصرية والفنون الكثيرة، اشتهر في الشعر والتاريخ، ... ، كان سلفي العقيدة، يحب التقشف، ويميل طبعه إلى الانفراد عن الناس، وبعد عن النساء ... وله اختصاص في علم الآثار والكتب القديمة، ومعرفة أسماء الرجال ومؤلفاتهم من صدر الإسلام إلى اليوم" <sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> علامة الشّام عبد القادر للعمجي، ص33.

<sup>2</sup> علامة الشّام للعمجي، ص57.

<sup>3</sup> ابن بلبان، محمد بن بدر الدين المشقي الحنفي (ت1006هـ)، أخص المختصرات في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومعه حاشية نفيسة للإمام عبد القادر بن أحمد بن بدران (ت1346هـ)، حققه وعلق عليه محمد بن باصر العمجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1416هـ، ص14.

<sup>4</sup> الحصني، محمد أديب آل تقى الدين، منتخبات التّواريخ لدمشق، دار الأفاق الجديدة، ط1، 1979م، ج2، ص762-763.

5. وقال العالمة الشيخ عبدالله بن خلف بن دحيان الحنبلـي - رحمه الله -: "العالمة الشيخ عبد القادر بن أحمد بن بدران مدرس الجامع الأموي، وشيخ الحنابلة، في البلاد السورية، ومحدث الشام وأحد أعضاء الرئاسة العلمية بدمشق" <sup>(1)</sup>.

وقال - أيضاً -: "العالمة المحقق الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران خاتمة المحققين في الشام" <sup>(2)</sup>.

6. وقال الأستاذ أدهم الجندي: "ويرعـ أي ابن بدرانـ فيسائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية، وتبـحـرـ في الفقه والنحوـ، فكان رـحـمهـ اللهـ عـلـماـ منـ الأـعـلامـ" <sup>(3)</sup>. وقال - أيضاً -: "كان شـيخـاـ جـليلـاـ زـاهـداـ فيـ حـطـامـ الدـنـيـاـ، مـنـقـشـفـاـ فيـ مـلـبـسـهـ وـمـسـكـنـهـ وـمـعـيـشـتـهـ... يـمـتـازـ بـمـنـاقـبـهـ الـحـمـيدـةـ" <sup>(4)</sup>.

### عقيدته وفقهه:

كان - رـحـمهـ اللهـ تـعـالـىـ - مـنـهـجـ السـلـفـ فيـ عـقـيـدـتـهـ، وـهـوـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ الصـاحـابةـ وـالـتـابـعـونـ، وـالـتـابـعـونـ لـهـمـ بـإـحـسـانـ، وـقـدـ أـفـصـحـ عـنـ ذـلـكـ فيـ طـلـيـعـةـ كـتـابـهـ" المـدـخـلـ إـلـىـ مـذـهـبـ الإـلـمـامـ" أـحـمدـ بـنـ حـنـبـلـ" عـنـ عـقـيـدـتـهـ السـلـفـيـةـ فـقـالـ: "وـجـعـلـتـ عـقـيـدـتـيـ كـتـابـ اللهـ أـكـلـ عـلـمـ صـفـاتـهـ إـلـيـهـ، بـلـ تـجـسـيمـ وـلـ تـأـوـيلـ، وـلـ تـشـبـيهـ، وـلـ تـعـطـيلـ" <sup>(5)</sup>.

أما فقهه فكان - رـحـمهـ اللهـ - مـتـبـعاـ لـلـدـلـيلـ مـنـ غـيرـ تـقـيـدـ لأـحـدـ فـيـ زـمـنـ بـلـغـ فـيـ التـقـيـدـ أـوـجـهـ" <sup>(6)</sup>.

إـلـآـ أـنـهـ - رـحـمهـ اللهـ - كـانـ يـمـيلـ كـثـيرـاـ إـلـىـ مـذـهـبـ الحـنـبـلـيـ فيـ اخـتـيـارـتـهـ الـفـقـهـيـةـ حـتـىـ اـشـتـهـرـ أـنـهـ حـنـبـلـيـ الـمـذـهـبـ، وـقـدـ عـلـلـ - رـحـمهـ اللهـ - ذـلـكـ بـقـوـلـهـ: "ثـمـ سـبـرـتـ المـذاـهـبـ الـمـتـبـوـعـةـ الـآنـ، وـكـثـيرـاـ مـنـ غـيرـ الـمـتـبـوـعـةـ فـوـجـدـتـ كـلـاـ مـنـهـمـ قـدـسـ اللهـ أـسـرـارـهـمـ، وـجـعـلـ فـيـ عـلـيـيـنـ مـنـازـلـهـمـ قـدـ اـجـتـهـدـ فـيـ طـلـبـ الـحـقـ، وـلـ يـأـلـ جـهـداـ فـيـ طـلـبـهـ، وـلـ قـصـرـ فـيـ اـجـتـهـادـ... غـيرـ أـنـ الـإـلـمـامـ أـحـمدـ بـنـ حـنـبـلـ - رـضـيـ اللهـ عـنـهـ-

<sup>1</sup> العجمي، محمد ناصر، عالمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته ومراسالته العلمية وأثاره، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت، 1415هـ، ص83.

<sup>2</sup> المرجع السابق ص84.

<sup>3</sup> الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، مطبعة مجلة صوت سوريا، ط1، 1954م، ج1، ص224، وعلامة الشام للعمجي ص31.

<sup>4</sup> أعلام الأدب والفن ص 225، وعلامة الشام للعمجي، ص32.

<sup>5</sup> المدخل إلى مذهب الإمام أـحمدـ بـنـ حـنـبـلـ، ص43.

<sup>6</sup> انظر: المرجع السابق، ص44.

كان أوسعهم معرفة بحديث رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا يعلم من اطلع على مُسْنَدِه المشهور ، وأكثراهم تبعاً لمذاهب الصحابة، والتابعين؛ فلذلك كان مذهبه مؤيداً بالأدلة السمعية<sup>(1)</sup>.

### عزوبيته:

كان - رحمة الله - من العلماء العرّاب الذين لم يتزوجوا، إذ يقول: "فإنه لا مال لي ولا بنون، إلا معونته - سبحانه و تعالى - ورزقه الذي تقضى به عليّ كفافاً"<sup>(2)</sup>.

فقد كرس حياته ليفرغ لطلب العلم والتّدريس، كما قال الأستاذ أدهم آل الجندي: "لقد آثر العزوبة في حياته؛ ليفرغ لطلب العلم والتّدريس"<sup>(3)</sup>.

### شعره:

كان ابن بدران أديباً شاعراً؛ حيث ترك لنا ديواناً جمع فيه أشعاره سماه "سلسلة اللبيب عن ذكرى حبيب". شملت فنون الشعر كلها: كال مدح، والوصف، والرثاء، والهجاء، والحكمة، والمراسلات.

وقد وصفه غير واحد أنه أديب وشاعر، قال العلامة الزركلي: "عارف بالآداب والتاريخ، له شعر"<sup>(4)</sup> وقال الأستاذ أدهم آل الجندي: "كان شاعراً، وأديباً، وقطباً، وعالماً فذاً بليغاً، وجمع شعره في ديوان". وقال - أيضاً -: "وكان يهوى المطارحات والمساجلات الشعرية مع الشّعراء والأدباء"<sup>(5)</sup>.

### تلamiento:

لم يكن لابن بدران عدد كبير من التلاميذ على الرغم من انشغاله بالتدريس مدة طويلة من عمره، فقد درس في بلاده دوماً، وفي الجامع الأموي بدمشق، وفي المدرسة السّميساطية بدمشق، وفي مدرسة عبد الله باشا العظم، ولعل السبب في قلة إقبال الطلبة على حلقاته العلمية التي كان يعقدها للتدريس يعود إلى المذهب الذي يدرسها، فقد انشغل بتدريس المذهب الحنفي، في وقت كان المذهب

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 44.

<sup>2</sup> نزهة الخاطر، 409/2.

<sup>3</sup> أعلام الأدب والفن، 225/1.

<sup>4</sup> الأعلام للزركلي، 37/4.

<sup>5</sup> أعلام الأدب والفن 224-225/1.

الشافعي والحنفي هو السائد في تلك الفترة، فضلاً عن انتشار التعصب المذهبي للمذاهب الفقهية، والبدع والخرافات التي تعارض أصول عقيدة السلف الصالح<sup>(1)</sup>.

ولم يكن أحد يطلب علم المذهب الحنفي في زمانه مصرّاً بذلك فيقول: "ثم خرجت من دوما إلى دمشق، وهناك لم أجد أحداً يطلب العلم من الحنابلة، بل يندر وجود حنفي بها"<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك فقد تتلمذ على يديه قلة من طلاب العلم الذين برعوا في العلم والتأليف، ولعل أشهرهم:

1. محمد سليم الجندي (ت 1375هـ). الأديب الشاعر<sup>(3)</sup>.

2. محمد بن محمود البزم (ت 1375هـ) الدمشقي المولد والوفاة، العراقي الأصل، شاعر أديب<sup>(5)</sup>.

3. فخرى بن محمود البارودي (ت 1386هـ)،قرأ عليه " مقامات الحريري " بأجمعها، وتلقى عنه علوم اللغة والأدب والشعر<sup>(6)</sup>.

4. محمد صالح العقاد الشافعي (ت 1390هـ)، كان يقال عنه الشافعي الصغير، وقد أخذ عن ابن بدران النحو<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص 423.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 441، وانظر: الشدي، عادل بن علي بن أحمد، مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران جواهر الأفكار ومعاذن الأسرار، دار الوطن للنشر والتوزيع - السعودية - الرياض، ط 1، ص 32 - 33، وعلامة الشام للعمجي، ص 22.

<sup>3</sup> هو محمد سليم بن محمد نقى الدين ابن مفتى المعرفة محمد سليم الجندي العباسى: شاعر، مدرس، عالم بالآداب، له اشتغال بالتاريخ. من أعضاء المجتمع العلمي العربى. ولد ونشأ فى معرة النعمان. وهاجر مع أبيه إلى دمشق (سنة 1319 هـ) فقرأ على علماء أيامه. وعين لإنشاء في ديوان الرسائل سنة 1918 - 1924 ثم أستاذًا للأدب العربي في مدرسة، وصنف (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وأثاره - ط جزان). وحق كتاب (الملاك) له، وشرحه. ومن كتبه (ديوان شعره - خ) اطلع عليه عنده، ونسخت منه مختارات، و (تاريخ المعرفة - ط المجلدان الأول منه والثانى)، و (إصلاح الفاسد من لغة الجرائد - ط). انظر: الأعلام للزرکلى / 148.

<sup>4</sup> الجندي، محمد سليم (ت 1375هـ)، تاريخ معرة النعمان، حققه وعلق عليه عمر رضا كحالة، إصدارات وزارة الثقافة بسوريا، ط 1962م، ج 1، ص 7-8، وعلامة الشام للعمجي ص 60، وأعلام الأدب والفن ج 1 ص 255.

<sup>5</sup> انظر: الأعلام للزرکلى / 91/7، وعلامة الشام للعمجي ص 61.

<sup>6</sup> انظر: البارودي، فخرى بن محمود (ت 1386هـ)، مذكرات البارودي، مطبع دار الحياة، لبنان، بيروت، 1951م، ص 34-35، وعلامة الشام للعمجي ص 61.

<sup>7</sup> الحافظ، محمد مطیع، ونزار اباظة، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تقديم الدكتور شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ط 1986، ج 2، ص 894، وعلامة الشام للعمجي ص 62.

5. خير الدين الزركلي (ت 1396هـ)<sup>(1)</sup> المؤرخ المشهور صاحب كتاب (الأعلام)، وقد ذكر معرف زريق أن الزركلي كان من تلاميذ ابن بدران<sup>(2)</sup>.

6. محمد أحمد دهمان (ت 1408هـ) وهو من أخصّ تلاميذ ابن بدران<sup>(3)</sup>.

7. منيف بن راشد اليوسف، وهو ابن أخ الوزير أمير الحج عبد الرحمن باشا اليوسف، قال العالمة ابن بدران متمنياً عليه: "لم يترك المطالعة، ولم يملّ من تحصيل الفنون، فقد قرأ على العروض، والنحو، والصرف، وفنون البلاغة، محباً للأدب والأباء، وجمع الكتب النفيسة"<sup>(4)</sup>.

#### مؤلفاته:

جادت قريحة العالمة ابن بدران بمؤلفات جليلة، ومصنفات مفيدة، دلت على عنوان عقله، ولسان فضله، ولا شك أن مؤلفات العالم هي ولده المخلد<sup>(5)</sup>.

قال أدهم آل الجندي: "ألف - رحمة الله - المؤلفات التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع، غير أن بعضها لم يكتمل؛ لإصابته بداء الفالج في آخر عمره وقد تحدّرت يمناه من الكتابة"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> قال المترجم عن نفسه (في كتابه الأعلام 8/267) : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (بكسر الزاي والراء) المشقي. ولدت ليلة 9 ذي الحجة 1310 (25 يونيو 1893) في بيروت، وكانت لوالدي تجارة فيها، وهو وأمي دمشقيان. ونشأت بدمشق، فتعلمت في إحدى مدارسها الأهلية. وأخذت عن علمائها، على الطريقة القديمة. وأولعت بكتب الأدب. وقللت الأبيات من الشعر، في صبائي، وأتيت امتحان "القسم العلمي" في المدرسة الهاشمية. ودرست فيها. وأصدرت مجلة "الأصماعي" أسبوعية، فصادرتها الحكومة العثمانية، بصورة كتبت أنها صورة "ال الخليفة العربي" المأمون. وذهبت إلى بيروت، فانقطعت إلى الكلية العثمانية (لاليك) تلميذاً في دراساتها الفرنسية، ثم أستاذًا للتاريخ والأدب العربي فيها. ورجعت، في أوائل الحرب العالمية الأولى، إلى دمشق. وأصدرت بها، بعد الحرب (1918) جريدة "لسان العرب" يومية، مع أحد الأصدقاء. وأقفلت، فشاركت في إصدار "المغيد" يومية أيضاً. وهيأت للطبع مجموعة من شعرى سميتها "عيث الشباب" فالتهمتها النار، وأكلت أصولها، واسترحت منها وأرحت! وعلى أثر وقعة "ميسلون" في صباح اليوم الذي كان الفرنسيون يدخلون به دمشق (1920) غادرتها إلى فلسطين، ف مصر، فالحجاج. وصدر حكم الفرنسيين (غيابياً) بإعدامي، وحجز أملaki. وفي سنة 1921 تجنسست بالجنسية العربية في الحجاج. وانتدبني الملك حسين بن علي، لمساعدة ابنه "الأمير عبد الله" وهو في طريقه إلى شرقى الأردن، وكان الظن به حسناً، فعدت إلى مصر، فالقدس. واصطحبت منها إلى الصلت فعمان، جماعة، مهنت معهم السبيل لدخول عبد الله وإنشاء الحكومة الأولى في عمان.

<sup>2</sup> عالمة الشام للعمجي ص 62.

<sup>3</sup> انظر: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري 3/532-537، وعلامة الشام للعمجي ص 63.

<sup>4</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، الكواكب الدزينة في تاريخ عبد الرحمن اليوسف، صدر سوريا، مطبعة الفيحاء، دمشق، 1339هـ، ص 107، وعلامة الشام للعمجي ص 62-63.

<sup>5</sup> عالمة الشام للعمجي، ص 46.

<sup>6</sup> أعلام الأدب والفن، 1/224.

وقد بلغت مصنفاته ثمانية وأربعين مصنفًا، منها ما أتمه، ومنها ما لم يتمه، ومنها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط<sup>(1)</sup>.

**أما الكتب التي تمت طباعتها فمن أشهرها:**

1. تعليق على لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة، طُبع سنة 1338 هـ بدمشق.
  2. الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن يوسف صدر سوريا، طُبعت سنة 1339 هـ.
  3. تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، طُبعت الأجزاء السبعة الأولى سنة 1399 هـ.
  4. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد طُبع مارًا.
  5. نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، طُبع سنة 1342 هـ.
  6. البدرينية بشرح المنظومة الفارضية في الفرائض، طُبعت سنة 1342 هـ.
  7. الفريدة اللؤلؤية في العقود الياقوتية، طُبع سنة 1404 هـ.
  8. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، طُبع سنة 1405 هـ.
  9. روضة الأرواح، طُبع سنة 1417 هـ.
  10. درة الغواص في حكم الركبة بالرصاص، طُبعت سنة 1417 هـ.
  11. جواهر الأفكار، ولم يتمه، طُبع سنة 1420 هـ.
  12. تسليمة الليبب عن ذكرى حبيب وهو ديوان شعر طُبع سنة 1428 هـ.
- وأما الكتب التي ما زالت مخطوطة فمن أشهرها:-**

1. شرح الأربعين حديثاً المنذرية وهي مخطوطة لدى زهير الشاويش.
2. شرح شهاب الأخبار للقضاعي وهو مخطوط في المكتبة التيمورية برقم 531 بخط مؤلفه.
3. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع وهو مخطوط لم يتمه المؤلف.
4. موارد الأفهام على سلسلة عمدة الأحكام وهو مخطوط لدى زهير الشاويش.
5. إيضاح المعالم من شرح العلامة ابن الناظم في ثلاثة أجزاء وهو شرح لألفية ابن مالك في النحو.

<sup>1</sup> انظر: علامة الشام للعمجي، ص 46-59، ومدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران للشذى، ص 22-31.

6. آداب المطالعة، وهو تلخيص لكتاب الفرائد السنّيَّة في الفوائد النحوية للشيخ أحمد المنيعي الدمشقي.

7. المنهل الصنافي في شرح الكافي في العروض والقوافي.

8. رسالة في علم البدع وهي مخطوطة صغيرة لدى زهير الشاويش.

9. تعليق على مختصر الإفادات للبلباني

#### مرضه ووفاته:

أصيب ابن بدران بداء الفالج في آخر حياته، ولازمه المرض حتى وفاته. وقد بين ابن بدران- رحمة الله تعالى- ذلك بقوله: "نمّت ليلة النصف من شوال عام اثنين وأربعين وثلاثمائة بعد الألف في غرفتي في مدرسة عبد الله باشا العظم في دمشق، فانتبهت وقت الفجر فإذا بي أصبت في رجلي وفي يدي اليمناوين بحيث بطلت حركتهما، فنقلت في اليوم الثاني إلى المستشفى العام بدمشق، المبني بالبرامكة، فكنت فيه كالغريب، وصار منْ كُنْتُ أعلمُهُ، وأصَفَّ لِهِ قلبي كالعدو المجاهر المحتال، ومنْ بِهِ مِنَ النَّصَارَى يَعْرُفُونَ قَدْرِي وَيَلْطُفُونَنِي أَحْسَنَ مِلاطْفَةٍ"<sup>(1)</sup>.

ومكث - رحمة الله - ستة أشهر في المستشفى يصارع المرض، ويعاني من غربته وأنّات المرضى من حوله ثم خرج، ليعود إلى غرفته الصغيرة في مدرسة عبد الله باشا العظم التي كان يسكن فيها ويدرس، يقول الأستاذ أدهم آل الجندي عنه: "وكان يُدرِّسُ في مدرسة عبد الله باشا العظم في البزورية وبينما فيها، ويعيش من الراتب المخصص له من دائرة الأوقاف"<sup>(2)</sup>. وبقي كذلك مدة أربع سنوات حتى وفاه أجله في مدينة دمشق، في شهر ربيع الثاني عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة التّنويّة الموافق للخامس والعشرين من شهر أيلول عام سبعة وعشرين وتسعمئة وألف للميلاد وذلك في مستشفى الغرباء، ودُفِنَ في مقبرة الباب الصغير بدمشق"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: ديوان ابن بدران "سلية اللبيب"، ص 81-95.

<sup>2</sup> أعلام الأدب والفن، 224/1، وانظر: علامة الشام للعمي، ص 38، وعلامة الكويت ابن دحيان، ص 116.

<sup>3</sup> انظر: ترجمة ابن بدران في آخر كتابه: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص 1، وأعلام الأدب والفن، 225/1، وعلامة الشام للعمي ص 65، ومنتخبات التواريخ لدمشق، 2/763.

رحم الله ابن بدران فقد عاش غريباً، ومات غريباً، فطوبى للغرباء، وجزاه عن العلم وطلابه خير الجزاء.

### التَّعْرِيفُ بِتَفْسِيرِ ابْنِ بَدْرَانَ (جَوَاهِرُ الْأَفْكَارِ):

كان ابن بدران يعلم على تسمية تفسيره بـ: "معاجز العرفان إلى فهم آيات القرآن"، وقد مضى على ذلك في نهاية الجزء الأول من تفسيره؛ حيث كتب بخط يده: "وقد خطر لي أن أسمى الكتاب كلّه" معاجز العرفان إلى فهم آيات القرآن" أسأله - تعالى - الإعانة على إتمامه بفضله وكرمه". لكنه عاد فكشط هذا الاسم الذي اختاره بنفسه، وكتب بدلاً منه الاسم الذي استقرّ عليه وهو: "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار"<sup>(1)</sup>، وهو الاسم الذي صدرّ به كتابه في طرته<sup>(2)</sup> (3).

ولعل سبب تغيير التسمية أنّ منهجه - رحمة الله - في التفسير لم يكن ليقتصر على فهم معاني القرآن وبيانه فحسب، بل عمد إلى استخراج الجوائز والدرر الكامنة فيه، وبظهور ذلك جلياً من خلال تفسيره لآيات الله - تعالى - وقد ذكر ابن بدران تفسيره هذا في كتابه: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل<sup>(4)</sup>.

وبين زهير الشاويش في مقدمة تحقيقه للتفسير أنّ ابن بدران لم يتم تفسيره بقوله: "وهذا التفسير بلغ فيه مؤلفه إلى تفسير الآية 189 من سورة البقرة ثم انقطع الذي عندنا، وسائل الله أنجد ما تبقى منه - إن كان موجوداً - "<sup>(5)</sup>.

ولكن ما يبدو للباحث أنّ ابن بدران لم يتم تفسيره لأسباب عرضت له، فضلاً عن اشتغاله بالتأليف في كتابٍ آخر، أشار إليها في نهاية تفسيره للجزء الأول بقوله: "إلى هنا انتهى بنا المجال

<sup>1</sup> ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - لبنان - بيروت، ط 1999م، ص 366.

<sup>2</sup> أطْرَارُ الْبَلْد: نواحِيَه، الْوَاحِدَةُ طُرْقَة، وطَرْقَة كُلُّ شَيْءٍ: ناحيَتُه. انظر: تهذيب اللغة، باب الطاء والراء 13/202. وَقِيلَ: طُرْقَةُ التَّوْبِ مُوضِعُ هُدْبَه، وَهِيَ حَائِشَيْتُه الَّتِي لَا هُدْبَ لَهَا. انظر: لسان العرب، فصل الطاء المهملة 4/500.

<sup>3</sup> مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران للشدي، ص 41.

<sup>4</sup> انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، ص 447.

<sup>5</sup> انظر: مقدمة جواهر الأفكار، ص 5.

على سبيل الاختصار في تفسير الجزء الأول من كتاب الله - تعالى - مع العجز والتّفسيـر ، و كنت ابتدأـت به قبل سنين تعد بالسبـع أو الثـمان ، فكتبت منه قطـعة ثمـ منعتـي عنه موانـع ، و صرفـتي عنـه أمـور ، منها اشتـغالـي بـتهـذـيبـ تاريخـ الإمامـ أبيـ القـاسـمـ عليـ ابنـ عـساـكـرـ ، الذيـ يـربـوـ تـهـذـيبـهـ علىـ التـلـاثـةـ عشرـ مجلـداـ ، و منهاـ بـعـضـ مؤـلـفـاتـ اـقـتـضـتـ الضـرـورةـ تـقـديـمـهاـ ، و منهاـ أـشـغالـ تـشـغـلـ القـلـبـ و تـعلـهـ ، لـيـسـ هناـ مواـضـعـ ذـكـرـهاـ ، ثـمـ لـمـاـ فـرـغـتـ مـنـ "ـتـهـذـيبـ تاريخـ ابنـ عـساـكـرـ"ـ ، صـرـفتـ العـنـاـيةـ نحوـ إـتـمامـهـ حـتـىـ وـقـعـ الفـرـاغـ مـنـ يـوـمـ الجـمـعـةـ الحـادـيـ عـشـرـ مـنـ شـهـرـ شـوـالـ سـنـةـ خـمـسـ وـثـلـاثـيـنـ وـثـلـاثـيـةـ بـعـدـ الـأـلـفـ"ـ<sup>(1)</sup>.

وقد أصـيبـ بالـشـلـ النـصـفيـ فيـ شـقـهـ الأـيـمنـ عـامـ 1342ـهـ أـيـ قـبـلـ وـفـاتـهـ بـأـربعـ سـنـينـ فـأـقـدـ عـنـ الـحـرـكـةـ ، وـعـنـ الـكـاتـابـ بـيـدـ الـيـمـنـيـ فـصـارـ يـكـتـبـ بـيـدـ الـيـسـرىـ فـيـ الـقـسـمـ الـأـخـيـرـ الـمـوـجـودـ مـنـ تـفـسـيرـهـ ، وـلـعـلـ اـضـطـرـابـ الـخـطـ يـُظـهـرـ ذـلـكـ .ـ فـيـعـدـ مـعـ هـذـاـ كـلـهـ أـنـ يـسـتـطـعـ إـتـامـ تـفـسـيرـهـ ، وـقـدـ صـرـحـ بـذـلـكـ مـعاـصـرـوـهـ وـمـنـ تـرـجمـواـ لـهـ عـلـىـ أـنـ تـفـسـيرـهـ لـمـ يـكـتمـلـ ، مـنـهـ مـحـمـدـ بـنـ نـاصـرـ الـعـجمـيـ بـقـولـهـ عـنـ تـفـسـيرـ ابنـ بـدرـانـ :ـ "ـ لـمـ يـكـمـلـ"ـ<sup>(2)</sup>ـ ، إـذـ إـنـهـ رـحـمـهـ اللـهــ قـامـ بـتـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـفـاتـحةـ وـوـصـلـ إـلـىـ الـآـيـةـ 189ـ مـنـ سـوـرـةـ الـبـقـرةـ<sup>(3)</sup>ـ.

وقد اـعـتـمـدـ ابنـ بـدرـانـ فـيـ تـفـسـيرـهـ عـلـىـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ بـالـقـرـآنـ ، ثـمـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ بـالـسـنـةـ الصـحـيـحةـ الـمـبـيـنـةـ ، ثـمـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ بـأـقـوـالـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـيـنـ ، وـاستـعـانـ بـاـخـتـلـافـ الـقـرـاءـاتـ لـفـهـمـ الـمـعـنـىـ ، فـضـلاـ عـنـ اـعـتـمـادـهـ عـلـىـ الـلـغـةـ فـيـ الإـيـضـاحـ وـالـكـشـفـ وـالـإـفـهـامـ وـالـتـبـيـنـ<sup>(4)</sup>ـ.

<sup>1</sup> المـرـجـعـ السـابـقـ ، صـ366ـ.

<sup>2</sup> عـلـامـةـ الشـامـ الـعـجمـيـ ، صـ50ـ.

<sup>3</sup> انـظـرـ :ـ مـقـدـمةـ جـواـهـرـ الـأـفـكارـ ، صـ16ـ ، وـالـمـدـخـلـ إـلـىـ درـاسـةـ تـفـسـيرـ ابنـ بـدرـانـ لـلـشـدـيـ ، صـ41ـ47ـ.

<sup>4</sup> انـظـرـ :ـ مـقـدـمةـ جـواـهـرـ الـأـفـكارـ ، صـ7ـ.

## الفصل الثاني:

### الأدب النّظري والدّراسات السّابقة:

هناك العديد من الدراسات التي عُنيت بتحليل العلاقة بين النحو والبلاغة والتفسير، إلا أن هذا البحث نفرد بتناوله أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختبارات التفسيرية في كتاب جواهر الأفكار لابن بدران.

#### أولاً: الأدب النظري:

ومن الكتب التي تناولت العلاقة بين اللغة والتفسير بصورة تطبيقية:

1. الطّبرى (ت 310هـ)، في كتابه الموسوم بـ"جامع البيان في تفسير القرآن".

يعُد مؤلفه مُحَمَّد بن جرير بن يزid بن غالب الطّبرى الإمام أبو جعفر رأس المفسّرين على الإطلاق، وأحد الأئمَّة<sup>(1)</sup>، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم<sup>(2)</sup>. أصله من "آمل" طبرستان.<sup>(3)</sup>

وقال ابن خزيمة (ت 311هـ) - وهو معاصر له - عن تفسير مُحَمَّد بن جرير: "قد نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من مُحَمَّد بن جرير"<sup>(4)</sup>. وله مؤلفات عديدة منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، طبقات المفسّرين العشرين، تحقيق علي مُحَمَّد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 1، 1396هـ، ص 95.

<sup>2</sup> الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق الدكتور شمار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1، 2002م، ج 2، ص 548.

<sup>3</sup> طبقات المفسّرين العشرين للسيوطى، ص 96.

<sup>4</sup> الداودي، مُحَمَّد بن علي بن أحمد (ت 945هـ)، طبقات المفسّرين للداودي، دار الكتب العلمية - بيروت، ج 2، ص 114.

<sup>5</sup> انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 145.

وقال فهد الرومي: "أما تفسيره (جامع البيان في تأويل آي القرآن) فلم يؤلف قبله ولا بعده مثله في موضوعه، ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالتأثر، إذ يتميز تفسيره بمزايا منها:

1. اعتماده على التفسير بالتأثر من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعين.
2. التزامه الإسناد في الرواية.
3. عنایته بتوجيه الأقوال والترجيح.
4. ذكره لوجوه الإعراب..
5. دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات " <sup>(1)</sup> .

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثة جزءاً من الحجم الكبير، وقد كان هذا الكتاب حتى عهد قريب مفقوداً لا وجود له، ثم قدر الله له الظهور والتداول، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب إذ وجدت في حياة أمير "حائل" الأمير حمود بن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب، طبع عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت في يدنا دائرة معارفٍ غنيةٍ في التفسير المتأثر <sup>(2)</sup>.

ولاشك أن تفسير الطبرى من أجل التفاسير وأعظمها، حتى كادت أن تجتمع كلمة العلماء والباحثين في المشرق والمغرب قديماً، وحديثاً على عظيم قيمته ورفعه شأنه.

قال السيوطي (ت 911هـ) - رحمه الله -: " فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبرى، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرأ " <sup>(3)</sup> ، بل إنه من أصح التفاسير إسناداً، كما بين ذلك ابن تيمية (ت 728هـ) - رحمه الله - بقوله: " وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 145.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، ج 1، ص 149.

<sup>3</sup> الإنقاذ في علوم القرآن للسيوطى، ج 4، ص 207.

الطّبّري؛ فإنه يذكر مقالات السّلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة، ولا ينقل من المتهمن، كمقالات ابن بکير ، والکلبي <sup>(۱)</sup>.

"وقال الشّيخ أبو حامد الإسفاريني (ت 406هـ)<sup>(۲)</sup>: لو سافر رجل إلى الصين حتّى يحصل تفسير ابن جریر، لم يكن ذلك كثيراً". <sup>(۳)</sup>.

من هنا يتبيّن لنا أن تفسير الطّبّري يُعدّ من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يُعدّ المرجع الأول من المفسرين الذين عُنوا بالتفسيـر النـقلي، وإن كان في الوقت نفسه يُعدّ مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي؛ نظراً لما فيه من الاستبطـاط، وتوجيهـة الأقوال، وترجـيح بعضـها على بعض ترجـيجاً يعتمد على النظر العقلي، والبحثـ الحـرـ الدـقيق <sup>(۴)</sup>.

لذلك تظهر أهمية هذا التفسير من ناحية زمانـية، إذ يُعدّ من أقدم كتب التفسير التي وصلت إلينـا، وما قبلـه من الكتب قد انـدرـ ولم يصلـ إلينـا شيءـ منها، إلا تفسير يحيـي بن سلام (ت 200هـ) فهو أقدم منهـ، وقامتـ بتحقيقـهـ الدكتـورةـ هـندـ شـلـبـيـ، حيثـ تمـ طـبعـهـ وـنشرـهـ منـ قـبـلـ دـارـ الكـتبـ الـعلمـيـةـ عامـ 1425هــ.ـ وـتـظـهـرـ أـهـمـيـتـهـ منـ نـاحـيـةـ فـيـةـ،ـ وهـيـ الـطـرـيقـةـ الـمـمـيـزـةـ الـتـيـ سـلـكـهاـ المـفـسـرـ فـيـ تـأـلـيفـ تـفـسـيرـهـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـنـماـزـ عـنـ باـقـيـ التـفـاسـيرـ.

وتتجـلىـ طـرـيقـةـ ابنـ جـرـیرـ فـيـ تـفـسـيرـهـ أـنـ إـذـ أـرـادـ أـنـ يـفـسـرـ الآـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ يـقـولـ:ـ "ـ القـوـلـ فـيـ تـأـوـيـلـ قـوـلـهـ -ـ تـعـالـىـ -ـ كـذـاـ وـكـذـاـ"ـ ثـمـ يـفـسـرـ الآـيـةـ مـسـتـشـهـداـ بـمـاـ يـرـوـيـهـ بـسـنـدـهـ إـلـىـ الصـحـابـةـ،ـ أوـ التـابـعـينـ مـنـ التـفـسـيرـ بـالـمـأـثـورـ عـنـهـمـ،ـ وـيـعـرـضـ لـكـلـ ماـ رـوـيـ فـيـ الآـيـةـ،ـ وـلـاـ يـقـصـرـ عـلـىـ مـجـدـ الـرـوـاـيـةـ،ـ بلـ يـوـجـهـ

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى / 13 / 385.

<sup>2</sup> هو الأستاذ، العـلـامـ، شـيـخـ الـإـسـلـامـ، أـبـوـ حـامـدـ أـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ طـاهـرـ مـعـمـدـ بـنـ أـبـيـ أـحـمـدـ الإـسـفـارـيـنـيـ،ـ شـيـخـ الشـافـعـيـةـ بـبـغـدـادـ،ـ ولـدـ سـنـةـ أـربعـ وـأـربعـينـ وـثـلـاثـمـائـةـ.ـ قـمـ بـبـغـدـادـ وـلـهـ عـشـرـونـ سـنـةـ فـنـقـفـهـ عـلـىـ أـبـيـ الـحـسـنـ بـنـ الـمـرـيـانـ،ـ وـأـبـيـ الـقـاسـمـ الـدـارـكـيـ.ـ وـبـرـعـ فـيـ الـمـذـهـبـ وـأـرـىـ عـلـىـ الـمـنـقـدـمـيـنـ،ـ وـعـظـمـ جـاهـهـ عـنـ الـمـلـوكـ،ـ وـكـانـ أـوـلـ أـمـرـهـ يـحـرسـ فـيـ دـرـبـ،ـ وـكـانـ يـطـالـعـ عـلـىـ زـيـتـ الـحـرـسـ،ـ وـإـنـهـ أـفـتـىـ وـهـوـ اـبـنـ سـبـعـ عـشـرـ سـنـةـ،ـ مـاتـ فـيـ شـوـالـ سـنـةـ سـتـ وـأـرـبعـيـنـ وـأـرـبعـيـنـةـ وـكـانـ يـوـمـاـ مـشـهـودـاـ،ـ اـنـظـرـ:ـ اـبـنـ كـثـيرـ،ـ أـبـوـ الـفـداءـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ عـمـرـ (تـ 774هـ)،ـ طـبـقـاتـ الشـافـعـيـنـ،ـ تـحـقـيقـ دـ.ـ أـحـمـدـ عـمـرـ هـاشـمـ،ـ دـ.ـ مـحـمـدـ زـيـنـهـ مـحـمـدـ عـزـبـ،ـ مـكـتـبـةـ الـقـافـةـ الـدـينـيـةـ،ـ 1413هـ صـ345ـ346ـ،ـ وـسـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاءـ لـلـذـهـبـيـ 194/17ـ196ـ.

<sup>3</sup> طـبـقـاتـ الـمـفـسـرـيـنـ لـلـسـيـوطـيـ،ـ 96/1ـ،ـ وـطـبـقـاتـ الـمـفـسـرـيـنـ لـلـدـاوـوـدـيـ،ـ 113/2ـ.

<sup>4</sup> التـفـسـيرـ وـالـمـفـسـرـوـنـ لـمـحـمـدـ الـذـهـبـيـ 149/1ـ.

الأقوال ويرجح بعضها على بعض، كما يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك ويستبط بعض الأحكام.

ولم يكتف ابن جرير بذكر الإسناد فقط، وإنما كان يقف منه موقف الناقد البصیر فيحكم على رجاله بالعدالة أو التجريح، وقد يعتمد إلى رد الرواية التي لا يثق بصحتها. وكان ابن جرير يعني بذكر القراءات وتوجيهها في بيان المعنى المراد من الآية الكريمة. أما بالنسبة للإسرائيليات فكان يكثر من ذكرها إلا أنه كان يتعقب كثيراً منها بالنقد. ويعتمد ابن جرير على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقوله، ويستشهد بالشعر القديم بشكل واسع، وكان يهتم بالمذاهب النحوية؛ لذلك فإننا نجده كثيراً ما يتعرض لمذاهب النحوين من البصريين والковيين في النحو والصرف، ويوجه الأقوال تارة على المذهب البصري، وأخرى على المذهب الكوفي، وهكذا يكثر في مناسبات متعددة من الاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، فضلاً عن استشهاده بالشعر القديم على ما يقول؛ مما جعل كتابه غنياً بالمعالجات اللغوية والنحوية، التي أكسبته شهرة عظيمة، وهذا يدل على أنه - رحمه الله - كان واسع المعرفة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفة لا نقل عن معرفته بالدين والتاريخ.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ابن جرير لم يكن يعرض القضايا اللغوية إلا وسيلة للتقسيير؛ من أجل ترجيح بعض الأقوال على بعض، والتوفيق بين ما صحّ عن السلف، والمعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم فيه التناقض بينهما.

وأماماً بالنسبة لمعالجته للأحكام الفقهية؛ فإنه يعالج أقوال العلماء، ومذاهبهم، ويخلص من ذلك كلّه برأي يختاره لنفسه، ويرجحه بالأدلة العلمية النقلية والعقلية. فلم يكن - رحمه الله - مقلداً لأحد إنما كان مجتهداً، له مذهب الفقيهي الخاص به. والحق أن شخصيته الأدبية، والعلمية جعلت تقسيره مرجعاً مهمّاً من مراجع التقسيير بالرواية، فترجيحاته المختلفة تقوم على نظرات أدبية، ولغوية، وعلمية قيمة، فوق ما جمع فيه من الروايات الأثرية المتکاثرة<sup>(1)</sup>.

وإن خير ما وصف به تقسيير الطبرى ما نقله الداودى عن أبي محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى في تاريخه بقوله: "فتنم من كتب يعني محمد بن جرير كتاب "تقسيير القرآن"، وجوده، وبين فيه أحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه، ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه

<sup>1</sup> انظر: التقسيير والمفسرون لمحمد الذبي، ص150-159، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص374-375.

وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأمة، والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب، كلمة كلمة، وآية آية، من الاستعادة إلى أبي جاد<sup>(1)</sup>، فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصٍ لَفَعْلٌ<sup>(2)</sup>.

وقد أتَمَ ابن جرير تفسيره في سبع سنوات، إملاءً على أصحابه كما بين ذلك الحموي في معجم الأدباء فيما أسنده إلى أبي بكر ابن بالؤيه (ت 340هـ)<sup>(3)</sup> قال: قال لي أبو بكر محمد بن اسحاق، يعني ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير، قلت: نعم، كتبنا التفسير عنه إملاءً قال: كلّه؟ قلت: نعم، قال: في أيّ سنة؟ قلت: من سنة ثلاثة وثمانين إلى سنة تسعين (4)، قال: فاستعاره مني أبو بكر ورددَه بعد سنين (5).

وقد أفاد الباحث من تفسير الطبرى إفادة عظيمة في كيفية عرض أقوال العلماء في المسألة الواحدة، وطريقة الترجيح بين هذه الأقوال، فضلاً عن دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات، وبيانه لأوجه الإعراب في تحديد المراد من الآية، ومقابلة أقوال العلماء بالقول الصحيح المأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين؛ إذ إنَّه اعتمد عناية فائقة بالإسناد.

<sup>1</sup> وهو علم يرمز فيه للأرقام بالحروف، وبعضهم يجعله باباً لمعرفة الحوادث. وتفسير ابن جرير ليس فيه علم أبي جاد؛ ولكنَّه قد من الألف إلى الباء، يعني من أوله إلى آخره.

<sup>2</sup> طبقات المفسرين للداودي، 2/ 114.

<sup>3</sup> هو الإمام المفيد الرئيس، أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه الجلاب النيسابوري، من كباره بلده، ارحل به أبوه فسمع من محمد بن غالب تمنام وموسى بن الحسن الجلاجلاني وبشر بن موسى وغيرهم، كتب عن عبد الله بن أحمد بن حنبل مئة جزء، وتوفي في رجب سنة أربعين وثلاثة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 15/ 419.

<sup>4</sup> يعني بعد المئتين 283هـ - 290هـ.

<sup>5</sup> الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، معجم الأدباء (رشاد الأربيب إلى معرفة الأدب) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1414هـ، ج 6، ص 2442.

2. الزمخشري (ت538هـ)، في كتابه الموسوم بـ(الكشاف عن حفائق التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل).

هو أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد بن عمر الزمخشري المعتزلي الملقب بجار الله؛ لأنَّه ذهب إلى مَكَّةَ وجاورها زمناً، ولد في رجب سنة 467هـ في زمخشر قرية من قرى خوارزم، وقدم بغداد ولقي الكبار وأخذ عنهم، وبعد أن تلقى العلم، رحل إلى مَكَّةَ وألف فيها تفسيره الكشاف سنة 528هـ، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم وتوفي فيها ليلة عرفة سنة 538هـ، وهو إمام الأئمة البارزين في النَّحْوِ واللُّغَةِ وَالْأَدْبِ، وصاحب تصانيف بدِعَةٍ في شتى العلوم ومن أَجْلَّها: كتابه الكشاف، ومن مؤلفاته: (أساس البلاغة، والمفصل في النَّحْوِ، والأحاجي النَّحْوِية، والمقامات، وغيرها). وهو حنفي المذهب، معتزلي الاعتقاد، لا يأنف من انتقامه إلى الاعتزال، بل يجاهر به ويدعو إليه.

قال صاحب وفيات الأعيان: "كان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نُقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً، واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب" <sup>(1)</sup>.

وأمّا قيمة هذا التفسير، فهو - بصرف النظر عما فيه من الاعتزال - تفسير لم يُسبق مؤلفه إليه؛ لِمَا أبان فيه من وجود الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاعته، وليس أحد كالزمخشري يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته؛ لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم؛ لا سيّما ما بَرَزَ فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارها، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان، والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، افتَ إِلَيْهِ أَنْظَارُ الْعُلَمَاءِ وَعَلَقَ بِهِ قُلُوبُ الْمُفَسِّرِينَ <sup>(2)</sup>.

وليس ذلك فحسب بل إنَّ إمامه بعلمي البيان والمعاني جعله يكشف عن جمال القرآن وسحر بلاغته، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله: "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص

<sup>1</sup> وفيات الأعيان وأئباء أبناء الزمان لابن خلكان 5 / 170 .

<sup>2</sup> النفس والمفسرون 307/1 .

على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني، وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التتقير عنهم أزمنة<sup>(1)</sup>.

ولقد أعدّ الزمخشري نفسه لهذا إعداداً كاملاً: فأعدّ له لغة، وبلاعنةٍ وبينانًا، وأسلوبًا، وفصاحة، وأعدّ له نحوًا، وصرفًا.

"ولكن الذي يركّز عليه صاحب الكشاف ولا يرى من إتقانه مناصًا للمفسّر هو: علم المعاني، وعلم البيان، وما من شك في أن التفسير يحتاج إلى علوم جمة"<sup>(2)</sup>.

واعتمد الزمخشري في تفسيره على الرأي أكثر من اعتماده على المأثور؛ ولذلك فإنه قليلاً ما يستشهد بالأحاديث، ولا يتحاشى إيراد الأحاديث الموضوعة خاصة في فضائل السور. كما أنه قليلاً ما يورد الإسرائيليات، وإنما كان جلّ اهتمامه، واعتنائه ببيان وجوه الإعجاز القرآني، وإظهار جمال النظم فيه، واستخراج ما يحويه القرآن من ثروة بلاغية في المعاني والبيان، الأمر الذي ميزه عن غيره وجعله مرجعاً؛ إذ لا يوجد تفسير أوسع مجالاً من جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري؛ لذلك فإنّ كلّ من جاء بعده - حتى من أهل السنة - أفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا ينتظرون إليها لولاه، فأوردوا في تفاسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا ما نبه عليه الزمخشري من نكبات بلاغية، تكشف عمّا دقّ من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه<sup>(3)</sup>.

وقد استطاع الزمخشري بذاته ومهاراته، أن يملاً تفسيره بعقائد المعتزلة، والاستدلال لها وتأويل الآيات وفقها، فهو يأتي بالإشارات البعيدة، ليضمّنها معنى الآية في الانتصار للمعتزلة والردّ على خصومهم، ويدرس ذلك دسّاً لا يدركه إلا حاذق، حتى قال الباقوني (ت 805هـ):

<sup>1</sup> الكشاف عن حقائق غواص التنزيل للزمخشري ج 1، ص 2

<sup>2</sup> محمود، منيع بن عبد الحليم (ت 1430هـ). مناج المفسرين، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، 1421هـ، ص 107.

<sup>3</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذبي 1/313

<sup>4</sup> هو عمر بن نصیر بن صالح الكنانی، السقلاوی الأصل، ثم الباقینی المصری الشافعی، أبو حفص، سراج الدین: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقینة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة 769 هـ وتوفي بالقاهرة. من كتبه "التدريب - خ" في فقه الشافعية، لم يتمه، و "تصحیح المنهاج - خ" ست مجلدات، فقه، و "الملمات برد المهمات - خ" فقه، و "محاسن الاصطلاح". انظر: الأعلام للزرکلی 46/5

استخرجت من الكشاف اعتراً بالمناقيش<sup>(1)</sup>. أي أنه يُدْسِ السُّمَ في العسل، إذ لا تظهر بدعه الاعتزالية -أحياناً- في كلامه إلا بعد فحص، وتمحیص، وتدقيق وتغتیش.

لذلك فإن كثيراً من العلماء قد نبه إلىأخذ الحيطة والحذر عند النظر في تفسير الزمخشري، قال الذهبي (ت748هـ): "محمود بن عمرو الزمخشري المفسر النَّحْوِي صالح؛ لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله، فكُنْ حَذِراً من كشافه"<sup>(2)</sup>.

وقال أبو حيان(ت745هـ) في البحر المحيط عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّا لَصَدِقُورٌ ﴾ [النمل: 49] ، متعقباً الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: "وهذا الرجل وإن كان أوتي من القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة، وكانت قريباً من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدةً في شغل الإنسان بكتاب الله، واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشري، فذكرت أشياء من محسنه، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأبت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا، وينتبه على ما تضمنه من القبائح، بعد ذكر ما مدحته به:

فَيُنْبِتُ مَوْضِعَ الْأَحَادِيثِ جَاهِلًا  
وَيَعْزُو إِلَى الْمَعْصُومِ مَا لَيْسَ لَائِقاً  
وَيَشْتَمِ أَعْلَامَ الْأَنْمَةِ ضَلَّةً  
وَلَا سِيمَا إِنْ أَوْلَاجُوهُ الْمَضَايِقاً  
إِلَى أَنْ قَالَ :

لِمَذْهَبِ سُوءِ فِيهِ أَصْبَحَ مَارِقاً<sup>(3)</sup>  
وَيَحْتَالُ لِلْأَفْاظِ حَتَّى يَدِيرَهَا

<sup>1</sup> الإنفاق في علوم القرآن للسيوطى 243/4، وبحوث في أصول التفسير ص153.

<sup>2</sup> الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت748هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجّاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان، ط1 1382 هـ، ج4، ص78.

<sup>3</sup> البحر المحيط في التفسير 8/252-253.

وقال تاج الدين السبكي (ت 771هـ) في كتابه معيد النعم ومبيد النقم: "واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع فيجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيراً ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله<sup>(١)</sup>.

وهذا ابن خلدون يقر رسوخ قدم الزمخشري في ما يتعلق باللسان وبلايته، ولكنه ينقده في معتقده الفاسد وانتصاره له، ومخالفة أهل السنة، بقوله: " ومن أحسن ما اشتغل عليه هذا الفن من التفسير، كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار بذلك للمحقفين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانته، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة "<sup>(٢)</sup>.

بل إن ابن خلدون يُحذر من الاطلاع عليه إلا لمن وقف على المذاهب السنوية، محسناً للحجاج عنها، فإنه مأمون من غواصاته وسينتفع من غرابة فنونه في اللسان، إذ يقول: "إذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنوية، محسناً للحجاج عنها، فلا جرم أنه مأمون من غواصاته، فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان "<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الزمخشري من شدة تعصبه لمذهبه والدفاع عنه، يعمد إلى تحريف الكلم عن موضعه، ولو أدى ذلك إلى تذرّعه بالمعاني اللغوية لنصرة مذهب الاعتزالي، وهذا ما دفعه إلى إبطال المعنى الظاهر في كثير من الأحایين؛ لإثبات معنى آخر موجود في اللغة بما يتفق ومذهبه لنصرته وإظهاره.

فمثلاً نراه عندما تعرض لتفسيير قوله تعالى- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٦٦] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٦٧] و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [٦٨] [القيمة: 22-23]، يتخلّص من المعنى الظاهر لكلمة "ناظرة"؛ لأنّه لا يتفق مع مذهبه الذي يقرّ إنكار رؤية الله - تعالى - ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع والرجاء،

<sup>١</sup> السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، طبع بدار الكتاب العربي بمصر، ط 1948م، ص 80.

<sup>2</sup> مقدمة ابن خلدون 1/ 252.

<sup>3</sup> المرجع السابق 1/ 252.

ويستشهد على ذلك بالشعر العربي فيقول: " والناظرة: من نصرة النعيم، إلى ربه ناظرة، تنظر إلى ربه خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله - تعالى - ﴿إِلَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرِ﴾ [القيامة: 12]، ﴿إِلَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 30]، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأَمْوَرُ﴾ [الشوري: 53] ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28، النور: 42، فاطر: 18] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]، ﴿عَلَيْهِ تَرَكَتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورة: 10، هود: 88]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنّهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلق كلّهم؛ فإن المؤمنين ناظرة ذلك اليوم؛ لأنّهم الآمنون الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه مُحال، فوجب حمله على معنى يصحّ معه الاختصاص، والذي يصحّ معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تزيد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل<sup>(1)</sup>:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

ومن الذين خصّصوا جهودهم للكشاف بعد قرون من ظهوره، قاضي الإسكندرية، أحمد بن محمّد بن منصور المنير المالكي، فقد كتب عليه حاشية خاصة سماها "الانتصاف" ناقش فيها الزمخشري وجادله في بعض ما جاء في كشافه من أعاريب وغيرها، ولكنه رکز مجھوده العظيم في بيان ما تضمنه من الاعتزال، وإبطال ما فيه من تأويلات تتناسب مع مذهب الزمخشري وتتفق مع هواه<sup>(3)</sup>.

وينبغي لمن أراد أن يقرأ في الكشاف أن يرجع لكتاب "الانتصاف" فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال<sup>(4)</sup> لابن المنير وهو مطبوع مع الكشاف وفيه كشف لاعتزالياته وضلالاته.

<sup>1</sup> هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، شهد فتح مصر، ومات في أيام عمر، وكان أبوه من كبار الصحابة. انظر: ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت 347 هـ)، تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1421 هـ، ج 1، ص 93، والتفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 99/2.

<sup>2</sup> الكشاف 4/662، ومفآتيخ الغيب للرازي 30/731، والتفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 1/315.

<sup>3</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 1/330.

<sup>4</sup> انظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي 1/162.

وابن المنير - مع شدة خصومه للزمخشري - لا ينسى ما له من أثر طيب في التفسير، فكثيراً ما يُبدي إعجابه به؛ لتوسيعه بأساليب القرآن العجيبة التي تناهياً بأنه ليس من كلام البشر. وكثيراً ما يعترف - بتقدير كبير وفي عدالة واعتدال - بتحليلاته اللغوية، ونكاته البلاغية<sup>(1)</sup>.

فضلاً عما يحويه الكشاف من بحوث أدبية قيمة، تُظهر لنا ما كان بين الأدب والتفسير من تأثير كلّ منهما بالآخر وتأثيره فيه<sup>(2)</sup>.

وقد أفاد الباحث من الكشاف إفادة باللغة في بيان أوجه الإعجاز في الآيات القرآنية؛ لإحاطته بعلوم البلاغة، والبيان، والإعراب، والأدب، فضلاً عن تفنيه في عرض المسائل، ومناقشتها، وتحليلها؛ للوصول إلى المراد من الآية القرآنية، وبيان أحكامها. وكيفية دفاعه عن الرأي الراجح لديه.

---

<sup>1</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 1/331.

<sup>2</sup> انظر: المرجع السابق 1/341.

### 3. الرازى (ت606هـ)، فى كتابه الموسوم بـ(مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير).

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي، البكري، الطبرستاني الأصل، الرازى المولود، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعى<sup>(1)</sup>، ولد في الري سنة (544هـ)، وتوفي في هرة سنة (606هـ). وهو عربي قرشي من سلالة أبي بكر الصديق، نشأ في البلاد الأعمجية، وعاش فيها، كان - رحمه الله - فريد عصره، ومنكمل زمانه، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام، والعلوم العقلية، والمنطق، والفلسفة، واشتهر بذلك وفاق فلاسفة عصره، وكان طيباً حاذقاً، أجاد اللغتين العربية والفارسية، وتمرس بآدابهما واكتملت ملكته البينانية فيهما، قال ابن خلكان (ت 681هـ): "وكان له في الوعظ اليد البيضاء، ويحظ باللسانين العربي والعجمي"<sup>(2)</sup>. وقد نَدِمَ - رحمه الله - على الاشتغال بعلوم الكلام، كما بين ذلك ابن قاضي شهبة (ت 851هـ) بقوله: "وقيل: إنَّه نَدِمَ على دخوله في علم الكلام، قال ابن الصلاح (ت 643هـ)<sup>(3)</sup>: أخبرني القطب الطوغانى مرتين: أَنَّه سمع فخر الدين الرازى يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى. وَرُوِيَ عنْه أَنَّه قال: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي علياً، ورأيت أصحَّ الطرق طريقة القرآن"<sup>(4)</sup>.

وقد تفَنَّ في التأليف والتصنيف، فأنتج كثيرة جليلة في التفسير، والكلام، والأصول، والفقه، والنحو، والأدب، والفلسفة، والطب، والهندسة، والفالك.

<sup>1</sup> وفيات الأعيان، 248/4 - 249.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 249/4، وانظر: ابن عاشور، مُحَمَّد الفاضل بن مُحَمَّد الطاهر (ت 1390هـ)، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، السنة الثانية - الكتاب الثالث عشر، سنة 1390هـ، ص 69.

<sup>3</sup> هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر، الإمام مفتى الإسلام، تقى الدين أبو عمر بن الإمام البارع أبي القاسم صلاح الدين النصري، الكردي، الشهير بوري، الشافعى، تفقه على والده الصلاح بشهر زور، وكان والده شيخ تلك الناحية، ثم نقله إلى الموصل فاشتغل بها مدة، ويرعى في المذهب، وكان إماماً بارعاً، حجة، متبحراً في العلوم الدينية بصيراً بالمذهب ووجوهه، خبيراً بأصوله، عارفاً بالمذاهب، جيد المادة من اللغة العربية، حافظاً للحديث متوفناً فيه، توفي سنة ثلاثة وأربعين وستمائة. انظر: تاريخ الإسلام 455/14، وقال عنه ابن خلكان: كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة. انظر: وفيات الأعيان 3/243.

<sup>4</sup> ابن قاضي شهبة، تقى الدين أبو بكر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عمر الأستاذ (ت 851هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط 1407هـ، ج 2، ص 65-66، وانظر: تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام 13/137، طبقات الشافعيين لابن كثير ص 780، وطبقات المفسرين للداودى 216/2 - 217، وبحوث في أصول التفسير ص 154.

ومن أهم هذه المصنفات: التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، وله في علم الكلام: المطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيف والطغيان، وله في أصول الفقه: المحسوب، وفي الحكمة: المخلص، وشرح الإشارات لابن سينا ، وشرح عيون الحكمة، وفي الطلسمات <sup>(1)</sup>: السر المكنون، ويقال: إنه شرح المفصل في النحو للزمخري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالى، وغيرها كثير من مصنفاته التي يتجلّى فيها علم الرجل الواسع الغزير <sup>(2)</sup>.

ويُعدُّ تفسيره (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام، فقد تأثر كثيراً بالعلوم العقلية وتوسّع فيها، وسلك في تفسيره مسلك الحكماء وال فلاسفة وعلماء الكلام، واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية، والفلكلور، والمسائل الطبية، وملاً تفسيره بهذه العلوم، كما قال أبو حيّان (ت 745هـ) في البحر المحيط: "إنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حُكِيَ عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير" <sup>(3)</sup>.

ويقع هذا التفسير في ثمانية مجلدات كبار، إلا أنه لم يتممه على أرجح أقوال العلماء، قال ابن خلكان (ت 681هـ) في وفيات الأعيان: "له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها: تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله" <sup>(4)</sup>.

وقد اختلف العلماء فيما أكمله وأتمّه، قال ابن حجر (ت 852هـ) في الدرر الكامنة: "أحمد ابن محمد بن أبي أحزم مكي نجم الدين المخزومي القميoli ... وأكمل تفسير الإمام فخر الدين" <sup>(5)</sup>، وقال صاحب كشف الظنون: " وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القميoli تكملة له، وتوفي

<sup>1</sup> (الطلسم) (في علم السحر) خطوط وأعداد يُرْعَمُ كاتتها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبعان السفلية لجلب مَحْبُوب أو دفع أذى وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض مُهْمَّ كالألغاز والأحاجي (ج) طلسم. انظر: الزيات، أحمد حسن وأخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا، ط 2، 1392، مادة طلسم، ج 2، ص 562.

<sup>2</sup> انظر: وفيات الأعيان 4/249، والتفسير والمفسرون لمحمد الذبي 1/206.

<sup>3</sup> انظر: البحر المحيط 1/547، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى 4/243، وبحوث في أصول التفسير، ص 155.

<sup>4</sup> وفيات الأعيان 4/249.

<sup>5</sup> ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مراقبة محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدا أباد /الهند، ط 2، 1392هـ، ج 1، ص 359.

سنة (727)، سبع وعشرين وسبعين. وقاضي القضاة: شهاب الدين بن خليل الخوبي، الدمشقي، كمل ما نقص منه أيضاً وتوفي سنة (639 هـ)، تسع وثلاثين وستمائة <sup>(1)</sup>.

وقال صاحب التفسير والمفسرون للخروج من هذا الاضطراب بين قولى ابن حجر وحاجي خليفة في بيان مَنْ أَتَمَ وأَكْمَلَ تَفْسِيرَ الرَّازِيِّ: "والذِّي أَسْتَطَعَ أَنْ أَقُولَهُ كَحَلٌ لِهَذَا الاضطراب: هُوَ أَنَّ إِلَمَامَ فَخْرَ الدِّينِ كَتَبَ تَفْسِيرَهُ هَذَا إِلَى سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَتَى بَعْدَهُ شَهَابُ الدِّينِ الْخَوَبِيُّ فَشَرَعَ فِي تَكْمِلَةِ هَذَا التَّفْسِيرِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَّ، فَأَتَى بَعْدَهُ نَجَمُ الدِّينِ الْقَمْوَلِيُّ فَأَكَمَ مَا بَقِيَ مِنْهُ. كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَوَبِيُّ أَكَمَلَهُ إِلَى النِّهايَةِ، وَالْقَمْوَلِيُّ كَتَبَ تَكْمِلَةً أُخْرَى غَيْرُ الَّتِي كَتَبَهَا الْخَوَبِيُّ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ عِبَارَةِ صَاحِبِ كَشْفِ الظُّنُونِ <sup>(2)</sup>".

ولعل السبب في هذا الاضطراب هو أن القارئ لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج والمسالك والأسلوب، فنمط الكتاب وطريقته تجري على و蒂رة واحدة من أوله إلى آخره، الأمر الذي يجعل قارئ الكتاب والناظر فيه لا يستطيع التمييز بين الأصل والتكميلة، بحيث لا يستطيع الوقوف على حقيقة المقدار الذي كتبه الرazi، والمقدار الذي كتبه صاحب التكميلة <sup>(3)</sup>.

فيما يرى المعلمي اليماني (ت 1386هـ) أن عامة الكتاب هو من تصنيف الفخر الرazi، وأنه أتم تفسيره إلا بعض سور اليسيرة، فقد أتمها وأكملاها أحمد بن خليل الخوبي <sup>(4)</sup>.

إذ إنَّه حَلَصَ بِالقول: "الأصل من هذا الكتاب، وهو القدر الذي هو من تصنيف الفخر الرazi، هو: من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة القصص، ثمَّ من أول تفسير الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثمَّ تفسير سورة الحديد والمجادلة والحضر، ثمَّ من أول تفسير سورة الملك إلى

<sup>1</sup> حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ)، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مكتبة المتنى - بغداد، 1941م، ج 2، ص 1756.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 1/208.

<sup>3</sup> انظر: المرجع السابق 1/208، وبحوث في أصول التفسير ص 155.

<sup>4</sup> انظر: اليماني، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ت 1386هـ)، مجموع رسائل التفسير، تحقيق محمد أجمل الإصلاحى، دار علم الفوائد، ط 1434هـ، ص 305-332.

آخر الكتاب. وما عدا ذلك فهو من تصنيف أَحْمَدُ بْنُ خَلِيلِ الْخَوَّيْيِ، وهو بعض التكملة المنسوبة إليه، فإن تكملته تشمل زيادة على ما ذكر تعليقاً على الأصل. " <sup>(1)</sup> .

ومع ذلك فإن تفسير الرازي يحظى بشهرة واسعة بين العلماء، بما يمتاز به عن غيره باستفاضته في كثير من الأبحاث في شتى العلوم، لا سيما في علم الكلام، وعلوم الكون والطبيعة. ويمتاز أيضاً بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض، وينتوسع في ذلك حتى نجده كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة. كما أنه يتسع ويستطرد لذكر المسائل الأصولية، والمسائل النحوية والبلاغية. إلا أن استطراده وتوسيعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية كان ظاهراً واضحاً في تفسيره حتى أصبح أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة؛ فقللت من أهميته كتفسير للقرآن الكريم. وهذا ما دفع السيوطي (ت 911هـ) بالقول: "صاحب العلوم العقلية - خصوصاً الإمام فخر الدين - قد ملا تفسيره بأقوال الحكماء وال فلاسفة وشبيهها، وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجبَ من عدم مطابقة المورد لآية" <sup>(2)</sup> .

وأمام موقفه من المعتزلة، فإنه لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليهم، ردًا لا يراه بعضهم كافياً ولا شافياً، كما قال ابن حجر (ت 852هـ) في لسان الميزان: " وكان يُعبَّر بإيراد الشبهة الشديدة، ويُقصَّر في حلّها، حتى قال بعض المغاربة: يُورِّدُ الشُّبَهَ نفداً، ويُحلِّها نسيئَةً " <sup>(3)</sup> .

ولعل أبرز ما أفاد الباحث من تفسير الرازي، استفاضته في معالجة المسائل في شتى العلوم، لا سيما النحوية والبلاغية منها؛ للوقوف على المعنى المراد من خلالها، وهذا ناتج عن سعة اطلاعه وتحريه في شتى أصناف العلوم، فضلاً عن ذكر المناسبات وبيانها بين الآيات بعضها مع بعض، وكيفية الربط بين الآية والآية، والسورة والسورة؛ مما يؤكد الاختيار الأمثل لقاعدة النحوية والبلاغية في توجيه المعنى المراد.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 331-332.

<sup>2</sup> الإنفاق في علوم القرآن للسيوطى 4/243، وانظر: كشف الظنون ل حاجي خليفه 1/427.

<sup>3</sup> ابن حجر، أبو الفضل أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَسْقَلَانِي (ت 852هـ)، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط 1، ج 6، ص 318، وانظر: التفسير والمفسرون ل محمد الذبيحي 1/207-210، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان 378-379م، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي 1/163.

#### 4. أبو حيّان (ت 745هـ) في كتابه الموسوم بـ (البحر المحيط في التفسير).

هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي، الجياني، الشهير بأبي حيّان، المولود سنة (654هـ)، في إحدى قرى غرناطة، وتوفي في القاهرة سنة (745هـ). كان على جانب كبير من المعرفة باللغة، وعلى علم واسع في التفسير، والحديث، وترجم

الرجال ومعرفة طبقاتهم - خصوصاً المغاربة -، وكان ملماً بالقراءات صحيحها وشاذتها، وُعرف بكثرة نظمه لأشعار والموشحات، ولا شك أنه الإمام المطلق في زمانه بالنحو والتصريف، وقد أمضى أكثر عمره خدمة لهذا الفن حتى صار لا يُذكر أحدٌ في أقطار الأرض فيهما غيره.

وقال عنه الصفدي (ت 764هـ)<sup>(1)</sup>: "كان أمير المؤمنين في النحو".

وقال - أيضاً -: " ولم أره قط إلا يسمع، أو يشتغل، أو يكتب، ولم أره على غير ذلك ".<sup>(3)</sup>

وقال عنه الداودي (ت 945هـ): "نحوٌ عصره، ولغويٌّ، ومفسرٌ، ومحدثٌ، ومقرئٌ، ومؤرخٌ، وأديبٌ"<sup>(4)</sup>. وله مؤلفات كثيرة، من أهمها: البحر المحيط في التفسير، وغريب القرآن، وشرح التسهيل، ونهاية الإعراب، وخلاصة البيان، وغيرها.

ويُعدُّ تفسيره (البحر المحيط) من أشهر كتبه وأفضليها، ويقع في ثمانية مجلدات كبار، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم، إذ يُعدُّ كثير من أهل العلم، والتفسير المرجع الأول، والأكثر أهمية لمن أراد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم. فقد توسيع - رحمه الله - في الإعراب والمسائل النحوية، وذكر الخلاف بين النحوين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير، وهو وإن كان كذلك إلا أنه لم يُهمِّل كلّ ما له صلة بالتفسير، فنراه يتكلّم عن

<sup>1</sup> خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد (فلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعاني صناعة الرسم فمهر بها، ثم لمع بالأدب وترجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفى فيها. له زهاء مئتي مصنف، منها (الوافي بالوفيات) كبير جداً، في الترجمة، و(الشعور بالعور) في ترجم العور وأخبارهم، و(نكت الهميان) ترجم به فضلاء العميان، و(ألحان السواجع) رسائله لبعض معاصريه، رتب أسماءهم على حروف المعجم.

<sup>2</sup> الصَّفَدِيُّ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق د. علي أبي زيد، آخرون، قدم له مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط 1418هـ، ج 5، ص 325.

<sup>3</sup> المرجع السابق 330/5.

<sup>4</sup> طبقات المفسرين للداودي 287/2.

المعاني اللغوية للمفردات واستعمالاتها، وينظر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة وتوجيهها، فضلاً عن النواحي البلاغية في القرآن الكريم، وذكر الأحكام الفقهية عندما يمُرُّ بآيات الأحكام، مستعرضاً أقوال العلماء من السلف ومن تقدّمه من الخلف في ذلك.

فهذا منهجه وطريقته التي رسمها لنفسه في تأليفه لكتابه، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته، إذ يقول: "وترتني في هذا الكتاب، أنني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب. وإذا كان للكلمة معنيان أو معانٍ، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك اللفظة، ليُنظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيُحمل عليه ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكراً سبب نزولها، إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها، وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات، شاذّها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية ناقلاً أقوال السلف، والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جلّها، وخفيّها بحيث إنني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكلّم عليها، مبدياً ما فيها من غواصات الإعراب و دقائق الآداب من بديع وبيان<sup>(1)</sup>.

ويشير أبو حيّان إلى أنه اعتمد في أكثر نقول كتابه على كتاب "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير" ، إذ يقول: "واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا، على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير، من جمع شيخنا الصالح القدوة الأديب جمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي، عرف بابن النقيب - رحمه الله تعالى - إذ هو أكبر كتاب رأينا صنف في علم التفسير، يبلغ في العدد مئة سِفرٍ أو يكاد"<sup>(2)</sup>.

ولم يقتصر أبو حيّان في نقله على كتاب "التحرير والتحبير" فحسب، بل إنه كثيراً ما ينقل من تفسير الزمخشري، وتفسير ابن عطية، خصوصاً ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب، قال في خطبة تفسيره: "وهذا أبو القاسم محمود بن عمرو المشرقي الخوارزمي الزمخشري، وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجلّ من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرّض للتفقيق فيه والتحرير"<sup>(3)</sup>، وأضاف يقول: "وكلامُهُما فيه يدلُّ على تقدّمهما في علوم، من

<sup>1</sup> البحر المحيط 13/12/1.

<sup>2</sup> المرجع السابق 22/1.

<sup>3</sup> المرجع السابق 20/1.

منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلى في فنون الآداب، وتمكّن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان، وممارسا فصاحة وبيان<sup>(1)</sup>. ومع ذلك، فإنّه لم يتوان عن تعقبهما كثيراً بالرّد والتقدّم لما قالاه في مسائل النحو على الخصوص. فضلاً عن عدم رضاه عن اعتزاليات الزمخشري، فكان ينقدُها ويردُّها بأسلوب ساخر، ويحمل عليه الحملات القاسية من أجل آرائه الاعتزالية. كما بين ذلك أبو حيّان بقوله: "ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة"<sup>(2)</sup>.

ونظم قائلاً:

لذهب سوء فيه أصبح مارقا<sup>(3)</sup>.  
ويحتال للألفاظ حتى يديرها

ومع ذلك نجده يُشيد بما للزمخشري من مهارة فائقة في تحليّة بلاغة القرآن وقوّة بيانه، إذ يصفه بأنه: "أوتي من علم القرآن أوف حظّ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ"<sup>(4)</sup>.

ونهاية القول، فإنّ أبا حيّان قد غلت عليه في تفسيره الناحية التي برع فيها وبرع، وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير<sup>(5)</sup>.

ولما كان البحر المحيط يُعد المرجع الأول للوقوف على أوجه الإعراب للألفاظ القرآن الكريم، فإنّ الباحث قد أفاد منه إفادة كبيرة في توسيعه في الإعراب والمسائل النحوية، وذكر الخلاف بين النحويين، وكيفية ترجيحه للمسألة النحوية بما يناسب المعنى المراد. فضلاً عن عرضه لمعاني اللغوية للمفردات واستعمالاتها؛ للوقوف على الراجح في المسألة.

<sup>1</sup> البحر المحيط 1/20.

<sup>2</sup> المرجع السابق 8/252.

<sup>3</sup> المرجع السابق 8/253.

<sup>4</sup> المرجع السابق 8/252.

<sup>5</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي 1/225 - 228، ومباحث في علوم القرآن لمنان القطان 1/379 - 380، وبحوث في أصول التفسير ص 155 - 156.

## 5. الألوسي (ت 1270هـ) في كتابه الموسوم بـ(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

هو أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الألوسي البغدادي، ولد في جانب الكرخ من بغداد سنة 1217هـ، نبغ في كثير من العلوم حتى صار شيخ العلماء في العراق، وكان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب، إلا أنه قد انتقل إلى المذهب الحنفي كما قال عن نفسه: "إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلٍ شَافِعِيًّا، إِنِّي الْيَوْمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ صَرَّتْ حَنْفِيًّا". ولكنّه في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد.

اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلات عشرة سنة، ودرس في عدّة مدارس، وقد ترك ثروة علمية عظيمة ونافعة من أهمها: (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، وحاشيته على قطر الندى لابن هشام، ولم يتمها، وبعد وفاته أتمها ابنه السيد نعمان الألوسي، و(درة الغواص في أوهام الخواص)، و(شرح السلم في المنطق)، وكتاب (الأجوبة العراقية)، وكتاب (غرائب الاغتراب في الذهاب والإقامة والإياب)، وغيرها كثيرة.

وقد توفي - رحمه الله - في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 1270هـ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ.<sup>(1)</sup>

أما تفسيره فقد ذكر الألوسي في مقدمته عن أسباب تفسيره لكتاب الله - عزّ وجلّ - بقوله: "لم أزل متطلباً لاستكشاف سرّ المكتوم، متربقاً لارتشاف رحique المختوم، طالما فرقّت نومي لجمع شوارده وفارقت قومي لوصال خرائده".<sup>(2)</sup>

ثمَّ بيَّنَ أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَاً فِي مَنَامِهِ، فَكَانَتْ إِشَارَةً إِلَى تَأْلِيفِ تَفْسِيرِهِ، حِيثُ يَقُولُ: "... إِلَى أَنْ رَأَيْتُ رُؤْيَاً لَا أَعُدُّهَا أَضْغَاثَ أَحَلَامٍ وَلَا أَحْسَبُهَا خَيَالَاتٍ أَوْهَامٍ... ثُمَّ انتَبَهْتُ مِنْ نُومِي، وَأَنَا مُسْتَعْظَمٌ

<sup>1</sup> انظر: البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (ت 1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط 2 1413-1455هـ، ص 1450-1455، والتفسير والمفسرون لمحمد الذبي

251-250/1، والتفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ص 134-128، وبحوث في أصول التفسير ص 157-158.

<sup>2</sup> الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1415هـ، ج 1، ص 4.

لرؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير، فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تقسير... وأقول غير مبالٍ بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤيائي<sup>(1)</sup>.

وقد اعتنى الألوسي بتفسيره، فكان حصيلة علمه وفكره في شتى العلوم، وبذل مجده حتى أخرجه للناس كتاباً جاماً لآراء السلف روایة ودرایة، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فقد نقل عن كثير من المفسرين ومن سبقة، فنقل عن تفسير ابن عطية، والكساف، والرازي، وأبي السعود، والبيضاوي، وأبي حيان وغيرها من التفاسير المعتبرة. ولم يكتف بالنقل عن هذه التفاسير، وإنما كثيراً ما ينقد ويفتّن ويرد على أقوال أصحابها فيما يراه صواباً، فنجده يفتّن ويرد آراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهب السلفي السنّي.

وممّا يلاحظ في تفسيره أنه يستطرد إلى الكلام في العلوم الكونية، والفلكلية، وينظر كلام أهل الهيئة، وأهل الحكمة، ويقرّ ما يرضيه، ويفتن ما لا يرضيه. كما أنه يستطرد ويتوسّع إلى الكلام في الصناعة التحْوِيَّة إلى حد يكاد يخرج به عن وصفه مفسراً، وهذا في مواضع كتابه كلها، فلا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك. كذلك نجده يستوفي مذاهب الفقهاء وأدلتهم عند الكلام عن آيات الأحكام، مع عدم تعصبه لمذهبٍ بعينه. أما بالنسبة للإسرائيليات والأخبار المكذوبة فلا يأبه بها، بل إنه شديد النقد والسخرية من أولئك المفسرين الذين امتلأت تفاسيرهم بها وظنوها صحيحة. ثم إنه كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية. كما أنه يذكر أسباب النزول للآيات التي أنزلت على سبب، مع ذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، ومناسبات السور بعضها مع بعض، ويعرض لذكر القراءات المتواترة وغيرها.

وتميّز تفسير الألوسي بالتفسير الإشاري والإكثار منه بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، حتى عدّ بعض العلماء تفسيره من المؤلفات في التفسير الإشاري. ولكن الظاهر من منهج الألوسي في تفسيره، أنه لم يكن مقصوده الأهم هو التفسير الإشاري، بل كان ذلك تابعاً لغيره من التفسير الظاهر<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، 5/1.

<sup>2</sup> انظر: التفسير والمفسرون لمُحَمَّد الذَّهَبِيِّ / 250-257، وبحوث في أصول التفسير ص 157-158، والتفسير ورجاله لمُحَمَّد الفاضل بن عاشور ص 135-141.

والحق أنّ تفسير الألوسي لو جُردَ عن قسم التفسير بالإشارة لكان أليق بمقامه العلمي السامي، ولكن من نظر إلى التيارات التي تلاقت في تكوينه، وتكوين البيئة العلمية التي أنجبته، التمس له عذراً، وأيقن بأنّ تعلق الأفكار بتلك المناهج من التفسير لم يكن يحتمل إلغاءها؛ لأنّها تستقل حينئذ بتوجيه الناس، ولذلك أوردها إلى التحقيقات العلمية الكفيلة بردّها، أو حجزها عند وضع يقصرها على حدّها<sup>(1)</sup>.

قال محمد الذهبي (ت 1398هـ) : " وجملة القول: فروح المعاني للعلامة الألوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القرىحة، وهو وإن كان يستطرد إلى نواحٍ علمية مختلفة، مع توسيع كاد يخرجه عن وصفه مفسراً إلا أنه متزن في كل ما يتكلم فيه، مما يشهد له بغزاره العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء، إنه سميع مجيب "<sup>(2)</sup>.

وقد أفاد الباحث من روح المعاني إفادة عظيمة، ومعرفة جليلة، بما احتواه من أقوال علماء التفسير الذين تقدّموا عليه، وكيفية الجمع بين أقاليمهم تارة، ونقدتهم تارة أخرى، وطريقته في الترجيح بين الأقوال، وقوة دفاعه عمّا يراه راجحاً في تأويل الآيات، ومعرفة مراد الله منها.

### وخلصة القول:

فإنّ هذا غيّضٌ من فيّضٍ فيما يُذكر من تفاسير القرآن الكريم، وإنّما أكتفي بما ذكرت مخافة الإطالة؛ ولكنّ مما ينبغي التنبيه إليه أنَّ كلَّ من أراد ارتقاء المصعد، ودخول المعبر، واعتلاء المنبر في تفسير آيات الله، ومعرفة كنهها، ومراد الله منها لا بدَّ له من الاطلاع على أمّات التفاسير بكتّيتها وحملتها؛ لأنَّ كلَّ تفسير من التفاسير المعتبرة يُعدُّ مدرسة في علم التفسير، وأصوله، وقواعدُه، لا سيّما وأنَّ كلَّ عالم من علماء التفسير يتميّز بلفته، أو لفتات تفسيرية قد لا توجد عند غيره . فالأخذ بكتّيتها نفتح الآفاق للوصول إلى الأعمق في مراد الله من كلامه، واستنباط أحكامه.

<sup>1</sup> التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ص 141.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، 1/257.

## ثانياً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقييّب لم يعثر الباحث على دراسات سابقة تتناول القواعد النحوية والبلاغية في تفسير "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار" لابن بدران. إلّا أنّ هناك الكثير من الدراسات التي عُنيت ببيان أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية، ومنها:

### 1. الطبطبائي (2001م)، *تعدد التوجيه النحوي عند الطبرى فى تفسيره "جامع البيان فى تأويل آيات القرآن"*.

رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر.

تناول الباحث موضوعاً خاصاً في تفسير الطبرى، وهو تعدد الأوجه الإعرابية التي ساقها الإمام المفسر محمد بن جرير الطبرى في تفسيره. وتظهر أهمية هذه الدراسة في العلاقة القوية بين المعنى النحوي (الإعراب)، والمعنى الدلالي في تفسير الطبرى، وهذه العلاقة هي التي تبيّن أهمية تعدد الأوجه الإعرابية عند الطبرى، فحاجته إلى معرفة وجوه المعنى الدلالي هي التي تدفعه إلى معرفة وجوه المعنى النحوي.

فالطبرى عندما يضع أوجهها إعرابية لآية ما، فإنه يحدّد تحديداً دقيقاً - في كل وجه إعرابي - المعنى الدلالي المراد للآية. وقد تحدّث الباحث عن أسباب تعدد التوجيه النحوي في التغيم، وكذلك ما جاء من اختلاف في التركيب في الكلمة المفردة أو في الجملة، حيث أدى إلى تغيير في التوجيه النحوي عند الطبرى، ثم أورد بعض اختلافات النهاة في بعض القضايا النحوية، مما أدى إلى تعدد في التوجيه النحوي في تفسير الطبرى. وبعد ذلك ذكر الباحث أنّ مظاہر تعدد التوجيه النحوي عند الطبرى إما مظاہر تتعلق بالعلامة الإعرابية، أو مظاہر لا تتعلق بالعلامة الإعرابية، ثم أعدّ فصلاً في الآثار المترتبة على تعدد التوجيه النحوي عند الطبرى، وذلك كمثل الآثار الفقهية، والآثار البلاغية، والآثار اللغوية، والآثار العقائدية.

ومن النتائج التي خلص إليها الباحث: أنّ أوجه الإعراب تكشف عن وجوه التأويل، وتمكن الدارس من معرفة المعاني المختلفة التي تحتملها الآية القرآنية، وذلك من دلائل الإعجاز الإلهي في الكتاب العزيز. وجاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

2. زين (2006م)، أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" (الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم نموذجاً).  
رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن.

وقد حاولت الدراسة تجليّي المنهج النحوي في تفسير أبي السعود وهو من التفاسير المشهورة والمتداولة بين أهل العلم، إذ اقتصرت الدراسة على الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم. وبعد تقرّي المادّة النحوية في التفسير تبيّن للباحث أنه يشتمل على مسائل، وتدقّقات، وتحقيقات نحوية، ثُبّر أثر علم النحو في توجيه المعنى، فعمل على تطبيق مقتضيات النحو في معالجة القضايا الشرعية، مبيّناً أهمية الدراسة من جهتين:

الأولى: أنها تمثل أنموذجاً تطبيقياً لفهم النصوص عن طريق القواعد النحوية المطردة.

الثانية: أنها تتناول تفسيراً يتأخذ من النحو الآلة الرئيسة في تحليل النص القرآني.

وجاءت هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

3. المنياوي (2009م)، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة والآل عمران والنساء).

رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.

عَمِدَت الباحثة إلى بيان أثر اختلاف الإعراب، وتعدد الموضع الإعرابية في تفسير القرآن الكريم، وتطبيق ذلك على سورة الفاتحة، والبقرة، والآل عمران، والنماء، من خلال الاستقراء والتحليل، حيث اعتمدت كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس؛ لتحديد الموضع التي تختلف فيها الموضع الإعرابية، وبيّنت أن اختلاف الإعراب كان له الأثر الواضح في توجيه المعنى عند المفسرين.

وقد خلصت الباحثة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1. يرتبط علم الإعراب بالتقسيم ارتباطاً وثيقاً؛ فعلم الإعراب من العلوم المهمة التي لا بدّ من يشتغل في علم التقسيم أن يتعلّمها، وأن يكون على دراية بها؛ لما لها من أثر بالغ في بيان مراد الله تعالى - وفهم الآية فهماً سليماً، وإزالة اللبس والإشكال عنها، دون هذا العلم سيفقى المفسر فاقداً لأداة مهمة من أدوات التقسيم.

2. تأكيد العلاقة بين الإعراب والمعنى الدلالي، وأن كلاً منها يؤثر في الآخر. فإن العرب ما كانت لتجزء من اللحن في الإعراب لو لم يكن مؤدياً إلى فسادٍ في المعنى، وما كانت لتحرص ذلك الحرص على الإعراب لو لم يكن يعمل في إبراز المعنى وإظهاره.

3. إن هناك العديد من آيات القرآن العظيم التي كان للإعراب الفصل في توجيهها، والوقف على أغراضها ومعانيها. فإن وظيفة هذا العلم لا تقتصر على ضبط الكلمات، ومعرفة المبني والمعرف، والمرفوع والمنصوب، وال مجرور والمجزوم؛ بل تتعدى إلى توجيه النصوص القرآنية والوقف على مقاصدتها<sup>(1)</sup>.

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وأربعة مباحث تمثل الجانب النظري، وأربعة مباحث تمثل الجانب التطبيقي للدراسة، فضلاً عن الخاتمة والفهارس.

4. العتابي (2013م)، ابن مالك النحو في تفاسير القرآن الكريم.  
رسالة ماجستير، جامعة واسط، العراق.

قام الباحث بدراسة مصدر مهم من المصادر النحوية التي اعتمدتها المفسرون في تفاسيرهم، ألا وهو آراء ابن مالك النحوية، حيث عمل الباحث على استقراء مجموعة من التفاسير فوجد أنَّ جُلَّ المفسرين الذين جاؤوا بعده ذكرروا آراءه النحوية، وناقشوها وبينوا أثرها في توجيه المعنى بما يتناسب مع توجيههم للنصوص القرآنية وهذا ما دفعهم إلى اعتماد آرائهِ وآراء النحويين من غيره في توجيه النص القرآني.

وتنتظم هذه الرسالة في ثلاثة فصول تقدمها مقدمة، وتعقبها الخاتمة.

وبعد هذا العرض لبعض الدراسات السابقة ذات الصلة، فإنَّ الباحث قد أفاد من هذه الدراسات من خلال كيفية تناولها للمسائل النحوية، والبلاغية، وعرضها، وتحليلها، وبيان أثرها في توجيه المعنى المراد لآيات القرآنية، فضلاً عن كيفية عرضها لأقوال العلماء، وترجيحاتهم خروجاً من دائرة الخلاف الواقع بينهم؛ للوقوف على الحق والصواب في التفسير، والتأنويل.

<sup>1</sup> أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، ص 253-254.

### ما يميّز هذه الدراسة:

تتميز هذه الدراسة بتناولها تفسيراً متداولاً بين أهل العلم، يعتمد على النحو والبلاغة في تحليل النص القرآني في كثير من تخريجاته، واقتراحاته، واحتياراته بعيداً عن التعصب لرأي عالم من علماء النحو والبلاغة. ولم يعثر الباحث على دراسات سابقة تتناول القواعد النحوية والبلاغية في هذا التفسير وهو "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار" لابن بدران. كما أنها تمتاز - أيضاً - بتناولها علميين مهمين من علوم العربية، وهما: النحو والبلاغة، وبيان أثرهما في توجيه المعنى المراد من كلام الله - عز وجل -.

### الفصل الثالث:

## أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران في سوري<sup>1</sup> الفاتحة والبقرة حتى الآية 189:

يتناول هذا الفصل الجانب التطبيقي والتحليلي للدراسة من خلال بيان أثر القواعد النحوية والبلاغية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران، إذ وقع اختيار الباحث على عشر مسائل في القواعد النحوية، وخمس في القواعد البلاغية.

## المبحث الأول: أثر القواعد النحوية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران في سوري<sup>1</sup> الفاتحة والبقرة حتى الآية 189:

### المسألة الأولى:

أثر الباء في توجيه المعنى في قوله - تعالى - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1].

كان اختيار ابن بدران - رحمه الله - مبنياً - في هذه المسألة - على ثلات قواعد، اعتمد من خلالها تفسير قوله - تعالى - ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾

القاعدة الأولى: متعلق الجار والمجرور بـ ﴿بِسِمِ﴾ مذوف:

قوله: " لا يخفى على أحد من له أدنى إلمام بعلم العربية، أن " الباء " من (بسم) حرف جرّ، متعلق بمذوف " <sup>(1)</sup> .

أي إن كل جار ومجرور لا بد له من شيء يتعلق به ظاهراً أو مذوباً، وهذه معروفة لدى العرب؛ إذ إنها مستقرة من كلامهم، فيكون بذلك قد قرر قاعدة مضطربة، معلومة من العربية

<sup>1</sup> جواهر الأفكار، ص 31.

بالضرورة، ولا خلاف معتبراً فيها. وهذا مفهوم قوله: "لا يخفي على أحد من له أدنى إلمام بعلم العربية" <sup>(1)</sup>.

قال السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ (ت 756هـ) صاحب الدُّرُّ المصنون: "واعلم أنَّ كُلَّ جَارٍ وَمَجْرُورٍ لَا بَدْ لَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَعُلِّمَ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ، إِلَّا فِي ثَلَاثَ صُورٍ: حُرْفُ الْجَرِ الزَّائِدُ، وَلَعْلَّ وَلَوْلَا عَنْ مَنْ يَجْرِي بِهِمَا، وَزَادَ الْأَسْتَاذُ ابْنُ عَصْفُورَ كَافَ التَّشْبِيهُ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْهَا تَتَعَلَّقُ. إِذَا تَقْرَرَ ذَلِكَ فَبِسْمِ اللَّهِ ﷺ لَا بَدْ مِنْ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَكِنَّهُ مَحْذُوفٌ" <sup>(3)</sup>.

وقال ابن عاشور (ت 1393هـ) في متعلق المجرور في بِسْمِ اللَّهِ ﷺ: "فَحَذْفُ مَتَعْلِقِ الْمَجْرُورِ فِيهَا حَذْفًا مُلْتَرَمًا إِيجَازًا اعْتِمَادًا عَلَى الْقَرِينَةِ" <sup>(4)</sup>.

وهذا ما يذهب إليه الباحث في أنَّ كُلَّ جَارٍ وَمَجْرُورٍ لَا بَدْ لَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ ظَاهِرًا أو مَحْذُوفًا، مؤيًّداً بذلك قول ابن بدران ومن ذهب إلى هذا القول.

#### القاعدة الثانية: متعلق الجار والمجرور بِسْمِ اللَّهِ ﷺ فعل متاخر:

قوله: "قَدَرَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ هَذَا الْمَحْذُوفُ مَتَأْخِرًا، وَهُوَ مَا يَعْوُلُ عَلَيْهِ، وَيَنْسَبُ مَا لِأَجْلِهِ كَانَ نَزُولُ الْقُرْآنِ" <sup>(5)</sup>. إذ يرجح المؤلف في هذه القاعدة أن المتعلق المحذوف فعل متاخر، تأويله (بسم الله أقرأ)، أو (بسم الله أبدأ).

وقد اختلف العلماء في متعلق بِسْمِ اللَّهِ ﷺ المحذوف من حيث الموضع والنوع. إذ إنَّ هذا المتعلق المحذوف يُقسم إلى أربعة أقسام، بينها الفخر الرازي (ت 606هـ) في تفسيره مفاتيح

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup> هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه (تفسير القرآن) عشرون جزءاً، و (القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز)، و (الدر المصنون) في إعراب القرآن، و (عمدة الحفاظ، في تفسير أشرف الألفاظ) في غريب القرآن، كتب سنة 995هـ وكان في عشرين مجلدة رأها ابن حجر بخطه، و (شرح الشاطبية) في القراءات قال ابن الجزري: لم يسبق إلى مثله. انظر: الأعلام للزركي 1/274.

<sup>3</sup> السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756هـ)، الدُّرُّ المصنون في علوم الكتاب المكتون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق - ج 1، ص 22.

<sup>4</sup> التحرير والتوكير لابن عاشور 1 / 146.

<sup>5</sup> جواهر الأفكار، ص 31.

الغيب بقوله: "قد بيّنا أنَّ الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ متعلقة بمضمير، فنقول: "هذا المضمر يُحتمل أن يكون اسمًا، وأن يكون فعلًا، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون متقدماً، وأن يكون متأخراً، وهذه أقسام أربعة، أما إذا كان متقدماً وكان فعلًا فقولك: أبدأ باسم الله، وأما إذا كان متقدماً وكان اسمًا فقولك: ابتداء الكلام باسم الله، وأما إذا كان متاخراً وكان فعلًا فقولك: باسم الله أبدأ، وأما إذا كان متاخراً وكان اسمًا فقولك: باسم الله ابتدائي " <sup>(1)</sup>.

وذهب البصريون إلى أنَّ المتعلق المذوف (اسم)، واختلفوا في نوعه هل هو مبتدأ أو خبر؟

فقال بعضهم: إنَّ المتعلق بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ مبتدأ حُذف هو وخبره، وبقي معهله، تقديره: ابتدائي باسم الله كائن، أو قراعتي باسم الله كائنة. وقال بعضهم: إنَّ المتعلق بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ خبر حُذف هو ومبتدؤه، وبقي معهله، تقديره: ابتدائي كائن باسم الله، أو قراعتي كائنة باسم الله.

قال النحاس (ت 338هـ): " قال أكثر البصريين: المعنى أول ما افتح به ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وأول كلامي ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ " <sup>(2)</sup>.

وذهب الكوفيون إلى أنَّ المتعلق المذوف (فعل)، واختلفوا في موضعه، هل هو مقدم أو مؤخر؟

فقال بعضهم: إنَّ المتعلق المذوف وهو الفعل مقدم؛ لأنَّ هذا هو الأصل، تقديره: أفرَّا باسم الله، أو ابتدئ باسم الله.

قال الزجاج (ت 311هـ) – وهو بغدادي المذهب -: " قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، الجالب للباء معنى الابتداء، كأنك قلت: بدأت باسم الله الرحمن الرحيم، إلا أنه لم يُحتاج لذكر "بدأت"؛ لأنَّ الحالة تُثبِّتُ أنَّك مُبتدئ " <sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> مفاتيح الغيب، 99/1.

<sup>2</sup> النَّحَاسُ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط 1409هـ، ج 1، ص 50.

<sup>3</sup> الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط 1408هـ، ج 1، ص 39.

وأيدهم في ذلك الجرجاني (ت 471هـ): "﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾": الباء مع الاسم آلة فعل محفوظ، وتقديره أفتتح وأبتدئ باسم الله <sup>(1)</sup>.

وقال السمين الحلي (ت 756هـ): "واختلف النحويون في ذلك، فذهب أهل البصرة إلى أن المتعلق به اسم، وذهب أهل الكوفة إلى أنه فعل، ثم اختلف كل من الفريقين: فذهب بعض البصريين إلى أن ذلك المحفوظ مبتدأ حذف هو وخبره وبقي معموله، تقديره: ابتدائي باسم الله كائن أو مستقر، أو قراعتي باسم الله كائنة أو مستقرة... وذهب بعضهم إلى أنه خبر حذف هو ومبتدؤه أيضاً، وبقي معموله قائماً مقاماً، والتقدير: ابتدائي كائن باسم الله، أو قراعتي كائنة باسم الله، نحو: زيد بمكة، فهو على الأول منصوب المحل، وعلى الثاني مرفعه لقيامه مقام الخبر. وذهب بعض الكوفيين إلى أن ذلك الفعل المحفوظ مقدّر قبله، قال: لأن الأصل التقديم، والتقدير: أقرأ باسم الله أو أبتدئ باسم الله. ومنهم من قدر بعده، والتقدير: باسم الله أقرأ، أو أبتدئ، أو أنتلو <sup>(2)</sup>".

وقال ابن عطية (ت 542هـ): "والباء في باسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداء مستقر أو ثابت باسم الله، عند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت باسم الله، فبسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين، كذا أطلق القول قوم، والظاهر من مذهب سيبويه أن الباء متعلقة باسم كما تقدم" <sup>(3)</sup>.

واختلفوا - أيضاً - هل ذلك الفعل أمر أم خبر؟ فذهب الفراء أنه أمر تقديره: أقرأ أنت باسم الله، وذهب الزجاج أنه خبر تقديره: أقرأ أنا أو أبتدئ ونحوه <sup>(4)</sup>.

وقد أدى هذا الاختلاف بين النحويين إلى الاختلاف بين المفسرين في توجيه المعنى المراد من قوله - تعالى -: "﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾".

قال الطبرى (ت 310هـ): "وذلك أن الباء من "بسم الله" مقتضية فعلاً يكون لها جالباً، ولا فعل معها ظاهر فأغنت سامع القائل: "بسم الله" معرفته بمراد قائله... فمعقول إذن أن قول القائل

<sup>1</sup> درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني 1 / 99.

<sup>2</sup> الدر المصنون 1/22.

<sup>3</sup> المحرر الوجيز لابن عطية 1/61.

<sup>4</sup> الدر المصنون 1/23.

إذا قال: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم افتتح تالياً سورة، أن إتباعه "بسم الله الرحمن الرحيم" تلاوة السورة، يتبئ عن معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ومفهوم به أنه مرید بذلك: أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(1)</sup>.

وقال الواهي (ت 468هـ): "فاما المتعلق به (الباء) في قوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فإنه مذوق، ويُستغنى عن إظهارها لدلالة الحال عليه، وهو معنى الابتداء، كأنه قيل (بدأت بسم الله)، (وأبدأ بسم الله)، الحال تبيّن أثك مبتدئ فاستغنىت عن ذكره"<sup>(2)</sup>.

وقال الثعلبي (ت 427هـ) في تفسير قوله - تعالى -: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وفي الكلام إضمار واختصار تقديره: قل، أو أبدأ بسم الله<sup>(3)</sup>.

وقال البغوي (ت 516هـ): "قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، الباء زائدة تخفّض ما بعدها، مثل من، وعن، والمتعلق به (الباء) مذوق لدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله أو قل بسم الله"<sup>(4)</sup>.

فكانـت هذه أقوال بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى القول بأنـ المتعلق المذوق هو فعل متقدم. ومن المفسرين الذين قالوا: إنـ المتعلق المذوق هو فعل متـأخر:

صاحب الكشاف بقوله: "فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ قلت: بمذوق تقديره: بـسم الله أقرأ أو أتلـ؛ لأنـ الذي يتـلو التـسمـية مـقـرـءـ، كما أنـ المسـافـرـ إذا حلـ أو اـرـتـحلـ فـقالـ: بـسم الله وـالـبرـكـاتـ، كانـ المعـنىـ: بـسم الله أـحلـ وبـسم الله أـرـتـحلـ؛ وكـذـلـكـ الذـابـحـ وـكـلـ فـاعـلـ يـبـدـأـ في فـعلـهـ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ـ كانـ مـضـمـراـ ما جـعـلـ التـسمـيةـ مـبـداـ لهـ"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> جامـعـ الـبـيـانـ /115.

<sup>2</sup> الوـاهـيـ، أبوـ الحـسنـ عـلـيـ بنـ أـحـمـدـ بنـ مـحـمـدـ (تـ 468هـ)، التـفسـيرـ الـبـسيـطـ، عمـادـ الـبـحـثـ الـعـلـميـ - جـامـعـةـ الإـلـمـامـ مـحـمـدـ بنـ سـعـودـ الـإـسـلامـيـةـ، طـ 1430هـ، جـ 1، صـ 438.

<sup>3</sup> الثـعلـبـيـ، أبوـ اـسـحـاقـ اـحـمـدـ بنـ مـحـمـدـ (تـ 427هـ)، الـكـشـافـ وـالـبـيـانـ عـنـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، تـحـقـيقـ الـإـلـمـامـ أـبـيـ مـحـمـدـ بنـ عـاشـورـ، دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ، بـيـرـوـتـ - لـبـانـ، طـ 1422هـ، جـ 1، صـ 92.

<sup>4</sup> الـبـغـوـيـ، مـحـبـيـ السـنـةـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـحـسـينـ بنـ مـسـعـودـ بنـ مـحـمـدـ (تـ 516هـ)، مـعـالـمـ التـزـيلـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، تـحـقـيقـ عـبـدـ الـرـازـقـ الـمـهـديـ، دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ - بـيـرـوـتـ، طـ 1420هـ، جـ 1، صـ 70.

<sup>5</sup> الـكـشـافـ، 2/1.

وصاحب أنوار التنزيل بقوله: " والباء متعلقة بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ؛ لأنَّ الذي يتلوه مقروء" <sup>(1)</sup>.

وقال الرازي (ت606هـ): "... التقديم أولى أم التأخير؟ فنقول: كلاهما وارد في القرآن، أما التقديم فك قوله: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ مَجْرِهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّ الْغَفُورِ تَحِيمٌ﴾ [هود: 41]، وأما التأخير فك قوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وأقول: التقديم عندي أولى" <sup>(2)</sup>.

وبينبغي التنبيه هنا أنَّ التقديم في قول الرازي في هذا الموطن يعني به تقديم لفظ الجلالة، دلَّ على ذلك قوله " أما التقديم فك قوله: ﴿إِسْمَ اللَّهِ مَجْرِهَا وَمُرْسَهَا﴾ [هود: 41]، أي مثل من يقول: بسم الله أقرأ أو أبدأ.

والذي يراه الباحث راجحاً بعد الاطلاع على أقوال العلماء، وسبر ترجيحاتهم، أنَّ المتعلق المحذوف من ﴿إِسْمَ اللَّهِ﴾ هو فعل متاخر. مؤيداً بذلك صاحب التفسير ابن بدران ومن قال بهذا القول، وذلك لاعتبارات الآتية:

1. إنَّ القول بأنَّ المتعلق المحذوف مبتدأ حذف هو وخبره وبقي معموله، تقديره: ابتدائي باسم الله كائن.

فيه نظر من حيث يلزم حذف المصدر وإبقاء معموله وهو من نوع <sup>(3)</sup>.

قال مَكَّي (ت437هـ) صاحب مُشْكِل إعراب القرآن: " وموضع بسم موضع رفع عند البصريين على إضمار مبتدأ تقديره ابتدائي باسم الله، فالباء على هذا متعلقة بالخبر الذي قامت الباء مقامه تقديره: ابتدائي ثابت، أو مستقر باسم الله أو نحوه، ولا يحسن تعلق الباء بالمصدر الذي هو مضمر؛ لأنه يكون داخلاً في صلتة فيبقى الابتداء بغير خبر" <sup>(4)</sup>.

2. إنَّ الأصل في العمل الأفعال، ولما كانت القراءة عملاً لزم أن يكون المتعلق المحذوف فعلاً.

<sup>1</sup> البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1418هـ، ج1، ص25.

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، 1/99.

<sup>3</sup> الدر المصنون، 1/22.

<sup>4</sup> مشكل إعراب القرآن لمَكَّي 1/66.

قال ابن عثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره: "وقد رناه فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال – وهذه يعرفها أهل النحو –، ولهذا لا تعمل الأسماء إلا بشرطه"<sup>(1)</sup>.  
وسبقه ابن عادل (ت 775هـ) في اللباب بقوله: "قال أبو بكر الرازي – رحمه الله تعالى –: إضمار الفعل أولى من إضمار الاسم؛ لأن نسق تلاوة القرآن يدل على أن المضمر هو الفعل "<sup>(2)</sup>.  
3. لما كان الفعل الذي يُشرع القيام به إنما يكون بعد قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لزِم من ذلك أن يكون المتعلق المحذف متأخراً.

قال المعلمي اليماني (ت 1386هـ): " والأصل في الكلمة التي يتعلّق بها الجار وال مجرور تقدّمها عليه، ولكن المختار في تسمية الإنسان عن نفسه تأخير المتعلق؛ لأنّ الحالة التي تدلّ عليه من شأنها التأخير. فإن أراد أن يقوم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ وقام، فالقيام إنما يُشاهد بعد التسمية، فكذلك ينبغي تقدير الفعل الذي دلّ عليه القيام وهو "أقوم" "<sup>(3)</sup>.  
4. إن في تأخير الفعل فوائد منها:

أ- التبرك والتعظيم بتقدیم اسم الله - عَزَّ وجلَّ -؛ لأنَّه سبحانه قدیم في الوجود، فهو الأول ليس قبله شيء، فینبغی أنْ یُقْرَمَ اسمه - سبحانه - على كل شيء یُفعَلُ، متبركاً به، مُعظماً له. لا سيما وأنَّ المشركين كانوا یُقدمون أسماء آلهتهم في جميع أفعالهم، فيقولون: باسم اللات، وباسم العزى من أجل التبرك والتعظيم، فشرع الله - عَزَّ وجلَّ - لنبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في كل أمر یقصده ويفعله، محراً بذلك الابتداء باسم سوى اسم الله - تعالى -؛ لذلك فإنَّ التبرك والتعظيم لله - سبحانه - من باب أولى على ما سواه، ولهذا قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "من لم یذبح فليذبح بسم الله"<sup>(4)</sup>.

ب- الحصر والاختصاص؛ لأنَّ تأخير العامل يفيد الحصر على المعمول (المتقدّم)؛ إذ لا يستطيع أحد أن یعمل فعلاً، أو یتحول عن فعل إلا بعونه - سبحانه - فلا أفعل فعلاً باسم أحد إلا اسم الله - عَزَّ وجلَّ -.

<sup>1</sup> العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت 1421هـ)، تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط 1423هـ، م 1، ص 5.

<sup>2</sup> ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعmani (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معرض، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط 1419 هـ، ج 1، ص 118.

<sup>3</sup> مجموع رسائل التفسير للمعلمي اليماني، ص 8.

<sup>4</sup> صحيح البخاري 23 ، باب كلام الإمام والناس في خطبة، حديث رقم 985.

وكذلك تأخير العامل يفيد الاختصاص للمعمول؛ لأنَّه لا يُقصد أحد بالابتداء إلَّا الله - سبحانه - فِيْخَصُّ بِالْتَّبَرُكِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْعُوْنَ. فَكَانَ تَقْدِيمُ لِفَظِ الْجَلَّةِ، وَتَأْخِيرُ الْفَعْلِ إِرَادَةً لِلَاختِصَاصِ مَعَ مَا يَحْصُلُ فِي ضَمْنِ ذَلِكَ مِنِ الْعِنَيَّةِ بِشَأنِ الْاسْمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[الفاتحة: 5] ، قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُواْ فِيهَا يَسِيرًا مَجْرِيَّهَا وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبَّ الْغَفُورِ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41]. ولا يعارضه قوله - تعالى -: ﴿أَقْرَأْ يَاسِيرَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]؛ لأنَّ ذلك المقام مقام قراءة فكان الأمر بها أَهْمَّ؛ لذلك قدمت.

وذهب إلى هذا القول كثير من علماء النحو والتفسير، قال الزمخشري: "إِنْ قَلْتَ: لَمْ قَدَرْتِ الْمَحْذُوفَ مَتَّخِرًا؟ قَلْتَ: لَأَنَّ الْأَهْمَّ مِنِ الْفَعْلِ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهِ هُوَ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْدُؤُونَ بِأَسْمَاءِ الْهَمَّةِ فَيَقُولُونَ: بِاسْمِ الْلَّاتِ، بِاسْمِ الْعَزِيزِ، فَوْجِبَ أَنْ يُقْدِدَ الْمُوَحَّدُ مَعْنَى اِختِصَاصِ اسْمِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْابْتِدَاءِ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيمِهِ وَتَأْخِيرِ الْفَعْلِ كَمَا فَعَلَ فِي قَوْلِهِ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ" ، حيث صرَّح بتقديم الاسم إِرادة لِلَاختِصَاصِ، والدليل عليه قوله: ﴿يَسِيرَ اللَّهُ مَجْرِيَّهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ [هود: 41]<sup>(1)</sup>

قال ابن المنير (ت 683هـ) في تعليقه على كلام الزمخشري السابق: "لأنَّكَ لَوْ ابْتَدَأْتَ بِالْفَعْلِ فِي التَّقْدِيرِ لِمَا كَانَ الْاسْمُ مُبْتَدِأً بِهِ، فَيَفْوَتُ الْغَرْضُ مِنِ التَّبَرُكِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى - أَوْلَ نَطْقُكَ".<sup>(2)</sup>

وأَيَّدَ الزمخشري (ت 538هـ) الكافيجي (ت 879هـ) بِقَوْلِهِ: "مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ هَا هُنَا هُوَ الْمُخْتَارُ فَإِنَّ فِيهِ قَلْلَةُ الْحَذْفِ، وَرِعَايَةُ حَقِّ الْخُصُوصِيَّةِ الْمَقَامِ، وَدَلَالَةُ عَلَى اِختِصَاصِ الْقِرَاءَةِ بِسِمِ اللَّهِ، وَتَعْلِيمًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ هُوَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ، وَتَعْرِيضًا لِلْكُفَّارِ بِأَنَّ سَبِيلَهُمْ هُوَ الْخَطَا وَالْطُّغْيَانُ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْاعْتِبارَاتِ تَنْسَابُ نُظُمِ الْقُرْآنِ، وَتَشَهِّدُ بِفَصَاحَتِهِ وَغَایَةِ إعْجَازِهِ".<sup>(3)</sup>

وقال البيضاوي (ت 685هـ): "وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ هَا هُنَا أَوْقَعَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَسِيرَ اللَّهُ مَجْرِيَّهَا وَمُرْسَلَهَا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ لَأَنَّهُ أَهْمَّ وَأَدَلَّ عَلَى الاِختِصَاصِ، وَأَدْخَلَ فِي التَّعْظِيمِ

<sup>1</sup> الكثاف، 1/3.

<sup>2</sup> ابن المنير، ناصر الدين أحمد بن محمد الإسكندراني (ت 683هـ)، الانتصار فيما تضمنه الكشاف، وهو مذيل في الحاشية من كتاب الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3، 1407هـ، ج 1، ص 3.

<sup>3</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، نواهد الأئكارات وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1424هـ، ج 1، ص 84.

وأُوفَقُ للوجود فإِنَّ اسْمَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَقْدُومٌ عَلَى القراءة، كَيْفَ لَا وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا مِنْ حِثٍ إِنَّ الْفَعْلَ لَا يَتَمَّ وَلَا يُعْتَدُ بِهِ شَرِيعًا مَا لَمْ يَصُدَّرْ بِاسْمِهِ - تَعَالَى -، لِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - " كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبَدِّأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ " <sup>(1)</sup>، وَقِيلَ الْبَاءُ لِلْمَصَاحِبَةِ، وَالْمَعْنَى مُتَبَرِّكًا بِاسْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَقْرَأً <sup>(2)</sup>.

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ (ت 606هـ): " وَأَقُولُ: التَّقْدِيمُ عِنْدِي أَوْلَى - يَعْنِي تَقْدِيمُ لِفَظِ الْجَلَالَةِ وَتَأْخِيرُ الْفَعْلِ - <sup>(3)</sup> وَيَدِلُّ عَلَيْهِ وَجْهُهُ: الْأَوْلَى: أَنَّهُ - تَعَالَى - قَدِيمٌ وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، فَيَكُونُ وَجْهُهُ سَابِقًا عَلَى وَجْهِ غَيْرِهِ، وَالسَّابِقُ بِالذَّاتِ يَسْتَحِقُ السُّبُقَ فِي الذِّكْرِ، الْثَّانِيُّ: قَالَ - تَعَالَى -: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الْحَدِيد: 3]، وَقَالَ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ﴾ [الرُّوم: 4] ، الْثَّالِثُ: أَنَّ التَّقْدِيمَ فِي الذِّكْرِ أَدْخَلَ فِي التَّعْظِيمِ، الْرَّابِعُ: أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فَهَا هُنَا الْفَعْلُ مُتَأْخِرٌ عَنِ الْاِسْمِ، فَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلَهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كَذَلِكَ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ بِاسْمِ اللَّهِ أَبْتَدِئُ " <sup>(4)</sup>.

وَهَذَا مَا أَكَدَهُ الْمَعْلُومِيُّ الْيَمَانِيُّ (ت 1386هـ) بِقَوْلِهِ: " إِنَّ التَّأْخِيرَ يَبْيَّنُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ اِخْتِصَاصًا، وَمَعْنَى الِاخْتِصَاصِ أَنَّ يَكُونَ الْكَلَامُ يَدِلُّ مَعَ ثَبُوتِ الْأَمْرِ لِلشَّيْءِ عَلَى اِنْتِفَائِهِ عَنِ غَيْرِهِ " <sup>(5)</sup>.

وَرَجَحَ ابْنُ هَشَامَ (ت 761هـ) مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ فِي مَسَأَلَةِ جَمْلَةِ " الْبَسْمَلَةِ " حِثَّةُ عَدَّهَا الْبَصْرِيُّونَ اسْمَيَّةً، عَلَى تَقْدِيرِ " اِبْنَتَائِيِّ بِاسْمِ اللَّهِ "، وَعَدَّهَا الْكُوفِيُّونَ: فَعْلَيْهِ، عَلَى تَقْدِيرِ: " أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ "، فَوَافَقَ الْكُوفِيُّينَ، وَقَدَرَ " بِاسْمِ اللَّهِ أَقْرَأً " <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> ابن حنبل، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ)، مسنون الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمود شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط 1416هـ، ج 8، ص 395، حديث رقم 8694. قال المحقق: إسناده صحيح وهو بلفظ: "كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله - عز وجل - فهو أبتر أو قال أقطع"، وضifice الألباني في الإرواء، الألباني، محمد ناصر الدين (ت 1420هـ)، إرواء الغليل في تحرير أحاديث منار السبيل، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 2، ج 1، ص 29، حديث رقم 1، باب كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه، وقال: ضعيف جداً.

<sup>2</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/25.

<sup>3</sup> انظر: ص 90.

<sup>4</sup> مفاتيح الغيب، 1/99.

<sup>5</sup> مجموع رسائل التفسير للمعلمي اليماني ص 8.

<sup>6</sup> ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ج 1، ص 7.

### القاعدة الثالثة: معنى الباء:

قال ابن بدران: "وجب على العامل أن يقول عند الابتداء به: باسم الله، فكأنه يقول: إنما عملي هذا هو بأمر الله، وهو خالص له، وليس لي منه شيء، طارحاً الرياء والافتخار به؛ لأنني عبد مملوك له - تعالى - فلا أعمل شيئاً لنفسي، وهل أنا ونفسي إلا ملك له - تعالى - وليس القدرة التي أنشأت بها هذا العمل إلا منه - تعالى - ولو لا أنه تفضل عليّ بها، لما كنت قادراً على فعل شيء، ولا على صدوره، ولست أستمد القوة إلا منه، ولا أرجو الإحسان إلا منه، فلفظ "الاسم" مراد هنا"<sup>(1)</sup>.

إذ يبيّن - رحمة الله - أن معنى الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ هو الاستعانة، ويظهر ذلك جلياً بقوله: "وليس القدرة التي أنشأت بها هذا العمل إلا منه - تعالى - ولو لا أنه تفضل عليّ بها، لما كنت قادراً على فعل شيء، ولا على صدوره، ولست أستمد القوة إلا منه "<sup>(2)</sup>.

معنى أن العبد غير قادر على فعل شيء إلا بالاستعانة به - سبحانه -، ولو لا عون الله لعباده لما استطاعوا القيام بشيء من أعمال العبادات والطاعات، ولا الأعمال الدنيوية المعيشية.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى معاني الحروف وأثرها في بيان المعنى المراد من الآيات الكريمة.

### حروف المعاني وأثرها في توجيه المعنى:

لقد كان لحروف المعاني الأثر الكبير في بيان المعنى المراد، وتوجيه الآية القرآنية؛ مما جعلها موضع اهتمام المفسرين التي يحتاجون إليها لاختلاف مدلولها كما بين ذلك الزركشي (ت 794هـ)<sup>(3)</sup> بقوله: "والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها "<sup>(4)</sup>.

ولهذه الحروف معانٍ متعددة تختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه؛ لبيان المعنى المراد بحسب ما يقتضيه الحال، الأمر الذي دفع كثيراً من العلماء إلى إفرادها بالتأليف، وخصّتها بالتصنيف،

<sup>1</sup> جواهر الأفكار، ص 32-33.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 33.

<sup>3</sup> هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصرى المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة - ط) و (قطة العجلان - ط) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) في أصول الفقه، و (العلم الساجد بأحكام المساجد - ط). انظر: الأعلام للزركشي 60/6-61.

<sup>4</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي 4 / 175.

ومن أشهرهم الزجاجي (ت 337هـ) في كتابه "حروف المعاني والصفات"، والرماني (ت 384هـ) في كتابه "معاني الحروف"، وغيرهم.

فحرروف المعاني: هي الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال، والأسماء بالأسماء. <sup>(1)</sup>

"وهي لا تستقل بالمعنى، وإنما تحمل دلالات جزئية ومعاني تبعية، تظهر أثناء تركيبها، وانتظامها في الجملة: حروف الجر، والعطف، وغيرها؛ لذلك اهتم بتحديد المفسرون، فكانت موضع عناية عند كثير من العلماء؛ لإبراز المعنى المراد، وإيضاحه، وإزالة غواصمه، واستنباط الأحكام المترتبة عليه، إذ "إن كثيراً من مسائل الفقه يتوقف فهمها على فهم معنى الحرف ومدلوله". <sup>(2)</sup>

### معاني حرف الجر الباء:

اختلف العلماء في تحديد معاني حرف الجر الباء وعددها. فعدّها ابن هشام (ت 761هـ) اثنتي عشر معنى <sup>(3)</sup>، فيما عدّها غيره أكثر من ذلك <sup>(4)</sup>، ومنهم من عدّها أقل، بينما عدّها سيبويه (ت 180هـ) واحداً وما عداه يرجع إليه، "قال سيبويه: الإلصاق لا يفارق الباء، وإليه تُرجع تصاريف معانيها". <sup>(5)</sup>.

والظاهر أن حرف الجر الباء له عدة معانٍ تختلف باختلاف موقعه في التركيب الجملي، فقد يكون بمعنى الإلصاق كما في قوله - تعالى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 67]، أو الاستعانة كما في قوله - تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 1]، أو الاستعلاء كما في قوله - تعالى: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ يَقْنَطِرِ﴾ [آل عمران: 75]، وهكذا دواليك.

قال ابن جني (ت 392هـ): "واعلم أنهم قد سموا هذا الباء في قوله: مررت بزيد، وظفرت بيكر، وغير ذلك، مما تتصل فيه الأسماء بالأفعال، مرّة: حرف الإلصاق، ومرّة: حرف استعانة، ومرّة:

<sup>1</sup> ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت 458هـ)، المُخَصَّص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 4 1417هـ، ص 225.

<sup>2</sup> النملة، عبد الكري姆 بن علي بن محمد، المهدّب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد - الرياض، ط 1 1420هـ، ج 3، ص 1279.

<sup>3</sup> انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، 3/31-33.

<sup>4</sup> انظر: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت 1206هـ)، حاشية الصبان على شرح الأسمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1 1417هـ، ج 2، ص 428.

<sup>5</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، 1/147.

حرف إضافة، وكل هذا صحيح من قولهم. أما الإلصاق: فهو قوله: تمسكت بزيد، وذلك أنك أسلقت محل قدرتك به، وبما اتصل به، فقد صح إذن معنى الإلصاق. وأما الاستعانة: فهو قوله: ضربت بالسيف، وكتبت بالقلم، وبريت بالمدية، أي: استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال. وأما الإضافة: فهو قوله: مررت بزيد، أضفت مرورك إلى زيد بالباء<sup>(1)</sup>.

وقال الفخر الرازي (ت606هـ): "باء قد تكون أصلية كقوله - تعالى - ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءٍ مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 9]، وقد تكون زائدة وهي على أربعة أوجه: أحدها: للإلصاق وهي قوله: ﴿ أَعُوذُ بِاللهِ ﴾، وقوله: ﴿ يَسِّرْ لِلَّهُ ﴾، وثانيها: للتبعيض عند الشافعي - رضي الله عنه -، وثالثها: لتأكيد النفي كقوله - تعالى - ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: 46]، ورابعها للتعدية، قوله - تعالى - ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ ﴾ [البقرة: 17]، أي أذهب نورهم<sup>(2)</sup>.

وقال أبو حيّان الأندلسي (ت745هـ): "باء الجر تأتي لمعان: للإلصاق، والاستعانة، والقسم، والسبب، والحال، والظرفية، والنقل. فالإلصاق حقيقة: مسحت برأسى، ومجازاً: مررت بزيد. والاستعانة: ذبحت بالسكين. والسبب: ﴿ فِيظَلَّمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ [النساء: 160]. والقسم: بالله لقد قام. والحال: جاء زيد بثيابه. والظرفية: زيد بالبصرة. والنقل: قمت بزيد. وتأتي زائدة للتوكييد: شرين بما في البحر. والبدل: فيما ليت بهم قوماً، أي بذاته. والمقابلة: اشتريت الفرس بألف. والجاوزة: تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام. والاستعلاء: ﴿ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يُقْنَطِرِ ﴾ [آل عمران: 75]. وكذا بعضهم عن الحال بالالمصاحبة، وزاد فيها كونها للتعليل، وكذا عن الاستعانة بالسبب. وعن الحال بمعنى مع موافقة معنى اللام<sup>(3)</sup>.

وقد أدى هذا الاختلاف إلى اختلاف العلماء في تحديد معنى حرف الجر الباء في ﴿ يَسِّرْ لِلَّهُ ﴾. إذ إن بعضهم اختار المعنى الذي يناسب مذهبه الاعتقادي، بصرف النظر عن المعنى الحقيقي لها.

<sup>1</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، سير صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1421هـ، ج1، ص134.

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، 1/96.

<sup>3</sup> البحر المحيط، 1/27.

فالباء إما للاستعانة، أو المصاحبة، أو الإلصاق، أو الاستعلاء، أو زائدة، أو قسمية، والأربعة الأخيرة ليست بشيء، وإن استؤنس لبعض بعض الآيات، واحتُفِّ في الأرجح من الأولين<sup>(1)</sup>.

وقال المعلمي اليماني: "وباء الجر تأتي لعدة معانٍ، اقتصر الأكثر هنا على معنيين، وذكروا أنَّ غيرها لا يأتي إلا بتعسُّف: أحدهما: الاستعانة، والثاني: المصاحبة"<sup>(2)</sup>.

وبعد سير أقوال العلماء، والنظر في سياقاتهم، تبيَّن أنَّ غالب خلافهم باللفظ لا بالمعنى، وقد قال سيبويه - رحمه الله تعالى -: أصل معانِي الباء الإلصاق، وجميع معانِيها ترجع له، وهو إنْ لم يكُنْ عن المصاحبة فليس ببعيد منها "<sup>(3)</sup>.

فيصِّرَّح أحدهم بلفظ ثم في معرض حديثه، وسياقه يتبيَّن أنَّه أراد معنى لفظ آخر، كما عند البيضاوي في تفسيره: "وقيل الباء للمصاحبة، والمعنى متبركاً باسم الله - تعالى - أَفْرَا، وهذا وما بعده إلى آخر السورة مَقُول على أَلْسِنَةِ العباد؛ ليعلموا كيف يُتَبرَّك باسمه، ويُحَمَّدُ على نعمه ويسأَل من فضله"<sup>(4)</sup>.

فنراه هنا أطلق لفظ المصاحبة على معنى الباء، ثم نجدَه يُصرِّحُ المعنى المراد من ﴿بِسِّمِ اللَّهِ﴾ في موطن آخر بقوله: وإنما قال: ﴿بِسِّمِ اللَّهِ﴾، ولم يقل بالله؛ لأنَّ التبرك والاستعانة بذكر اسمه<sup>(5)</sup>. فأراد بذلك الاستعانة، ولعلَّ هذا ما دفعه - رحمه الله - لأنَّ يقول بالمصاحبة على صيغة التمريض وهي (قيل). كما بيَّن ذلك الألوسي (ت 1270هـ) في كتابه روح المعاني<sup>(6)</sup>.

ومنهم من صرَّح باللفظ وأراد المعنى:

كما قال أبو حيان (ت 745هـ): "الباء في بسم الله للاستعانة، نحو كتبت بالقلم"<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: روح المعاني، 1/49.

<sup>2</sup> مجموع رسائل التفسير للمعلمي اليماني ص 10.

<sup>3</sup> حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 1 / 36.

<sup>4</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/25.

<sup>5</sup> المرجع السابق، 1/26.

<sup>6</sup> انظر: روح المعاني، 1/49.

<sup>7</sup> البحر المحيط، 1/29.

وكذلك السَّمِينُ الْحَلَّيِّ (ت 756هـ)<sup>(1)</sup> بقوله: "وبسم: جار و مجرور، والباء هنا للاستعانة، عملت بالقدوم؛ لأن المعنى: أقرأ مستعيناً بالله<sup>(2)</sup>. وأيضاً أبو السعود (ت 982هـ) بقوله: "معناها الاستعانة أو الملابسة تبركاً أي: بسم الله أقرأ، أو أتلوا، وتقديم المعمول للاعتماد به، والقصد إلى التخصيص كما في إياك نعبد"<sup>(3)</sup>.

وقال الشوكاني (ت 1250هـ): "والباء للاستعانة، أو المصاجحة"<sup>(4)</sup>.

وقال درويش (ت 1403هـ): "(بسم): جار و مجرور متعلقان بمحذف، والباء هنا: للاستعانة أو للإلاصاق"<sup>(5)</sup>.

### وممَّن قال بالمصاحبة وأراد بها معناها:

الزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف بقوله: "فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بها القلم بالكتبة في قوله: كتبت بالقلم، على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء مُعتدلاً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر بذلك اسم الله لقوله - عليه الصلاة والسلام -: "كلُّ أمرٍ ذي بال لم يُبُدِّأْ فيه باسم الله فهو أبْتَر" <sup>(6)</sup>، إلَّا كان فِعْلًا كـ(لَا فِعْل)، جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم. والثاني: أن يتعلق بها تعلقاً الْدُّهْنَ بِالْإِنْبَاتِ، في

<sup>1</sup> هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه ((تفسير القرآن)) ، و ((الفول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز)) ، و (( الدر المصنون )) في إعراب القرآن، و ((عدمة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)) في غريب القرآن، كتب سنة 995 وكان في عشرين مجلدة رآها ابن حجر بخطه، و ((شرح الشاطبية)) في القراءات قال ابن الجزي: لم يسبق إلى مثله. انظر: الأعلام للزرکلي 274/1.

<sup>2</sup> الدر المصنون، 14/1.

<sup>3</sup> أبو السعود، العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (ت 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج 1، ص 9.

<sup>4</sup> الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله (ت 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط 1414هـ، ج 1، ص 21.

<sup>5</sup> درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سوريا، ط 4 1415هـ، ج 1، ص 9.

<sup>6</sup> سبق تخرجه، انظر: ص 93، هامش رقم (1).

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالْدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] على معنى: متبركاً بسم الله أقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس: بالرقاء والبنين<sup>(١)</sup>، معناه: أغرسْتَ ملتبساً بالرقاء، والبنين، وهذا الوجه أعرّب وأحسن<sup>(٢)</sup>. فيظهر من كلامه أنه رجح القول بالصاحبة على الاستعانة بقوله: وهذا الوجه (أي الملابسة) "أعرّب وأحسن".

كما بين ذلك الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)<sup>(٣)</sup> في كتابه فتح القدير<sup>(٤)</sup>، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في كتابه روح المعاني<sup>(٥)</sup>، وابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في كتابه التحرير والتتوير<sup>(٦)</sup>.

والذي دفع الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى القول بالصاحبة، هو انتصاره وتأييده لمعتقده الاعتزالي، إذ يعتقد أنَّ اسم الله - تعالى - الذي هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده، إذ وجوده - على زعمه - بقدرة العبد، وعلى هذا بنى كلامه؛ لأنَّ مذهب المعتزلة يقول باستقلال العبد بفعله.

وقد ردَّ العلماء عليه، وفندوا قوله، وبينوا أنَّ حرف الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إنما هو للاستعانة لا للصاحبة<sup>(٧)</sup>.

فيما يرى الباحث بعد النظر في أقوال العلماء وتآويلاتهم، أنَّ معنى الباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ للاستعانة، مؤيداً بذلك ما ذهب إليه ابن بدران، ومن قال ذلك من العلماء والمفسرين؛ لأنَّ البسمة

<sup>١</sup> قال الألباني: ولا يقول: "بالرقاء والبنين، كما يفعل الذين لا يعلمون، فإنه من عمل الجاهلية وقد ثبّت عنه في أحاديث منها: عن الحسن أنَّ عقبيل بن أبي طالب تزوج امرأة من جشم، فدخل عليه القوم، فقالوا: "بالرقاء والبنين" ، فقال: "لا تفعلوا ذلك، [فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن ذلك] ، قالوا: "فما نقول يا أبي زيد؟ قال: "قولوا: بارك الله لكم وبارك عليكم، إنما كذلك كذا نؤمر. والحديث قويٌ بمجموع الطريقين. انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، آداب الرفاف في السنة المطهرة، دار السلام، الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣هـ، ص ١٧٥-١٧٦.

<sup>٢</sup> الكشاف، ٤-٣/١.

<sup>٣</sup> هو علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه، من أهل الاجتهاد. يمني من صنعاء. ولد بها وتوفي قبل وفاة أبيه بشهرين. له كتب، منها "القول الشافي السديد في نصح المقلد وإرشاد المستغيد - خ" في خزانة الرياط (المجموع ١١٥٥ كتابي) مات بالروضة من أعمال صناعة. انظر: الأعلام للزركي ١٧/٥.

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني، ١/٢١.

<sup>٥</sup> روح المعاني ١/٥٥.

<sup>٦</sup> التحرير والتتوير لابن عاشور، ١/١٤٧.

<sup>٧</sup> انظر: الكشاف (حاشية ابن المنير) ١/٣، ونواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطى على تفسير البيضاوى) للسيوطى ١/٩٥-٩٦، وروح المعاني ١/٤٩-٥١.

لما شرعت، إنما شرعت عند كل فعل يريده الإنسان: كالتلاؤة، والمأكل، والمشرب، والذبح، والوضوء، ودخول البيت والخروج منه، ودخول المسجد، وغيرها مما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. ولما كان الأمر كذلك، دل على أنَّ المسلم لا يفعل فعلاً إلا بأمر من الله، وحالصاً لله؛ ولأنَّه لا حول له، ولا قوة إلا بالله، لزم من ذلك أنَّه لا بد من أن يستعين بمن بيده الحال، والقوة وهو الله - سبحانه وتعالى - فهو المعين، وهو المنعم، وهو المُنفِض على عباده بذكره، وحسن عبادته.

فالاستعانة: طلب العون، ولا بد من مُسْتَعِينٍ، وَمُسْتَعَانٍ بِهِ، وَمُسْتَعَانٍ عَلَيْهِ<sup>(1)</sup>.

وحققتها طلب المعونة على إيقاع الفعل، وإحداثه بما يمكن العبد من أداء ما لزمه بصورة ممكنة وميسرة، ولذلك طلبها من ربه بقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(2)</sup>. فإذا كانت هذه حقيقتها، فإنَّها أولى من غيرها من المعاني؛ لأنَّ فيها من الأدب، والاستكانة، وإظهار العبودية لله - تعالى -. ثم لما أتبعها الله - عز وجل - " بالرحمن الرحيم " دل على افتقار العبد لربه، وضعفه، وهوانه، وإسقاط الحال، والقوة عنه، وأنَّه ليس بمستقل في قدرته - كما زعم المعتزلة -؛ لأنَّه بحاجة إلى رحمة ربِّه، وعونه، وتوفيقه إلى طاعته، فهو بأمس الحاجة إلى قوله - تعالى -: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]، قوله - تعالى -: ﴿ أَسْتَعِينُوْ بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوْ ﴾ [الأعراف: 128]، فمن استعان بجنبه - سبحانه - أَعْانَه، ومن لَآذَ ببابه حفظه، وصانه. ولذلك أمره بطلب الاستعانة به بقوله - سبحانه -: ﴿ أَسْتَعِينُوْ بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوْ ﴾ [الأعراف: 128].

### وخلصة القول:

إنَّ حرف الجر (الباء) في قوله - تعالى -: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ مُتعلَّق بفعل متاخر مذوق تقديره " بسم الله أقرأ "، وأنَّه جاء بمعنى الاستعانة، أي إنَّ العبد يستعين بالله على كل قول أو فعل، مُبتغاً بذلك وجهه - سبحانه -؛ لينال رضاه، والأجر والثواب. وذهب إلى هذا القول ابن بدران، وكثير من علماء النحو، والبلاغة، والتفسير، وأيدُهم بذلك الباحث، واقتفى أثرهم، وسار على مِنْوالهم؛ لما يراه من رجحان هذا القول، وقربه من الحق، والصواب.

<sup>1</sup> درج الدر للحرجاني، 1/160.

<sup>2</sup> انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، 10/1.

## المسألة الثانية:

أثر اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ في توجيه المعنى في قوله - تعالى - : ﴿الَّمْ ذَلِكَ الْكِتَبُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِّمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2]

قال ابن بدران - رحمه الله - : " إنَّ اسْمَ الإِشَارَةِ، راجِعٌ إِلَى مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَبْلَ نَزْوْلِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَدْ يُسَمَّى بَعْضُ الْقُرْآنِ قَرَآنًا مَجَازًا، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: 204]، وَقَالَ - تَعَالَى - حَاكِيًّا عَنِ الْجِنِّ : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وَهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا إِلَّا بَعْضَهُ، وَالْأَقْرَبُ فِي إِعْرَابِ هَذِهِ الْجَمْلَةِ، أَنْ يَجْعَلَ (ذَا) مُبْدِأًا خَبْرَهُ ﴿الْكِتَبُ﴾، أَيْ : ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمَنْزَلُ هُوَ الْكِتَابُ الْكَامِلُ، أَوْ ﴿الْكِتَبُ﴾ صَفَتُهُ، وَالْخَبْرُ مَا بَعْدَهُ " <sup>(١)</sup> . وَيُظَهِّرُ مِنْ كَلَامِهِ - رَحْمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ اعْتَدَ أَنْ ﴿ذَلِكَ الْكِتَبُ﴾ جَمْلَةً مُسْتَقْلَةً مُسْتَأْنِفَةً لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِمَا قَبْلَهَا، فَإِنَّ إِعْرَابَهَا يَصُحُّ عَنْهُ عَلَى وَجْهَيْنِ :

الْأُولُّ : ﴿ذَلِكَ﴾ اسْمَ إِشَارَةٍ مُبْدِأٍ، خَبْرُهُ ﴿الْكِتَبُ﴾.

الثَّانِي : ﴿ذَلِكَ﴾ اسْمَ إِشَارَةٍ مُبْدِأٍ، وَ ﴿الْكِتَبُ﴾ صَفَةٌ، خَبْرُهُ مَا بَعْدَهُ .

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا التَّوْجِيهِ الْإِعْرَابِيِّ، اعْتَدَ اخْتِيَارَهُ التَّفْسِيرِيِّ لِهَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ :

إِنَّ اسْمَ الإِشَارَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ يُشَارُ بِهِ إِلَى مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَبْلَ نَزْوْلِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَ ﴿الْكِتَبُ﴾ هُوَ الْكِتَابُ الْكَامِلُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَاحْتَلَفَ النَّحَاةُ فِي إِعْرَابِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ذَلِكَ الْكِتَبُ﴾ [البقرة: 2]. عَلَى عَدَّةِ أَقْوَالٍ، وَسَبَبَ الْخَلَافَ نَاشِئًا عَنِ اخْتِلَافِهِمْ فِيمَا قَبْلَهَا وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿الَّمْ﴾ [البقرة: 1]، فَهَلْ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ لَهَا مَحْلٌ مِنِ الْإِعْرَابِ أَمْ لَا؟ فَذَهَبَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ: الْخَلِيلُ، وَسَبِيبُوهُ بِالْقَوْلِ: إِنَّهَا لَا مَحْلٌ لَهَا مِنِ الْإِعْرَابِ، وَأَنَّهَا لَمْ تُعْرَبْ لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ التَّهْجِيِّ فَهِيَ مُحْكَيَةٌ، وَلَوْ أُعْرِبَتْ ذَهَبَ

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 51.

معنى الحكاية. وقال النحاس (ت 338هـ): "وقال الفراء: إنما لم تُعرب، لأنك لم تُرد أن تُخبر عنها بشيء"<sup>(1)</sup>. وقال مكي (ت 437هـ): "لا تُعرب إلا أن تُخبر عنها، أو أن تعطف بعضها على بعض"<sup>(2)</sup>.

فيما ذهب فريق آخر منهم: أحمد بن يحيى، وابن كيسان، إلى أن لها محلًا من الإعراب، وأنها تُعرب في موضع نصب بمعنى: اقرأ ﴿الْمَ﴾ أو عليك ﴿الْمَ﴾، ويجوز أن يكون موضعه رفعاً بمعنى هذا ﴿الْمَ﴾ أو هو ﴿الْمَ﴾ أو ذاك<sup>(3)</sup>. ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على من جعلها قسماً<sup>(4)</sup>.

ويرى الفخر الرازي (ت 606هـ) بأن الاختلاف في هذه المسألة يعود إلى فواتح السور، من حيث هل هي أسماء للسور أم لا؟، فيقول: "هل لهذه الفواتح محل من الإعراب أم لا؟ فنقول: إن جعلناها أسماء للسور فنعم، ثم يحتمل الأوجه الثلاثة، أما الرفع فعلى الابتداء، وأما النصب والجر فلما مرّ من صحة القسم بها"<sup>(5)</sup>.

ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل على قوله، كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة "<sup>(6)</sup>".

"ويروى عن الحسن، أنه قال: ﴿الْمَ﴾ وسائل حروف التهجي في القرآن أسماء للسور"<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> إعراب القرآن للنحاس 1 / 23.

<sup>2</sup> مشكل إعراب القرآن لمكي 73/

<sup>3</sup> إعراب القرآن للنحاس 23، وانظر: الكشف والبيان للثعلبي 1/140، والكشف 1/31، والكتاف 1/31، والقرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 1384هـ، ج 1، ص 156-158.

<sup>4</sup> انظر: جامع البيان في تأويل القرآن 1/222، والكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/137، ومشكل إعراب القرآن لمكي 1/73، والعكوري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (ت 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي بن محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج 1، ص 14.

<sup>5</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/254.

<sup>6</sup> المرجع السابق 2/258. والكشف 1/31. وروح المعاني 1/107-108. والدر المصنون 1/80-81.

<sup>7</sup> التفسير الوسيط للواحدي 1/76، وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1422هـ، ج 1، ص 26.

وقد كثر الكلام في شأن أوائل السور، والذي أطبق عليه الأكثرون وهو مذهب سيبويه وغيره من المتقدمين أنها أسماء لها، وسميت بها إشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب<sup>(١)</sup>

وبناء على ما تقدم فإن إعراب اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ مختلف على قولين:

الأول: من قال: إن ﴿الَّمَّ﴾ ليست اسمًا للسورة، وإنما منزلة الصوت والتهجي؛ فإنها لا محل لها من الإعراب، وما بعدها يُعد جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها.

فيكون إعراب قوله - تعالى - : ﴿ذلِكَ الْكِتَبُ﴾ كما يأتي:

1. اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ مبتدأ و ﴿الْكِتَبُ﴾ خبره.
2. اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ مبتدأ و ﴿الْكِتَبُ﴾ صفة، والخبر ما بعده.
3. اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ذلك الكتاب، و ﴿الْكِتَبُ﴾ صفة، أو بدل، أو عطف بيان.

الثاني: من قال إن ﴿الَّمَّ﴾ اسم للسورة؛ فإن لها محلًا من الإعراب، فيكون إعراب ﴿ذلِكَ الْكِتَبُ﴾ كما يأتي:

1. ﴿الَّمَّ﴾ مبتدأ أول، واسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ مبتدأ ثان، و ﴿الْكِتَبُ﴾ خبر المبتدأ الثاني، وجملة ﴿ذلِكَ الْكِتَبُ﴾ خبر المبتدأ الأول.
2. اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ خبر لمبتدأ ثان محذوف تقديره: هو. وجملة (هو ذلك) خبر المبتدأ الأول ﴿الَّمَّ﴾ و ﴿الْكِتَبُ﴾ صفة.

3. ﴿الْمَ﴾ خبر مبتدأ محنوف تقديره (هذه الم). ويكون اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ خبراً ثانياً أو بدلاً و﴿الْكِتَبُ﴾ صفة <sup>(1)</sup>.

وبناءً على اختلاف العلماء في التوجيه الإعرابي؛ فإنَّ المفسِّرين اختلفوا في توجيه المعنى، على أقوال بناءً على ما يشير إليه اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾:

القول الأول: إنَّ اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ يُشار به إلى ﴿الْمَ﴾.

وهذا لا يعارض كون اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ للبعيد؛ لأنَّ ﴿ذَلِكَ﴾ يُشار بها للقريب والبعيد <sup>(2)</sup>.

وقاله الفراء (ت 207هـ) <sup>(3)</sup> في معاني القرآن <sup>(4)</sup>، والزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف <sup>(5)</sup>.

كما أنَّ اسم الإشارة جاء للمذكر لا للمؤنث؛ لأنَّ المشار إليه مذكر وليس بمؤنث، فالاسم وهو ﴿الْمَ﴾ ليس بمؤنث، نعم ذلك المسمى له اسم آخر – وهو السورة – وهو مؤنث لكن المذكور السابق هو الاسم الذي ليس بمؤنث وهو ﴿الْمَ﴾، لا الذي هو مؤنث وهو السورة <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: جامع البيان في تأویل القرآن للطبری 1/221، والکشاف 1/33، وإعراب القرآن الكريم لابن سیدة 1/16، وإعراب القرآن للخاس 23/23، والمحرر الوجيز لابن عطیة 1/83، والتحرير والتوری لابن عاشور 1/219، ونواہد الأبکار وشوادر الأفکار للسيوطی 1/281، مشکل إعراب القرآن لمکی 1/73-74، ومعانی القرآن وإعرابه للزجاج 1/67-68، والکشف والبيان عن تفسیر القرآن 1/140، والدر المصنون 1/81.

<sup>2</sup> انظر: مفاتیح الغیب 2/259.

<sup>3</sup> هو أبو زکریا یحیی بن زیاد بن عبد الله بن منظور الأسلمی، المعروف بالفراء، الدیلمی الکوفی مولی بن أسد، وقيل مولی بنی منقر، كان أربع الکوفین وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ حکی عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لو لا الفراء لما كانت عربیة، لأنَّ خلصها وضبطها، ولو لا الفراء لسقطت العربیة لأنَّها كانت تتنازع ويدعیها كل من أراد وينكلم الناس فيها على مقادیر عقولهم وقرائتهم فنذهب. وأخذ النحو عن أبي الحسن الکسائی، وهو الأحمر من أشهر أصحابه وأخصهم به. انظر: وفیات الأعیان 6/176-177.

<sup>4</sup> معانی القرآن للفراء 1/10-11.

<sup>5</sup> الکشاف 1/32.

<sup>6</sup> انظر: مفاتیح الغیب 2/260، والکشاف 1/32.

ولذلك فإنَّ من قال بهذا القول يرى أنَّ اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ مشار إلى ﴿الْمَ﴾ على احتمال أنْ تكون حروف ﴿الْمَ﴾ مسوقةً مساق التَّهْجِي؛ لإظهار عجز المشركين عن الإتيان بمثل بعض القرآن، بمعنى أنْ يكون اسم الإشارة مشاراً به إلى ﴿الْمَ﴾ بعده حرفاً مقصوداً للتعجيز.

أي إنَّ هذه الحروف هي من جنس حروفكم، التي منها تراكيب كلامكم، ومنها تراكيب هذا الكتاب الذي عجزتم عن معارضته.

فعلى هذا التوجيه يكون ﴿الْمَ﴾ جملة مستقلة مسوقة للتعریض <sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** إنَّ اسم الإشارة ﴿ذلِك﴾ يُشار به إلى ﴿الْكِتَب﴾.

واختلف العلماء في ذلك على عدة تأويلات:

1. إنَّ ﴿ذلِكَ الْكِتَب﴾ هو الكتاب الكامل، لأنَّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنَّه الذي يستأهل أنْ يسمى كتاباً <sup>(2)</sup>.

وعليه فإنَّ الكتاب الكامل هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

2. اختلف العلماء في تأويل (اسم الإشارة) المشار به إلى الكتاب على قولين:

أ. أنَّه بمعنى (هذا)، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش <sup>(3)</sup>.

قال الطبرى (ت 310هـ) في تفسيره: "قال عامة المفسرين تأويل قول الله - تعالى - ﴿ذلِكَ

الْكِتَب﴾: هذا الكتاب" <sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: زاد المسير في علم التفسير 1 / 25، والجامع لأحكام القرآن للفرقاني 155/1، والكشف 30/1، والنسي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت 710هـ)، تفسير النسي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه يوسف على بدبوى، راجعه وقدم له محى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1419 هـ ، ج 1، ص 35-36، ومفاتيح الغيب 2، 253/2، والتحرير والتتوير لابن عاشور 119/1.

<sup>2</sup> انظر: الكشف 33/1.

<sup>3</sup> زاد المسير لابن الجوزي 27/1.

<sup>4</sup> جامع البيان في تأويل القرآن 225/1، وانظر: تفسير الوسيط للواحدى 1/76، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للعلبى 141/1، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/83، ومفاتيح الغيب 2/259، وفتح القيمة للشوكتانى 1/38، والتحرير والتتوير لابن عاشور 221-219/1

ب. أنها إشارة إلى غائب، وفيها ثلاثة أقوال:  
أحدها: إنه أراد به ما تقدم إزاله عليه من القرآن.  
والثاني: إنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَيْلَكَ فَقَلَّا ثَقِيلًا﴾ [المزمول: 5].  
والثالث: إنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتاب السالفين؛ لأنهم وعدوا بنبي وكتاب<sup>(1)</sup>.  
وهذه الأقوال هي الأشهر، والأقوى عند علماء التفسير، وقيل غير ذلك من أقوال العلماء  
المرجوحة، وقد يصل بعضها إلى حد الغرابة، ومنها:

1. قيل: هو اللوح المحفوظ<sup>(2)</sup>.
2. وقيل: هو الكتاب الذي كتب على الخاتق بالسعادة، والشقاوة، والأجل، والرزق<sup>(3)</sup>.
3. وقيل: ذلك الكتاب الذي كتبه الله على نفسه في الأزل، أن رحمته سبقت غضبه<sup>(4)</sup>.
4. وقيل: الصراط المستقيم في الفاتحة. قال الألوسي في تفسيره: " وأنغرب ما رأينا في توجيه الإشارة  
أنها إلى الصراط المستقيم في الفاتحة، لأنهم لما سألوا الهدىء؛ لذلك قيل لهم: ذلك الصراط الذي  
سألتم الهدىء إليه هو الكتاب "<sup>(5)</sup>.

فيما يرى الباحث أن الراجح في تأويل قوله: ﴿الْمَرِّ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [آل عمران: 1-2]، ما يأتي:

أولاً: إن ﴿الْمَرِّ﴾ هي حرف للتهجيج والحكاية لا محل لها من الإعراب، وأنها ليست أسماء للسور  
لاعتبارات أربعة:

<sup>1</sup> زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي /27، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي /157-158، وجامع البيان في تأويل القرآن للطبرى /158-227، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للشعابى /141، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية /1، 83، وال Kashaf /1، والقولى، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي (ت 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عناية عبدالله بن إبراهيم، المكتبة المصرية، صيدا - بيروت 1412هـ /1، 73، وروح المعانى للألوسى /106-109، والتحرير والتتوير لابن عاشور 219-221.

<sup>2</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي /156، والكشف والبيان للشعابى /141، والمحرر الوجيز لابن عطية /1، 83، ومفاتيح الغيب 259/2.

<sup>3</sup> فتح القدير للشوكانى 1/39.

<sup>4</sup> المرجع السابق 1/39.

<sup>5</sup> روح المعانى 1/109.

1. إن كثيراً من السور اتفقت في ﴿المر﴾، و﴿الآل﴾، و﴿حَم﴾، فلو كانت أسماءً للسور لحصل الاشتباх فيها، ومعلوم أنَّ المقصود من أسماء الأعلام هو إزالة الاشتباه.

2. إن سور القرآن إنما اشتهرت بأسمائها المعروفة سلفاً وخلفاً، كقولنا سورة البقرة، وسورة آل عمران، ولم تُعرف بأسماء فواتحها، فلو كانت فواتح السور أسماءً لها؛ لاشتهرت بذلك ولنُقل إلينا، فإن قيل: وزَدَ على ألسنة الصحابة - رضوان الله عليهم - ذكر فواتح السور مع اسمها المتعارف عليه كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ أَلْمَ تَنْزِيلَ (السجدة) وَهُلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ" <sup>(1)</sup>.

فإنَّه يُجَابُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وِجْهِيْنَ:

الأول: لما اتفقت كثير من السور في فواتحها، كان لزاماً تعريف السورة المراده بذكر اسمها المتعارف عليه؛ لذلك قال الراوي: "أَلْمَ السجدة"؛ ليُميِّزَها عن السُّورِ الْتِي افتُتحَتْ بِ﴿المر﴾ من مثل البقرة، وآل عمران، ولقمان، وغيرها. فهو لم يُرد ذكر اسمها المتعارف عليه لذاتها وإنما للتعريف بها.

الثاني: إنَّ الراوي لم يُرد ذكر اسم السورة، وإنَّما أراد أن يذكر الآية الأولى وهي ﴿المر﴾، دلَّ على ذلك أَنَّه لم يذكر اسم السورة الثانية وإنَّما ذكر الآية الأولى منها بقوله: "... وَهُلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ". ثم إنَّ هناك رواية لم يذكر فيها اسم السورة المتعارف عليها، وإنَّما ذكر الآية الأولى، والثانية من السورة، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّه كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة: "أَلْمَ تَنْزِيلَ وَ هُلْ أَتَى" <sup>(2)</sup>.

3. إن هذه الأسماء لم تكن معلومة عند العرب ولم تكن من قوانين أسمائهم، ولو كانت أسماءً، وكانت من غرائب أسمائهم، ولنُقلَّت إلينا بالتواتر؛ لأنها من الأمور الغريبة التي لا يمكن إخفاؤها.

4. إن عدد السور التي تبتدئ بالفواتح أقل بكثير من السور التي لا فواتح لها، فإذا كانت فواتح السور أسماءً لها فَلِمَ ثُرِكتْ غالبية السور من غير فواتح؟ فإن قيل: ليس بالضرورة أن تكون كذلك،

<sup>1</sup> صحيح البخاري 2/40 برقم 1068، وصحيح مسلم من حديث ابن عباس 3/16 برقم 1986.

<sup>2</sup> صحيح مسلم 3/16 برقم 1989، وانظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل 3/95، حديث رقم 627.

فلكلٌ سورة اسمها الخاص بها، قلت: نعم، ولكن ما تواتر على ألسنة الصحابة هو أسماء السُّور المتعارف عليها إلى يومنا هذا الموجودة في فهرست المصحف الشريف.

وعلى هذا فإنَّ فواتح السور ومنها ﴿الْمِنْ﴾ هي آية من آيات السور مسوقة للتعجيز؛ ليثبت الله - عزَّ وجلَّ - للمشركين أنَّ هذا الذي تحدّاكم على أنْ تأتوا بمثله، أو ببعضه إنَّما هو من الحروف التي تؤلُّفون بها تراكيب لغتكم؛ فلمَّا عجزتم عن ذلك كان لزاماً أنْ تعلموا أنَّ هذا القرآن ليس من كلام البشر وإنَّما هو كلام الله - تعالى - يجب الإيمان به والامتنال لما فيه.

ثانياً: بناءً على ما سبق؛ فإنَّ توجيه المعنى لقوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ الْكِتَبُ﴾ أنَّ اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ يُشير إلى كل ما نزل بمكَّة، والمدينة قبل هذه السورة، و﴿الْكِتَبُ﴾ هو: الكتاب الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وذلك للاعتبارات الآتية:

1. قد يُسمى بعض القرآن قرآنًا مجازاً، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: 204]، وقال حاكياً عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَباً﴾ [الجن: 1]، قوله ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَبًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: 30]، وهو ما سمعوا إلَّا ببعضه، وهو الذي كان قد نزل إلى ذلك الوقت.

2. لمَّا كان كلام الله هو أفسح الكلام، فينبغي أنْ يُحمل إعرابه على أفسح الوجه وأحسنها، وأبعدها من التكليف، وأسْوَغها في لسان العرب من غير تأويل ولا إضمار ولا افتقار<sup>(1)</sup>. فتكون آية ﴿ذَلِكَ الْكِتَبُ﴾ جملة مستقلة من مبتدأ وخبر، أو أن يكون ﴿الْكِتَبُ﴾ صفة والخبر ما بعده.

وهذا ما ذهب إليه المصنف ابن بدران - رحمه الله تعالى -، وكثير من علماء النحو والتفسير في توجيه المعنى لقوله - تعالى -: ﴿الْمِنْ ذَلِكَ الْكِتَبُ﴾ [البقرة: 2-1].

<sup>1</sup> إعراب القرآن لابن سيده ص 16.

### المسألة الثالثة:

أثر دلالة ﴿من﴾ في تحريم الإسراف، أو في منع بذل المال كله، في قوله -

تعالى -: ﴿وَمَمَّا رَزَقَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3].

قال ابن بدران- رحمه الله تعالى -: "ولما ذكر وصلة الخلق بالخالق، وكانت النفقة مع أنها أعظم دعائم الدين صلة بين الخلاق، أتبعها بها تتبيلها بـ ﴿من﴾ التي للتبسيط، على النهي عن الإسراف، وعلى طيب النفقة؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وأمراً بالورع وزاجراً عما فيه شبهة فقال: ﴿وَمَمَّا رَزَقَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] أي: وممّا مكناهم من الانتفاع به على عظمة خزانتنا، وهو لنا دونهم، ينفقون في مرضانا، مما هو لازم لهم، من الزكاة والحجّ، والجهاد، والنفقات الواجبة، وممّا يتطوعون به من الصدقات وغيرها".<sup>(1)</sup>

ويظهر من كلام ابن بدران أنه اعتمد معنى من معاني الحروف وهو أن ﴿من﴾ للتبسيط في توجيه المعنى في قوله - تعالى -: ﴿وَمَمَّا رَزَقَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] استتبع منها حكمًا شرعياً، وهو تحريم الإسراف، أو إنفاق المال كله.

لا شك أن لحرف الجر ﴿من﴾ معانٍ كثيرة، تختلف باختلاف موقعها في السياق؛ لأن حرف الجر : "كلمة دلت على معنى في غيرها"<sup>(2)</sup>، ولمعنى الحروف أثرها في توجيه المعنى.

حرف الجر ﴿من﴾ يكون زائداً، وغير زائد، فغير الزائد له أربعة عشر معنى، وقال ابن هشام (ت 761هـ): "تأتي على خمسة عشر وجهاً"<sup>(3)</sup>، ومنها:

ابتداء الغاية: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِيَّ أَسْرَى بِعَدَدِهِ لَيَلَامِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1].  
للتبسيط: ﴿وَمِنْ أُلْتَادِسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَاداً﴾ [البقرة: 165]، وبيان الجنس: ﴿فَأُجَّبَتِنُّبُوا﴾  
**الرجس من الأوثان** [الحج: 30] ، والتعليق: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْدِيعَهُمْ فِي ئَذَانِهِمْ مِنَ الْصَّوَاعِقِ﴾

<sup>1</sup> جواهر الأفكار، ص 54-55.

<sup>2</sup> عبد الحميد، محمد محبي الدين (ت 1392هـ)، التحفة السنّية بشرح المقدمة الأجرامية، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1416هـ، ص 8.

<sup>3</sup> مغني اللبيب عن كتب الأغريب لابن هشام ص 349.

[البقرة: 19]، والبدل: ﴿يَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ﴾ [التوبه: 38]، والمحاوزة: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [آل عمران: 121]، وانتهاء الغاية قريب منه، والاستعلاء: ﴿وَنَصَرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الأنباء: 77]، والفصل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220]، موافقة الباء في: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرِفِ خَنْقِي﴾ [الشورى: 45]، و ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: 40].  
والزيادة باطّراد، وذلك بشرطين: كون المجرور نكرة، والكلام غير موجب، واشترط الكوفيون التّكير فقط، ولم يشترط الأخفش شيئاً<sup>(1)</sup>.

ولم يُتبّت أكثر النّحوين لـ ﴿مِن﴾ جميع هذه المعاني، وتأولوا كثيراً من ذلك على التّضمين، أو غيره، وقد ذهب المبرّد، وابن السّراج، والأخفش الأصغر، وطائفة من الحُذاق، والسمّيلي، إلى أنها لا تكون إلّا لابتداء الغاية، وأنّ سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى؛ ألا ترى أنّ التّبعيض من أشهر معانيها، وهو راجع إلى ابتداء الغاية. فإنك إذا قلت: أكلت من الرّغيف، إنّما أوقعت الأكل على أول أجزائه فانفصل، فما مَعْنَى الكلام إلى ابتداء الغاية، وإلى هذا ذهب الرّمخشي<sup>(2)</sup>.

وقال ابن هشام (ت 761هـ) في معنى ﴿مِن﴾: "ابتداء الغاية وهو الغالب عليها حتّى ادعى جماعة أنّ سائر معانيها راجعة إليه، وتقع لهذا المعنى"<sup>(3)</sup>.

وقد اختلف علماء التّفسير في تحديد معنى حرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِدُونَ﴾ [البقرة: 3]، مما ترتب على هذا الاختلاف اختلاف في الحكم الشرعي في مسألة الإسراف، وإنفاق المال كلّه بين الحرمة والجواز.

<sup>1</sup> انظر: المرادي. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (ت 749هـ)، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قبّاوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413، ج1، ص308-316، والمفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص379-380، وابن عبيش، أبو البقاء موقّف الدين يعيش بن علي بن عبيش ابن أبي السّرايا محمد بن علي (ت 643هـ)، شرح المُفَصَّل للزمخشري، فدم له إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ، ج4، ص458-463. والدُّرُّ المصنون في علوم الكتاب المكون 1/ 96-97.

<sup>2</sup> الجنى الدّاني في حروف المعاني للمرادي 1/ 315-316.

<sup>3</sup> مغني اللبيب ص 419.

**القول الأول:** قالوا: إن ﴿من﴾ في هذه الآية جاءت بمعنى البيان، أي: بمعنى بيان الجنس، وعليه فإنّ مقدار المال المُنفَق لا يُعَذِّر بشيء لإطلاق الآية. إلا إذا كان الإنفاق من الزكاة؛ فإنّ الشرع قد حدد قيمة الإنفاق، وينتَرِع على هذا جواز إنفاق جميع المال في طرق الخير.

واستدلّوا على ذلك بفعل أبي بكر - رضي الله عنه - حين تصدّق بجميع ماله، ولم ينكّره عليه - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - <sup>(1)</sup>. ولكنهم اشترطوا شرطين لذلك:

**أما الأول:** ألا يترتب عليه ترك واجب من الإنفاق على الأهل ونحوهم؛ فإنّ ترتب عليه ذلك فالواجب مقدم على التّطوع <sup>(2)</sup>.

**وأما الثاني:** أن يكون حاله كأبي بكر - رضي الله عنه - في التوكّل على الله في الرزق؛ لأنّ عدم إنكار الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي بكر؛ لعلمه بصبره، واطلاعه على ما وقر في صدره؛ لذلك فإنّ وجد في نفسه عدم الصبر على الفاقة فلا يشرع له ذلك <sup>(3)</sup>.

**القول الثاني:** قالوا: إن حرف الجرّ ﴿من﴾ في هذه الآية جاء بمعنى التبعيض: أي إنفاق بعض المال، وهو لاء اتفقا في معنى حرف الجرّ ﴿من﴾ لكنهم اختلفوا في توجيهه معنى الآية، والذي يترتب عليه اختلافهم في الحكم الشرعي للإنفاق المال كلّه، إذا كان المراد بالإنفاق مطلقه الأعم، وإلا فإنّهم متافقون إذا كان المراد بالإنفاق الزكاة؛ لأنّها لا تكون بجميع المال، وإنما ببعضه الذي قدره الشرع <sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق(ت275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ج2، ص129، حديث رقم 1678، والترمذى، مُحَمَّد بن عيسى بن سُورَة(ت279هـ)، سنن الترمذى، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ، ج5، ص614، حديث رقم 3675، وحسنة الألبانى، انظر: الألبانى، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين(ت1420هـ) صحيح أبي داود- الأم، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع- الكويت، ط1، 1423هـ، ج5، ص366، حديث رقم 1473.

<sup>2</sup> انظر: تفسير القرآن الكريم(الفاتحة - البقرة) لابن عثيمين 1/30.

<sup>3</sup> انظر روح المعاني للألوسي 1/121، وأضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن للشنقطي 1/10-12.

<sup>4</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/85، والتحرير والتوسيع لابن عاشور 1/236، والتعالى، أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف (ت875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجد، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 1418هـ، ج1، ص183، و الشنقطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى (ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، 1415هـ، ج1، ص10-12، وتفسير القرآن(الفاتحة و البقرة) للعثيمين 1/30، وروح المعاني 1/121.

فذّهـب فـريق إلـى أـن إـنفاق بـعـض المـال يـكـفي فـي اـتـصـاف المـنـفـق بالـهـدـاـيـة، وـالـفـلـاح، وـلـا يـتـوقـف عـلـى إـنـفـاق جـمـيع المـال<sup>(1)</sup>، فـيـكـونـون بـذـلـك قد جـوـزـوا إـنـفـاق المـال كـلـهـ.

بـيـنـما ذـهـب آخـرـون إـلـى أـنـ النـكـتـة فـي إـدـخـال ﴿ مـن ﴾ التـبـعـيـضـيـة هيـ: أـنـ الرـزـق أـعـمـ منـ الـحـالـ وـالـحـرـامـ؛ فـأـدـخـلتـ إـيـذـانـاـ بـأـنـ إـنـفـاقـ الـمـعـتـدـ بـهـ ماـ يـكـونـ مـنـ الـحـالـ، وـهـوـ بـعـضـ مـنـ الرـزـقـ<sup>(2)</sup>. وـعـلـى هـذـا يـكـونـونـ قدـ جـوـزـوا إـنـفـاقـ المـالـ كـلـهـ.

فـيـمـا ذـهـبـ أـكـثـرـ الـمـفـسـرـينـ إـلـى أـنـ إـدـخـالـ ﴿ مـن ﴾ التـبـعـيـضـيـةـ جـاءـتـ إـيـذـانـاـ بـإـنـفـاقـ بـعـضـ المـالـ لـاـ كـلـهـ؛ لـأـنـ الـإـسـرـافـ وـالـتـبـذـيرـ مـنـهـيـ عـنـهـماـ، مـسـتـبـطـينـ بـذـلـكـ حـكـمـاـ شـرـعـيـاـ وـهـوـ حـرـمـةـ الـإـسـرـافـ وـالـتـبـذـيرـ وـعـدـمـ إـنـفـاقـ المـالـ كـلـهـ<sup>(3)</sup>.

وـيـؤـكـدـ ذـلـكـ اـبـنـ عـاشـورـ(تـ1393ـهـ)ـ فـيـ تـقـسـيرـهـ "الـتـحـرـيرـ وـالـتـوـيـرـ"ـ بـقـولـهـ:ـ "وـفـيـ الـإـتـيـانـ بـ ﴿ مـن ﴾ـ الـتـيـ هـيـ لـلـتـبـعـيـضـ إـيمـاءـ إـلـىـ كـوـنـ إـنـفـاقـ الـمـطـلـوبـ شـرـعـاـ هـوـ إـنـفـاقـ بـعـضـ المـالـ؛ لـأـنـ الشـرـيـعـةـ لـمـ تـكـلـفـ النـاسـ حـرـجاـ، وـهـذـهـ بـعـضـ يـقـلـ وـيـتـوـقـرـ بـحـسـبـ أـحـوـالـ الـمـنـفـقـينـ.ـ فـالـوـاجـبـ مـنـهـ مـاـ قـدـرـتـ الشـرـيـعـةـ نـصـابـهـ وـمـقـادـيرـهـ مـنـ الـزـكـاـةـ، وـإـنـفـاقـ الـأـزـوـاجـ، وـالـأـبـنـاءـ، وـالـعـبـيدـ، وـمـاـ زـادـ عـلـىـ الـوـاجـبـ لـاـ يـنـضـبـتـ تـحـديـدـهـ وـمـاـ زـادـ فـهـوـ خـيـرـ، وـلـمـ يـشـرـعـ الـإـسـلـامـ وـجـوـبـ تـسـلـیـمـ الـمـسـلـمـ مـاـ اـرـتـقـهـ، وـاـكـتـسـبـهـ إـلـىـ يـدـ غـيـرـهـ"<sup>(4)</sup>.

وـذـهـبـ بـعـضـ الـمـفـسـرـينـ إـلـىـ أـنـ إـنـفـاقـ لـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ الـمـالـ فـحـسـبـ إـنـمـاـ يـدـخـلـ فـيـهـ جـمـيعـ الـمـعـاـونـ<sup>(5)</sup>ـ الـتـيـ مـنـهـمـ اللـهــ تـعـالـىـــ مـنـ النـعـمـ الـظـاهـرـةـ، وـالـبـاطـنـةـ مـسـتـدـلـيـنـ عـلـىـ ذـلـكـ بـقـولـهــ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ:ـ "إـنـ عـلـمـاـ لـاـ يـنـتـقـعـ بـهـ كـنـزـ لـاـ يـنـتـقـعـ مـنـهـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ"<sup>(6)</sup>ـ،ـ أـيـ يـنـفـقـ مـمـاـ آتـاهـ اللـهــ

<sup>1</sup> انظر: روح المعاني للألوسي /121/.

<sup>2</sup> المرجع السابق /121/.

<sup>3</sup> انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن /183، 276/، ومفاتيح الغيب /2، 42/، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود /32، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل /39، والبحر المحيط /168، وفتح القدير للشوكاني /142/، وأصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن /12-10/.

<sup>4</sup> التحرير والتوير لابن عاشور /236/.

<sup>5</sup> عـاـونـ، مـعـاـونـةـ وـعـاـنـاـ، فـهـوـ مـعـاـونـ، وـالـمـفـعـولـ مـعـاـونـ.ـ انـظـرـ:ـ عـمـ،ـ أـحـمـدـ مـختارـ عـبدـ الـحـمـيدــ (ـتـ1424ـهـ)،ـ بـمـسـاـعـةـ فـرـيقـ عـملـ،ـ مـعـجمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـعاـصـرـةـ،ـ عـالـمـ الـكـتـبـ،ـ طـ1429ـهـ،ـ بـابـ عـ وـنـ،ـ جـ2ـ،ـ صـ1580ـ.

<sup>6</sup> انـظـرـ:ـ الأـصـبـهـانـيـ،ـ أـبـوـ نـعـيمـ أـحـمـدـ بـنـ عـبـادـهـ (ـتـ430ـهـ)،ـ حـلـيـةـ الـأـوـلـيـاءـ وـطـبـقـاتـ الـأـصـفـيـاءـ،ـ السـعـادـةــ مـصـرـ /1394ـهـ،ـ دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ /1409ـ،ـ جـ7ـ،ـ صـ228ـ.ـ وـحـسـنـهـ الـأـلـبـانـيـ،ـ انـظـرـ:ـ الـأـلـبـانـيـ،ـ أـبـوـ عـبـدـالـرـحـمـنـ مـحـمـدـ نـاصـرـ الدـيـنـ (ـتـ1420ـهـ)،ـ صـحـيـحـ الـجـامـعـ الصـغـيرـ،ـ وـزـيـادـتـهـ،ـ الـمـكـتبـ الـإـسـلـامـيـ،ـ طـ3ـ1408ـهـ،ـ جـ1ـ،ـ صـ424ـ،ـ حـيـثـ رـقـمـ 2112ـ.

من العلم، والمعرفة، والقوّة وغيرها<sup>(1)</sup>، لذلك قال السُّلْمَي (ت 412هـ)<sup>(2)</sup> في تفسيره: "وقيل مما رزقناهم ينفقون أي: مما خصّناهم به من أنوار المعرفة يفيضون برకتها ونورها على متبعهم"<sup>(3)</sup>.

ويرى الباحث بعد الاطّلاع على أقوال العلماء، وسبر آرائهم وأدلةّهم، أنّ القول الراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أكثر المفسّرين من أنّ حرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] إنّما جاء للتّبعيّض ليدلّ على عدم إنفاق جميع ما رزقا؛ لأنّه منهي عن التّبذير والإسراف.

وهذا الذي رجّه وذهب إليه ابن بدران في تفسيره جواهر الأفكار؛ لأنّ الآيات التي تعصّد هذا المعنى كثيرة في كتاب الله - تعالى - منها قوله - عزّ وجلّ - في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: 67]. إذ إن الإنفاق المحمود هو التّوسط، والاعتدال بين الإسراف، والتّقتير، وفي موطن آخر يأمر الله عباده بعدم الإسراف بقوله: ﴿وَإِذَا أَتُوا حَقَّهُمْ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ وَلَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]، وقوله: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا وَلَا تُشْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31]. فالآيات تتحثّ على عدم الإسراف في الإنفاق، ومقتضى ذلك إبقاء جزء من المال وعدم إنفاقه كلّه؛ لأنّ المسلم كما أمر بالبذل، والإإنفاق على غيره من خلال الزّكاة والصدقات، فإنه أيضاً مأمور بإبقاء قدرٍ من المال لنفسه ولمَنْ يعول، تحسباً لتوائب الدهر وتقلبات الأحوال.

<sup>1</sup> انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد (ت 502هـ)، تفسير الرَّاغب الأصفهاني، تحقيق د.مُحَمَّد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط 1، 1420هـ، ج 1، ص 82-83، أنوار التّذليل وأسرار التّأويل 39/1، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأنّي السعودية 32/1.

<sup>2</sup> هو مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد بن موسى الأُرْدِي السُّلْمَي النِّيسَابُوري، أبو عبد الرحمن: من علماء المتصوفة. قال الذهبي: (شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية). بلغت تصانيفه مئة أو أكثر، منها (حقائق التفسير - خ) مختصر، على طريقة أهل التصوف، في المكتبة المحمودية بالمدينة مولده ووفاته في نيسابور. انظر: الأعلام للزركي 6/99.

<sup>3</sup> السُّلْمَي، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد بن الحسين بن موسى الأُرْدِي (ت 412هـ)، تفسير السُّلْمَي وهو حقائق التّفسير، تحقيق سيد عمران ، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1421هـ، ج 1، ص 50، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأنّي السعودية 32/1، وتفسير الأصفهاني .83-82/1

قال الشنقيطي (ت 1393هـ)<sup>1</sup> في أضواء البيان: " عبر في هذه الآية الكريمة بـ ﴿ من ﴾ التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كلّه، ولم يبيّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه والذي ينبغي إمساكه. ولكنّه بين في مواضع آخر أنّ القدر الذي ينبغي إنفاقه: هو الزائد على الحاجة وسدّ الخلة التي لا بدّ منها، وذلك قوله: يسألونك ماذا ينفّون قل العفو" [البقرة: 219]. والمراد بالعفو: الزائد عن قدر الحاجة التي لا بدّ منها على أصحّ التفسيرات، وهو مذهب الجمهور".<sup>2</sup>

وقال يوسف القرضاوي (1422هـ): " ومن أسرار التعبير القرآني أنه جعل الإنفاق المطلوب مما رزق الله، أي: بعض ما رزق الله، ومعنى هذا أنه ينفق البعض، ويدخر البعض الآخر، ومن أنفق بعض ما يكتسب، فقلما يفتقر، وقد صح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدخر لأهله قوت سنته<sup>3</sup>، فهذا لا ينافي التوكل على الله، ولا الزهد في الدنيا؛ لأنّه من الأخذ بالأسباب المشروعة".<sup>4</sup>

ولم يقتصر النهي في الآيات الكريمة عن الإسراف في المأكل، والمشرب، فحسب وإنّما كان النهي عن الإسراف في كلّ شيء، وهذا ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في تفسيره بقوله: "إنه نهي عن الإسراف في الإنفاق"<sup>5</sup>. وكذلك قول عطاء: "إنه نهي عن الإسراف في كلّ شيء"، وهذا الذي اختاره ابن كثير<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطي، مفسر مدرس من علماء شنقط (موريانيا). ولد وتتعلم بها. وحج (1367) واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة (1381) وتوفي بمكة. له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن - ط)، و (منع جواز المجاز - ط) و (منهج دراسات آيات الأسماء والصفات - ط) و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب - ط) و (آداب البحث والمناظرة - ط) و (ألفية في المنطق) و (رحلة خروجه من بلاده إلى المدينة). انظر: الأعلام للزرکلي 45/6.

<sup>2</sup> أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 10/1.

<sup>3</sup> عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "أنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْيَعُ نَخْلَ بَنِي النَّضْرِ، وَيَحِسْ لِأَهْلِهِ قَوْتَ سَنْتَهُ" رواه البخاري في صحيحه، ج 7، ص 63، حديث رقم 5357، كتاب التغافل، باب حبس نفقة الرجل سنة على أهله، وكيف نفقات العيال.

<sup>4</sup> القرضاوي، يوسف، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1415هـ، ص 201.

<sup>5</sup> انظر: تفسير الراغب الأصفهاني 1/410.

<sup>6</sup> انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1420هـ، ج 3، ص 350.

فإنفاق يكون بالتوسط في الأمور كلها، لا بخل، ولا إمساك، ولا إسراف، ولا تبذير، ولكن بين ذلك، لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَيْ عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مَوْمًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء: 29].

وجاءت الأدلة من السنة النبوية على التوسيط في الإنفاق وعدم الإسراف، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: " كلوا ، و اشربوا ، و البسو ، و تصدقوا في غير إسرافٍ ، ولا مُخيلة " <sup>(1)</sup>.

وقال ابن عباس: "كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة" <sup>(2)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب: "ما أنفقت على نفسك، وأهل بيتك في غير سرف، ولا تبذير، وما تصدقت فلأك، وما أنفقت رباءً، أو سمعة فذلك حظ الشيطان " <sup>(3)</sup>.

وقال ابن الجوزي (ت 597هـ) في صيد الخاطر: "العقل يدبر بعقله عيشه في الدنيا؛ فإنْ كان فقيراً اجتهد في كسبِ، وصناعةٍ تكفله عن الذل للخلق، وقل العائق، واستعمل القناعة، فعاش سليماً مِنَ الناس عزيزاً بينهم. وإن كان غنياً، فينبغي له أن يدبر في نفقة؛ خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق " (4).

ولعل أدل دليل على حرمة الإسراف والتبذير قوله - تعالى :- ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَأَلْمَسِكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ وَلَا تُبْدِرْ تَبَذِيرًا ﴾ ٦٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْرَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيَطَنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ ٦٧ ﴿ الإِسْرَاءٌ : 26-27 .

فهذه جملة من الأدلة القرآنية، والسنّة النبوية، وأقوال الصحابة، والسلف، في تحريم الإسراف والتبذير، وإنفاق المال كُلّه، مما لا يدع شَكًا في جواز ذلك.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 140، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده» [الأعراف: 32]، وانظر: النساء، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت 303هـ) المختبىء من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط 2 1406هـ، ج 5، ص 79، حديث رقم 2559، باب الاختيال في الصدقه. وحسنه الألباني.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 140/7، كتاب الناس، باب قول الله تعالى: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعيادة" [الأعراف: 32].

<sup>3</sup> البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد - الرياض، ط 1423هـ، ج 8، ص 491، حديث رقم 6128، باب تحرير الملاعع والملاهي.

<sup>4</sup> ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ)، صيد الخاطر، عناية حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، ط 1425هـ، ج 1، ص 498.

أمّا بالنسبة لمن اعتمد على أنَّ ﴿مِن﴾ جاءت بمعنى بيان الجنس، وقال بجواز إنفاق المال كله مستدلاً بحديث أبي بكر - رضي الله عنه -.

فيり الباحث أن الاستدلال بقصة أبي بكر - رضي الله عنه - بحاجة إلى تفصيل، ولا تؤخذ على إطلاقها. فالناظر - بادئ الأمر - يرجح جواز إنفاق المال كله استناداً إلى فعله - رضي الله عنه - وإقرار النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - له؛ لأنَّ هذا هو المعنى المبادر للذهن عند قراءتها أو سمعها، ولكنَّ الأمر مضبوط بضوابط تؤخذ من خلال التأمل في القصة، ووقائعها، والظروف المصاحبة لها، وأقوال العلماء في التعليق عليها، إذ إنَّ الرد على مَنْ استدلَّ بهذه القصة يكون من وجهين:

أولاً: إنَّ أبي بكر هو أفضل هذه الأمة بعد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأنقاها وأعلاها منزلة ورفة، وإنَّ اليقين الذي وَقَرَ في صَدْرِهِ، والتوكُل الذي اعتمد عليه، وإيمانه الراسخ بربِّهِ، وصبره على طاعته، هو ما دفعه لإنفاق كل ماله امتثالاً لأمر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا ما كان يعلمه - عليه الصلاة والسلام - من أبي بكر فلم يُنكِرْ عليه؛ لأجل ذلك.

قال الخطابي (ت 388هـ)<sup>(1)</sup> في معلم السنن: "لَمْ يُنكِرْ عَلَى أَبِي بَكْر الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خروجه من ماله أجمع، لِمَا عُلِمَ مِنْ صَحَّةِ نِيَّتِهِ، وَقَوْءَةِ يَقِينِهِ، وَلَمْ يُخْفِ عَلَيْهِ الْفَتْنَةَ" <sup>(2)</sup>.

ثانياً: أنَّ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - إِنَّمَا أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ مَمَّا يَمْلِكُ مِنْ الدِّرَاهِمِ، وَالدِّنَارِيْنِ لَا غَيْرِهِ، وَإِلَّا فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ - رضي الله عنه - كَانَ يَمْلِكُ دَارَّا فِي الْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، وَلَمْ يَنْفَقْهُمَا.

<sup>1</sup> أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البدعة منها (غريب الحديث) و (معالم السنن في شرح سنن أبي داود) و (أعلام السنن في شرح البخاري) وكتاب (الشحاح)، وكتاب (شأن الدعاء) وكتاب (إصلاح غلط المحدثين) وغير ذلك. وكان يشبه في عصره بأبي عبد القاسم بن سلام علماً وأبداً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بمدينة بستان، رحمة الله - تعالى -. والخطابي - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة - وهذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور، وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، فنسب إليه، والله أعلم. انظر: وفيات الأعيان 2/214-215.

<sup>2</sup> الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388هـ)، معلم السنن، المطبعة العلمية - حلب، ط 1351هـ، ط 1401هـ، ج 2، ص 78.

قال ابن حزم (ت 456هـ) في المحتوى: " بلا شك كانت له دار بالمدينة معروفة، ودار بمكة".

وأيضاً: فإنَّ مثل أبي بكر لم يكن النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليُضيئه فكان في غنىٍّ<sup>(1)</sup>.

وبناءً على ما تقدَّم؛ فإنَّ فعل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ليس على إطلاقه، فلا ينبغي لأحد أن يتصدق بكل ماله إلاَّ من كان حاله مثل أبي بكر في اليقين، والتوكيل، والإيمان، والصبر، وهيئات هيهات أن تكون هذه الصفات في رجل إلاَّ في أبي بكر - رضي الله عنه -، بل إنَّ هذه المنزلة لم يصل إليها الصحابة - رضوان الله عليهم - وهم خير القرون، فكيف بمن هم دونهم؟! وقد ردَّ النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذهب إلى صاحبه مخافة الفتنة عليه<sup>(2)</sup>. ولم يأخذ من كعب بن مالك كل ماله لما أراد أن ينفقه في سبيل الله شكرًا لله - تعالى - على ما أنعم عليه من التوبة بسبب تخلفه عن غزوة تبوك. قال كعب بن مالك: "يا رسول إنَّ من توبتي أن أخلع<sup>(3)</sup> من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسوله، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " أمسك بعض مالك، فهو خير لك"<sup>(4)</sup>.

قال النووي (ت 676هـ): " وإنما أمره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالاقتصار على الصدقة ببعضه؛ خوفاً من تضرره بالفقر؛ وخوفاً ألا يصبر على الإضافة، ولا يخالف هذا صدقة أبي بكر - رضي الله عنه - بجميع ماله، فإنه كان صابراً راضياً"<sup>(5)</sup>.

وقال ابن عابدين (ت 1252هـ)<sup>(6)</sup>: " ومن أراد التصدق بماله كله وهو يعلم من نفسه حُسن التوكيل، والصبر عن المسألة، فله ذلك، وإنَّ فلا يجوز، ويُكره لمن لا صبر له على الضيق أن ينقص

<sup>1</sup> ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ)، المحتوى بالآثار، دار الفكر - بيروت، (د. ت)، ج 6، ص 260.

<sup>2</sup> معالم السنن للخطابي، 78/2.

<sup>3</sup> اخلع من ماله، أي: خرج من جميع ماله، وأراد: إخراجه متصدقاً به.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 69/6، حديث رقم 4676، كتاب المغازي، باب قوله: "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار" [التوبة: 117]، صحيح مسلم، 8/111، حديث رقم 7116، [53 - 2769]، كتاب الآداب، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

<sup>5</sup> النووي، أبو زكرياً محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 2 1392هـ، ج 17، ص 97.

<sup>6</sup> هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي: فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره. مولده ووفاته في دمشق. له (رد المحتار على الدر المختار)، فقه يعرف بحاشية ابن عابدين، و(رفع الأنظار عما أورده الحلباني على الدر المختار) و(العقود الدرية في تنقية الفتاوى الحامدية)، و(نسمات الأصحاب على شرح المنار - ط) أصول، و(حاشية على المطول) في البلاغة، و(الريحق المختوم - ط) في الفرائض، و(حواش على تفسير البيضاوي) التزم فيها أن لا يذكر شيئاً ذكره المفسرون، و(مجموعة رسائل - ط)، وهي 32 رسالة، و(عقود اللآلبي في الأسانيد العوالى - ط) وهو ثبته. انظر: الأعلام للزركلي 42/6.

نفقة نفسه عن الكفاية التامة<sup>(1)</sup>. ولا يكفى بهذا الشرط فحسب، بل يجب على من أراد أن ينفق ماله كله أن يكون صحيح البدن والعقل سالماً من الدين، ليس عنده من يعول من الزوجة، والأولاد، والعيال، وإن كان عنده من هؤلاء أن يكونوا مثله في الصبر، واليقين.

قال الطبرى (ت 310هـ): "قال الجمهور: من تصدق بماله كله في صحة بدن، وعقله، حيث لا دين عليه، وكان صبوراً على الإضاعة، ولا عيال له، أو له عيال يصبرون أيضاً، فهو جائز فإن فُقد شيء من هذه الشروط كره، وقال بعضهم هو مردود"<sup>(2)</sup>.

والظاهر من هذه الشروط التي وضعها من يجوزون إنفاق المال كله أنها مُحالة الوجود. فيبقى القول بحرمة إنفاق المال كله، وهو الأظهر، وهو الذي عليه الدليل من الكتاب والسنة. أي أن ﴿مِن﴾ في قوله - تعالى - ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3] جاءت للتبعيض لا لبيان الجنس.

<sup>1</sup> ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (ت 1252هـ)، رذ المحتار على الدر المختار، دار الفكر - بيروت، ط 2 1412هـ، ج 2، ص 357.

<sup>2</sup> نقله عن الطبرى: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانى (ت 892هـ)، فتح البارى شرح صحيح البخارى، رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب وعليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ط 1379هـ، ج 3، ص 295. ولم يجد الباحث قول الطبرى فيما وقف عليه من كتبه ومنها تفسيره. وانظر: ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطّال، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط 2 1423هـ، ج 3، ص 428-429.

## المسألة الرابعة:

أثر دلالة (الذى والذين) على العهد والجنس في توجيهه معنى قوله - تعالى -:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ إِنَّدَرَتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6]

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى -: " ومن هنا تعلم أنَّ التعريف بالذى، والذين من بين سائر الموصولات، كتعريف (ذى) باللام، في كونه للعهد تارة، والجنس أخرى، سواء جعلت من المعرف باللام كما ذهب إليه شرذمة من النحاة، أو لا، كما عليه المحققون، وعليه فإنَّ التعريف هنا للجنس؛ فهو متداول كل من صمم على كفره تصميمًا لا يزعم بعده، سواء كان المتصنف بذلك في زمن نزول القرآن، أو كان بعده حتى آخر الأمر؛ لأنَّ القرآن يبقى حكمه إلى آخر الدوران، ودلَّ على تناوله للمصريين قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، ومعناها: أنَّ الذين كفروا مستُونَ عندهم الإنذار وعدمه، فالفالائل بأنَّ التعريف للعهد، وأنَّ المراد به ناس بأعيانهم: كأبي جهل، وأبي لهب، والوليد بن المغيرة وأضرابهم، قول لا حظ له في شيء من التحقيق، بل هو قول من لا يرى أنَّ القرآن عام لجميع الأزمان " <sup>(1)</sup> .

فيظهر من كلامه - رحمه الله تعالى - أنه ذهب إلى القول أنَّ (ال) في ﴿الَّذِينَ﴾ هي للجنس بمعنى استغراق الأفراد، وعليه فإنَّ توجيه المعنى عنده في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ إِنَّدَرَتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6]، كلَّ من كفر بالله، ورسوله من هو في عصر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبعده إلى يوم القيمة.

وقد اختلف علماء التفسير في دلالة (ال) من ﴿الَّذِينَ﴾ على قولين، أدَى هذا الاختلاف إلى اختلاف توجيه المعنى في الآية الكريمة والمراد بـ (الذين كفروا).

فـ (ال) التعريفية: تأتي جنسية، وزائدة، وعهدية <sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> جواهر الانفكار ص 61-62

<sup>2</sup> صافي، محمود بن عبدالرحيم (ت 1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط 4، ج 4، ص 397. وانظر: الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى (ت 900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1419هـ، ج 1، ص 167-168. وانظر: النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط 1422هـ، ج 1، ص 179-182.

**القول الأول:** قالوا إِنَّ (أَلْ) مِنْ 《الَّذِينَ》 عِهْدِيْهِ، وَالْعَهْدُ هُنَّا ذِكْرٌ طَائِفَةٌ، أَوْ مَجْمُوعَةٌ، أَوْ أَفْرَادٌ بَعْيْنَاهَا، قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَالتَّعْرِيفُ فِي 《الَّذِينَ كَفَرُوا》 يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَهْدِ وَأَنْ يُرَادَ بِهِ نَاسٌ بِأَعْيَانِهِ"<sup>(1)</sup>.

وَاخْتَلَفَ هُؤُلَاءِ فِيمَنْ عُنِيَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَفِيمَنْ نَزَّلَتْ: فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَّلَتْ فِي الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بِنَوَاحِي الْمَدِينَةِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -<sup>(2)</sup>، وَالْكَلْبِي<sup>(3)</sup>، وَرَجْحَهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بَعْدَ أَنْ ذُكِرَ تَأْوِيلَاتُ الْمُفَسِّرِينَ قَالَ: "وَأَوْلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ"<sup>(4)</sup>.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَّلَتْ فِي مُشْرِكِيِّ الْعَرَبِ<sup>(5)</sup>. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَّلَتْ فِي أَبِي جَهَلٍ وَخَمْسَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ<sup>(6)</sup>. وَقَالَ الزَّمْخَشِريُّ (ت 538 هـ) فِي تَفْسِيرِهِ: "وَالْمَرَادُ بِهِ نَاسٌ بِأَعْيَانِهِ كَأَبِي لَهَبٍ وَأَبِي جَهَلٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغْيِرَةِ، وَأَصْرَابِهِمْ"<sup>(7)</sup>. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ: "نَزَّلَتْ فِي قَادِهِ الْأَحْزَابِ وَهُمْ أَهْلُ الْفَلَيْبِ"<sup>(8)</sup>.

وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ فِيمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هَذِهِ حَالَهُ دُونَ أَنْ يُعْيَنَ أَحَدًا، بِمَعْنَى أَنَّهَا عَامَةٌ، وَمَعْنَاهَا الْخَصْصُوصُ؛ فَإِنَّ مَنْ عَيَّنَ أَحَدًا فَإِنَّمَا مِثْلُ بِمَنْ كُشِّفَ الْغَيْبُ لِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفُرِ. وَلَكِنَّهَا خَاصَّةٌ فِيمَنْ كَفَرَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

<sup>1</sup> الكشاف 47/1. وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 41/1 والتحرير والتتوير لابن عاشور 1/248.

<sup>2</sup> انظر: مفاتيح الغيب 284/2 جامع البيان في تأويل القرآن 251/1، والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية 1/87، والجامع لأحكام القرآن 1/184. وتفسير الراغب الأصفهاني 1/88. والتحرير والتتوير لابن عاشور 1/248.

<sup>3</sup> انظر: جامع البيان في تأويل القرآن 251/1، والكشف والبيان في تفسير القرآن 149/1، والتفسير الوسيط للواحدي 1/83، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن 1/86، والجامع لأحكام القرآن 1/184.

<sup>4</sup> جامع البيان في تأويل القرآن 1/252.

<sup>5</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/149، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن 1/86.

<sup>6</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/149، والتفسير الوسيط للواحدي 1/83.

<sup>7</sup> الكشاف 47-48، وانظر: مفاتيح الغيب 284/2، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل 41/1، والتحرير والتتوير لابن عاشور 1/248.

<sup>8</sup> انظر: تفسير الراغب الأصفهاني 1/88، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/87، والجامع لأحكام القرآن 1/184.

وَسَلَّمَ - ورَجَحَ ذَلِكَ ابْنُ عَطِيَّةَ (ت 542 هـ)<sup>(1)</sup> فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(2)</sup>، وَالقرطبِيُّ (ت 671 هـ) فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(3)</sup>، وَابْنُ كَثِيرٍ (ت 774 هـ) فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(4)</sup>، وَأَبُو زِيدِ التَّعَالَبِيِّ (ت 876 هـ) فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(5)</sup>، وَالشَّوَّكَانِيُّ (ت 1250 هـ) فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(6)</sup>.

**وَأَمَّا القول الثاني:** فَقَالُوا إِنَّ (ال) التَّعْرِيفَيْةَ فِي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جَنْسِيَّةٌ، أَيْ تَأْتِي لِاستغراقِ الجنسِ حَقِيقَةً، فَهِيَ لِشَمْوَلِ أَفْرَادِ الجنسِ. فَمَنْ كَفَرَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ دَخْلٌ ضَمِّنَ هَذِهِ الْآيَةِ.

قال صاحب الكشاف: " والتَّعْرِيفُ فِي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ... وَأَنْ يَكُونَ لِلْجَنْسِ، مُتَنَاهِلاً كُلَّ مَنْ صَمَّمَ عَلَى كُفَرِهِ تَصْمِيمًا لَا يَرْعَوْيِ بَعْدَهُ وَغَيْرَهُ"<sup>(7)</sup>. وَرَجَحَهُ بِقَوْلِهِ: " وَدَلَّ عَلَى تَنَاهِلِ الْمُصَرِّيْنَ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ بِأَسْتَوْاءِ الْإِنْذَارِ، وَتَرَكَهُ عَلَيْهِمْ"<sup>(8)</sup>.

وقال ابن عاشور (ت 1393 هـ): " وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ المَوْصُولُ لِتَعْرِيفِ الْجَنْسِ الْمُفِيدُ لِلْاسْتَغْرَاقِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْكُفَرِ أَبْلَغُ أَنْواعِهِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: لَا يُؤْمِنُونَ، فَيَكُونُ عَامًا مُخْصُوصًا بِالْحَسْنِ؛ لِمَشَاهِدَةِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، أَوْ يَكُونُ عَامًا مَرَادًا بِالْخَصْوَصِ بِالْقَرِينَةِ، وَهَذَا الْوَجْهَانُ هَمَا الْلَّذَانِ اقْتَصَرُ عَلَيْهِمَا الْمُحْقَقُونَ مِنَ الْمُفَسِّرِيْنَ وَهُمَا نَاظِرَانِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ هُؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فَتَعْلَمُ أَنَّ يَكُونُوا مِمَّنْ تَبَيَّنَ بَعْدَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفَرِ"<sup>(9)</sup>.

<sup>1</sup> هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطيه المحاريبي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولد قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتحمين. وتوفي بلووفة. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، و (برنامج) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. وقيل في تاريخ وفاته سنة 541 و 546. انظر: الأعلام للزركي 282/3

<sup>2</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه 87/1

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن 184/1

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير 173/1

<sup>5</sup> الجوادر الحسان في تفسير القرآن 185/1

<sup>6</sup> فتح القيمة للشوكاني، 46/1

<sup>7</sup> الكشاف 1/47، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 41/1

<sup>8</sup> الكشاف 47/1

<sup>9</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور 248/1

فيما يرى الباحث - بعد الاطلاع على أقوال العلماء والنظر في أدلةهم - أنَّ الخلاف قائم على مسألة نحويَّة في تعريف الموصول هل هو للعهد أم للجنس؟ أدى إلى تباين آراء العلماء في توجيهه معنى الآية على الأقوال المذكورة آنفًا، ولقد أيدَّ الباحث قول ابن بدران والقائلين: إنَّ التعريف في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنَّمَا هو للجنس؛ لأنَّه يتناول كل من صمم على كفره تصميمًا لا يَرْعَوْيَ بعده، سواء أكان المتصف بذلك في زمن نزول القرآن، أم كان بعده، وذلك للاعتبارات الآتية:

1. ممَّا هو معلوم أنَّ ألفاظ العموم إِنْ خُصِّصَتْ فلا بدَّ من دليل، أو قرينة تصرفها من العموم إلى الخصوص، ولمَّا لم يكن دليل، أو قرينة فيبقى على عمومه.

2. أنَّ القرآن الكريم نافذة أحكامه، وشرائعه في كل زمان ومكان، فهو عام لجميع الأزمان إلى يوم القيمة.

3. أنَّ صيغ المخاطبين في زمن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتبَّسٌ بها كلَّ من اندرج تحت تلك الصيغة كقوله - تعالى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٤١]، فكلَّ مؤمن معني بالخطاب في كل زمان، ومكان، وكذا قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٦].

4. لما كان قول القائلين بالعموم يشمل قول القائلين بالخصوص؛ فهو مُقدم لاستغراق الكل على القائلين بطائفة دون طائفة، فعموم الكفار إلى يوم القيمة يشمل مشركي قريش، وأحبار اليهود.

5. أنَّ الله عندَه عِلمٌ مَنْ سِيَّكَرَ بِهِ، ويُمُوتُ عَلَى كُفَّرَه مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ أَوْلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلْمَ." فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا أَكْتُبْ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مَنِي" <sup>(١)</sup>. وفي رواية: "قَالَ: اكْتُبْ الْفَدَارَ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبْدِ" <sup>(٢)</sup>.

فَعِلْمُهُ - سُبْحَانَهُ - لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ سِيَّمَتْ عَلَى الْكُفَّرِ فِي عَهْدِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بَلْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

<sup>1</sup> رواه أبو داود في سننه 86، حديث رقم 4700، باب في القدر، وصحيح الجامع وزیادته 405/1 حديث رقم 2018-890.

<sup>2</sup> صحيح الجامع وزیادته 405/1، حديث رقم 2017-889.

6. أنّ قول مَنْ قال: إِنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَمَعْنَاها الْخُصُوصُ فَيَمَنْ سَبَقَتْ عَلَيْهِ كَلْمَةُ الْعَذَابِ مَرْدُودٌ مِنْ وَجْهِيْنِ:

أ. قول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنَذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] خرج مِنْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ كَافِرًا وَقَتْ نَزُولِ الْآيَةِ وَآمَنَ فِيمَا بَعْدَ، كَمَنْ آمَنَ يَوْمَ الْفَتْحِ. فَتَبَقَّى الْآيَةُ عَلَى عُمُومِهَا وَلَا خُصُوصُ فِيهَا.

ب. أنّ كَلْمَةُ الْعَذَابِ سَبَقَتْ عَلَى مَنْ مَاتَ كَافِرًا قَبْلَ نَزُولِ الْآيَةِ، وَعَصَرَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لَا بَلْ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعِدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعِدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ" ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نَنْكِلُ عَلَى كَتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلِ؟ قَالَ: "أَعْمَلُوا! فَكُلُّ مُبِيْسَرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ" ، قَالَ: "أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُبَيِّسَرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُبَيِّسَرُ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَإِمَّا مَنْ أَعْطَيْنَا وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَيُبَيِّسَرُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَإِمَّا مَنْ بَخَلَ وَأَسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَدَّ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَيُبَيِّسَرُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: 5-10]<sup>(1)</sup>. وَعَلَيْهِ إِنَّ الْآيَةَ تَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ يَمُوتُ عَلَى الْكُفُرِ مُذَمِّدًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لَأَنَّهَا سَبَقَتْ عَلَيْهِ كَلْمَةُ الْعَذَابِ.

وَخَلَاصَةُ القَوْلِ:

إِنَّ تَعْرِيفَ الْاِسْمِ الْمُوصَولِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 6]، لِلْجَنْسِ وَيَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ سَوَاءً فِي عَصْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ بَدْرَانَ، وَالْمُحْقِقُونَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ - رَحْمَمُ اللَّهُ جَمِيعًا -.

<sup>1</sup> صحيح البخاري 6/171، باب: "فسنيسره للعسرى" [الليل: 10]، حديث رقم 4949، صحيح مسلم 8/47، كتاب: الأداب، باب: كل ميسَرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ ، حديث رقم 6826.

## المسألة الخامسة:

أثر معنى (العل) في توجيهه معنى قوله - تعالى - : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[ البقرة: 21]

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - : " ومعنى (العل) هنا للتعليل، وهذا أثبته لها جماعة، منهم الأخفش، والكسائي، وحملوا عليه قوله - تعالى - : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتَا لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [ طه: 44 ] ، وإنما أثبتنا هذا؛ لأن المفهوم من الآية أن خلقهم على تلك الحال في معنى: خلقهم لأجل التقوى، كأنه - تعالى - يقول: أنتم تعبدون الأوثان، والأصنام، والنجوم، وغيرهم من العبودات؛ لتقريركم إلينا زلفى، وتجعلونهم واسطة، لأن أبواب الرحمة عليها حارس لا يدخل إلا الأفراد، وإن ما تعبدونهم لا يدفعون عن أنفسهم ضرراً، ولا يجلبون لها نفعاً، فكيف ينفعون غيرهم، أو يضرُّونهم؟! وحيث إنكم عبدتموه لعلة الواسطة، فانظروا إلى الحقيقة الأصلية، فاعبدوا الذي خلقكم، وخلقكم، وأسلافكم، وأصنامكم؛ لأجل هذه القدرة الباهرة، والحكمة العظيمة، ولما كانت التقوى قصارى أمر العابد، ومنتهى جهده، قال هنا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [ البقرة: 21 ]؛ لأن التقوى إذا لزمتهم كان ما هو أدنى منها أكرم، والإتيان به أهون " <sup>(1)</sup> .

ومما هو معلوم أن (العل) من أخوات إن، تتصبّب المبتدأ ويسمى اسمها، وتترفع الخبر ويسمى خبرها<sup>(2)</sup>. ولها معانٌ اختلف العلماء في تحديدها، فجعلها ابن مالك (ت 672هـ)<sup>(3)</sup> أربعة، فيما عدّها المرادي (ت 749هـ) ثمانية معانٌ، ذكرها في كتابه " الجنى الداني في حروف المعاني" بقوله: "ولعل"

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 94.

<sup>2</sup> انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعارة لابن هشام ص 315، وشرح التسهيل لابن مالك / 40-39 .

<sup>3</sup> هو محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه (الألفية - ط) في الحُوْرُ، وله (تسهيل الفوائد - ط) نحوه، و (شرحه له)، و (الضرب في معرفة لسان العرب) و (الكافية الشافية - ط) أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، و (شرحها - ط) و (سبك المنظوم وفك المختوم) نحوه، و (لامية الأفعال - ط) و (عدة الحافظ وعدة اللافظ) رسالة، وشرحها، و (إيجاز التعريف) صرف، و (شواهد التوضيح - ط) و (إكمال الإعلام بمثلث الكلام - ط) و (مجموع) فيه 10 رسائل، و (تحفة المؤود في المقصور والممدوح - ط) منظومة، و (العروض) و (الاعتراض في الفرق بين الظاء والضاد) قصيدة من بحر البسيط على روبي الظاء المفتوحة، مشرورة شرعاً منقناً من إنشائه، وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركي 233/6 .

<sup>4</sup> انظر: ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672هـ)، تسهيل الفوائد وتمكين المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ، ج 1، ص 61، وشرح التسهيل لابن مالك 7/2 .

لها ثمانية معان " <sup>(1)</sup> ، وعدها ابن هشام (ت 761هـ) ثلاثة معان بقوله: " ولعل للترجي، أو الإشفاق، أو التعليل " <sup>(2)</sup> . ولعل هذه الثلاثة هي أشهر ما ورد عند العلماء.

**أما الترجي** فقال به سيبويه (ت 180هـ) في كتابه " الكتاب " : " إذا قلت (العل) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب " <sup>(3)</sup> .

وقال الأزهري (ت 370هـ) في تهذيب اللغة: (عل ولعل) حرفان وضععا للترجي في قول النحويين. وأثبتت عن ابن الأباري أنه قال: " لعل يكون ترجياً، ويكون بمعنى كي، ويكون ظناً كقولك: لعلي أحج العام، معناه أظنني: سأحج، ويكون بمعنى: عسى، لعل عبدالله يقوم، معناه عسى عبد الله، ويكون بمعنى الاستفهام كقولك: لعلك تشتمني فأعاقبك، معناه هل تشتمني؟ " <sup>(4)</sup> .

وقال الأنباري (ت 577هـ) <sup>(5)</sup> : " معنى (العل): ترجيت " <sup>(6)</sup> . وقال أيضاً: " ولعل أفادت معنى الترجي " <sup>(7)</sup> .

<sup>1</sup> انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 579/1.

<sup>2</sup> ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط 11383هـ، ص 147، وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأغاريب لابن هشام ص 317.

<sup>3</sup> الكتاب لسيبوه 2 / 148.

<sup>4</sup> تهذيب اللغة للأزهري 1/79، وانظر: التفسير البسيط للواحدى 2/219، ذكر الواحدى منها ثلاثة الترجي وكيفي والظن.

<sup>5</sup> هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري، الملقب كمال الدين، النحوي، كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو، وسكن بغداد من صباحه إلى أن مات، وتفقه على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - بالمدرسة النظامية وتصدر لإقراء النحو بها، وقرأ اللغة على أبي منصور ابن الجواليقي، وصاحب الشريف أبا السعادات هبة الله بن الشجري وأخذ عنه وانتفع بصحته، وتبخر في علم الأدب، واشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء، وصنف في النحو كتاب " أسرار العربية " وهو سهل المأخذ كثیر الفائدة، وله كتاب " الميزان " في النحو أيضاً، وله كتاب في " طبقات الأدباء " جمع فيه المتقدمين والمتاخرین مع صغر حجمه، وكتبه كلها نافعة، وكان نفسه مباركاً ما قرأ عليه أحد إلا وتميز. وانقطع في آخر عمره في بيته مشتغلًا بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها، ولم يزل على سيرة حميدة. وكانت ولادته في شهر ربیع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسماة، وتوفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسماة ببغداد، ودفن بباب أبزر بترة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي - رحمه الله تعالى -. انظر: وفيات الأئياد 3/139.

<sup>6</sup> أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 577هـ)، أسرار العربية، دار الأرقام بن أبي الأرقام، ط 1420هـ، ص 122، وانظر: أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكرفبيين، المكتبة العصرية، ط 1424هـ ج 1، ص 145.

<sup>7</sup> المرجع السابق ص 124.

وأمّا الإشفاق فالفرق بينه، وبين الترجي: أن الترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروره<sup>(1)</sup>.

وأمّا التعليل فقد اختلف فيه العلماء على قولين:

الأول: قول الكسائي والأخفش، وحملًا على ذلك ما في القرآن من نحو قوله - تعالى - : ﴿أَعْلَمُكُمْ تَهَدُونَ﴾ [البقرة: 53] ، ﴿أَعْلَمُكُمْ تَتَقَوَّنَ﴾ [البقرة: 21] ، ﴿أَعْلَمُكُمْ شَكُرُونَ﴾ [البقرة: 52] ، أي: لتهدوا، ولتقوا، ولتشكروا<sup>(2)</sup>.

الثاني: مذهب سيبويه والمحققين إنّ معنى (عل) في الآيات التي استشهد بها للتعليق؛ فإنّها في ذلك كله للترجي، وهو نزّ العباد، وقوله - تعالى - : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ أَعْلَمُهُ وَيَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْتَنِي﴾ [طه: 44] ، معناه: اذهبوا على رجائكم ذلك من فرعون<sup>(3)</sup>.

ويرى التعليل نفسه شوفي ضيف (ت 1426هـ) في كتابه المدارس النحوية بقوله: "إنّ من معاني لعلّ التعليل " <sup>(4)</sup>.

وفيل إنّ من معانيها الاستفهام، قال به الكوفيون وتبعهم ابن مالك<sup>(5)</sup>، وجعل منه: ﴿وَمَا يُدِرِيكَ لَعَلَّهُ يَرَكَ﴾ [عبس: 3] ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لبعض الأنصار، وقد خرج إليه مستعجلًا: "لعلنا أتعجبناك"<sup>(6)</sup>. وخالفهم بذلك البصريون؛ فقالوا: إنّ لعلّ في الآية بمعنى الرجاء، وفي الحديث بمعنى الإشفاق<sup>(7)</sup>.

وقد أدى هذا الاختلاف بين علماء النحو في تحديد معنى لعلّ إلى تباين آراء المفسرين في توجيه قوله - تعالى - : ﴿أَعْلَمُكُمْ تَتَقَوَّنَ﴾ [البقرة: 21]. ويظهر هذا التباين في أمرين:

<sup>1</sup> انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 1/580، والبحر المحيط 1/151، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 1/59، وروح المعاني للألوسي 1/188.

<sup>2</sup> انظر: معاني القرآن للأخفش 2/443، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 1/580.

<sup>3</sup> انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 1/580.

<sup>4</sup> شوفي ضيف، أحمد شوفي عبد السلام (ت 1426هـ)، المدارس النحوية، دار المعارف، (د. ت)، ج 1، ص 97.

<sup>5</sup> انظر: شرح التسهيل لابن مالك 2/8.

<sup>6</sup> صحيح البخاري 1/47، حديث رقم 180، باب من لم يز الوضوء إلاً من المخرجين من القبل والدبر، وصحيح مسلم 1/269، حديث رقم 345، باب إنما الماء من الماء.

<sup>7</sup> انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 1/581.

الأول: في معنى لعلٍ. والثاني: في متعلق لعلٍ.

الأمر الأول: فقد اختلف علماء التفسير في تحديد معنى لعلٍ في قوله - تعالى - : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] إلى أقوال عديدة أشهرها:

القول الأول: قالوا لعلٍ جاءت بمعنى الترجي، أي الرجاء، وممن قال بذلك:

القشيري (ت465هـ) في تفسيره بقوله: " قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: تقريب الأمر عليهم، وتسهيله، ولقد وففهم بهذه الكلمة - أعني لعلٍ - على حد الخوف، والرجاء<sup>(1)</sup>.

وابن عطية (ت542هـ) في تفسيره بقوله: " و (العل) في هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين: هي بمعنى إيجاب التقوى، وليس من الله بمعنى ترجٌ وتتوقع. وقال سيبويه ورؤساء اللسان: هي على بابها، والترجي، والتوقع إنما هو في حيز البشر، أي إذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتكم لأنفسكم التقوى"<sup>(2)</sup>.

والنيسابوري (ت550هـ) في تفسيره: لعلمكم تتقوون: على أصلها في الشك والرجاء من المخاطب للتقوى لئلا يأمن العبد مذلة بتقواه "<sup>(3)</sup>.

والبيضاوي (ت691هـ) في تفسيره: لعلمكم تتقوون حالٌ من الضمير في اعبدوا، كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تخرطوا في سلك المتنقين الفائزين بالهدى والفلاح "<sup>(4)</sup>.

وأبو حيّان (ت745هـ) الأندلسي بقوله: " وليس لعلٍ هنا بمعنى كي؛ لأنَّه قول مرغوب عنه، ولكنَّها للترجي والإطماع "<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> القشيري، عبد الكريم بن هوان بن عبد الملك (ت465هـ)، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3، (د.ت)، ج1، ص68.

<sup>2</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/105.

<sup>3</sup> النيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن (ت550هـ)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1415هـ، ج1، ص74.

<sup>4</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/54.

<sup>5</sup> البحر المحيط 1/155.

ورجح ذلك البقاعي (ت 885هـ) في نظم الدرر<sup>(1)</sup>، والألوسي (ت 1270هـ) في روح المعاني<sup>(2)</sup>، ومحمد رشيد رضا (ت 1354هـ) في تفسير المنار<sup>(3)</sup>، وأبو زهرة (ت 1394هـ) في زهرة التفاسير<sup>(4)</sup>.

وقد نبه القائلون بهذا القول إلى أمرين لا بد من الإشارة إليهما:

**أمّا الأوّل:** وهو أن الشك في الرجاء إنما يكون في حق المخاطبين، وأمّا إذا وقعت في كلام الله يكون معناها التحقيق؛ لأنّه – سبحانه وتعالى – منزه عن الشك في الرجاء؛ لأنّ الشك لا يكون إلا عند الجهل بالعاقبة، وذلك على الله – تعالى – مُحال.

**وأمّا الثاني:** فإن الرجاء والإطماء إنما هو في حق المخلوقين، أي هو بالنسبة إلى المخاطبين؛ لأن الرجاء لا يكون في حقه – سبحانه – (5)، ولا تستعمل إلا في الممكن، لا يقال: لعلّ الشباب يعود<sup>(6)</sup>.

وقال ابن الشجري (ت 542هـ)<sup>(7)</sup> في أماليه: "ولعل إنما هو حرف موضوع للرجاء، والراجح شاك، بدلالة أنك تقول: لعلي أدخل الجنة، وأرجو أن أدخل الجنة، ولا تقول: أرجو أن يدخل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الجنة، ولا: لعل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يدخل الجنة؛ لأنك على غير يقين من دخولك الجنة، وغير شاك في دخول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الجنة..."

<sup>1</sup> انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 1، ص 143.

<sup>2</sup> انظر: روح المعاني للألوسي /188/.

<sup>3</sup> انظر: رضا، محمد رشيد بن علي (ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 1، ص 155.

<sup>4</sup> انظر: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د. ت)، ج 1، ص 157-158.

<sup>5</sup> انظر: مفاتيح الغيب للرازي /2-334-335، والمحرر الوجيز لابن عطية /1-105، وإيجاز البيان عن معاني القرآن للبيسابوري /1، 74، والبحر المحيط /1-155.

<sup>6</sup> البحر المحيط /1-151.

<sup>7</sup> هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني، المعروف بابن الشجري البغدادي، كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل، متضلعًا من الأدب صنف فيها عدة تصانيف، فمن ذلك كتاب "الأمالى"، وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة، أما له في أربعة وثمانين مجلساً، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب. والشجري: بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدهما راء، هذه النسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وشجرة أيضًا اسم رجل، وقد سمت به العرب ومن بعدها، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم، ولا أدرى إلى من ينتسب الشريف المذكور منها هل نسبته إلى القرية، أم إلى أحد آجداده كان اسمه شجرة، والله أعلم. ولد في رمضان، سنة خمسين وأربع مئة. وتوفي: في السادس والعشرين من رمضان، سنة اثنين وأربعين وخمسين، ودفن بداره، وإنما سمع الحديث في كهولته. انظر: وفيات الأعيان /6-45-50، وسير أعلام النبلاء /20-195-196، والأعلام للزرکلي 74/8.

فهو على شَكِ المخاطَبِينَ فَإِنَّهُ قَيْلٌ: افْعُلُوا ذَلِكَ عَلَى الرَّجَاءِ مِنْكُمْ، وَالْطَّمَعِ أَنْ تَعْقُلُوا، وَأَنْ تَذَكَّرُوا،  
وَأَنْ تَنْتَقُوا " <sup>(1)</sup> .

وقال ابن جُرَيْرٍ (ت 741هـ): " وَإِنْ كَانَتْ لَعْلَةُ التَّرْجِي فَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ فِي حَقِّ الْمُخْلُوقِينَ، جَرِيًّا  
عَلَى عَادَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ " <sup>(2)</sup> .

وقال القاسمي (ت 1332هـ) <sup>(3)</sup>: " وَفِي إِبْرَادِ (اللَّعْلَةِ) تُشَبِّهُ طَلَبَهُ - تَعَالَى - بِرَجَاءِ الزَّاجِي مِنَ  
الْمَرْجُوِّ مِنْهُ أَمْرًا هَيْبَنَ الْحَصُولِ " <sup>(4)</sup> .

**القول الثاني:** قالوا: إنَّ (اللَّعْلَةَ) جاءَتْ بِمَعْنَى التَّعْلِيلِ، وَمَمْنَ قَالَ بِذَلِكَ:

ابن عباس (ت 868هـ) - رضي الله عنه - إذ جاء في تتوير المقباس من تفسير ابن عباس:  
﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِنُ﴾، لكي تنتقوا السخطة، والعتاب، وتطيعوا الله " <sup>(5)</sup> .

<sup>1</sup> ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعدات هبة الله بن علي بن حمزة (ت 542هـ)، أمالى ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1413هـ، ج 1، ص 76.

<sup>2</sup> جُرَيْرٌ، أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَلَبِيِّ (ت 741هـ)، التَّسْهِيلُ لِعِلُومِ التَّزِيلِ، تَحْقِيقُ دُ. عَبْدَاللهِ الْخَالِدِيِّ، شَرْكَةُ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ - بَيْرُوتُ، ط 1416هـ، ج 1، ص 74.

<sup>3</sup> هو جمال الدين (أو مُحَمَّدُ جَمَالُ الدِّينِ) بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ بْنَ قَاسِمِ الْحَالِقِ، مِنْ سَلَالَةِ الْحُسَنِ السَّبِطِ: إِمامُ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ، عَلَمًا بِالْدِينِ، وَتَضَلَّلًا مِنْ فَنَّونَ الْأَدْبِ. مُولَدُهُ وَوَفَاتُهُ فِي دَمْشِقَ، كَانَ سَلْفِيُّ الْعِقِيدَةِ لَا يَقُولُ بِالتَّقْلِيدِ. اِنْتَدَبَهُ الْحُكُومَةُ لِلرَّحْلَةِ وَلِلقاءِ الدُّرُوسِ الْعَامَةِ فِي الْقُرْبَى وَالْبَلَادِ السُّورِيَّةِ، فَأَقَامَ فِي عَمَلِهِ هَذَا أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ (1308 - 1312هـ) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مَصْرُ، وَزَارَ الْمَدِينَةَ. وَنُشِرَ بِحُوَثًا كَثِيرًا فِي الْمَجَالَاتِ وَالصَّحَافِ، مِنْهَا (الْإِلَلُ التَّوْحِيدُ - ط) وَ (دِيَوَانُ خَطْبٍ - ط) وَ (الْفَتْوَى فِي الإِسْلَامِ - ط) وَ (إِرشَادُ الْخَلْقِ إِلَى الْعَمَلِ بِخَبْرِ الْبَرِّ - ط) وَ (شَرْحُ لَقْطَةِ الْعَجْلَانِ - ط) وَ (نَفْدُ النَّصَائِحِ الْكَافِيَّةِ - ط) وَ (مَذَاهِبُ الْأَعْرَابِ وَفَلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْجَنِّ - ط) وَ (مَوْعِظَةُ الْمُؤْمِنِينَ - ط) وَ (شَرْفُ الْأَسْبَاطِ - ط) وَ (تَنْبِيهُ الطَّالِبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ - ط)، وَ (مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ - ط) فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ انْظُرْ: الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 135/2.

<sup>4</sup> القاسمي، مُحَمَّدُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ (ت 1332هـ)، مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بَاسِلِ عَيْنِ السُّودِ، دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ - بَيْرُوتُ، ط 1418هـ، ج 1، ص 265.

<sup>5</sup> ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت 68هـ)، تتوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه مجد الدين أبو الطاهر مُحَمَّدُ بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان، ج 1، ص 5.

ومقاتل (ت 150هـ)<sup>(1)</sup> في تفسيره بقوله: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، يقول: لكي تنقوا "<sup>(2)</sup>.

ووافقهما أي - ابن عباس ومقاتل - سفيان الثوري<sup>(ت 161هـ)</sup> بقوله: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال تطيعون "<sup>(3)</sup>.

وكان مجاهد يقول في تأويل قوله - تعالى - : "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾": "تطيعون "<sup>(4)</sup>.

وقال الطبرى (ت 310هـ) في تفسيره: "إِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ أَعْبُدُوكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمُوهُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ؛ لَتَتَّقُوا بِطَاعَتِهِ، وَتَوْحِيدَهُ، وَإِفْرَادَهُ بِالرِّبُوبِيَّةِ، وَالْعِبَادَةِ"<sup>(5)</sup>. قال المحقق<sup>(6)</sup> في الهاشم: " يريد الطبرى أنَّ العرب تستعمل "لعلَّ" مجردةً من الشك، بمعنى لام كي "<sup>(7)</sup>.

وقال الماتريدي (ت 333هـ) في تفسيره: "﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أي: كي تنقوا "<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور. وأخذ الحديث عن مجاهد بن جير وعطاء بن أبي رياح، وأبي إسحاق السبيبي، والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم. وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي عبد الرزاق بن همام الصنعاني وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد، وغيرهم. وحكي عن الإمام الشافعى - رضي الله عنه - أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير ابن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام. وقال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال البخارى: مقاتل لا شيء أبلته. قلت - أي الذهبي - : أجمعوا على ترمه - أي متزوك الحديث - . فكان متزوك الحديث. من كتبه (التفصير الكبير)، و(نوادر التفسير) و(الرد على القدرة) و(متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(القراءات) و(الوجوه والنظائر). وتوفي سنة خمسين ومئة بالبصرة - رحمة الله تعالى - . انظر: وفيات الأعيان 5/255-257، وسير أعلام النبلاء 7/202-201، والأعلام للزركل 7/281.

<sup>2</sup> الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (ت 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط 1423هـ، ج 1، ص 112.

<sup>3</sup> الثوري، أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق (ت 161هـ)، تفسير الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1403هـ، ج 1، ص 42.

<sup>4</sup> جامع البيان في تأويل القرآن للطبرى 364/1.

<sup>5</sup> جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمود شاكر 1/364.

<sup>6</sup> هو أحمد بن محمد عبد القادر (المعروف بأحمد شاكر)، ولد في القاهرة عام 1309هـ، حفظ القرآن في صغره، ودرس التفسير، والفقه والحديث، والأدب، ودرس في الأزهر، وتتلمذ على عدد من علماء عصره، وعني بعلم الحديث، واهتم بتحقيق عدد من كتب السنة، وشرحها، وعمل أميناً للفتوى بالأزهر، وتولى القضاء عام 1951م، ثم عُيِّن رئيساً للمحكمة الشرعية، واختير وكيلًا لمشيخة الجامع الأزهر سنة 1327هـ، وقد حقق كثيراً من كتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وألف عدداً كبيراً من الكتب، منها: الكتاب والستة، والشرع واللغة. وتوفي - رحمة الله تعالى - في ذي القعدة سنة 1377هـ.

<sup>7</sup> المرجع السابق 364/1، هامش رقم 3.

<sup>8</sup> الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق د. مجدى باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط 1426هـ، ج 1، ص 399.

وقال السمرقندى (ت373هـ): "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعصية، وتجون من العقوبة " <sup>(1)</sup>.

وقال ابن أبي زمین (ت399هـ): "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: لكي تتقوا " <sup>(2)</sup>.

وقال الثعلبى (ت427هـ) في تفسيره: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تجوا من السحت والذاب" <sup>(3)</sup>.

وقال الجرجانى (ت471هـ) في درج الدرر: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا مخالفه الخالق" <sup>(4)</sup>.

وقال السمعانى (ت489هـ) <sup>(5)</sup> في تفسيره: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قيل معناه: لكي تتقوا، قاله أبو عبيدة" <sup>(6)</sup>.

وقال البغوى (ت516هـ) في تفسيره: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلمكم تجون من العذاب " <sup>(7)</sup>، أي لكي <sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> السمرقندى، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت375هـ)، تفسير السمرقندى المسمى (بحر العلوم)، تحقيق وتعليق على محمد معرض وعادل محمد عبد الموجد وذكرها عبد المجيد النوتى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1413هـ، ج 1، ص 101.

<sup>2</sup> ابن أبي زمین، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى (ت399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبي عبدالله حسين بن عاكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، ط 1423هـ، ج 1، ص 127.

<sup>3</sup> الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/166.

<sup>4</sup> درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني 1/121.

<sup>5</sup> هو الإمام، العلامة، مفتى خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعانى، المروزى، الحنفى كان، ثم الشافعى. ولد: سنة ست وعشرين وأربعين وأربع مئة. ويرى في مذهب أبي حنيفة على والده العلامة أبي منصور السمعانى، ويزداد على الأقران. صنف كتاب (الاصطalam)، وكتاب (البرهان)، وله (الأمالي) في الحديث، تنصب لأهل الحديث والسنن والجماعة، وكان شوكاً في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنن. وتوفي يوم الجمعة، الثالث والعشرين من ربى الأول، سنة تسعة وثمانين وأربع مائة، عاش ثلاثة وستين سنة - رحمه الله -. انظر: سير أعلام النبلاء 19/114-119، والأعلام للزرکلى 7/303-304.

<sup>6</sup> السمعانى، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنىم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط 1418هـ، ج 1، ص 56. ويعنى بأبي عبيدة عمر بن المثنى.

<sup>7</sup> معلم التزيل في تفسير القرآن للبغوى 1/93.

<sup>8</sup> انظر: المرجع السابق 93/1، هامش رقم 3.

ودافع عن هذا القول الغزّنويُّ (ت 553هـ) في باهر البرهان بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>١</sup> لكي تتقوا، وهو معنى كلّ (علّ) في القرآن؛ لأنَّ الله يتعالى عن معاني الشكّ "^(1). وقال ابن الجوزي (ت 597هـ) في زاد المسير: "وفي (علّ) قولان: أحدهما: أنها بمعنى (كي). وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقطرب، وابن كيسان. قال ابن عباس: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الشرك، وقال الضحاك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار، وقال مجاهد: لكم تطعون"^(2).

وذهب إلى هذا القول أبو زيد الثعالبي (ت 875هـ) - بعد أن ذكر أقوال المفسرين فيها - بقوله: "وأما (علّ) هنا، فهي بمعنى (كي) أو (لام كي)، أي: لتتقوا، أو لكي تتقوا"^(3).

ورجح هذا القول القاسمي (ت 1332هـ) في محسن التأويل بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>٤</sup> أي: كي تتقوا "^(4).

وابن العثيمين (ت 1421هـ) بقوله: "وقوله - تعالى - ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (علّ) هنا للتعليل: أي لتصلوا إلى التقوى"^(5).

القول الثالث: قالوا (علّ) جاءت بمعنى المقاربة، ورجح ذلك ابن جزيّ (ت 741هـ) في تفسيره - بعد أن ذكر أقوال المفسرين - بقوله: "والاَظْهَرُ فِيهَا أَنَّهَا لِمَقَارِبِ الْأَمْرِ، نَحْوُ عَسَى، إِذَا قَالَهَا اللَّهُ: فَمَعْنَاهَا أَطْبَاعُ الْعِبَادِ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهَا حِيثُ مَا وَرَدَتْ فِي كَلَامِ اللَّهِ"^(6).

القول الرابع: قالوا (علّ) جاءت بمعنى التعرّض للأمر أي التعرض.

<sup>١</sup> الغزّنوي، أبو القاسم مُحَمَّد بن أبي الحسين علي بن الحسين النيسابوري (ت 553هـ)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق سعاد بنت صالح، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1419هـ، ج 1، ص 44.

<sup>2</sup> انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 1/42 - 43، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 1/62، والبحر المحيط لأبي حيyan 1/151، والدر المنثور في التفسير بالتأثر للسيوطى 1/85.

<sup>3</sup> الجوادر الحسان في تفسير القرآن 1/195.

<sup>4</sup> محسن التأويل (تفسير القاسمي) 1/265.

<sup>5</sup> تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) لابن عثيمين 1/73.

<sup>6</sup> التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيّ 1/74.

قال الكرماني (ت 505هـ) في غرائب التفسير - بعد ذكر الأوجه الثلاثة في معنى (العلـ) -: " قال أبو بكر بن الإخشيد: معناه التعرض للأمر، أي افعلوا متعرضين للنقوى، حكاـه ابن عيسـى<sup>(1)</sup>".

وقال السـمـين الحـلـبـيـ (ت 756هـ) - بعد ذكر أقوال العلماء في المسـأـلةـ -: " والثالث: أنهاـ للـتـعـرـضـ لـلـشـيـءـ، كـأنـهـ قـيلـ: اـفـعـلـواـ ذـلـكـ مـتـعـرـضـينـ لـأـنـ نـقـوـاـ "<sup>(2)</sup>.

**القول الخامس:** قالـواـ إـنـ (الـعـلـ) وـاقـعـةـ فـيـ الـآـيـةـ مـوـقـعـ الـمـجـازـ لـاـ الـحـقـيقـةـ.

وقـالـ بـهـذـاـ القـوـلـ الزـمـخـشـريـ (ت 538هـ) فـيـ الـكـشـافـ - فـبـعـدـ أـنـ ذـكـرـ أـقـوـالـ الـمـفـسـرـينـ فـيـ معـنـىـ (الـعـلـ)ـ - عـمـلـ عـلـىـ تـقـنـيـدـهـاـ، وـالـرـدـ عـلـيـهـاـ، ثـمـ خـلـصـ بـرـأـيـ مـغـاـيـرـ لـمـ جـاءـ بـهـ الـمـفـسـرـونـ مـؤـيـداـ بـذـلـكـ مـذـهـبـهـ الـمـعـتـرـلـيـ، إـذـ يـقـولـ: " قـالـ مـنـ قـالـ: إـنـ (الـعـلـ) بـمـعـنـىـ (كـيـ)، وـ(الـعـلـ) لـاـ تـكـوـنـ بـمـعـنـىـ (كـيـ)"<sup>(3)</sup>. ثـمـ رـدـ عـلـىـ الـفـائـلـيـنـ بـالـتـرـجـيـ بـقـوـلـهـ: " فـإـنـ قـلـتـ: فـ (الـعـلـ) الـتـيـ فـيـ الـآـيـةـ مـاـ مـعـنـاهـ؟ـ وـمـاـ مـوـقـعـهـ؟ـ قـلـتـ: لـيـسـ مـمـاـ ذـكـرـنـاـ فـيـ شـيـءـ؛ـ لـأـنـ قـوـلـهـ: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لـاـ يـجـوزـ أـنـ يـحـمـلـ عـلـىـ رـجـاءـ اللـهـ تـقـوـاهـ؛ـ لـأـنـ الرـجـاءـ لـاـ يـجـوزـ عـلـىـ عـالـمـ الـغـيـبـ، وـالـشـهـادـةـ، وـحـمـلـهـ عـلـىـ أـنـ يـخـلـقـهـمـ رـاجـيـنـ لـلـنـقـوـيـ لـيـسـ بـسـدـيـدـ أـيـضاـ.ـ وـلـكـنـ (الـعـلـ) وـاقـعـةـ فـيـ الـآـيـةـ مـوـقـعـ الـمـجـازـ لـاـ الـحـقـيقـةـ "<sup>(4)</sup>. ثـمـ بـيـنـ سـبـبـ اـخـتـيـارـ لـهـذـاـ الرـأـيـ بـقـوـلـهـ: " لـأـنـ اللـهـ - عـزـ وـجـلـ - خـلـقـ عـبـادـهـ لـيـتـعـبـدـهـمـ بـالـتـكـلـيفـ، وـرـكـبـ فـيـهـمـ الـعـقـولـ، وـالـشـهـوـاتـ، وـأـزـاحـ الـعـلـةـ فـيـ أـقـدـارـهـمـ، وـتـمـكـنـهـمـ، وـهـدـاـهـمـ النـجـديـنـ، وـوـضـعـ فـيـ أـيـديـهـمـ زـامـ الـاـخـتـيـارـ، وـأـرـادـ مـنـهـمـ الـخـيـرـ، وـالـنـقـوـيـ "<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الكرماني، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر (ت نحو 505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، (د. ت)، ج 1، ص 124-125.

<sup>2</sup> الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون 1/189، وانظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل 1/412.

<sup>3</sup> الكشاف 1/92.

<sup>4</sup> المرجع السابق 1/92.

<sup>5</sup> المرجع السابق 1/92.

وهنا تظهر نُصرة الزمخشري لمذهبه في سبب اختيار هذا الرأي الذي خالٍ فيه جُلَّ المفسرين، وقد بيّن ذلك ابن المُنْيَر الإسكندرى (ت 368 هـ)<sup>(1)</sup> في كتابه الانتصاف - المذيل بحاشية الكشاف - وقد تعقبه في ذلك<sup>(2)</sup>.

وردَ أبو حيَان الأندلسي (ت 745 هـ) على الزمخشري بعد أن نقل كلامه في أنَّ (العلَّ) على المجاز لا الحقيقة<sup>(3)</sup>.

كما ردَ عليه أبو السعود (ت 982 هـ) في تفسيره بقوله: " وأمَّا جَعْلُ الْمُشْبِهِ إِرَادَتِهِ - تَعَالَى - فِي الْإِسْتِعَارَةِ، وَالْتَّمَثِيلِ فَأَمْرٌ مُؤْسَسٌ عَلَى قَاعِدَةِ الْإِعْتِزَالِ الْقَائِلَةِ: بِجُوازِ تَخْلُفِ الْمَرَادِ عَنِ إِرَادَتِهِ - تَعَالَى -<sup>(4)</sup>. فَالْجَمْلَةُ حَالٌ إِمَّا مِنْ فَاعِلٍ خَلَقْتُمْ طَالِبًا مِنْكُمُ التَّقْوَى، أَوْ مِنْ مَفْعُولٍ، وَمَا عُطِّفَ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ تَغْلِيبِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى الْغَائِبِينَ؛ لِأَنَّهُمُ الْمَأْمُورُونَ بِالْعِبَادَةِ أَيْ خَلَقْتُمْ وَإِبَاهُمْ مَطْلُوبًا مِنْكُمُ التَّقْوَى، أَوْ عَلَّةً لَهُ، فَإِنَّ خَلْقَهُمْ عَلَى تَلْكَ الْحَالِ فِي مَعْنَى خَلْقِهِمْ لِأَجْلِ التَّقْوَى كَأَنَّهُ قَيْلٌ: خَلَقْتُمْ لِتَنْتَقِوا أَوْ كَيْ تَنْتَقِوا"<sup>(5)</sup>.

مِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الزَّمْخَشَرِيُّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ إِنَّمَا كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى مَا يَوْافِقُ مَذَهَبَ الْإِعْتِزَالِيِّ، لَا عَلَى قَوَاعِدِ عِلْمِيَّةٍ، وَضَوَابِطِ تَفْسِيرِيَّةٍ، وَهُوَ بِذَلِكَ قَدْ خَالَفَ جَمِيعَ الْمُفَسِّرِينَ، وَأَكْثَرَ الْمُحَقَّقِينَ مِنْ سَبْقِهِ. وَقَدْ خَالَفَهُ جُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدِهِ وَرَدَّوْا عَلَيْهِ، وَفَنَّدُوا قَوْلَهُ. فَلَا اعْتِبَارٌ فِي قَوْلِهِ، وَتَبَقَّى (العلَّ) عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَلَالَتَهَا وَمَعْنَاهَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَقَّهُونَ﴾، فَيُرى الْبَاحِثُ أَنَّهَا جَاءَتْ لِلتَّعْلِيلِ، مُؤِيدًا بِذَلِكَ ابْنَ بَدْرَانَ وَكُلَّ مَنْ قَالَ بِذَلِكَ مِنَ النَّحَاةِ، وَالْمُفَسِّرِينَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ: حَبْرُ الْأَمَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَبَارِ التَّابِعِينَ، مَقَاوِلَ، وَسَفِيَانَ وَغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا مَانِعٌ لِغَةً مِنَ الْحَمْلِ عَلَيْهِ، وَبِمَا أَنَّ مَنْتَهَى غَايَةِ الْعَبْدِ هُوَ الْحَصُولُ عَلَى التَّقْوَى؛ لِيُفْوَزُ بِمَا أَعْدَهَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْمُتَقْنِينَ، كَمَا

<sup>1</sup> هو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُنْصُورٍ: مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَأَدِيَانِهَا. وَلِيَ قَضَاءُهَا وَخُطَابُهَا مُرْتَبَةٌ. لِهِ تَصَانِيفٌ، مِنْهَا (تَفْسِير) وَ(دِيَانٌ) وَ(تَفْسِيرُ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ) عَلَى طَرِيقَةِ الْمُنْكَلِمِينَ. وَ(الْإِنْتَصَافُ مِنَ الْكَشَافِ) وَلَهُ نَظَمٌ. انْظُرْ: الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 1/220.

<sup>2</sup> انْظُرْ: الْكَشَافُ 1/92، هَامِشُ رقمِ 2.

<sup>3</sup> انْظُرْ: الْبَحْرُ الْمَحِيطُ 1/155.

<sup>4</sup> إِنَّ كَانَ الْمَقْصُودُ تَخْلُفُ الْمَرَادَ عَنِ الإِرَادَةِ الشَّرِعِيَّةِ فَلَا مَانِعٌ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ كَانَ قَصْدُهُ بِالْإِرَادَةِ الْكُوَنِيَّةِ فَهُوَ الْمَحْذُورُ.

<sup>5</sup> إِرْشَادُ الْعُقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزاِيَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ لِأَبِي السَّعْدِ 1/60.

بِيَنَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي غَيْرِ مَا آتَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْصُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبَة: 7]، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ رَحْمَنٍ ﴾ [الذاريات: 15] وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [النَّبَا: 31]. فَلَمَّا كَانَ هَذَا مَا أَعْدَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْمُتَّقِينَ، كَانَ لِزَاماً عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَحْرُصُوا كُلَّ الْحَرْصِ لِلِّوْصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَتَغَى؛ لِذَلِكَ جَاءَ الْخَطَابُ مِنَ اللَّهِ - سَبَاحَهُ وَتَعَالَى - لِلنَّاسِ كَافَةً أَنْ يَعْبُدُوهُ لِلِّحْصُولِ عَلَى التَّقْوَى الَّتِي تَنْتَلَعُ إِلَيْهَا آمَالُهُمْ، وَتَشْرِئِبُ لَهَا نُفُوسُهُمْ لِلِّوْصُولِ إِلَيْهَا؛ لِلْفُوزِ بِمَا أَعْدَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْمُتَّقِينَ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: فَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ فِي مَتَّعِلَّقِ (الْعَلَى) عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: قَالُوا: إِنَّ مَتَّعِلَّقَ (الْعَلَى) قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ أَعْبُدُوْ رَبَّكُمْ ﴾ وَمَمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ: الْقَرْطَبِيُّ (ت 671هـ) فِي تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ "لَعَلَّ" مَتَّعِلَّةٌ بِ﴿ أَعْبُدُوْ رَبَّكُمْ ﴾ لَا بِ﴿ خَلَقْكُمْ ﴾<sup>(1)</sup>. وَهَذَا قَوْلُ الْمَهْدَوِيِّ<sup>(2)</sup>.

وَأَبُو حَيَّانَ (ت 745هـ) فِي تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: "وَهِيَ مَتَّعِلَّةٌ<sup>(3)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿ أَعْبُدُوْ رَبَّكُمْ ﴾، فَكَانَهُ قَالَ: إِذَا عَبَدْتُمْ رَبَّكُمْ رَجُوتُمُ التَّقْوَى، وَهِيَ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا الْوَقَايَا مِنَ النَّارِ، وَالْفُوزُ بِالْجَنَّةِ"<sup>(4)</sup>. بَلْ إِنَّهُ رَجَحَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَالَّذِي يَظْهُرُ تَرْجِيهُ أَنْ يَكُونَ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ مَتَّعِلَّاً بِقَوْلِهِ: ﴿ أَعْبُدُوْ رَبَّكُمْ ﴾، فَالَّذِي تُؤْدِيُ لِأَجْلِهِ هُوَ الْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ، فَنَاسِبُ أَنْ يَتَّعِلَّقَ بِهَا ذَلِكَ"<sup>(5)</sup>.

وَالسَّمِّينُ الْحَلَبِيُّ (ت 756هـ) فِي تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: "وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ<sup>(6)</sup> عَلَى كُلِّ قَوْلٍ مَتَّعِلَّةٌ مِنْ جَهَةِ الْمَعْنَى بِ﴿ أَعْبُدُوْ رَبَّكُمْ ﴾، أَيْ: أَعْبَدُوا عَلَى رِجَائِكُمُ التَّقْوَى، أَوْ لِتَتَّقُوا، أَوْ مُتَعَرِّضِينَ لِلتَّقْوَى، وَإِلَيْهِ

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن 227/1.

<sup>2</sup> انظر: البحر المحيط 156/1، والدر المصنون 189/1 – 190.

<sup>3</sup> يعني لعل.

<sup>4</sup> البحر المحيط 155/1.

<sup>5</sup> المرجع السابق 156/1.

<sup>6</sup> يعني لعلم تتقون.

مال المَهْدُوِي وأبُو البقاء<sup>(1)</sup>. وهذا الذي رجّه، ومال إليه بقوله: "والذِي يُظَهِرُ بِهِ صَحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِعُونَ مُتَعْلِقاً بِقَوْلِهِ: أَعْبُدُوا<sup>﴿﴾</sup>، فَالذِي نَوْدُوا لِأَجْلِهِ هُوَ الْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ فَنَاسِبُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهَا ذَلِكَ<sup>(2)</sup>.

وابن عاشور (ت 1393هـ) في تفسيره بقوله: "وجملة لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِعُونَ تعليل للأمر بـ أَعْبُدُوا<sup>﴿﴾</sup> فلذلك فصلت، أي أمرتكم بعبادته لرجاء منكم أن تتقوا"<sup>(3)</sup>.

وأبو زهرة (ت 1394هـ)<sup>(4)</sup> في تفسيره بقوله: "وقوله - تعالى - لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِعُونَ مُتَعْلِلاً بِقَوْلِهِ - تعالى - أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ أي اعبدوا رجاءً أن تتقوا بأن تفروا أنفسكم شرّ عذابه، وتكونوا في أمنٍ من عقابه"<sup>(5)</sup>. وقد رجح ذلك بقوله: "وعندي أن الاتصال بين رجاء التقوى، والأمر بالعبادة أظهر، وأوضح، ولا إشكال فيه"<sup>(6)</sup>.

**القول الثاني:** قالوا: إن متعلق (عل) في قول الله - تعالى - خَلَقَكُمْ . وممّن قال بذلك: الزمخشري (ت 538هـ) في تفسيره بقوله: "ولكن (عل) واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة؛ لأن الله - عز وجل - خلق عباده، ليتبعّدهم بالتكليف"<sup>(7)</sup>. ثم قال: "فإن قلت: كما خلق المخاطبين لعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فكذلك خَلَقَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ لِذَلِكَ، فَلِمَ قَصَرَهُ عَلَيْهِمْ دُونَ مَنْ قَبْلَهُمْ؟ قلت: لم يَقْصُرْهُ عَلَيْهِمْ، ولكن غَلَبَ المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جمِيعاً"<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> الدر في المصنون في علوم الكتاب المكتون 1/189.

<sup>2</sup> المرجع السابق 1/190.

<sup>3</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور 1/328.

<sup>4</sup> هو محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي (1916 - 1925) وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاثة سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفاً. وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (1933) وعين أستاذًا محاضراً للدراسات العليا في الجامعة (1935) وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وكان وكيلًا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلًا لمعهد الدراسات الإسلامية وأصدر من تأليفه أكثر من 40 كتاباً، منها المطبوعات الآتية: (الخطابة) و (تاريخ الجدل في الإسلام) و (أصول الفقه) و (محاضرات في مقارنات الأديان) و (محاضرات في المجتمع الإسلامي) وكانت وفاته بالقاهرة. انظر: الأعلام للزركلي 6/25-26.

<sup>5</sup> زهرة الفاسير 1/157.

<sup>6</sup> المرجع السابق 1/158.

<sup>7</sup> الكشاف 1/92.

<sup>8</sup> المرجع السابق 1/92 - 93.

وبيّن أبو حيّان الأندلسي (ت 745هـ) في البحر المحيط رأي الزمخشري بقوله: " ولم يذكر الزمخشري غير تعلقها بـ ﴿خَلْقَكُم﴾" <sup>(1)</sup>.

وابن عطيّة (ت 542هـ) في تفسيره بقوله: " ويتجه تعلقها بـ ﴿خَلْقَكُم﴾ أي لما ولد كل مولودٍ على الفطرة فهو إن تأمله متأملٌ توقع له، ورجا أن يكون متقياً" <sup>(2)</sup>. وأيده ونقل كلامه أبو زيد الشعالي (ت 875هـ) في الجواهر الحسان <sup>(3)</sup>. وابن جُزِي (ت 741هـ) في تفسيره بقوله: " ﴿لَعَلَّكُم﴾ يتعلّق بـ ﴿خَلْقَكُم﴾؛ أي: خلقكم لتنقّوه" <sup>(4)</sup>، بل إنه ضعف القول بأنّ متعلق لعلّ ﴿أَعْبُدُوكُم﴾ بقوله: " وقيل: يتعلّق بقوله: ﴿أَعْبُدُوكُم﴾ وهذا ضعيف" <sup>(5)</sup>.

والذي يظهر للباحث بعد طول نظر في المسألة، والاطلاع على آراء العلماء من النهاة والمفسّرين أنّ متعلق (العلّ) هو قوله - تعالى -: ﴿أَعْبُدُوكُم﴾؛ وذلك أنّ العبادة ليست التقوى نفسها، " وإنّما هي فعل يحصلُ به التقوى؛ لأنّ الاتقاء هو الاحتراز عن المضار، والعبادة فعل المأمور به، ونفس هذا الفعل ليس هو نفس الاحتراز عن المضار بل يوجب الاحتراز، فكأنّه قال: ﴿أَعْبُدُوكُم﴾ لتحترزوا به عن عقابه" <sup>(6)</sup>.

ولمّا كان الأمر كذلك، أمرهم - سبحانه وتعالى - بالعبادة للحصول على التقوى التي هي سبب الفلاح والنجاح في الدارين، والفوز بالجنة التي أعدّها الله - تعالى - للمتقين، بل إنّ الله - عزّ وجلّ - خلقَ التّقين لعبادته بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْحِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فكأنّه - تعالى - إنّما خلقَ المكّفين؛ لكي يعبدوه، ويطّيعوه، لا كما يرى الزمخشري لكي يتقوه، ويطّيعوه؛ لأنّ التقوى هي نتائج العبادة، وهي غاية العبد لنيل رضا ربّه. فكأنّ الأمر الإلهي

<sup>1</sup> البحر المحيط 1/155.

<sup>2</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة 1/105.

<sup>3</sup> انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/196.

<sup>4</sup> التسهيل لعلوم التنزيل لجزي 1/74.

<sup>5</sup> المرجع السابق 1/74.

<sup>6</sup> الرازى ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 1420هـ، ج 2، ص 335.

جاء بقوله: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِعُونَ﴾ فكانت لعل متعلقة بقوله - تعالى - : ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، لا كما يرى ابن بدران ومن قال بهذا القول من النحاة، والمفسرين من قبله: " خلقهم لأجل التقوى " بمعنى أن (لعل) متعلقة بـ ﴿خَلَقْكُمْ﴾. فذكر الله - عز وجل - الخلق بقوله: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 21] إنما هو تذكير للناس على إقرارهم أنَّ الذي خلقهم والذين مِنْ قبِيلِهِم وخلق السماوات والأرض إنما هو الله، قال - تعالى - : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ أَلَّهُ﴾ [لقمان: 25]، فأراد - سبحانه - أن يُبيّن لهم أنَّ ما يعبدون من دون الله ليسوا بواسطة بينهم وبينه - عز وجل - وما ينبغي أن يكونوا كذلك، فإنَّ الله - تعالى - حكى عنهم أنَّهم قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى﴾ [ال Zimmerman: 3]، فإذا كنتم تُقرُون بخلق الله لكم ولهم وتؤمنون بربوبيته، فإنَّ هذا ينبغي أن يدفعكم إلى الإقرار بألوهيته - سبحانه - والإيمان به، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ تتحصلون على التقوى؛ لتناولوا جنة المأوى، فقال - تعالى - : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِعُونَ﴾ [البقرة: 21].  
وعليه فإنَّ (العل) جاءت بمعنى التعليل، وهي متعلقة بـ ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

## المسألة السادسة:

**أثر الخلاف في عَوْد الضمير في قوله - تعالى - فَأَتُوا سُورَة مِنْ مِثْلِهِ**  
**[البقرة: 23] على إعجاز القرآن والتحدي به.**

قال المؤلف - رحمة الله - " مِنْ مِثْلِهِ" متعلق (بسورة) صفة لها، والتقدير: فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا على عبادنا".<sup>(1)</sup>

يرى ابن بدران أن متعلق قوله - تعالى - يعود إلى القرآن الكريم. ولم يجوز - رحمة الله - أن يعود الضمير إلى غير ذلك، بل إنه خطأ من جوز ذلك بقوله: "وجوز صاحب الكشاف، أن يكون ضميراً مِنْ مِثْلِهِ عائدًا على "عبدنا" وفيما جوزه غلط من وجوه".<sup>(2)</sup>

وقد اختلف علماء النحو في عَوْد الضمير في قوله - تعالى - مِنْ مِثْلِهِ على ثلاثة أقوال، ذكر الزجاج (ت 311هـ)<sup>(3)</sup> اثنين بقوله: "وقوله - تعالى - فَأَتُوا سُورَة مِنْ مِثْلِهِ للعلماء فيه قولان: أحدهما: قال بعضهم: مِنْ مِثْلِهِ: من مثل القرآن كما قال - عز وجل - فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ [هود: 13] وقال بعضهم: مِنْ مِثْلِهِ من بشر مثله"<sup>(4)</sup> وجوز صاحب التبيان قوله: "ويجوز أن يعود على الأنداد".<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 115

<sup>2</sup> انظر: المرجع السابق ص 115-117

<sup>3</sup> هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاجي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتنين، وصنف كتاباً في (معاني القرآن) وله كتاب (الأمالى)، وكتاب (ما فسر من جامع المنطق)، وكتاب (الاشتقاق)، وكتاب (العروض)، وكتاب (القوافي) وكتاب (الفرق)، وكتاب (خلق الإنسان)، وكتاب (خلق الفرس)، وكتاب (مختصر في النحو)، وكتاب ( فعلت وأفعلت)، وكتاب (ما ينصرف وما لا ينصرف)، وكتاب (شرح أبيات سيبويه)، وكتاب (النواذر)، وكتاب (الألواء)، وغير ذلك. وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب، رحمهما الله - تعالى - توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة - وثلاثمائة، ببغداد، رحمة الله - تعالى - وقد أتاف على ثمانين سنة، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب "الجمل في النحو"، لأنَّه كان تلميذه - رحمة الله - عنه أخذ أبو علي الفارسي أيضاً. انظر: وفيات الأعيان 1/49-50.

<sup>4</sup> معاني القرآن للزجاج 1/100

<sup>5</sup> التبيان في إعراب القرآن 1/40

أما القول الأول: وهو أن الضمير في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود على القرآن فقد رجحه ثلاثة من علماء النحو واللغة، ومن أشهرهم:

الفراء (ت 207 هـ) في معاني القرآن بقوله: "وقوله: فأتوا بسورة من مثله، الهاء: كناية عن القرآن فأتوا بسورة من مثل القرآن"<sup>(1)</sup>

ومكى (ت 437 هـ) في مشكل إعراب القرآن بقوله: "والهاء في قوله: "من مثله" تعود على القرآن"<sup>(2)</sup>

بينما جرّ بعضهم القول بالقرآن ومن أشهرهم:

الزجاج (ت 311 هـ) بقوله: "وقوله: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾ من مثل القرآن كما قال - عز وجل - : ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13]<sup>(3)</sup>.

والعكبي (ت 616 هـ) بقوله: "ويجوز أن تعود على القرآن فتكون ﴿مِن﴾ زائدة".

والباقولي (ت نحو 543 هـ) بقوله: "وقيل: تعود الهاء إلى قوله "ما" ، أي: فأتوا بسورة من مثله، ما نزلنا على عبادنا - فيكون (من) زيادة - على قول أبي الحسن - دليله قوله: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ

مِّنْ مِثْلِهِ﴾"<sup>(5)</sup>، ثم قال بعد أن ذكر الأوجه الثلاثة: "والمعنى يقتضي الأوجه الثلاثة"<sup>(6)</sup>.

والأنباري (ت 577 هـ) بقوله: "الهاء في ﴿مِثْلِهِ﴾ فيها وجهاً ... والثاني: أن تكون عائدة على "ما نزلنا" وهو القرآن، فتكون من زيادة وهو قول أبي الحسن الأخفش، وتقديره فأتوا بسورة مثله، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38]<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> معاني القرآن للفراء 19/1

<sup>2</sup> مشكل إعراب القرآن لمكى 83/1

<sup>3</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 100/1

<sup>4</sup> التبيان في إعراب القرآن للغكبي 40/1

<sup>5</sup> الباقولي، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي (ت نحو 543 هـ)، إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإباري، دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت، ط 4 1420 هـ، ج 1، ص 552.

<sup>6</sup> المرجع السابق 552/2

<sup>7</sup> أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري (ت 577 هـ)، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د.طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1400 هـ، ج 1، ص 64.

ودرويش (ت 1403هـ) بقوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ متعلقان بحسب عودة الضمير؛ فهو: إما أنْ يعود على القرآن فهما متعلقان بمحذف صفة لسورة، وإما أنْ يعود على عبدنا<sup>(1)</sup>. وأما القول الثاني: وهو أنَّ الضمير بقوله - تعالى -: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود على مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -. وممن رَجَحَ هذا القول:

ابن سِيدَه (ت 458هـ)<sup>(2)</sup> بقوله: "فَ(من)" متعلقة بقوله: فأتوا من مثل الرسول بسورة، ومعنى (من) على هذا الوجه: ابتداء الغاية، ويجوز أن تكون في موضع الصفة فتتعلق بمحذف، وهي أيضاً لابتداء الغاية، أي بسورة كائنة من مثل الرسول، أي ابتداء كينونتها من مثله<sup>(3)</sup>. والعُكْبَرِي (ت 616هـ) بقوله: "الهاء تعود على النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيكون من لابتداء"<sup>(4)</sup>. والباقولي (ت نحو 543هـ) بقوله: "وَقَرْبُ الْفَظِ يَقْتَضِي عَوْدَهُ إِلَى "عبدنا" "<sup>(5)</sup>.

بينما حَوَرَ بعضهم هذا القول ومنهم:

الزَّجاج (ت 311هـ) بقوله: "وقال بعضهم (من مثله) من بشر مثله"<sup>(6)</sup>. والأَنْبَارِي (ت 577هـ) بقوله: "الهاء في "مثله" فيها وجهان: أحدهما: أن تكون عائدة على "عبدنا" وتكون (من) لابتداء الغاية: أي، ابتدئوا في الإتيان بالسورة من مثل مُحَمَّد" .<sup>(7)</sup> ودرويش (ت 1403هـ) بقوله: "إما أنْ يعود على عبدنا"<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> إعراب القرآن وبيانه لدرويش 56/1-57

<sup>2</sup> هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي؛ كان إماماً في اللغة والعربية حافظاً لهما وقد جمع في ذلك جموعاً، من ذلك كتاب "المحكم" في اللغة، وهو كتاب كبير جامع مشتمل على أنواع اللغة، وله كتاب "المُخَصَّص" في اللغة أيضاً وهو كبير، وكتاب "الأنيق" في شرح الحماسة في ست مجلدات، وغير ذلك من المصنفات النافعة. وكان ضريراً، وأبوه ضريراً، وكان أبوه أيضاً قياماً بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي، وقرأ أيضاً على أبي عمر الطرمني، وكان له في الشعر حظ وتصرف. وتوفي عشية يوم الأحد لأربعين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعين، وعمره ستون سنة أو نحوها. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان 330/3.

<sup>3</sup> إعراب القرآن لابن سيده 89/1

<sup>4</sup> التبيان في إعراب القرآن للعُكْبَرِي 40/1

<sup>5</sup> إعراب القرآن للباقولي 552/2

<sup>6</sup> معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج 100/1

<sup>7</sup> البيان في غريب إعراب القرآن 64/1

<sup>8</sup> إعراب القرآن وبيانه لدرويش 57/1

أما القول الثالث: وهو أن الضمير في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود على الأنداد.

فقد جوّزه بعض العلماء من مثل:

العُكّري (ت 616هـ) بقوله: "ويجوز أن تعود على الأنداد" <sup>(1)</sup>.

والباقولي (ت نحو 543هـ) بقوله: "وقيل: الهاء تعود إلى الأنداد" <sup>(2)</sup> ثم قال: "والمعنى يقتضي الأوجه الثلاثة" <sup>(3)</sup>.

ولم يقتصر الاختلاف على عَوْد الضمير في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ على علماء النَّحْو فحسب، بل تعدّاه إلى علماء التفسير حيث تباينت آراؤهم في ذلك؛ مما أدى إلى اختلافهم في توجيهه معنى الآية الكريمة.

وقد اختلف علماء التفسير في عَوْد الضمير إلى أقوال عَدَّة منها:

القول الأول: قالوا إنَّ الضمير في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود إلى القرآن الكريم.

وقال بذلك عمر وابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهم - والحسن البصري <sup>(4)</sup>، ومجاحد، وقتادة <sup>(5)</sup>، والفراء، ومقاتل <sup>(6)</sup>، وجمهور العلماء <sup>(7)</sup> - رحمهم الله تعالى -.

وقد رجح ذلك أكثر المفسرين المتقدمين، والمؤخرين ومن أشهرهم:

مقاتل (ت 150هـ) بقوله: "فأتوا بسورة من الله مثله يعني مثل هذا القرآن" <sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> التبيان في إعراب القرآن للعُكّري 40/1

<sup>2</sup> إعراب القرآن للباقولي 552/2

<sup>3</sup> المرجع السابق 552/2

<sup>4</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/349، والباب في علوم الكتاب 1/435، وغزائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغائِبُ الْقُرْآنِ للشِّيَاطِيري 1/193، وتفسير القرآن للسعاني 59/1

<sup>5</sup> انظر: جامع البيان في تأويل القرآن 1/373-374، وزاد المسير في علم التفسير 1/44، وتفاسير القرآن العظيم لابن كثير 1/199، والباب في علوم الكتاب 1/435، والجامع لأحكام القرآن للفقطبي 1/232، وفتح القدير للشوكتاني 1/63-64، والنكت والعيون للماوردي 84/1

<sup>6</sup> انظر: زاد المسير في علم التفسير 1/44

<sup>7</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/106، والباب في علوم الكتاب 1/435، والجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/197، والجامع لأحكام القرآن 1/232

<sup>8</sup> تفسير مقاتل بن سليمان 1/93

وعبد الرزاق (ت 211هـ) بقوله: " حَدَّثَنَا مُعْمَرٌ، عَنْ قَاتِدَةَ، فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَإِنَّا  
سُورَةٌ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23] ، قَالَ: يَقُولُ: " بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ هَذَا الْقُرْآنُ، حَقًا لَا باطِلٌ فِيهِ، وَلَا  
كَذِبٌ " <sup>(1)</sup> .

والطبرى (ت 310هـ) بقوله: " فَمَعْنَى قَوْلِ مَجَاهِدٍ وَقَاتِدَةِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا عَنْهُمَا: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ  
ذَكْرَهُ - قَالَ لِمَنْ حَاجَهُ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْكُفَّارِ: فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ  
هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِكُمْ أَيْتُهَا الْعَرَبُ، كَمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ بِلِغَاتِكُمْ، وَمَعْنَى مِنْ طَقْكُمْ " <sup>(2)</sup> .  
ثُمَّ قَالَ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ التَّأْوِيلَاتِ الْأُخْرَى - : " وَالْتَّأْوِيلُ الْأُولُ، الَّذِي قَالَهُ مَجَاهِدٌ، وَقَاتِدَةٌ، هُوَ  
الْتَّأْوِيلُ الصَّحِيحُ " <sup>(3)</sup> .

وَرَجَحَ هَذَا الْقَوْلُ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت 373هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(4)</sup> ، وَابْنُ أَبِي زَمْنِينَ (ت 399هـ) فِي  
تَفْسِيرِهِ <sup>(5)</sup> ، وَالثَّعْلَبِيُّ (ت 427هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(6)</sup> ، وَالوَاحْدَى (ت 468هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(7)</sup> ، وَالْبَغْوَى  
(ت 516هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(8)</sup> ، وَالْغَزْنَوِيُّ (ت بَعْدِ 533هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(9)</sup> ، وَالْزَّمْخَشْرِيُّ (ت 538هـ) فِي  
الْكَشَافِ <sup>(10)</sup> ، وَابْنِ عَطِيَّةِ (ت 542هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(11)</sup> ، وَالنَّيْسَابُورِيُّ (ت نَحْوِ 550هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(12)</sup> ،  
وَالرَّازِيُّ (ت 606هـ) فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(13)</sup> ، وَالْقَرْطَبِيُّ (ت 671هـ) <sup>(14)</sup> ، وَالبَيْضَاوِيُّ (ت 685هـ) <sup>(15)</sup> ، وَالْخَازَنُ

<sup>1</sup> الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت 211هـ)، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1419هـ، ج 1، ص 260هـ.

<sup>2</sup> جامع البيان للطبرى 374/1.

<sup>3</sup> المرجع السابق 374/1.

<sup>4</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندى 102/1.

<sup>5</sup> انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمین 127/1.

<sup>6</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/168.

<sup>7</sup> انظر: التفسير البسيط للواحدى 238/2-239، والتفسير الوسيط 102/1.

<sup>8</sup> انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 92/1-93.

<sup>9</sup> انظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للغزنوی 1/45.

<sup>10</sup> انظر: الكشاف 1/98-99.

<sup>11</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 106-107/1.

<sup>12</sup> انظر: غَائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغَائِبُ الْقُرْآنِ لِلنِّيَّسَابُورِيِّ 193/1.

<sup>13</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/349.

<sup>14</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن 1/232.

<sup>15</sup> انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/57.

(ت 741هـ) في تفسيره<sup>(1)</sup>، وأبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) في البحر المحيط<sup>(2)</sup>، والسمين الحلبي<sup>(3)</sup> (ت 756هـ) في الدر المصنون<sup>(3)</sup>، وابن كثير (ت 774هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>، وأبو زيد الشعالي (ت 875هـ) في تفسيره<sup>(5)</sup>، وأبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره<sup>(6)</sup>، وأبو الفداء (ت 1127هـ) في روح البيان<sup>(7)</sup>، والشوكاني (ت 1250هـ) في تفسيره<sup>(8)</sup>، والقاسمي (ت 1332هـ) في تفسيره<sup>(9)</sup>، وأبو زهرة (ت 1394هـ) في زهرة التفاسير<sup>(10)</sup>، والشعراوي (ت 1418هـ) في تفسيره<sup>(11)</sup>.

**القول الثاني:** قالوا إنَّ الضمير في قوله - تعالى - : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود إلى مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وقد رَجَحَ هذا القول بعض المفسِّرين ومن أشهرهم:

أبو جعفر الطحاوي(ت 321هـ) كما بين ذلك السمرقندى (ت 373هـ) في تفسيره بقوله: " وكان الفقيه أبو جعفر<sup>(12)</sup> - رحمه الله - يقول: (الهاء) إشارة إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكانه قال: فأتوا بسورة من مثل مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لأنَّه لم يكن قرأ الكتب، ولا درس، فأتوا بسورة من رجل لم يقرأ الكتب، كما جاء به مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ".<sup>(13)</sup>

<sup>1</sup> انظر: الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي (ت 741هـ)، لباب التأويل في معانى التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1415هـ، ج 1، ص 31.

<sup>2</sup> انظر: البحر المحيط في التفسير 1/169.

<sup>3</sup> انظر: الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون 1/200.

<sup>4</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/199.

<sup>5</sup> انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/197.

<sup>6</sup> انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 1/64.

<sup>7</sup> انظر: روح البيان 1/79.

<sup>8</sup> انظر: فتح القير للشوكاني، 1/63-64.

<sup>9</sup> انظر: محسن التأويل للقاسمي 1/268.

<sup>10</sup> انظر: زهرة التفاسير 1/165.

<sup>11</sup> انظر: الشعراوى، محمد متولى الشعراوى (ت 1418هـ)، تفسير الشعراوى - خواطر، مطابع أخبار اليم، 1997 ، ج 1، ص 167.

<sup>12</sup> هو أحمد بن مُحمد بن سلمة بن الأزدي الطحاوى، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، ونفقه على مذهب الشافعى، ثم تحول حنفياً. ورحل إلى الشام سنة 268هـ فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة. وهو ابن أخت المزنى. من تصانيفه (شرح معانى الآثار) في الحديث، و (بيان السنة - ط) رسالة، وكتاب (الشفعة - ط) و (المحاضر والسجلات) و (مشكل الآثار - ط)، في الحديث، و (أحكام القرآن) و (المختصر) في الفقه، وشرحه كثيرون، و (الاختلاف بين الفقهاء) وهو كبير لم يتممه، و (تاريخ) كبير منه مجلدات مخطوطة في اسطنبول، باسم (معانى الأئمَّة في أسماء الرجال ومعانى الآثار) و (مناقب أبي حنيفة). انظر: الأعلام للزركلى 1/206، ووفيات الأعيان لابن خلكان 1/71-72.

<sup>13</sup> بحر العلوم للسمرقندى 1/102.

ومُحَمَّد رشيد رضا (ت 1354هـ) بقوله: " قوله - تعالى - : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ فيه وجهان: (أحدهما) أنَّ الضمير في (مثله) للقرآن المعتبر عنه بقوله: (ما نزلنا)، (والثاني) أَنَّه لعبدنا، قال شيخنا<sup>(1)</sup>: وهو أرجح، بدليل "مِنْ" الداللة على "مثله" الداللة على النشوء، أي فإنْ كان أحد ممَّن يُماثِل الرسول بالأمية يقدِّر على الإتيان بسورة فَلَيَفْعُل<sup>(2)</sup>

وهناك من العلماء من جَوَز القولين، القرآن ومُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومنهم:

الماوردي (ت 450هـ) في تفسيره بقوله: " فأتوا بسورة من مثله " فيه تأويلان: أحدهما: يعني من مثله من القرآن، وهذا قول مجاهد وقتادة، والثاني: فأتوا بسورة من مثل مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من البشر؛ لأنَّ مُحَمَّداً بشرٌ مثلهم<sup>(3)</sup>.

والراذب الأصفهاني (ت 502هـ) بقوله: " من مثله " قيل: من مثل القرآن، وقيل: من مثل النبي - عليه السلام - من البشر تبيهاً أنَّ مثله ليس في طُرق البشر، و﴿مِن﴾ على الوجه الأول: للتبسيط، وعلى الثاني: للابتداء<sup>(4)</sup>.

والطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) بقوله: " والضمير في قوله: من مثله يجوز أن يعود إلى ما نزلنا ) أي من مثل القرآن، ويجوز أن يعود إلى عبدنا ".<sup>(5)</sup>

وابن عثيمين (ت 1421هـ) بقوله: " ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمعنى: من مثل مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ويحتمل أن يكون عائداً إلى القرآن المُنزل؛ والمعنى: من مثل ما نزلنا على عبدنا، أي من جِنسه؛ وكلامها صحيح".<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> يعني به مُحَمَّد عبده.

<sup>2</sup> تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) 160/1.

<sup>3</sup> النكٰت والعيون 84/1.

<sup>4</sup> تفسير الراذب الأصفهاني 117/1.

<sup>5</sup> التحرير والتواتير لابن عاشور 338/1.

<sup>6</sup> تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة 82/1.

ومن المفسرين من رجح القول بالقرآن ولكنَّه جوز القول بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

ومِنْهُمْ:

الزمخشي (ت 538هـ) بقوله: "والضمير لما نزلنا، أو لعبدنا، ويجوز أن يتعلّق بقوله: (فَأَنْتُوا)" والضمير للعبد، فإنْ قُلْتَ: وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟ قُلْتُ: معناه فأنتوا بسورة مِمَّا هو على صفتة في البيان العربي، وعُلُّ الطبقة في حُسْنِ النَّظم، أو فَأَنْتُوا مِمَّا هو على حاله مِنْ كونه بشراً عربياً، أو أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يأخذ من العلماء<sup>(1)</sup>. ولكنَّه رجح القول بالقرآن بقوله: " ورَدَ الضَّمِيرُ إِلَى الْمُنْزَلِ أَوْجَهُهُ، لِقُولِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَأَنْتُوا إِسْرَارًا مِّنْ مِثْلِهِ﴾ ﴿فَأَنْتُوا إِعْشَارًا سُورَةً مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13] ، ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: 88] ، ولأنَّ القرآن جدير بسلامة الترتيب، والوقوع على أصحِّ الأساليب، والكلام مع ردَ الضمير إلى المُنْزَل أحسن ترتيباً<sup>(2)</sup>.

والواحدي (ت 468هـ) بقوله: "ويجوز أن تعود الكناية في مثله إلى قوله: على عبدنا وهو النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمعنى: فأنتوا بسورة من رجل أمي لا يحسن الخط والكتابة، ولم يدرس الكتب"<sup>(3)</sup>.

وشهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ) بقوله: "فيجوز أن يكون قوله مِنْ مِثْلِ هذا العبد توسيعاً للدائرة، كأنَّه قيل ليأتِ واحد مِنْكم كائناً مِنْ كان بمقدار سورة ما"<sup>(4)</sup>.

**القول الثالث:** قالوا: إنَّ الضمير في قوله - تعالى - : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود إلى الكتب القديمة: التوراة، والإنجيل، والزيور. وهذا الرأي انفرد به المفسرون ولم يرد عند النحويين - حسب اطلاع الباحث -. -

<sup>1</sup> الكشاف 98/1

<sup>2</sup> المرجع السابق 99/1

<sup>3</sup> الوسيط في تفسير القرآن المجيد 102/1

<sup>4</sup> حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكتابة الراضي على تفسير البيضاوي) 2/38.

وقد ذكر هذا القول ابن عطية (ت542هـ) في تفسيره بقوله: " وقالت طائفة: الضمير في مثلك عائد على الكتب القديمة: التوراة، والإنجيل، والزبور" <sup>(1)</sup>، والقرطبي (ت671هـ) في تفسيره بقوله: " وقيل: يعود على التوراة، والإنجيل" <sup>(2)</sup>.

**القول الرابع:** قالوا: إنَّ الضمير في قوله - تعالى - ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود إلى الأنداد.

وقال بهذا القول أبو البقاء العكبي (ت616هـ) <sup>(3)</sup> بقوله: "ويجوز أن تعود على الأنداد بلفظ المفرد؛ كقوله - تعالى - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لِعَبْرَةً سُقِّيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا حَالَصَا سَاعِيًّا لِلشَّرَبِينَ﴾ [النحل 66: ]" <sup>(4)</sup>.

ويرى الباحث بعد تتبع أقوال العلماء وأرائهم، أنَّ القول الراجح في هذه المسألة، هو قول القائلين مِنَ النَّحَاةِ وَالْمُفَسِّرِينَ إنَّ الضمير في قوله - تعالى - ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، وهذا ما ذهب إليه ابن بدران - رحمه الله تعالى - ورجحه ودافع عنه مِنْ وجوه <sup>(5)</sup>. وذلك للاعتبارات الآتية:

<sup>1</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 107/1

<sup>2</sup> الجامع لأحكام القرآن 1/232، وانظر: اللباب في علوم الكتاب 435/1

<sup>3</sup> هو الشيخ الإمام، العالمة، التحوي البارع، محب الدين، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبي، ثم البغدادي، الأزجي، الضرير، التحوي، الحنبلي، الفرضي، صاحب التصانيف. ولد: سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. قرأ بالروايات على: علي ابن عساكر البطائحي، والعربية على: ابن الخطاب، وأبي البركات بن ناجح. وتفقه على: الفاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي حازم، وأبي حكيم النهرواني، وبرع في الفقه والأصول، وحاز قصب السبق في العربية. وسمع من: أبي الفتح ابن البطي، وأبي زرعة المقسي، وأبي بكر بن النفور، وجماعة، وتخرج به أئمة. قال ابن النجار: قرأ عليه كثيراً من مصنفاته، وصحبته مدة طويلة، وكان ثقة، متيناً، حسن الأخلاق، متواضعاً، ذكر لي أنه أضر في صباه من الجري. وذكر تصانيفه: صنف (تفسير القرآن)، وكتاب (إعراب القرآن)، وكتاب (إعراب الشواد)، وكتاب (متشابه القرآن)، و (عدد الآي)، و (إعراب الحديث)، وله (تعليقة في الخلاف)، و (شرح لهداية أبي الخطاب)، وكتاب (المرام في المذهب)، ومصنف في الفرائض، و (شرح الفصيح)، و (شرح الحمسة)، و (شرح المقامات)، و (شرح الخطب)، توفي العالمة أبو البقاء: في ثامن ربيع الآخر، سنة ست عشرة وست مائة، وكان ذا حظ من دين وتعبد وأوراد. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 22/91-93، ووفيات الأعيان لابن خلkan 3/100-102.

<sup>4</sup> التبيان في إعراب القرآن للعكبي 1/540، وانظر: الدر المصنون في علوم الكتاب المكون 1/200، واللباب في علوم الكتاب 435/1

<sup>5</sup> انظر: جواهر الأفكار ص 115-117

1. أَنَّ هَذَا الْقُولُ هُوَ قُولُ أَعْلَمِ النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَعْرَفُهُمْ بِمَرَادِهِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَكِبَارُ التَّابِعِينَ<sup>(١)</sup>.

2. أَنَّ هَذَا الْقُولُ هُوَ قُولُ أَكْثَرِ الْمُحَقَّقِينَ<sup>(٢)</sup>، وَالْمُفَسِّرِينَ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ قُولُ الْجَمَهُورِ<sup>(٤)</sup>.

3. أَنَّ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِي بَابِ التَّحْدِي كُلُّهَا تَعُودُ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَطَابِقَةً لِآيَاتِ

الْتَّحْدِي<sup>(٥)</sup>، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿فَأَتُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ﴾ [يُونُس: 38]، وَقَوْلِهِ - تَعَالَى -

﴿فَأَتُوا بِعَشَرِ سُورَةِ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَّاتِ﴾ [هُود: 13]، وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الْإِسْرَاء: 88]، ثُمَّ لَمَّا كَانَ هَذَا التَّرْتِيبُ الرَّبَّانِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،

وَهُوَ جَدِيرٌ بِسَلَامَةِ التَّرْتِيبِ، وَالوُقُوعُ عَلَى أَصْحَاحِ الْأَسَالِيبِ؛ إِذَا بَدَأَ بِالْجُزْءِ وَانتَهَى بِالْكُلِّ، فَكَانَ

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَحْسَنَ تَرتِيبًا، فَيَكُونُ التَّرْتِيبُ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، ثُمَّ بِسُورَةٍ

مِثْلِهِ، ثُمَّ بِعَشَرِ سُورَاتٍ، ثُمَّ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ<sup>(٦)</sup>.

4. أَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي الْمُنْزَلِ، لَا فِي الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ، فَكَانَ هَذَا مَدَارُ الْبَحْثِ وَالتَّحْدِيِّ، قَالَ -

تَعَالَى - ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾، لِنَمَّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - بَيْنَ لَهُمْ: أَنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الرِّيبِ، وَالشَّكُّ فِي الْمُنْزَلِ

فَأَتُوا بِشَيْءٍ مِمَّا يَمْاثِلُهُ.

5. أَنَّ الْإِعْجَازَ كَانَ فِي الْمُنْزَلِ لَا فِي الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّمَا كَانَ بِشَرَاءِ

مِنْهُمْ فَاخْتَصَّهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ؛ لِيُلْقِي عَلَيْهِمْ كَلَامًا مِنْ كَلَامِهِ امْتَازَ بِالْكَمَالِ، وَالْفَصَاحَةِ، وَالْبَلَاغَةِ،

وَالْبَيَانِ، وَلَمَّا كَانُوا أَهْلَ فَصَاحَةٍ، وَبِيَانٍ تَحْدَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ فَكَانَ

وَاجِبًا أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَى الْمُنْزَلِ لَا إِلَى الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرَادَ إِظْهَارَ كَمَالِ

<sup>١</sup> انظر: تفسير مقاتل 1/93، وتفسير عبد الرزاق 1/260، وتفسير القرآن للسمعاني 1/59، ومفاتيح الغيب 2/349، وجامع البيان في تأويل القرآن 1/373-374، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/199، والجامع لأحكام القرآن 1/232.

<sup>2</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/349، وغَائِبُ الْقُرْآنِ وَغَائِبُ الْفُرْقَانِ لِلْئَبْسُورِي 1/193

<sup>3</sup> انظر: البحر المحيط 169/1

<sup>4</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه 1/106، وللباب في علوم الكتاب 1/435، والجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/197، والجامع لأحكام القرآن 1/232.

<sup>5</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/249

<sup>6</sup> انظر: الكشاف 99/1

كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، لا إظهار كمال نبيه - صلى الله عليه وسلم - الذي هو بشر منهم.

6. أن الإعجاز بالإتيان بمثل هذا القرآن إنما كان عاماً للقلين قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88]، فهم عاجزون عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا، أو انفردوا. سواء أكانوا أميين، أم عالمين بشتى أصناف العلوم، وهذا هو الملائم لختمه - تعالى - الآية بقوله: ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَ كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ إذ لو كان المراد أن يأتي أمي على الصفة التي عليها هذا الأمي بمثل ما أتى به لم يحتج أن يستظهر بالشهادة؛ لذلك فإن الله - تعالى - طلب منهم أن يستعينوا بما شاؤوا من خلقه زيادة في التحدي، وإظهاراً للإعجاز في كلامه.

7. أن الإعجاز كان للأميين، والعالمين، والكتابيين، والشركين، فلو صرفا الضمير إلى المنزل عليه كونه أمياً لكان الإتيان من غير الأمي ممكناً، وهذا محال في الإتيان بمثل كلام الله، فكان عود الضمير إلى القرآن أظهر.

8. أن الضمير إنما يعود إلى أقرب ذكر إلا إن جاءت قرينة أو دل السياق على غير ذلك، ولما كانت القرينة وهي قوله - تعالى - : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ ﴾ والسورة بعض من القرآن تدل على المذكور الأبعد وهو القرآن فإن الضمير يعود إلى ما دلت عليه القرينة.

9. أن القول بأن الضمير عائد إلى الأنداد قول ضعيف قاله أبو البقاء العكبي (ت 616هـ)<sup>(1)</sup> ورد عليه السمين الخلبي (ت 756هـ) في تفسيره بقوله: "قال أبو البقاء: «إنها تعود على الأنداد بلفظ المفرد قوله: ﴿ وَلَئَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعْبَرَةٌ سَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ [النحل: 66] قلت: ولا حاجة تدعوا إلى ذلك، والمعنى يأبه أيضاً"<sup>(2)</sup>.

### وخلصة القول:

إن الضمير في قوله - تعالى - : ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، مظهراً - سبحانه - إعجاز كلامه، ومتحدياً لهم أن يأتوا بمثله. ولم ولن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

<sup>1</sup> التبيان في إعراب القرآن للعكبي /40، وانظر: الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون /200، والباب في علوم الكتاب /435.

<sup>2</sup> الدر المصنون /200، وانظر: الباب في علوم الكتاب /435.

## المسألة السابعة:

أثر الاستثناء المنقطع في تحديد أصل إبليس في قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا لِإِلَّا فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكَبَرَ ﴾ [البقرة: 34].

قال المصنف - رحمة الله تعالى -: " ثم ليعلم أن العلماء اختلفوا في " إبليس " هل هو من الملائكة أم من الجن؟ فذهب بعض المتكلمين، ولا سيما المعتزلة، ومنهم صاحب الكشاف، إلى أنه لم يكن من الملائكة. وذهب كثير من الفقهاء، إلى أنه كان من الملائكة، وكل أدلة"<sup>(1)</sup>

ويعود هذا الاختلاف الذي أشار إليه ابن بدران إلى معرفة الاستثناء هل هو منقطع أم متصل؟ فمن قال: إن إبليس من الملائكة عَدَ الاستثناء متصلًا؛ أي أن المستثنى من جنس المستثنى منه، ومن قال: إن إبليس ليس من الملائكة عَدَ الاستثناء منقطعاً؛ أي أن المستثنى من غير جنس المستثنى منه. وكل ذلك جائز في العربية، وقد ورد الاستثناء المنقطع، والمترافق في كلام العرب وأشعارهم.

وللوقوف على المعنى المراد من الآية، وإزالة الإشكال، والإبهام في هذه المسألة، لا بد من اللتفات إلى الاستثناء، وبيان تعريفه، وأقسامه.

فالاستثناء هو: إخراج ما بعد " إلا "، أو إحدى أخواتها من أدوات الاستثناء، من حكم ما قبله، نحو " جاء التلميذ إلا علياً ". والمخرج يسمى " مستثنى "، والمخرج منه " مستثنى منه "<sup>(2)</sup>.

وهو قسمان: متصل، ومنقطع.

فالمتصل ما كان من جنس المستثنى منه، نحو " جاء المسافرون إلا سعيداً ".

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 170.

<sup>2</sup> الغلايني، مصطفى بن محمد سليم (ت 1364هـ)، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط 1414هـ، ج 3، ص 127، وانظر: القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت 684هـ)، الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، الناشر عالم الكتب، (د. ت)، ج 3، ص 86، وابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع (ت 720هـ)، اللمحات في شرح الملحقة، تحقيق إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة - المملكة العربية السعودية، ط 1424هـ، ج 1، ص 66، واليعقوب، عبد الله ابن يوسف بن عيسى، المنهاج المختصر في علمي اللحو والصرف، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ط 3، 1428هـ، ص 109.

والمنقطع ما ليس من جنس ما استثنى منه، نحو "احترق الدار إلا الكتب"<sup>(1)</sup>. وأنه منصوب أبداً، والرفع فيه شاذٌ حكاه أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)<sup>(2)</sup>، ولكن جناح بن حبيش قرأ "إلا إبليس" بالرفع، وقيل هذه قراءة الكوفيّين، وتكون إلا بمعنى الواو أو لكن<sup>(4)</sup>. قال أبو جعفر النّحاس (ت 338هـ): "فسجدوا إلا إبليس نصب على الاستثناء؛ لا يجوز غيره عند البصريين؛ لأنَّه موجب، وأجاز الكوفيون الرفع"<sup>(5)</sup>.

وقال الأنباري (ت 577هـ): "ذهب الكوفيون إلى أنَّ "إلا" تكون بمعنى الواو، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو"<sup>(6)</sup>. وبناءً على قراءة الكوفيّين بالرُّفع؛ فإنَّ تأويل الآية يكون فسجدوا - أي الملائكة - إبليس أبي، واستكبر فتخرج أداة الاستثناء عن عملها، وتبقى الفاعة على أصلها في أنَّ الاستثناء المنقطع منصوب أبداً، ولعلَّ هذا ما دفع أبي عمرو بن العلاء إلى القول بشذوذ قراءة الرفع. وكذا القول فيما عدَّها بمعنى غير، أو لكن.

<sup>1</sup> جامع الدراسات العربية للغابوني 3/127، وانظر: حاشية الصيّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك 2 / 209، واللِّمحة في شرح الطَّلحة لابن الصائغ 1/459-459، والمنهج المختصر في علمي التَّحْوُ والصَّرْف ص 110، وابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان ابن عمر بن أبي بكر (ت 646هـ)، أمالى ابن الحاجب، تحقيق د. فخر صالح سليمان قرار، دار عمار -الأردن، دار الجيل - بيروت، ط 1409هـ، ج 2، ص 708.

<sup>2</sup> هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين التيمي المازني البصري. ورأيت بخطي في مسوداتي: هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ابن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن تميم، ويقال: جلهم بن حجر بن خزاعي، واسمي العريان؛ أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في التَّحْوُ في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-. قال الأصممي: قال أبو عمرو بن العلاء: لقد علمت من التَّحْوُ ما لم يعلمه الأعمش وما لو كتب لما استطاع أن يحمله. وقال أيضاً: سألت أبي عمرو عن ألف مسألة، فأجابني فيها بألف حجة. وكان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مقدماً في عصره. وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر. وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتي له إلى قريب من السقف، ثم إنه تقرأ - أي تنسك - فأخرجها كلها، فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية. قال الأصممي: جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج، فلم أسمعه يحتاج بيت إسلامي. انظر: وفيات الأعيان 3/466، وسير أعلام النبلاء 6/407-409.

<sup>3</sup> الهرمي، عمر بن عيسى بن إسماعيل (ت 702هـ)، المحَرر في التَّحْوُ، تحقيق أ.د. منصور علي مُحَمَّد عبد السميم، دار السلام، مصر - القاهرة - الإسكندرية، ط 2 1429هـ، ج 2، ص 895.

<sup>4</sup> الخطيب، عبد اللطيف مُحَمَّد، معجم القراءات، دار سعد الدين، مصر - القاهرة، ط 2 1430هـ، ج 1، ص 80.

<sup>5</sup> إعراب القرآن للنَّحَاس 45/1

<sup>6</sup> الإنصال في مسائل الخلاف بين التَّحْوَيين: البصريين والكوفيّين 1/216.

وقد اختلف العلماء في كون إبليس من الملائكة حتى استثنى منهم أم لا ؟ على قولين:

**القول الأول:** ذهب الجمهور إلى أنه كان من الملائكة، وجعل الاستثناء لها هنا متنصلًا، أي من جنس المستثنى منه وهم الملائكة وقال بذلك:

ابن قتيبة (ت 276هـ) في غريب القرآن بقوله: "وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50]؛ أي من الملائكة<sup>(1)</sup>. بمعنى أنه متنصلٌ من جنس المستثنى.

والطبرى (ت 310هـ) في تفسيره<sup>(2)</sup>، والشاعرى (ت 427هـ) في تفسيره<sup>(3)</sup>، والواحدى (ت 468هـ)<sup>(4)</sup> في تفسيره<sup>(5)</sup>، والبغوى (ت 516هـ) في تفسيره بقوله: "والأول أصح" - يعني قول ابن عباس وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة -؛ لأن خطاب السجود كان مع الملائكة<sup>(6)</sup>، وابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره بقوله: "وقوله - تعالى - ﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾ نصب على الاستثناء المتنصل؛ لأنَّه من الملائكة على قول الجمهور، وهو ظاهر الآية"<sup>(7)</sup>، والقرطبي (ت 671هـ) في تفسيره بقوله: " قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾ نصب على الاستثناء المتنصل؛ لأنَّه كان من الملائكة على قول الجمهور: ابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج، وابن المسيب، وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن،

<sup>1</sup> ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276هـ)، غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398هـ، ج 1، ص 21.

<sup>2</sup> انظر: جامع البيان في تأويل القرآن / 501-508.

<sup>3</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن / 181.

<sup>4</sup> هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوى الوادى المتوى صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في الخواص والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم، منها (البسيط) في تفسير القرآن الكريم، وكذلك (الواسطى) وكذلك (الوجيز)، ومنه أخذ أبو حامد الغزالى أسماء كتبه الثلاثة، وله كتاب (أسباب النزول) و (التحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنى) وشرح ديوان أبي الطيب المتنبى شرحاً مستوفى، وليس في شروحه مع كثرتها مثله وكان الوادى المذكور تلميذ الشاعرى صاحب التفسير - المقدم ذكره في حرف الهمزة - وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه، وتوفي عن مرض طويل في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعيناً بمدينة نيسابور، رحمة الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان / 303-304، وسير أعلام النبلاء / 18-339-342.

<sup>5</sup> انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد / 120.

<sup>6</sup> انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن / 104.

<sup>7</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية / 124.

ورجحه الطبرى، وهو ظاهر الآية<sup>(1)</sup>، والنسفي (ت 710هـ)<sup>(2)</sup> بقوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ الاستثناء متصل؛ لأنَّه كان مِن الملائكة، كذا قاله علي، وابن عباس، وابن مسعود - رضي الله عنهم - لأنَّ الأصل أنَّ الاستثناء يكون مِن جنس المستثنى منه<sup>(3)</sup>، والخازن (ت 741هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>، وأبو حيَّان (ت 745هـ) في تفسيره بقوله: "والظَّاهِرُ أَنَّه استثناء متصل لتوجُّه الأمر على الملائكة، فلو لم يكن منهم لما توجَّه الأمر عليه، فلم يقع عليه ذُمٌ لتركه فعل ما لم يؤمر به"<sup>(5)</sup>، وابن عادل (ت 775هـ) في تفسيره بقوله: "وهل هو استثناء متصل أو منقطع؟ خلاف مشهور، والأصحُّ أَنَّه متصل"<sup>(6)</sup>، والستيني (ت 926هـ) بقوله: "وثانيهما وهو المختار أَنَّه مِن الملائكة"<sup>(7)</sup>، والشَّرِيبِيني (ت 977هـ) بقوله: "وأَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِلَّا لَمْ يَتَوَالَّهُ أَمْرَهُمْ، وَلَمْ يَصْحَّ استثناؤه مِنْهُمْ"<sup>(8)</sup>، والألوسي (ت 1270هـ) في تفسيره<sup>(9)</sup>، ومُحَمَّدُ رشيدُ رضا (ت 1354هـ) في تفسيره<sup>(10)</sup>، وصاحب الدر المصنون في تفسيره بقوله: " قوله - تعالى - ﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾ [إِلَّا] حرف استثناء، و"إِبْلِيس" نصب على الاستثناء. وهل نصبه بـإِلَّا وحدها، أو بالفعل وحده، أو به بوساطة إِلَّا، أو بفعل مذوف أو بـ"أَنْ"؟ أقوال، وهل الاستثناء متصل، أو منقطع؟ خلاف مشهور، والأصحُّ أَنَّه متصل"<sup>(11)</sup>.

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن/1.294.

<sup>2</sup> هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبة إلى "نصف" ببلاد السند، بين جيرون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها (مدارك التنزيل)، في تفسير القرآن، و(كنز الدقائق - ط) في الفقه، و(المنار - ط) في أصول الفقه و(كشف الأسرار - ط) شرح المنار، و(الوافي) في الفروع، و(الكافي) في شرح الوافي، و(المصنف) في شرح منظومة أبي حفص النسفي، في الخلاف، و(عمدة العقائد). انظر: الأعلام للزرکلي 4/68-67.

<sup>3</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي/1.80.

<sup>4</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل 1/37.

<sup>5</sup> البحر المحيط 1/248.

<sup>6</sup> الباب في علوم الكتاب 1/539.

<sup>7</sup> السندي، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا (ت 926هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط 1403هـ، ص 343.

<sup>8</sup> الشريبي، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرة) - القاهرة، ط 1285هـ، ج 1، ص 48.

<sup>9</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى 4/327.

<sup>10</sup> تفسير المنار 1/221.

<sup>11</sup> الدر المصنون في علوم الكتاب المكون 1/273.

**القول الثاني:** فيما ذهب فريق آخر إلى أنه لم يكن من الملائكة، وجعل الاستثناء هنا منقطعاً أي من غير جنس المستثنى منه وهم الملائكة، وقال بذلك:

**الزجاج** (ت 311 هـ) بقوله: "وهذا القول هو الذي نختاره، لأنَّ إبليس كان من الجنٍ كما قال - عَزَّ وجلَّ - ".<sup>(1)</sup>

وأبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) في إعراب القرآن بقوله: "إِلَّا إِبْلِيس" قال أبو إسحق: استثناء ليس من الأول، يذهب إلى قول من قال: إنَّ إبليس ليس من الملائكة، ولا كان منهم ، وهذا قول صحيح يدلُّ على أنَّ الله - جلَّ وعزَّ - أخبرنا أنه خلق الجنَّ من نار، والملائكة لم تخلق من نار".<sup>(2)</sup>

**والقصاب** (ت نحو 360 هـ)<sup>(3)</sup> في النكٰت بقوله: "فَإِنْ قيلَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾" وإبليس من الجنَّ لا من الملائكة بقوله في سورة الكهف: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50]، قيل: هو - والله أعلم - مستثنى من الساجدين؛ لأنَّهم وإن كانوا ملائكة وإبليس جنِّياً فكان في جملة المأمورين بالسجود؛ لكنه كان معهم حينئذ".<sup>(4)</sup>

**والجصاص** (ت 370 هـ)<sup>(5)</sup> في أحكام القرآن بقوله: " قوله - تعالى - : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾" فيه بيان أنه ليس من الملائكة؛ لأنَّه أخبر أنه من الجنَّ، وقال - تعالى - : ﴿وَالْجَنَّ﴾

<sup>1</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 114/1.

<sup>2</sup> إعراب القرآن 240/2، وانظر: معاني القرآن للنحاس 14/3.

<sup>3</sup> هو الإمام، العالم، الحافظ، أبو أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكرجي الغازوي المجاهد. عُرف بالقصاب لكترة ما قتله من مغازييه. وكان والده من أصحاب علي بن حرب الطائي. حدث عن: أبيه وصنف كتاب (ثواب الأعمال)، وكتاب (عقاب الأعمال)، وكتاب (السنة)، وكتاب (تأديب الأئمة)، وأشیاء. وعاش إلى حدود الستين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء 213/16.

<sup>4</sup> القصاص، أبو أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكرجي (ت نحو 360 هـ)، النكٰت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق ج 1 على بن غازوي التويجري، ج 2 إبراهيم بن منصور الجندل ، دار القلم - دار ابن عفان، ط 1 1424هـ، ج 2، ص 43.

<sup>5</sup> هو أحمد بن علي الزاري، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن - ط) وكتاباً في (أصول الفقه - خ) مصور ، في معهد المخطوطات بالقاهرة. انظر: الأعلام للزرکلی 171/1

خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارٍ أَسَمُوْمٌ ﴿الحجر: 72﴾، فهو جنس غير جنس الملائكة كما أنّ الإنس جنس غير جنس الجنّ<sup>(1)</sup>.

وابن أبي زَمَنِ (ت 399هـ) في تفسيره بقوله: "﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾ منصوب باستثناء ليس من الأول، كما قال - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّإِلَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 77] والمعنى: لكن إِبْلِيس أَبِي أَنْ يَكُونُ، هَذَا عَلَى مِذْهَبِ مَنْ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ"<sup>(2)</sup>.

ومَكَّيٌّ (ت 437هـ) في مُشْكِلِ إعراب القرآن بقوله: " قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾ إِبْلِيسُ نُصِبَ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ"<sup>(3)</sup>.

والرَّمَحْشَريُّ (ت 538هـ) في الكشاف بقوله: "إِلَّا إِبْلِيسُ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصلٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَنِيًّا وَاحِدًا بَيْنَ أَظْهَرِ الْأَلْوَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَغْمُورًا بِهِمْ، فَعَلَبُوا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: (فَسَجَّدُوا) ثُمَّ اسْتَثْنَيَ مِنْهُمْ اسْتِثْنَاءً وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَيُجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ مُنْقَطِعًا؛ أَيْ امْتَنَعَ بِمَا أُمِرَّ بِهِ، وَاسْتَكَبَرَ عَنْهُ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْ جَنْسِ كَفَرَةِ الْجَنِّ، وَشَيَاطِينِهِمْ"<sup>(4)</sup>.

وأَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ (ت 616هـ) في التبيان بقوله: "﴿إِلَّا إِبْلِيس﴾: استثناء منقطع؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الزراي (ت 370هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1405هـ، ج 5، ص 43.

<sup>2</sup> تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمَنِ، 384/2.

<sup>3</sup> مشكل إعراب القرآن لمَكَّيٍّ، 87/1.

<sup>4</sup> الكشاف 1/127.

<sup>5</sup> التبيان في إعراب القرآن للعُكْبَرِي، 1/51.

وابن كثیر (ت 774هـ)<sup>(1)</sup> في تفسيره بقوله: "والغرض أنَّ الله - تعالى - لِمَا أَمْرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَآمِنَ دَخُلَ إِبْلِيسَ فِي خَطَابِهِمْ؛ لَأَنَّهُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَنْصُرِهِمْ - إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَشَبَّهَ بِهِمْ، وَتَوَسَّمَ بِأَفْعَالِهِمْ؛ فَلَهُذَا دَخُلَ فِي الْخَطَابِ لَهُمْ، وَدُمْ فِي مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ".<sup>(2)</sup>

ومُحَمَّدُ الطَّاهِرُ عَاشُورٌ (ت 1393هـ) في تفسيره بقوله: " واستثناء إبليس مِنْ ضمير الملائكة في فَسَجَدُوا اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعٍ؛ لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ جَنْسِ الْمَلَائِكَةِ ".<sup>(3)</sup>

وأبو زهرة (ت 1394هـ) في تفسيره بقوله: " وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْاسْتِثْنَاءَ يَكُونُ مُنْقَطِعًا لِكُلِّ الْخَطَابِ مُوجَّهًا إِلَيْهِ لِصَحْبَتِهِ لَهُمْ ".<sup>(4)</sup>

والشعراوي (ت 1418هـ) بقوله: " وَهَذَا حَسَمُ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ - الْأَمْرُ بِأَنَّ إِبْلِيسَ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ الْجَنِّ ".<sup>(5)</sup>

وابن العثيمين (ت 1421هـ) بقوله: " إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مُشارِكًا لَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ ظَاهِرًا، فَكَانَ تَوْجِيهُ الْأَمْرِ شَامِلًا لَهُ بِحسبِ الظَّاهِرِ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ الْاسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ، وَالْاسْتِثْنَاءُ المُنْقَطِعُ لَا يَكُونُ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ".<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضؤ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخيه إلى دمشق سنة 706هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه (البداية والنهاية) في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حداث سنة 767هـ و(شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و(طبقات الفقهاء الشافعيين)، و(تفسير القرآن الكريم) و(الاجتهد في طلب الجهاد) و(جامع المسانيد)، و(اختصار علوم الحديث) رسالة في المصطلح شرحها أحمد محمد شاكر، بكتاب (ابا ثث الحديث إلى معرفة علوم الحديث - ط) و(اختصار السيرة النبوية) طبع باسم (الفصول في اختصار سيرة الرسول) و(رسالة في الجهاد - ط) و(التكليل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) في رجال الحديث.

انظر: الأعلام للزرکلی 320/1.

<sup>2</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/230.

<sup>3</sup> التحرير والتتوير لابن عاشور 1/423.

<sup>4</sup> زهرة التفاسير 1/197.

<sup>5</sup> تفسير الشعراوي - الخواطر 12/7696.

<sup>6</sup> تفسير العثيمين 1/127.

والمازري<sup>١</sup> (ت 333هـ) في تفسيره<sup>(١)</sup>، والزركشي<sup>٢</sup> (ت 794هـ) في البرهان<sup>(٢)</sup>، والسيوطى<sup>٣</sup> (ت 911هـ) في الإنقان<sup>(٣)</sup>، وداماد أفندي<sup>٤</sup> (ت 1078هـ)<sup>(٤)</sup> في مجمع الأئمـهـ<sup>(٥)</sup>.

وفاضل السامـرـائـي بقوله: "إـبـلـيسـ لـيـسـ مـنـ الـمـلـاـكـةـ بلـ هـوـ مـنـ الـجـنـ،ـ والـجـنـ لـيـسـواـ مـنـ الـمـلـاـكـةـ"<sup>(٦)</sup>.

وصلاح الخالدي بقوله: "إـبـلـيسـ شـيـطـانـ لـأـنـهـ أـوـلـ كـافـرـ،ـ وـهـوـ مـنـ الـجـنـ بـنـصـ القرآنـ،ـ قـالـ تعالـىـ: ﴿ وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا لِإِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَدُرْسَيْتَهُ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف: 50]، فهو جـنـيـ منـ حيثـ النـسـبـ والنـجـنـسـ،ـ وهوـ شـيـطـانـ مـنـ حيثـ الـوـصـفـ"<sup>(٧)</sup>.

فيما يرى ابن بدران - رحمة الله تعالى - ترجيح القول الأول: وهو أن الاستثناء متصل بمعنى أن المستثنى منه من جنس المستثنى، وبناءً على ذلك يكون إبليس من الملائكة، إذ يقول: "وهذا الذي تدل عليه الآية؛ لأنـهـ تعالـىـ - قالـ: ﴿ وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة: 34] فرجـحـ بأنـهـ هـمـ المـأـمـورـونـ بـالـسـجـودـ،ـ وـإـذـ كـانـ إـبـلـيسـ لـيـسـ مـنـهـمـ فـلاـ يـكـونـ مـأـمـورـاـ،ـ فـكـيفـ يـعـاقـبـ عـلـىـ تـرـكـ شـيـءـ لـمـ يـؤـمـرـ بـهـ،ـ وـأـمـاـ قـوـلـهـ - تعالـىـ - فـيـ سـوـرـةـ [الـكـهـفـ]: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فـلاـ يـوـجـبـ أـنـ لـاـ يـكـونـ<sup>(٨)</sup> مـنـ الـمـلـاـكـةـ؛ـ لـأـنـ الـجـنـ مـأـخـوذـ مـنـ الـاجـتـنـانـ وـهـوـ السـئـرـ"<sup>(٩)</sup>.

<sup>١</sup> انظر: تفسير المازري (تأويلاً لأهل السنة) 368/4.

<sup>٢</sup> انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 310/3.

<sup>٣</sup> انظر: الإنقان في علوم القرآن للسيوطى 135/3، والسيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإكليل في استباط التزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، 1401هـ، ص71.

<sup>٤</sup> هو عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، المعروف بشيخي زاده ويقال له الدمامـهـ: فقيه حنفي، من أهل كلبيولي (بنتركيا) من قضاة الجيشـهـ.ـ لهـ (مـجـمـعـ الـأـئـمـهـ فـيـ شـرـحـ مـلـقـىـ الـأـبـرـ - طـ) مجلـدانـ،ـ فـرـغـ مـنـ تـالـيـفـهـ بـبـلـدـةـ أـدـرـنـهـ،ـ وـ (ـنـظـمـ الـفـرـائـدـ - طـ) فـيـ مـسـائلـ الـخـالـفـ بـيـنـ الـمـاتـرـيـدـيـةـ وـالـأـشـعـرـيـةـ.ـ انـظـرـ:ـ الأـعـلـامـ للـزرـكـلـيـ 332/3.

<sup>٥</sup> دامـادـ أـفـنـدـيـ،ـ عبدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـوـهـمـ بـنـ سـلـيـمانـ (ـتـ 1078هـ)،ـ مـجـمـعـ الـأـئـمـهـ فـيـ شـرـحـ مـلـقـىـ الـأـبـرـ،ـ دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ،ـ بـدـونـ طـبـعـةـ وـبـدـونـ تـارـيخـ،ـ جـ2ـ،ـ صـ693ـ.

<sup>٦</sup> السـامـرـائـيـ،ـ فـاضـلـ صـالـحـ،ـ معـانـيـ النـحـوـ،ـ دـارـ الـفـكـرـ،ـ الـأـرـدـنـ - عـمـانـ،ـ طـ5ـ1432ـهـ،ـ جـ2ـ،ـ صـ215ـ.

<sup>٧</sup> الـخـالـدـيـ،ـ صـلـاحـ عـبـدـ الـفـتـاحـ،ـ الـقـرـآنـ وـنـقـضـ مـطـاعـنـ الـرـهـبـانـ،ـ دـارـ الـقـلمـ،ـ دـمـشـقـ،ـ طـ1ـ1428ـهـ،ـ صـ260ـ.

<sup>٨</sup> هـكـذـاـ فـيـ الـأـصـلـ،ـ وـالـصـوابـ أـلـاـ يـكـونـ.

<sup>٩</sup> جـواـهـرـ الـأـفـكـارـ صـ171ـ.

ومع ذلك فإنَّه - رحمه الله - يرى أنَّ القولين يتفقان في المعنى، ويختلفان في التعبير، بناءً على مَرْوِيَّاتِ ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - التي أخرجها ابن جرير الطَّبرِي في تفسيره<sup>(1)</sup>، إذ يقول: "ولكنْ يُمْكِن أنْ يرجع القرآن إلى الاتفاق في المعنى، والاختلاف في التعبير، فقد أخرج ابن جرير الطَّبرِي في تفسيره، عن ابن عَبَّاسٍ، أَنَّه قال: كان إبْلِيس مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقال لَهُمْ الْجَنُّ، وَقَالَ أَيْضًا: كَانَ إبْلِيس [قبل أن يرتكب المعصية] مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ مَرْوِيٌّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ أَيْضًا: كَانَ مِنْ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَكْرَمِهِمْ قَبْلَة، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَمْ يُؤْمِنْ بِالسَّجْدَةِ، انتهى"<sup>(2)</sup>.

ويرى الباحث بعد طول نظر في المسألة، واستقرائها، وتتبعها، وسبِّر أقوال العلماء فيها أنَّ الاستثناء في قوله - تعالى - ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ [آل عمران: 54] استثناءً مُنْقطعٌ، أي إنَّ المستثنى من غير جنس المستثنى مِثْلُه؛ بمعنى أنَّ إبْلِيس مِنْ الْجَنِّ وَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وذلك للاعتبارات الآتية:

1. أنَّ الاستثناء المُنْقطع مشهورٌ في كلام العرب ووارد في كلامهم، وأشعارهم، وأمَّا مَنْ قال: "إنَّ الاستثناء لا يكونُ مِنْ غير الجنس هذا هو المشهورُ في لغةِ العربِ بِدَلَالَةِ أَنَّه لا يَحْسُنُ قولَ القائل: "فتحُ الْخَبَارُونَ إِلَّا فَلَانَا" وَبِرِيدُونَ "فَلَانَا الْحَدَادُ" ، ولا يَحْسُنُ أَنْ يقولَ: "رأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا حِمَارًا"<sup>(3)</sup>، فهذا القولُ عَارٍ عن الصحة، وبعيدٌ عن الصواب؛ لأنَّ علماءَ النَّحْو قد أَنْتَبَوْهُ في كُتُبِهِمْ وَنَظَمِهِمْ، فقد أَنْتَبَهُ سَبِيبُوهُ (ت 180هـ) في الكتاب بقوله: "وَمِثْلُهُ فِي الْانْقِطَاعِ مِنْ أَوْلِهِ: إِنْ لَفَلَانَ وَاللهِ مَا لَا إِلَّا أَنَّهُ شَقِيقٌ"<sup>(4)</sup>. وقال - أيضًا -: "هَذَا بَابٌ يُخْتَارُ فِيهِ النَّصْبُ؛ لَأَنَّ الْآخَرَ لَيْسَ مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ وَهُوَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: مَا فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا حِمَارًا"<sup>(5)</sup>.

وقال ابن الحاجب (ت 646هـ) في الكافية: "المستثنى: مُتَّصلٌ وَمُنْقطعٌ"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: جامع البيان 1/455-458.

<sup>2</sup> جواهر الأفكار ص 170-171.

<sup>3</sup> الشبلي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن نقى الدين محمد بن عبد الله (ت 769هـ)، آكام المرجان في أحكام الجن، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة، (د. ت) ص 209.

<sup>4</sup> الكتاب 2/319.

<sup>5</sup> المرجع السابق 2/319.

<sup>6</sup> ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت 646هـ)، الكافية في علم النحو، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط 1 2010 م، ص 25.

وقال ابن مالك (ت 672هـ) في ألقايتها:

ما استثنى إلا مع تمام ينتصب  
وبعد نفي أو كنفي انتخب  
إثباع ما اتصل وانصب ما انقطع  
وعن تميم فيه إبدال وقع<sup>(1)</sup>

وقال الشاطبي (ت 790هـ) في المقاصد الشافية: "هذا القسم يعني أنَّ ما كان واقعاً بعد إلا مستثنى بها؛ فإنَّه ينتصب إذا كان الكلام تماماً لم يفرغ العاملُ له، وسواءً أكان مُتصلاً، أو مُنقطعاً، ومثال ذلك: قام القوم إلا زيداً... ومثاله في المُنقطع: جائعني بنو تميم إلا زيداً الهاشميُّ، ورأيتَ القوم كلهم إلا فرسَ بني فلان"<sup>(2)</sup>.

وَ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُبَثِّثُ الْمُسْتَثْنَى الْمُنْقَطِعَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةٌ إِمَّا نَفَعَهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَى﴾ [يونس: 89] ، وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَإِنْ شَاءَ نُفْرِقُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنَقْدُونَ﴾ [آل رحمة: 32] إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ<sup>(3)</sup> [يس: 34-44] ، وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتِبَاعُ الظَّنِّ﴾ [النساء: 751] ، وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [آل إِقْلِيل: 52] [الواقعة: 62-52].  
وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ<sup>(3)</sup>:

<sup>1</sup> ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672هـ)، ألقايتها ابن مالك، دار التعاون، (د. ت)، ص 31، وانظر: ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن (ت 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألقايتها ابن مالك، تحقيق محمد حبي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط 2000هـ، ج 2، ص 209.

<sup>2</sup> الشاطبي، أبو اسحق ابراهيم بن موسى (ت 790هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط 1428هـ، ج 3، ص 344، وانظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألقايتها ابن مالك /212.

<sup>3</sup> هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغضاني المصري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصد الشعراة فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء من يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمانا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في (ديوان - ط) صغير. وكان أحسن شعرا العرب ببياجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرا طويلا. وما كتب في سيرته (النابغة الذبياني - ط) لجميل سلطان، ومثله لسليم الجندي، ولعمر الدسوقي، ولحننا نمر، وكلها مطبوعة، وتوفي نحو 18ق هـ. انظر: الأعلام للزرکلي 3/54-55.

حَلْفُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَتْوِيَّةٍ<sup>(1)</sup>  
وَلَا عِلْمَ، إِلَّا حُسْنَ ظَنٌّ بِصَاحِبٍ<sup>(2)</sup>  
وقال الشاعر:

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلَا جُوعٌ  
إِلَّا الرُّقَادُ وَالرُّقَادُ مَمْنُوعٌ<sup>(3)</sup>  
وقال الحارث بن عبد<sup>(4)</sup>:

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَاهٍ  
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَارُ فِي الدَّاءِ  
جَدَاتٌ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ<sup>(5)</sup>  
<sup>(6)</sup>

فَمِنْ خِلَالِ مَا عَرَضْنَا مِنْ أَفْوَالِ عُلَمَاءِ النَّحْوِ فِي الْاسْتِثنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، وَالشَّوَاهِدِ الْقَرآنِيَّةِ، وَشِعْرِ  
الْعَرَبِ يَظْهَرُ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ الْاسْتِثنَاءَ الْمُنْقَطِعَ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَا كَمَا رَأَعَمَ بَعْضُهُمْ بِعَدِ  
مَشْرُوعِيَّتِهِ وَجْوَاهِرَهُ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْاسْتِثنَاءَ الْمُنْقَطِعَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ [البقرة: 34]  
مُحْتَمَلٌ فِي لِغَةِ الْعَرَبِ لَا مُمْتَنَعٌ.

<sup>1</sup> يُقال: حَلْفَ فَلَانْ يَمِينًا لَيْسَ فِيهَا ثَلْيَا، وَلَا ثَنْوِيَّةً، وَلَا شَيْئَةً، وَلَا مَتْوِيَّةً، وَلَا اسْتِثنَاءً، كُلُّهُ وَاحِدٌ. وَأَصْلُ هَذَا كُلُّهُ مِنْ (الشَّيْءِ) وَهُوَ الْكَفَّ وَالرَّدَّ؛ لِأَنَّ الْحَالِفَ إِذَا قَالَ: وَاللهِ لَا أَفْعُلُ كَذَّا وَكَذَّا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ غَيْرُهُ، فَقَدْ رَدَ مَا قَالَهُ، بِمَشِيشَةِ اللهِ غَيْرِهِ. تَهْذِيبُ الْلِّغَةِ لِلْأَزْهَرِيِّ، بَابُ الثَّاءِ وَالنُّونِ 102/15، وَانْظُرْ: لِسانُ الْعَرَبِ، فَصْلُ الثَّاءِ الْمُمْتَنَعِ 14/124، وَتاجُ الْعُرُوسِ، بَابُ ثَوِي 37/305.

<sup>2</sup> النَّابِغَةُ الْذِيَّانِيُّ، أَبُو أَمَامَةَ زِيَادَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ ضَبَابَ (تَنَحُوا 18 ق.هـ)، دِيَوَانُ النَّابِغَةِ الْذِيَّانِيِّ، شِرْحُ وَتَقْدِيمٍ عَبَّاسِ عَبْدِ السَّاتِرِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعُلَمَىِّ، بَيْرُوتُ - لَبَّانُ، طِّبْعَانُ 1416، صِّفْرَانُ 1416، صِّفْرَانُ 29، وَانْظُرْ: الْكِتَابُ لِسَيْبُوِيَّهِ 2/322.

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/294.  
<sup>4</sup> الحارث بن عبد بن قيس بن ثعلبة البكري، أبو منذر: حكيم جاهلي. كان شجاعاً، من السادات، شاعراً. انتهت إليه إمرة بنى ضبيعة وهو شاب. وفي أيامه كانت حرب (البسوس) فاعتزل القتال، مع قبائل من بكر، منها يشكر وعجل وقيس. ثم إن المهلل قتل ولدا له اسمه بجير، فثار الحارث ونادى بالحرب، وارتجل قصيده المشهورة التي كرر فيها قوله (قرياً مربط العمامه مني) أكثر من خمسين مرة، والنعامه فرسه، فجاؤوه بها، فجز ناصيتها وقطع ذنبها - وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذ سنة عند إرادة الأخذ بالثار - ونصرت به بكر على تغلب، وأسر المهلل فجز ناصيته وأطلقه، وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فيما فيهم، فأخذوا رجلاً في سرب تحت الأرض ومر به الحارث فأشد الرجل: (أبا منذر أفتنت فاستيق بعضنا ... حانياك بعض الشر أهون من بعض). فقيل: بر القسم: واصطلحت بكر وتغلب. وعمر الحارث طويلاً، وتوفي نحو 50 ق.هـ. انظر: الأعلام للزركي 2/156.

<sup>5</sup> وَقْحُ الْوَقَاحِ: الْحَافِرُ الصَّلْبُ، وَالثَّعْنَاتُ وَقَاحُ، الْذَّكَرُ وَالْأَنْثَى فِيهِ سَوَاءُ. وَالْجَمِيعُ: وُقْحٌ وَوَقَاحٌ. وَرَجُلٌ وَقَاحٌ الْوَجْهُ صُلْبُهُ: قَلِيلٌ الْحَيَاةِ. وَقَدْ وَقَحَ وَقَاحَةً وَقَحَةً. الفراهيدي، أبُو عبد الرَّحْمَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرُو بْنِ نَعِيمٍ (ت 170هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، باب الحاء والكاف 3 ج، ص 256.

<sup>6</sup> البكري: أبو منذر الحارث بن عبد بن قيس بن ثعلبة (ت نحو 50 ق.هـ)، ديوان الحارث بن عبد، جمعه وحققه أنس عبد الهادي أبو هلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراجم "المجمع التلفيقي"، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط 1 1429هـ، ص 242. وانظر: الكتاب لسيبوه 2/324، والنكت في القرآن الكريم للقيرناني 1/134.

2. أَنَّهُ فِي الْلُّغَةِ يُمْكِنُ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ تَغْلِيبُ الْجِنِّ كَثِيرُ الْأَفْرَادِ عَلَى فِرِّدٍ مِّنْ غَيْرِهِ اَلْجِنِّ مَغْمُورٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَنْ يُطْلِقَ اسْمُ الْجِنِّ عَلَى الْجَمِيعِ، كَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿فَسَاجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِكُلِّهِمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الْحَجَرُ : 30] وَأَنَّهُ عَدَ مِنْهُمْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ؛ تَغْلِيبًا لِكُونِهِ جِنًّا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَهُمْ<sup>(1)</sup>. وَهَذَا جَائزٌ فِي الْلُّغَةِ غَيْرَ مُحَالٍ وَلَا مُمْتَنِعٍ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَوْلَهُ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذْ قُنَّا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا﴾ [البَقْرَةُ : 34] مِنْ بَابِ تَغْلِيبِ جِنِّ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جِنِّ إِبْلِيسِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ جِنِّهِمْ.

3. أَنَّ إِبْلِيسَ لَيْسَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكَةِ لِلأسَابِبِ الْآتِيَّةِ:

أ. اختلافُ أَصْلِ خِلْقَةِ كُلِّ مِنْهُمَا؛ فَالْمَلَائِكَةُ خُلِقَتْ مِنْ نُورٍ، وَالْجِنُّ خُلِقَتْ مِنْ نَارٍ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ نَارٍ أَسْمُوهُ﴾ [الْحَجَرُ : 27] وَأَيْضًا مَا أَخْبَرَ بِهِ إِبْلِيسُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الْأَعْرَافُ : 12]، أَمَّا عَنْ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ فَقَدْ ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدُمُ مَمَا وُصِّفَ لَكُمْ" <sup>(2)</sup>، أَمَّا القَوْلُ بِأَنَّ النُّورَ، وَالنَّارَ بِمَعْنَى فَهَذَا بَعِيدٌ؛ لَأَنَّ صِفَةَ وَمَاهِيَّةَ النُّورِ تَخْتَلِفُ عَنِ النَّارِ وَهَذَا ظَاهِرٌ، ثُمَّ إِنَّ اقْتِرَانَهُمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَلَّ عَلَى أَنَّ النُّورَ مُخْتَلِفٌ تَامًا عَنِ النَّارِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّارَ لَيْسَ مِنْ جَوْهِ النُّورِ.

فَيَظْهُرُ جَلِيًّا مِنَ الْأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ أَنَّهُ اخْتَلَفُ أَصْلِ خِلْقَةِ كُلِّ مِنْهُمَا، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ جِنِّ الْمَلَائِكَةِ غَيْرَ جِنِّ إِبْلِيسِ؛ وَلِهَذَا اسْتَثْنَيْتُ اسْتِثنَاءً مُنْقَطِعًا عَنْهُمْ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

ب. أَنَّ الْمَلَائِكَةَ جُبِّلُوا وَفُطِرُوا عَلَى الْعِصْمَةِ، وَعَدَمِ الرَّلَلِ، أَوِ الْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْكُفْرِ، إِذْ إِنَّهُ مُحَالٌ مِنْ أَحَدِهِمْ ارْتِكَابُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كِتَابِهِ قَالَ: ﴿لَا يَعَصُّونَ اللَّهَ مَا

<sup>1</sup> البرهان في علوم القرآن للزرκشي 310/3، وانظر: الإنفاق في علوم القرآن للسيوطى 135/3، ونواهد الأبكار وشوادر الأفكار للسيوطى 199/2، مفتاح العلوم للستكاكى، ص242.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب في خلق الملائكة والجان وأدم، حديث رقم 7605 [60-60]، 226/8، رواه أحمد في المسند برقم 24668، والبيهقي في السنن الكبرى برقم 18207، وابن حبان في صحيحه برقم 6155.

أَمْرُهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ ﴿٦﴾ [التحريم: 6]، وقال - تعالى - : ﴿بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ لَا يَسِيقُونَهُ بِالْفَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الانتباة: 26-27]، قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ﴾ [يَحَافُرُ رَبُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ [النحل: 49-50]، فلما ارتكب إبليس المعصية في عدم امتثال أمر ربه بالسجود لآدم دل على أنه ليس من جنسهم من حيث العصمة، وعدم ارتکاب المعصية والكفر؛ لأن الملائكة معصومون من الخطأ، ومحبولون على الطاعة؛ لذلك استثناء الله في امتثال الأمر، والسجود لآدم قوله: ﴿فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ .

ج. أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ إِبْلِيسَ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْجِنِّ، وَالْجِنُّ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50].

فهذا دليلٌ صريحٌ واضحٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا القول بِأَنَّ الْجِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى الْاسْتِنَارِ فَهَذَا تَأْوِيلٌ بَعِيدٌ؛ لَأَنَّ قَوْلَهُ - تَعَالَى - : ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ سَبَبٌ تِرْكِهِ لِلسَّجُودِ؛ لِكُونِهِ جِنِّيًّا لَا لِكُونِهِ مُسْتَنَارًا؛ لَأَنَّ الْجِنِّيَنِ يَشْتَرِكُانِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، ثُمَّ إِنَّ اقْتَرَانَهُمَا فِي الْآيَةِ نَفْسُهَا يَدْلُلُ عَلَى تَبَاعِيْنِهِمَا، وَتَعَارِيْهُمَا، وَأَنَّهُمَا مِنْ جِنِّيَنِ مُخْتَلِفِيْنِ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيَنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكَثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سَيَا: 40-41] فَصَرَّحَتْ الْآيَةُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ الْمُسْتَنَنِي مُنْقَطِعًا مِنْ غَيْرِ جِنِّيَنِ الْمُسْتَنَنِي مِنْهُ.

4. أَنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا يَشْمَلُ جُمْلَةَ الْمَخَاطَبِيْنِ، وَيَتَعَيَّنُ عَلَى آحَادِهِمْ إِلَّا إِنْ دَلَّتِ الْقَرَائِنُ عَلَى عَدَمِ شُمُولِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ جُمْلَتِهِمْ، وَلَا يَقْعُدُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ. وَلَمَّا كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ جُمْلَتِهِمْ وَفِي صُحبَتِهِمْ وَكَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بِعِبَادَتِهِمْ، كَانَ مِنَ الْمَشْمُولِيْنَ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، لَا سِيمَاءَ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ قَرِينَةِ ثُخْرُجَهُ مِنْ ذَلِكَ. بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ جِنِّيَهِ، فَكَانَ لِزَاماً عَلَيْهِ امْتِنَالُ أَمْرِ رَبِّهِ، بَلْ إِنَّ الْقَرَائِنَ تَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ حُصَنَّ

بِالْأَمْرِ بِقُولِهِ - تَعَالَى - : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ ﴾ [الْأَعْرَافُ : 12] ، وَهَذَا يَدْلُلُ عَلَى أَنَّ شُمُولَهُ بِالْأَمْرِ لَا يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ جِنْسِهِمْ فَدَخَلَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ بِالطَّاعَةِ، وَالْأَمْرِ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ؛ لِذَلِكَ حَسَنَةُ اللَّهِ بِالاستِئْنَاثِ بِقُولِهِ : ﴿ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ .

5. أَنَّ جُلَّ مَا وَرَدَ مِنْ آثَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالنَّابِعِينَ إِنَّمَا هُوَ مِنِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ فَضْلًا عَنْ أَنَّ بَعْضَهَا ضَعِيفٌ، قَالَ ابْنُ كَثِيرَ (ت 774هـ) فِي تَفْسِيرِهِ: " وَقَالَ السُّدُّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكَ، وَعَنْ أَبِي صَالِحَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ مَرْءَةٍ، عَنْ ابْنِ مُسْعُودٍ، وَعَنْ أَنَّاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ عَلَى مُلْكِ السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا، وَكَانَ مِنْ قَبْيلَةِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، وَإِنَّمَا سُمِّوُا الْجِنُّ؛ لِأَنَّهُمْ خُزَانُ الْجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسَ مَعَ مُلْكِهِ خَازِنًا " <sup>(1)</sup> ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ تِنَامَاهُ ثُمَّ عَلَقَ عَلَيْهِ بِقُولِهِ: "فَهَذَا إِسْنَادٌ إِلَى هُؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ مَشْهُورٌ فِي تَفْسِيرِ السُّدُّيِّ، وَيَقُولُ فِيهِ إِسْرَائِيلِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، فَلَعَلَّ بَعْضَهَا مُدَرَّجٌ لِنَسِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ أَخْذُوهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُقْتَدَمَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمَ " <sup>(2)</sup> .

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ (ت 1420هـ) فِي السَّلْسِلَةِ الْمُضَعِّفَةِ: " وَمَا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ قُولِهِ: ﴿ مِنَ الْجِنِّ ﴾ أَيْ مِنْ حُرَّانِ الْجِنَّانِ، وَأَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مِمَّا لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ عَنْهُ " <sup>(3)</sup> .

بَلْ إِنَّهُ وَرَدَ مِنَ الْآثَارِ الصَّحِيحَةِ مَا يُبَطِّلُ هَذِهِ الْآثَارَ، وَيُعَارِضُهَا وَمِنْهَا: قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : " آدَمُ أَصْلُ الْإِنْسَانِ وَإِبْلِيسُ، أَصْلُ الْجِنِّ " <sup>(4)</sup> .

وَقَالَ - أَيْضًا - : " مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَطَّ، وَإِنَّهُ لَا أَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسَانِ " <sup>(5)</sup> . وَقَالَ ابْنُ كَثِيرَ: " وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مِنَ الْحَسَنِ " <sup>(6)</sup> .

<sup>1</sup> تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَابْنِ كَثِيرٍ / 1-229-228، وَانْظُرْ : جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ لِلْطَّبَرِيِّ / 1-458، حَدِيثُ رقم 607.

<sup>2</sup> تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَابْنِ كَثِيرٍ / 1-230.

<sup>3</sup> الْأَلْبَانِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْحَاجِ نُوحِ بْنِ نَجَاتِي (ت 1420هـ)، سَلْسِلَةُ الْأَحَادِيثِ الْمُضَعِّفَةِ وَالْمَوْضِعَةِ وَأَثْرُهَا السَّيِّءَ فِي الْأُمَّةِ، دَارُ الْمَعَارِفِ، الْRِّيَاضُ - الْمُلْكَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْسُّعُودِيَّةُ، ط 1412هـ، ج 2، ص 312، وَانْظُرْ : الْأَلْبَانِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْحَاجِ نَجَاتِي (ت 1420هـ)، مُوسَوَّةُ الْعَلَمَةِ الْإِمَامِ مَجْدِ الْعَصْرِ، صَنَعَهُ شَادِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَالِمٍ الْأَنْعَمِ، مَرْكَزُ النَّعْمَانِ لِلْبَحْثِ، صَنْعَاءُ - الْيَمَنُ، ط 1431هـ، ج 8، ص 23.

<sup>4</sup> الْأَصْبَهَانِيُّ، أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ (ت 369هـ)، الْعَظِيمَةُ، تَحْقِيقُ رَضَاءِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِبْرِيزِ الْمَبَارِكَافُورِيِّ، دَارُ الْعَاصِمَةِ - الْRِّيَاضُ، ط 1408هـ، ج 5، ص 1572.

<sup>5</sup> جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ لِلْطَّبَرِيِّ / 1-506، حَدِيثُ رقم 696، وَالدَّرُّ المُنْثُرُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْوِرِ لِلْسَّيُوطِيِّ / 9-567.

<sup>6</sup> تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَابْنِ كَثِيرٍ / 1-231.

وقال - أيضاً - : " قاتلَ اللَّهُ أَقْواماً يَزْعُمُونَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ اللَّهُ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - يَقُولُ : ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ " <sup>(1)</sup>.

وعليه فإن هذه الآثار الصحيحة تُعنينا عن ذكر الإسرائييليات، أو الآثار الضعيفة، إذ لا مُعَوَّلٌ عليها في بيان حُكْمٍ، أو إسناد قولٍ، على الرغم من أن جُلَّ من قال: إن إبليس من الملائكة اعتمد على هذه الآثار الضعيفة، أو الإسرائييليات. ومنهم ابن بدران - رحمة الله - وهذا ما دفعه إلى القول: "ولكن يمكن أن يرجع القولان إلى الاختلاف في المعنى، والاختلاف في التعبير" <sup>(2)</sup>. ثم أورد أحاديث ابن عباس الظاهر ضعفها؛ لمخالفتها الوحيدين القرآن والسنة الصحيحة. ثم إله بعد ذلك يُرَجعُ قول القائلين إن إبليس كان من الملائكة.

### وخلصة القول:

إن الاستثناء في قوله - تعالى - : ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ ، مُنْقَطِعٌ عَنِ الْمُسْتَنْتَى مِنْهُ؛ لَأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - ذَكَرَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ، وَإِعْطَاءِ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ. فهو مع الملائكة بِصُورِتِهِ، وَهَيْئَتِهِ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِخَلْقِهِ، وَأَصْلُهِ، فَالْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَهُوَ مِنْ نَارٍ، فيكون إبليس مِنَ الْجِنِّ لَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقد سُلِّطَتِ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبُحُوثِ الْعُلْمِيَّةِ، وَالْإِفْتَاءُ: هل إبليس مِنَ الْجِنِّ أَمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟<sup>3</sup>. فأجابَتْ: إبليس مِنَ الْجِنِّ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا لِإِدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50]، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿خَلَقَ اللَّهُ أَنْسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾<sup>14</sup> وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ <sup>15</sup> [الرحمن: 14-15]، وَقَالَ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ إبليس مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وُصِّفَ لَكُمْ " <sup>(3)</sup>، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "مَا كَانَ إبليس مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قُطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ

<sup>1</sup> ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط 3 1419هـ، ج 7، ص 2366، حديث رقم 12843، وانظر: الدر المتنور في التفسير بالتأثر للسيوطى 567/9-568.

<sup>2</sup> جواهر الأفكار لابن بدران ص 170.

<sup>3</sup> مسند أحمد ط الرسالة 42 / 109، حديث رقم 25194، صحيح مسلم 8 / 226، برقم 7605-60-2996، كتاب الآداب: باب في خلق الملائكة والجان وآدم.

أَصْلُ الْإِنْسِ<sup>(1)</sup>، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ، وَلِكُنْ خَانَ إِلْبِيسَ الطَّبْعُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ، وَتَعَبَّدُ، وَتَسْكَنُ مَعَهُمْ، فَلَهُذَا دَخَلَ فِي حِطَابِهِمْ، وَعَصَى بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ بِالسُّجُودِ.

عضو	عضو	عضو	عضو	عضو
بكر أبو زيد	عبد العزيز آل الشيخ	صالح الفوزان	عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان
نائب رئيس اللجنة	الرئيس			
عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز <sup>(2)</sup> .			

<sup>1</sup> جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبرى، 1 / 506، حديث رقم (696).

<sup>2</sup> انظر: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض، فتوى رقم (7815)، ج 3، ص 509، وانظر: المجموعة الثانية فتوى رقم (16370)، ج 2، ص 422.

## المسألة الثامنة:

أثُرَ عَوْدِ الضَّمِيرِ فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " <sup>(1)</sup> فِي تَوْجِيهِ مَعْنَى قُولِهِ - تَعَالَى - ﴿ وَفَنَّا يَكَادُ أَسْكَنْ أَنَّتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شَئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَنَّكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ البقرة:35] قال ابن بدران - رحمه الله - : " وأما قوله<sup>(2)</sup>: على صورته فالضمير راجع لآدم، ومعناه: أنه من بدء خلقه يظهر صورته التي كان عليها، فلم يكن كغيره من ذريته طفلاً، ثم كبر بالتدريج "<sup>(3)</sup>. فقد بين - رحمه الله - أن الضمير في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " على صورته " يعود إلى آدم - عليه السلام - .

عِلْمًا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُحَطٌّ خَلَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا، وَحَدِيثًا، وَالخَلَافُ نَاشِئٌ عَنْ عَوْدِ الضَّمِيرِ فِي قُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " عَلَى صُورَتِهِ ".

كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ الْأَلْبَانِيُّ (ت 1420هـ) - رَحْمَهُ اللَّهُ - فِي الْمُوسَوِّعَةِ: " وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي مَرْجِعِ ضَمِيرِ قُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " <sup>(4)</sup>.

وَلَا شَكَّ أَنَّ بَيَانَ عَوْدِ الضَّمِيرِ لَهُ بَالْغُ الأَثْرُ فِي تَوْجِيهِ الْمَعْنَى، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَرَادِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْحَدِيثِ.

وَلِتَحرِيرِ الْمَسْأَلَةِ، وَحْلِّ الإِشْكَالِ وَبَيَانِ الْمُبْهِمِ فِيهَا؛ لَا بَدَّ مِنَ التَّعْرِيْجِ عَلَى الضَّمَائِرِ، وَتَعْرِيْفِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَقْسَامِهَا.

<sup>1</sup> مسند أحمد تحقيق شاكر 142/7، حديث رقم 7319، باب ابتداء مسند أبي هريرة. وصحيح البخاري 50/8، كتاب الاستذان، باب بدء السلام، حديث رقم 6227. وانظر: البخاري، مُحَمَّدُ بْنُ اسْمَاعِيلَ بْنِ ابْرَاهِيمَ (ت 256هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط 4 1418هـ، 86-85/1، باب لا نقل: فبح الله وجهه ، وباب بدء السلام ص 374، والتبزيزي، أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبِ الْعُمَرِيِّ (ت 741هـ)، مشكاة المصاييف، تحقيق مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 3 1985م، ج 3، ص 1315 برقم 4628. ومسلم 8/32، كتاب الآداب حديث رقم 6748 وحديث رقم 7265 - 149/8 - 149/8.

<sup>2</sup> أي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

<sup>3</sup> جواهر الأفكار ص 173.

<sup>4</sup> موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر 201/1.

### تعريف الضمير:

الضمير لغة: من ضَمَرْ، والضمير: السُّرُّ، وداخل الخاطر، وهو الشيء الذي تضمره في قلبك، تقول: أضمرت صرف الحرف؛ إذا كان متحركاً فأسكنته، وأضمرت في نفسي شيئاً، والاسم الضمير، والجمع الضمائر، والمُضْمِر: الموضع والمفعول، وأضْمَرْتُ الشيءَ: أخفيته، وأضْمَرْتُ الشيءَ: إذا غَيَّبْتُه<sup>(1)</sup>.

أما في الاصطلاح: فهو "ما يُكتَبُ به عن مُتَكَلِّمٍ، أو مُخَاطِبٍ، أو غَائِبٍ، فهو قَائِمٌ مَقَامَ ما يُكتَبُ به عنه"<sup>(2)</sup>.

والمُضْمِر: اسم مفعول من أضمرته، إذا أخفيته، وسترته، وإطلاقه على البارز توسيع، والضمير: بمعنى المُضْمِر على حد قولهم: عقدت العسل فهو عقيد أي، معقود"<sup>(3)</sup>.

"والضمير فعال، بمعنى اسم المفعول، من أضمرت الشيء في نفسي: إذا أخفيته، وسترته، فهو مُضْمِر كالحكيم بمعنى المُحْكَم. والنحاة يقولون: إنما سُمِّي بذلك؛ لكثرة استثاره، وإطلاقه على بارز توسيع، أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة. والثاني هو: الراجح فيما أرى؛ وذلك لأنك

بالضمير تستر الاسم الصريح، فلا تذكره<sup>(4)</sup>. ثم قال: "والضمير مصطلح بصري، ويسميه الكوفيون كنایة، ومکنیة، وهو بالمعنى نفسه؛ فإنَّ الكنایة تقابل التصریح"<sup>(5)</sup>.

أما أقسامه وأنواعه فقد بينها ابن مالك في أقواله بقوله:

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ  
كَانَتْ وَهُوَ سَمِّ بِالضَّمِيرِ

وَدُوْ اتَّصَالٍ مِنْهُ مَا لَا يُبَيَّنَ  
وَلَا يَلِي إِلَّا اخْتِيَارًا أَبَدًا

<sup>1</sup> انظر: لسان العرب (مادة ضَمَرْ)، 491-493.

<sup>2</sup> جامع الدروس العربية للغلابي ص115. وانظر: شرح شذور الذهب ص168، وشرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص93.

<sup>3</sup> شرح التصریح على التوضیح 1/97.

<sup>4</sup> معانی التَّحْوُ للسَّامِرَاتِي 1/41.

<sup>5</sup> الجوّري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت 889هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق نواف بن جزاء الحارثي، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب رسالة ماجستير للتحقیق)، ط 1423هـ، ص162، وحاشية الصبان 1/162، ومعانی التَّحْوُ للسَّامِرَاتِي 1/41.

كَالِيَاءُ وَالْكَافُ مِنْ أَبْنَى أَكْرَمُ  
وَالِيَاءُ وَالْهَا مِنْ سَلِيلِهِ مَا مَلَكُ<sup>(1)</sup>

فقد ذكر – رحمة الله – **أَنَّ الضَّمِيرَ** : متصل، ومنفصل، وباز ، ومستتر ، ومرفوع ، ومنصوب ،  
ومجرور<sup>(2)</sup>.

### عود الضمير:

فالضمير لا بد له من مفسر<sup>(3)</sup> يبيّن ما يراد به.

**أولاً:** فإن كان الضمير لمتكلّم، أو مخاطب فمفسره حضور مَنْ هو له<sup>(4)</sup>، في مثل قوله – تعالى – :

﴿إِنَّكَ قُتَّلَ لِلنَّاسِ أَتَخَذُونِي وَأَقْرَئُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116].

**ثانياً:** وإن كان الضمير للغيبة فلا بد له من مرجع يرجع إليه<sup>(5)</sup>، وهذا المرجع أو المفسر نوعان:

1. **أن يكون لفظاً**: أي أن يعود إلى لفظ ظاهر، وهو نوعان:

أ. متقدم: أي أن يعود الضمير إلى اسم سبقة باللفظ وهذا هو الأصل، في نحو قوله – تعالى – :

﴿وَالشَّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْعَاوُن﴾ [الشعراء: 224]، قوله – تعالى – : **﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾**

[يس: 30].

ب. متاخر: أي أن يعود على متاخر في اللفظ، وهو على قسمين:

1. متاخر في اللفظ، متقدم في الرببة، في نحو قوله – تعالى – : **﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾**

[طه: 67].

<sup>1</sup> انظر: ألقية ابن مالك ص 13-12.

<sup>2</sup> المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري 1 / 166-172، وانظر: ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672هـ)،  
شرح تسهيل الفوائد، تحقيق د.عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختارون، هجر للطباعة والنشر، ط 1410هـ، ج 1، ص 120-134هـ،  
شرح قطر الندى لابن هشام ص 94-96، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشناطبي 1/260-268، والثُّخُور الوفي 1/232-234،  
وشرح التصریح على التوضیح 1/98-100، وجامع الدروس العربية للغلابینی ص 87-93، ومعانی الثُّخُور للسامرائي 1/42-45.

<sup>3</sup> المفسر: هو الاسم الذي يعود عليه الضمير، انظر: معانی الثُّخُور للسامرائي 1/59، هامش رقم (1).

<sup>4</sup> شرح شذور الذهب ص 169.

<sup>5</sup> جامع الدروس العربية للغلابینی 1/94.

2. متاخر في اللفظ، متاخر في الرتبة، وهو محصور في سبعة أبواب كما بينها ابن هشام (ت 761هـ)

في شرح شذور الذهب:

أ. باب ضمير الشأن في نحو قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

ب. أن يكون مُخبراً عنه بمفسره، في نحو قوله - تعالى -: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَا تُنَاهِي﴾ [الجاثية: 24].

ج. الضمير في باب (نعم وبئس)، في نحو قوله - تعالى -: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50] فإنه مفسر بالتمييز.

د. مجرور "رب"، نحو رَبِّهِ رجلاً، فإنه مفسر بالتمييز، قطعاً.

هـ. الضمير في التنازع إذا أَعْمَلْتَ الثَّانِي واحتاجَ الْأَوَّلَ إلى مرفوع نحو: " قاما وقعد أخواك "؛ فإنَّ الألف راجعة إلى الآخرين.

وـ. الضمير المبدل منه ما بعده، كقولك في ابتداء الكلام: " ضَرَبْتُهُ زِيدًا "، وقول بعضهم: " اللهم، صلّ على الرؤوف الرحيم ".

زـ. الضمير المتصل بالفاعل المقدم العائد على المفعول المؤخر، وهو ضرورة على الأصح، كقوله:

جزء الكلب العاويات، وقد فعل<sup>(1)</sup> جزي رَبِّهِ عَنِي عَدِيًّا بن حاتم فأعيد الضمير من " ربُّهُ " إلى " عديًّا " وهو متاخر لفظاً ورتبة<sup>(2)</sup>.

2. أن يكون من غير اللفظ، أي يستغني عن المفسر في اللفظ ولكن يدل عليه أمور:

أـ. أن يدل عليه حسناً، وذلك نحو قوله - تعالى -: ﴿قَالَ هِيَ رَوَادَتِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: 26]، قوله: ﴿وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: 26]<sup>(3)</sup>. فالضمير يعود على امرأة العزيز، ولم يتقدّم لها ذكر صريح فهو مدلول عليه حسناً.

<sup>1</sup> ديوان النابغة الذبياني ص 161.

<sup>2</sup> انظر: شرح شذور الذهب ص 169-170، والسيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجواب، تحقيق عبد الحميد هنداوى، المكتبة التوفيقية - مصر، ج 1، ص 265-266.

<sup>3</sup> انظر: همع الهوامع 1/262، وشرح التسهيل 1/156، ومعاني اللغو للسامري 1/59.

ب. أن يدل عليه العلم به، وإن لم يتقدم له ذكر نحو قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ﴾ [القدر: 1]، فالضمير يعود على القرآن، وكقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَرَّتِ الْجَابِ﴾ [ص: 32]، يعني الشمس فهي مفهومة من السياق<sup>(1)</sup>.

ج. أن يدل عليه معنى المفسّر المتقدم، ولا يتقدم لفظه صراحة، وذلك كقوله - تعالى -: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]، فالضمير (هو) يعود على العدل، ولم يتقدم ذكره بل تقدّم الفعل (اعدلوا) الذي يدل عليه.<sup>(2)</sup>

أمّا بالنسبة إلى الضمير الذي يعود إلى اسم سبقه في اللّفظ، فهو على ثلات حالات:

1. تعين المفسّر؛ أي أن يكون قد تقدّمه مفسّر واحد، نحو قوله - تعالى -: ﴿وَالْمُطَلَّقُتُ يَتَبَصَّرَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: 228]، فالضمير في ﴿يَتَبَصَّرَ﴾ وهو نون النسوة، والهاء في ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عائد على المطلقات من غير لبس، أو غموض.

2. تعين ما يدل على المفسّر؛ أي أن يكون قد تقدّمه مفسّران أو أكثر، ولكنّه تعين بقرينة تدل على أحدهما، في نحو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11]، فعاد الضمير إلى التجارة دون اللهو بقرينة التأنيث.

3. لا يتعين ما يدل على المفسّر؛ أي أن يتقدم الضمير مفسّران أو أكثر مما يصلح للتفسير، فالالأصل أن يعود الضمير إلى الأقرب؛ أي إلى أقرب مذكور، كقوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ وَمَنَازِلَ﴾ [يونس: 5]، فالضمير في ﴿وَقَدَرَهُ﴾ وهو الهاء يعود إلى أقرب مذكور وهو القمر بمعنى قدر القمر، وكقوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّو عَنْهُ وَأَنَّمُّ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20]، فالضمير في ﴿عَنْهُ﴾ وهو الهاء

<sup>1</sup> انظر: همع الهوامع 1/262، وشرح التسهيل 1/156، وشرح شذور الذهب ص169، وجامع الدروس العربية للغلاياني 1/94، ومعاني اللّحو للسامرياني 1/59.

<sup>2</sup> انظر: شرح التسهيل 1/156، وجامع الدروس العربية للغلاياني 1/94، ومعاني اللّحو للسامرياني 1/59.

يعود إلى أقرب مذكور وهو الرسول؛ بمعنى ولا تولوا عن الرسول، وكقولنا: "جاء محمد و خالد فأكرمنه" أي فأكرمت خالداً، لأنَّه أقرب مذكور<sup>(١)</sup>.

أقوال العلماء في عود الضمير في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"<sup>(٢)</sup>.

اختلف العلماء في عَوْدِ الضَّمِيرِ على أقوال ثلاثة، فذهب فريق إلى أنَّ الضمير يعود إلى المضروب، فيما ذهب آخرون إلى أنه يعود إلى آدم - عليه السلام -، بينما ذهب آخرون إلى أنه يعود إلى الله - سبحانه وتعالى - ولكلِّ أدلة<sup>(٣)</sup>. وللوقوف على القول الراجح والصواب لا بدَّ من عرض أدلة كلِّ فريق؛ لبيان الحقّ من الباطل، والصواب من الخطأ، والراجح من المرجوح، وهاتيك الأقوال وأدلتها:

**القول الأول:** قالوا: إنَّ الضمير في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "على صورته" يعود على المضروب<sup>(٤)</sup>. واستند هذا الفريق على رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإنَّ الله خلق آدم على صورته"<sup>(٥)</sup>. وفي رواية زاد فيها: "ولا نقلْ قبَحَ الله وجهك و وجه مَنْ أشَبَهَ وجهك" <sup>(٦)</sup>.

<sup>١</sup> انظر: شرح التسهيل 1/156، وحاشية الصبان 1/162، وجامع الدروس العربية للغلابي 1/94، ومعاني النحو للسامرائي 1/60.

<sup>٢</sup> سبق تخریج الحديث، انظر: ص 166، هامش رقم (١).

<sup>٣</sup> انظر: مفاتيح الغيب 1/118، وفتح الباري لابن حجر 5 / 183، والتويجري، حمود بن عبد الله بن حمود (ت 1413هـ)، عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط 2 1409هـ، ص 19-12، والمنهج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للثوبي 16 / 166.

<sup>٤</sup> انظر: مفاتيح الغيب 1/118، والجامع لأحكام القرآن 5/392، وفتح الباري لابن حجر 5 / 183، وعقيدة أهل الإيمان ص 12.

<sup>٥</sup> رواه أحمد في المسند باب ابتداء مسند أبي هريرة 7/142، حديث رقم 3719، ومسلم في كتاب الآداب 8/32، حديث رقم 6748، ومشكاة المصاييف 2/1046، حديث رقم 3525، وابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (ت 311هـ)، كتاب التوحيد، حفظه وخرج أحاديثه د.سمير بن أمين الزهيري، دار المغنى، السعودية - الرياض، ج 1، ص 91-92، باب ذكر أخبار رويت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديث رقم 39.

<sup>٦</sup> رواه أحمد في المسند باب ابتداء مسند أبي هريرة 7/223، حديث رقم 7414. وصحیح الأدب المفرد باب لا نقل: قبَحَ الله وجهه 1/85، حديث رقم 173. وحسنه الألباني، وكتاب التوحيد لابن خزيمة باب ذكر أخبار رويت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - 1/91، حديث رقم 38.

وممَّن رَجَحَ هَذَا الْقِولُ:

ابن قتيبة (ت 276هـ) في كتابه "تأويل مختلف الحديث عن بعض أهل الكلام" بقوله: "وزاد قوم في الحديث: إله - عليه السلام - مرّ برجل يضرب وجه رجل آخر فقال: لا تضرره؛ فإنَّ الله تعالى - خلق آدم - عليه السلام - على صورته" <sup>(1)</sup>، أي صورة المضروب <sup>(2)</sup>.

وابن خزيمة (ت 311هـ) <sup>(3)</sup> في التوحيد بقوله: "توهم بعض من لم يتبحَر العلم أنَّ قوله: "على صورته" يريد صورة الرحمن - عزَّ رَبِّنا وَجْلَ - عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: "خلق آدم على صورته" الهاء في هذا الموضع كنایة عن اسم المضروب والمشتوم؛ أراد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورةِ هذا المضروب، الذي أَمْرَ الضَّارِبِ باجتِنَابِ وجْهِهِ بالضربِ، والذي قَبَّحَ وجْهَهُ، فَرَجَرَ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ يقولَ: وَجْهٌ مِّنْ أَشْبَهِ وَجْهِكَ؛ لَأَنَّ وَجْهَ آدَمَ شَبِيهًُ وجْوهِ بَنِيهِ، فَإِذَا قَالَ الشَّاتِمُ لِبَعْضِ بَنِيهِ آدَمَ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهٌ مِّنْ أَشْبَهِ وَجْهِكَ، كَانَ مَقْبَحًا لِوَجْهِ آدَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ -، الَّذِي وَجْهَ بَنِيهِ شَبِيهًُ بِوَجْهِ أَبِيهِمْ، فَفَقَهُمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - مَعْنَى الْخَبَرِ، لَا تَغْلِطُوا، لَا تَغْلِطُوا، فَتَضَلُّوا عَنِ السَّبِيلِ، وَتَحْمِلُوا عَلَى الْقِولِ بِالْتَّشْبِيهِ؛ الَّذِي هُوَ ضَلَالٌ" <sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: مسنَدُ أَحْمَدَ 8/267، تعلِيقُ أَحْمَدَ شَاكِرِ فِي الْهَامِشِ عَلَى الْهَامِشِ عَلَى حِدِيثِ رقم 8274، والجامع لأحكام القرآن 392/5.

<sup>2</sup> ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراف، ط 2 1419هـ، ص 319. وانظر: عقيدة أهل الإيمان ص 14.

<sup>3</sup> هو مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ خَزِيمَةَ بْنُ بَكْرٍ السَّلْمِيُّ، الْحَافِظُ، الْجَاهِ، الْفَقِيهُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، إِمَامُ الْأَئْمَةِ، أَبُو بَكْرِ السَّلْمِيِّ النِّيسَابُورِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. وَلِدَ: سَنَةُ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَمِئَتِينَ. وَعَنِيَ فِي حَدِيثِهِ بِالْحِدِيثِ وَالْفَقْهِ، حَتَّى صَارَ يُضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي سَعَةِ الْعِلْمِ وَالْإِتِّقَانِ. حَدَّثَ عَنْهُ: الْبَخَارِيُّ، وَمُسْلِمُ فِي غَيْرِ (الصَّحِيحَيْنِ). قَالَ أَبُو عَلَى الْحَافِظِ: كَانَ ابْنَ خَزِيمَةَ يَحْفَظُ الْفَقِيَّهَاتِ مِنْ حِدِيثِهِ كَمَا يَحْفَظُ الْقَارِئُ السُّورَةَ. أَخْبَرَنَا أَبُو عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَقْتِ، أَخْبَرَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلِ الْأَنْصَارِيِّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَاتَّمَ بْنَ حَيْنَ التَّمِيميِّ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ يَحْفَظُ صَنَاعَةَ السُّنْنِ، وَيَحْفَظُ أَلْفَاظَهَا الصَّحَاحَ وَزِيَادَاتِهَا حَتَّى كَانَ السُّنْنُ كُلُّهَا بَيْنَ عَيْنِيهِ، إِلَّا مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ خَزِيمَةَ فَقْطَ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقَطْنِيُّ: كَانَ ابْنَ خَزِيمَةَ إِمَاماً، ثَبَّتاً، مَدْعُومَ النَّظِيرِ. وَلَابْنِ خَزِيمَةَ عَظِيمَةً فِي النُّفُوسِ، وَجَلَّةً فِي الْقُلُوبِ؛ لِعِلْمِهِ وَدِينِهِ وَابْنَاعِهِ السَّنَّةِ. وَكَتَابَهُ فِي (الْتَّوْحِيدِ) مَجْلِدٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ حِدِيثَ الصُّورَةِ. قَالَ الْحَاكمُ: فَضَائِلُ إِمَامِ الْأَئْمَةِ ابْنِ خَزِيمَةَ عَنْدِي مَجْمُوعَةٌ فِي أُورَاقِ كَثِيرَةٍ، وَمَصْنَفَاتِهِ تَزِيدُ عَلَى مِنْتَهَيَةِ وَرَقَةٍ، مِنْ ذَلِكَ حِدِيثَ الصُّورَةِ. قَالَ الْحَاكمُ: فَضَائِلُ إِمَامِ الْأَئْمَةِ ابْنِ خَزِيمَةَ تَرْجِمَةً طَوِيلَةً فِي أُورَاقِ نِيسَابُورِ، تَكُونُ بَضَعَا وَعِشْرِينَ وَرَقَةً، مِنْ ذَلِكَ وَصِيتَهُ، وَقَصْدِيَّاتَ رَثِيَّ بَهْمَاهُ. وَضَبْطُ وَفَاتَهُ: فِي ثَانِي ذِي الْقُعْدَةِ، سَنَةُ إِحدَى عَشْرَةِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، عَاشَ تِسْعَا وَثَمَانِينَ سَنَةً. انظر: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ 14/365-382.

<sup>4</sup> كتاب التوحيد 1/93-94، وانظر: عقيدة أهل الإيمان ص 12.

والبيهقي (ت 458هـ) في الأسماء والصفات بقوله: "عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إذا ضرب أحدكم فليجتب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته، قال: وإنما أراد والله أعلم: فإن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب»<sup>(1)</sup>.

وذكره الرازى (ت 606هـ) في تفسيره بقوله: "واعلم أن العلماء ذكروا في تأويل هذه الأخبار وجوهاً: الأول: أن قوله: "إن الله خلق آدم على صورته" الضمير عائد إلى المضروب، يعني أن الله - تعالى - خلق آدم على صورة المضروب؛ فوجب الاحتراز عن تقبيل وجه ذلك المضروب"<sup>(2)</sup>.

والقرطبي (ت 671هـ) في تفسيره بقوله: "وقد مر النبى - صلى الله عليه وسلم - برج يضرب عبده فقال: "اتق الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته". أي على صورة المضروب؛ أي وجه هذا المضروب يشبه وجه آدم، فينبغي أن يحترم لشبهه. وهذا أحسن ما قيل في تأويله، والله أعلم"<sup>(3)</sup>.

والنwoي (ت 676هـ) في المنهاج بقوله: "واختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: الضمير في صورته عائد على الآخر المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم"<sup>(4)</sup>.

وابن حجر (ت 852هـ) في الفتح بقوله: "واختلف في الضمير على من يعود، فالأكثر على أنه يعود على المضروب؛ لما تقدم من الأمر بإكراام وجهه، ولو لا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، الأسماء والصفات للبيهقي، حققه وخرج أحاديثه عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له مقبل الوادعي، مكتبة السوادى، جدة - المملكة العربية السعودية، ط 1413هـ، باب ما ذكر في الصورة، ج 2، ص 63، حديث رقم .638

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب 1/118.

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن 5/392.

<sup>4</sup> المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج للنوي 16/166.

<sup>5</sup> فتح الباري لابن حجر 5/183.

**القول الثاني:** قالوا إنَّ الضَّمير في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "على صورته" يعود إلى الله - سبحانه و تعالى -<sup>(1)</sup>، واستند هذا الفريق على رواية ابن عمر - رضي الله عنه - بقوله: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لا تَقْبِحُوا الوجه؛ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ" <sup>(2)</sup>.

**وممَّن رَجَحَ هَذَا القول:**

الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) - رحمه الله تعالى - قال ابن أبي يعلى في كتابه "طبقات الحنابلة" في ترجمة أبي جعفر محمد بن عوف، ونقلت: من خط أحمد الشنجي بإسناده قال: سمعت محمد بن عوف يقول: أملأ عليًّا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ - وذكر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قال: "ونحو هذه الأحاديث مما قد صحَّ و حُفِظَ؛ فَإِنَّا نَسَلَّمُ لَهَا وَإِنَّا لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَنْتَكِلُ فِيهَا، وَلَا نَجَادِلُ فِيهَا، وَلَكُنَّا نَرُوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَنَؤْمِنُ بِهَا وَنَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَسَلَّمُ بِهَا وَلَا نَرْدِهَا... وَأَنَّ آدَمَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ كَمَا جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رواه ابن عمر عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" <sup>(3)</sup>.

وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) - رحمه الله - في كتابه "بيان تلبيس الجهمية" بقوله: "وفي رواية محمد بن حاتم فيه قال: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإنَّ الله خلق آدم على صورته" وليس ليحيى بن مالك عن أبي هريرة في الصحيحين غيره، والكلام على ذلك أن يقال: هذا

<sup>1</sup> انظر: فتح الباري لأبن حجر 183/5، وعقيدة أهل الإيمان ص 19.

<sup>2</sup> ابن أبيأسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي (ت 282هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المتنقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق د.حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسير النبوية - المدينة المنورة، ط 1413هـ، باب النهي عن تقبیح الوجه، ج 2، ص 831، حديث رقم 872، وكتاب التوحید لابن خزيمة، باب أخبار روبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - 94/1، حديث رقم 44، وابن أبي عاصم، أبو بكر محمد بن عمرو بن الصنحراك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ)، السنة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1400هـ، ج 1، ص 228 حديث رقم 517، وج 1، ص 230 حديث رقم 521، والمجمع الكبير للطبراني 12 / 430، حديث رقم 13580، وابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد (ت 387هـ)، الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق الواليد بن محمد نبيه بن سيف النصر وأخرين، دار الراية - الرياض، ط 1418هـ، ج 7، ص 244، حديث رقم 185، باب الإيمان بأن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته، والأجزي، أبو بكر محمد بن الحسين (ت 360هـ)، الشريعة، تحقيق د.عبد الله بن عمر الدميжи، دار الوطن - الرياض - السعودية، ط 201420هـ، باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف، ج 3، ص 1152، حديث رقم 725، والأسماء والصفات للبيهقي 64/2، حديث رقم 640.

<sup>3</sup> انظر: ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (ت 526هـ)، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ج 1، ص 313-313، وعقيدة أهل الإيمان ص 19-20.

ال الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أنَّ الضمير عائد إلى الله؛ فإنَّه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك<sup>(1)</sup>.

وابن راهويه (ت 238هـ)<sup>(2)</sup> – رحمه الله – فيما نقله عنه ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية بقوله: "وقال الخالٌ أخربني حرب بن إسماعيل الكرماني، قال سمعت إسحاق بن راهويه يقول: قد صح عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ" ، إنما عليه أن ينطق بما صح عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه نطق به"<sup>(3)</sup> ثم قال: " فقد صح إسحاق حديث ابن عمر مسندًا"<sup>(4)</sup>. وقال التويجري (ت 1413هـ) في كتابه عقيدة أهل الإيمان: "إنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ<sup>(5)</sup> وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهْوَيْهَ<sup>(6)</sup> قد صَحَّا حِدِيثُ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – الَّذِي فِيهِ "إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ"<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة الصحف – المدينة المنورة، ط 1426هـ، ج 6، ص 373.

<sup>2</sup> هو أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله المروزي المعروف بابن راهويه، جمع بين الحديث والفقه والورع، وكان أحد أئمة الإسلام، ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي – رضي الله عنه – وعده البيهقي في أصحاب الشافعي، قال أحمد بن حنبل – رضي الله عنه: – إسحاق عنده إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أفقه من إسحاق، وقال إسحاق: أحفظ سبعين ألف حديث، وأذكر بمائة ألف حديث، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ولو مسند مشهور، وكان قد رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقته، وسمع منه البخاري ومسلم والتزمي. وكانت ولادته سنة إحدى وستين، وقيل: سنة ثلث وستين، وقيل: سنة ست وستين ومائة، وسكن في آخر عمره نيسابور، وتوفي بها ليلة الخميس النصف من شعبان – وقيل: الأحد، وقيل: السبت – سنة ثمان، وقيل: سنة ثلاثين ومترين، وقيل: سنة ثلاثين ومترين – رحمه الله تعالى -. وراهويه – بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة – لقب أبيه أبي الحسن إبراهيم، وإنما لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية "راه" و "ويه" معناه وجد في الطريق، وقيل فيه أيضاً "راهويه" بضم الهمزة وسكون الواو وفتح الياء، وقال إسحاق المذكور: قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان: لم قيل لك ابن راهويه وما معنى هذا وهل تكره أن يقال لك هذا قلت: أعلم أيها الأمير أن أبي ولد في الطريق فقالت المراواة راهويه لأنَّه ولد في الطريق، وكان أبي يكره هذا، وأما أنا فلست أكره ذلك. انظر: وفيات الأعيان 1/199-200.

<sup>3</sup> بيان تلبيس الجهمية 418/6.

<sup>4</sup> المرجع السابق 419/6.

<sup>5</sup> انظر: لسان الميزان لابن حجر، 3 / 284.

<sup>6</sup> انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي 2 / 420.

<sup>7</sup> عقيدة أهل الإيمان ص 23.

وصحح الحديث - أيضاً - عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 290هـ) في السنة<sup>(1)</sup>، وابن أبي عاصم (ت 287هـ) في السنة<sup>(2)</sup>، والآخر (ت 360هـ) في الشريعة<sup>(3)</sup>، والذهباني (ت 748هـ) في الميزان<sup>(4)</sup>، ورجح هذا القول أيضاً أباظين (ت 1282هـ) في رسائله<sup>(5)</sup>، والتويجري (ت 1413هـ) في عقيدة أهل الإيمان<sup>(6)</sup>، وابن باز (ت 1420هـ)<sup>(7)</sup>، وابن عثيمين (ت 1421هـ) في مجموع الفتاوى<sup>(8)</sup>، وفي تفسيره<sup>(9)</sup>.

**القول الثالث:** قالوا إن الضمير في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "على صورته" يعود إلى آدم عليه السلام<sup>(10)</sup>.

واستند هذا الفريق على رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - بقوله: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً"<sup>(11)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: ابن حنبل، أبو عبد الرحمن عبد الله أحمد (ت 290هـ)، السنة، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم الفحيطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط 1406هـ، ج 1، ص 668، حديث رقم 498، و ج 2، ص 472، حديث رقم 1076. وانظر: الإبانة الكبرى لابن بطة، 7/264.

حديث رقم 196.

<sup>2</sup> انظر: السنة لابن أبي عاصم 1/228، حديث رقم 517، و 230، حديث رقم 521.

<sup>3</sup> انظر: الشريعة للأجري 11/1152، حديث رقم 725، وعقيدة أهل الإيمان ص 25-26.

<sup>4</sup> انظر: ميزان الاعتدال 1/603، و 2/420.

<sup>5</sup> انظر: أباظين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 1282هـ)، رسائل وفتاوى عبد الله بن عبد الرحمن أباظين (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية الجزء الثاني)، دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، بمصر 1349هـ، النشرة الثالثة 1412هـ، ص 223-221.

<sup>6</sup> عقيدة أهل الإيمان ص 25-19.

<sup>7</sup> المرجع السابق ص د.

<sup>8</sup> العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت 1421هـ)، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة 1413هـ، ج 10، ص 946.

<sup>9</sup> العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت 1421هـ)، تفسير القرآن الكريم (الكهف)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1423هـ، ص 60-61.

<sup>10</sup> انظر: فتح الباري لابن حجر 5/183، وعقيدة أهل الإيمان ص 15، ومفاتيح الغيب 1/118.

<sup>11</sup> مسند أحمد تحقيق شاكر 8/219 برقم 8156، صحيح البخاري 8/50 برقم 6227، صحيح مسلم 8/149 برقم 7265 [ 28-2841 ]، والتوحيد لابن خزيمة 1/99-100 برقم 47.

وذهب إلى هذا القول فريق من أكابر العلماء قديماً وحديثاً سلفاً وخلفاً ومن أشهرهم:

أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت 240هـ)<sup>(1)</sup>، قال ابن أبي يعلى (ت 526هـ) في طبقات الحنابلة: "وقال زكريا بن الفرج سألت عبد الوهاب غير مرّة عن أبي ثور فأخبرني أنّ أبي ثور جهمي؛ وذلك أنّه قطع بقول أبي يعقوب الشعراوي حکى أنّه سأله سؤالاً ثور عن خلق آدم على صورته، فقال: إنما هو على صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن"<sup>(2)</sup>. "وقال حمدان سألت أبي ثور عن قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" فقال: على صورة آدم"<sup>(3)</sup>.

وابن خزيمة (ت 311هـ) في كتابه التوحيد بقوله: "قصورة آدم هي ستون ذراعاً، التي خبرَ النبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حُلِقَ عَلَيْهَا، لَا عَلَى مَا تَوَهَّمَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ؛ فَظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ عَلَى صُورَتِهِ، صُورَةُ الرَّحْمَنِ صَفَةٌ مِنْ صَفَاتِ ذَاتِهِ"<sup>(4)</sup>.

وأبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت 388هـ)، قال البغوي (ت 516هـ) في شرح السنة: "قال أبو سليمان الخطابي في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" الْهَاءُ مَرْجِعُهَا إِلَى آدَمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "<sup>(5)</sup>.

وقال الخطابي - أيضاً - في كتابه غريب الحديث: "قوله: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" يزيد - والله أعلم - أنّه خلقه بشرًا سوياً على صورته تلك لم تشتمل عليه الأرحام، ولم تتنافله الأحوال من صغر إلى كبر، ومن نقص إلى تمام"<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> هو أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي البيان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وناقل الأقوال القديمة عنه، وكان أحد الفقهاء الأعلام والنقائل المأمونين في الدين، له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي، حتى قدم الشافعي العراق فاختار إليه واتبعه ورفض مذهبة الأول، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي لثلاث بقين من صفر سنة ست وأربعين ومئتين ببغداد، ودفن بمقدمة باب الكناس - رحمه الله تعالى -. قال الذهبي: ذكر الخطيب، وأثنى عليه، وقال: توفي في صفر، سنة أربعين ومئتين. وقال أحمد بن حنبل: هو عندي في مسالخ سفيان الثوري، أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة. انظر: وفيات الأعيان 26، وسير أعلام النبلاء 12/72-73، والأعلام للزركي 1/37.

<sup>2</sup> طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 1/212، وانظر: عقيدة أهل الإيمان ص 18.

<sup>3</sup> طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 1/309، وانظر: عقيدة أهل الإيمان ص 17.

<sup>4</sup> التوحيد لابن خزيمة 1/101.

<sup>5</sup> البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط 2 1403هـ، ج 12، ص 255، حديث رقم 3298. وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي 2/61 حديث رقم 636.

<sup>6</sup> الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرابي، وخرج أحديه عبد القديم عبد رب النبي، دار الفكر، ط 1402هـ، ج 2، ص 158.

والنّووي (ت 676هـ) في المنهاج بقوله: " وهذه الرواية ظاهرة في أنَّ الضمير في صورته عائد إلى آدم، وأنَّ المراد أنَّه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض، وتوفي عليها، وهي طوله ستون ذراعاً، ولم ينتقل أطواراً كذريته، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير<sup>(1)</sup>.

وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في الفتح بقوله: " وهذه الرواية<sup>(2)</sup> تؤيد قول من قال: إنَّ الضمير لآدم، والمعنى أنَّ الله - تعالى - أوجده على الهيئة التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته؛ بل خلقه الله رجلاً كاماً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله: "وطوله ستون ذراعاً، فعاد الضمير أيضاً على آدم"<sup>(3)</sup>.

والشعراوي (ت 1418هـ) في تفسيره بقوله: "ثم إنَّ خلق الإنسان الأول وهو آدم - عليه السلام - من طين جاء من البداية على صورته التامة الكاملة، فخلق الله رجلاً مستوياً، فلم يكن مثلاً طفلاً ثمَّ كبر وجرت عليه سنة التطور لا، إنما خلقه الله على صورته، أي: على صورة آدم "<sup>(4)</sup>.

والألباني (ت 1420هـ) في صحيح الأدب المفرد بقوله في الهمامش على تعليقه على حديث "خلق آدم - صلى الله عليه وسلم - على صورته": "أي: على صورة آدم - عليه السلام -، وقد جاء ذلك صراحة في حديث آخر لأبي هريرة بلفظ: "خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً "<sup>(5)</sup> متفق عليه "<sup>(6)</sup>.

ويرى الباحث بعد سير أقوال العلماء، وبيان أدلة أنَّ الخلاف الناشئ في عَود الضمير في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "خلق الله آدم على صورته" يعود إلى أمرين:

أَمَّا الأمر الأوَّل: أَنَّهُم اعتمدوا الحادثة، والقصة التي ورد فيها الحديث.

<sup>1</sup> المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج للنّووي 17 / 178 .

<sup>2</sup> يعني رواية أبي هريرة "خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً"

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر 6/366 .

<sup>4</sup> تفسير الشعراوي - الخواطر 19/11804 .

<sup>5</sup> سبق تخریجه ص 176، هامش رقم 11 .

<sup>6</sup> صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري 1/86، وانظر: الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت 1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاده من محفوظه، دار باوزير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط 1424هـ، ج 9، ص 18، حديث رقم 6129، وموسوعة الألباني في العقيدة 7/784 .

وَلِمَا الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ اعْتَدُوا أَفْظَاطَ الْحَدِيثِ.

لذلك فِإِنَّ الْفَيْصَلَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَعُودُ إِلَى الْلُّغَةِ فِي حَلِّ الْإِشْكَالِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي عَوْدِ الْضَّمِيرِ مَا لَمْ يَظْهُرْ دَلِيلًا وَاضْعَفَ، وَصَرِيحًا وَصَحِيفًا يَخَالِفُهَا، عِنْدَهَا نَسْلَمٌ لِلدلِيلِ وَنَأْخُذُ بِهِ، فَلَا تَأْوِيلٌ وَلَا تَنَازُعٌ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلَّذِينَ اعْتَدُوا الْحادِثَةَ، وَالْقَصَّةَ فَقَالُوا: لَمَّا مَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِرَجُلٍ يَضْرِبُ وَجْهَ أَخِيهِ، أَوْ عَبْدِهِ نَهَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: "إِذَا ضَرَبْتَ أَحَدَكُمْ فَلْيَجِتبَ الْوَجْهُ؛ فِإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" <sup>(1)</sup> أَيْ عَلَى صُورَةِ الْمَضْرُوبِ <sup>(2)</sup>. وَهَذَا القَوْلُ لِهِ وَجْهٌ فِي الْلُّغَةِ مِنْ حِيثِ عَوْدِ الْضَّمِيرِ إِلَى مَا يَدَلُّ عَلَيْهِ حَسَّاً كَوْلَهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يُوسُفٌ: 26] <sup>(3)</sup> فَلَمَا اسْتَغْنَى عَنِ الْمَضْرُوبِ لِفَظًا جَاءَ مَا يَدَلُّ عَلَيْهِ حَسَّاً، وَهُوَ الْضَّمِيرُ فِي (صُورَتِهِ)؛ لِأَنَّهُ مَنْاسِبَةُ الْحَدِيثِ إِذْ مِنْ أَجْلِهِ قِيلُ الْحَدِيثِ وَوَرْدُ النَّهْيِ.

وَلَكِنْ يُرَدُّ عَلَى هُؤُلَاءِ أَنَّ هَذَا رَوَايَاتٍ صَحِيفَةً مُنَقَّةً عَلَى صَحَّتِهَا وَثَبُوتِهَا وَرَدَتْ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْقَصَّةِ، أَوِ الْحادِثَةِ السَّابِقةِ.

مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي هَرِيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، وَطَوَّلَهُ سُتُونَ ذِرَاعًا" <sup>(4)</sup>، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَفْسُرَ لِلضَّمِيرِ لِيُسَمِّي الْمَضْرُوبَ؛ لِأَنَّ الرَّوَايَتَيْنِ وَرَدَتَا بِلِفَظٍ وَاحِدٍ وَهُوَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ، إِلَّا أَنَّ الرَّوَايَةَ الثَّانِيَةَ وَرَدَتْ دُونَ ذِكْرِ الْمَضْرُوبِ أَوِ الْقَصَّةِ وَالْحادِثَةِ، بِلْ إِنَّ الرَّوَايَةَ الثَّانِيَةَ وَرَدَتْ فِي حادِثَةِ مُغَايِرَةٍ تَامًا عَنِ الْأُولَى مِنْ حِيثِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَكَانَتْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عِنْدَ خَلْقِ آدَمَ، وَبِبَيَانِ آدَابِ الْإِسْتِئْذَانِ، وَالتَّحِيَّةِ، وَلِذَلِكَ أُورِدَهَا الْعُلَمَاءُ تَحْتَ بَابِ الْإِسْتِئْذَانِ وَرَدَّ السَّلَامِ وَالآدَابِ <sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> سبق تخریجه، انظر: ص171، هامش رقم (5).

<sup>2</sup> انظر: القرطبي، أبو الوليد مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ رَشْدٍ (ت 520هـ)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليق لمسائل مستخرجة، تحقيق د. مُحَمَّد حَجَّيْ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 2 1408هـ، ج 16، ص 403، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 319.

<sup>3</sup> انظر تفصيل المسألة ص 169-171.

<sup>4</sup> سبق تخریجه ص 176، هامش 11.

<sup>5</sup> انظر: تخریج الحديث ص 166، هامش رقم 1.

ويرى الباحث أنَّ هذين القولين وهما عود الضمير إلى آدم - عليه السلام -، وعود الضمير إلى المضروب، لا تعارض بينهما؛ لأنَّ كُلَّ فريق منها اعتمد عود الضمير بناءً على الرواية التي عنده، لا سيَّما وأنَّ الروايتين صحيحتان كما بيَّنا آنفًا ، فنجدهم يقولون بعود الضمير إلى المضروب في الرواية الأولى، وإلى آدم - عليه السلام - في الرواية الثانية ، ومنهم ابن خزيمة (ت 311هـ) في التوحيد<sup>(1)</sup>، والنووي (ت 676هـ) في المنهاج<sup>(2)</sup>، وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في الفتح<sup>(3)</sup>.

وأما بالنسبة للذين اعتمدوا ألفاظ الحديث في عود الضمير في قوله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "على صورته". فقد اختلفوا على قولين: فمنهم من قال: إنَّ الضمير يعود إلى آدم - عليه السلام - ومنهم من قال: إنَّ الضمير يعود إلى الله - سبحانه وتعالى -. على التفصيل الذي ذكرناه سابقاً.

ولعل سبب الاختلاف بين هذين الفريقين هو مدى صحة رواية ابن عمر - رضي الله عنهما - التي استند إليها القائلون: إنَّ الضمير يعود إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

فإنْ صَحَّتْ رواية ابن عمر - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بذلك، فهو كما قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلا تأويل، ولا تنازع فيه<sup>(4)</sup>. لأنَّ أخبار المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا صَحَّتْ من جهة النَّقل، لا تتصاد، ولا تتهاون، ولا تنسخ القرآن، بل لكلٍّ خبر معنى معلوم يُعلم، وفصل صحيح يُعقل، يَعْقِلُهُ الْعَالَمُون<sup>(5)</sup>. وإنْ لَمْ تصحْ فإنَّ الفيصل في المسألة لحل الإشكال، والتنازع فيها، وبيان المُبْهَم هو اللغة في معرفة عود الضمير بناءً على القواعد اللُّغُوِّيَّةِ والنَّحُوِّيَّةِ.

ولقد اختلف العلماء في صَحَّةِ حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - فمن قائل بالصحة ومن قائل بالتضعيف.

قال أبو الوليد القرطبي (ت 520هـ) في البيان والتحصيل: "والحديث في قوله: إنَّ الله خلق آدم على صورته" يُروى على وجهين؛ أحدهما: إنَّ الله خلق آدم على صورته". والثاني: إنَّ الله خلق

<sup>1</sup> انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة 101/1.

<sup>2</sup> انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنَّوْوَيِّ 17/178.

<sup>3</sup> انظر: فتح الباري لابن حجر 6/366.

<sup>4</sup> انظر: تأویل مختلف الحديث لابن قتيبة 1/321، وعقيدة أهل الإيمان ص 16.

<sup>5</sup> صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء 1/23 (الهامش).

آدم على صورة الرحمن" ، فأمّا الرواية: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ، فلا خلاف بين أهل النقل في صحتها؛ لاشتهر نقلها، وانتشاره من غير منكر لها، ولا طاعن فيها، وأمّا الرواية: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ" فمن مصحح لها، ومن طاعن عليها، وأكثر أهل النقل على إنكار ذلك، وعلى أنه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النفلة توهّم أن الهاء ترجع إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فنقل الحديث على ما توهّم من معناه، فيحتمل أن يكون مالك<sup>(1)</sup> أشار في هذه الرواية بقوله وضعفه إلى هذه الرواية، ويحتمل أن يكون إِنَّمَا ضَعَفَ بعضَ مَا تُوَهَّمُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ<sup>(2)</sup>، وهي كثيرة<sup>(3)</sup>.

وقال ابن قتيبة (ت 276هـ) في تأويل مختلف الحديث: "ولما وقعت هذه التأويلات المستكرّهة، وكثير التّازع فيها حملَ قوماً اللّجاجُ على أن زادوا في الحديث فقالوا: روى ابن عمر عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالوا: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خلق آدم على صورة الرحمن، يريدون أن تكون الهاء في صورته الله - جَلَّ وَعَزَّ - وإن ذلك يتبيّن بأن يجعلوا الرحمن مكان الهاء، كما يقول: إِنَّ الرَّحْمَنَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، فرَكِبُوا قَبِيحًا مِنَ الْخَطَا" <sup>(4)</sup>.

وقال البيهقي (ت 458هـ) في الأسماء والصفات: "عن ابن عمر قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لا تُقْبِحُوا الوجه؛ فإنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ" ، ويحتمل أن يكون لفظُ الخبر في الأصل كما رُوِيَّا في حديث أبي هريرة<sup>(5)</sup>، فأدّاه بعض الرواية على ما وقع في قلبه من معناه<sup>(6)</sup>.

وضعف الحديث ابن خزيمة (ت 311هـ) وأعلمه بعلل ثلاث بقوله: " وقد افتئن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالم، ممن لم يتحرّر العلم، وتوهّموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات فغلطوا في هذا غلطاً بيّناً، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة -

<sup>1</sup> يعني الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور.

<sup>2</sup> لأن مالك ابن أنس كره رواية هذه الأحاديث التي يقتضي ظاهرها التشبيه. إلا أن الألباني لم يجوز نسبة هذا الأمر للإمام مالك، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة 320/3.

<sup>3</sup> البيان والتحصيل لأبي الوليد القرطبي 16/403. وانظر: ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 737هـ)، المدخل، دار التراث، (د. ت)، ج 2، ص 150.

<sup>4</sup> تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 319.

<sup>5</sup> يعني حديث "خلق الله آدم على صورته" انظر: الأسماء والصفات حديث رقم 637 و 638 و 639 و 62/2.

<sup>6</sup> الأسماء والصفات 64/2، حديث رقم 640.

أَعاذنا الله وَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ - فَالَّذِي عَنِّي فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْخَبْرِ - إِنْ صَحٌّ مِنْ جَهَةِ النَّقلِ  
مَوْصُولًا - فَإِنَّ فِي الْخَبْرِ عَلَّا ثَلَاثًا:

إِحْدَاهُنَّ: أَنَّ التَّوْرِيَّ قد خالَفَ الْأَعْمَشَ فِي إِسْنَادِهِ، فَأَرْسَلَ التَّوْرِيَّ وَلَمْ يَقُلْ عَنْ أَبْنَى عَمْرٍ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ الْأَعْمَشَ مُدَلِّسٌ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ.

وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ أَيْضًا مُدَلِّسٌ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ عَطَاءً<sup>(1)</sup>.

وَضَعَفَهُ الْمَازْرِيُّ (ت 536هـ) فِي الْمُعْلَمِ بِقَوْلِهِ: "قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِذَا قَاتَلَ أَخَاهُ فَلِيَجِنَّبَ الْوِجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ" ، هَذَا الْحَدِيثُ ثَابِتٌ عِنْ أَهْلِ النَّقلِ، وَقَدْ  
رَوَاهُ بَعْضُهُمْ، "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ" وَلَا يُثْبَتُ هَذَا عِنْ أَهْلِ النَّقلِ، وَلَعَلَّهُ نَقَلَّ مِنْ رَاوِيهِ  
بِالْمَعْنَى الَّذِي تَوَهَّمَهُ، وَظَنَّ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ - سَبَّحَهُ - فَأَظْهَرَهُ وَقَالَ: "عَلَى صُورَةِ  
الرَّحْمَنِ"<sup>(2)</sup>.

وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ (ت 1420هـ) وَأَعْلَمَ بِعَلَّةِ رَابِعَةِ زَانِدَةِ عَلَى عَلَلِ أَبْنِ خَزِيمَةِ بِقَوْلِهِ: "وَالْعَلَّةُ  
الرَّابِعَةُ: هِيَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ ثَقَةً كَمَا تَقَدَّمَ، فَقَدْ ذَكَرَ الْذَّهَبِيُّ فِي تَرْجِمَتِهِ مِنْ  
"الْمِيزَانِ" أَنَّ الْبَيْهَقِيَّ ذَكَرَ فِي "سَنَنِهِ" فِي ثَلَاثِينَ حَدِيثًا لِجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: "قَدْ ثُبِّبَ فِي آخرِ  
عُمُرِهِ إِلَى سَوِيِّ الْحَفْظِ"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> كتاب التوحيد لابن خزيمة 97/1. وانظر: صحيح الأئمة المسند من أحاديث الأنبياء 40/1-41.

<sup>2</sup> المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي (ت 536هـ)، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط 2 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م، ج 3، ص 299، حديث رقم 1196.

<sup>3</sup> سلسلة الأحاديث الضعيفة 3/317، وانظر: موسوعة الألباني في العقيدة 7/787، والملاوي، أبو أسامة سليم بن عيد، صحيح الأئمة المسند من أحاديث الأنبياء، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط 1 1429هـ، ج 1، ص 41-45 (الهامش).

وأعلَّه محقِّق<sup>(1)</sup> كتاب التوحيد علَّة خامسة<sup>(2)</sup>، وقد أعلَّ الإمام أحمد هذه الزيادة في رواية المروذى بقوله: "وَأَمَّا النُّوْرِي فَيُوقِفُهُ يُعْنِي حَدِيثَ ابْنِ عُمَرٍ"<sup>(3)</sup>، وقد صَحَّ الحديث جمْعًا من العلماء سبق ذكرهم<sup>(4)</sup>.

وكما أَنَّ رواية "على صورة الرحمن" اخْتَلَفَ فيها من ناحية النقل، فإنَّها أيضًا اخْتَلَفَ فيها من ناحية اللغة على قولين:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَقَالُوا لَا يَصْحُّ مِنْ حِثِّ اللُّغَةِ، إِذْ لَا يُسْتَقِيمُ الْلِّسَانُ بِإِعْدَادِ ذِكْرِ اسْمِ ظَاهِرٍ يَعُودُ إِلَى اسْمِ ظَاهِرٍ مُتَقَدِّمٍ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الظَّاهِرِ إِذَا تَقَدَّمَ فَأُعْيَدُ ذِكْرُهُ كُنِّيَّةً عَنْهُ بِالْهَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعَادَ الْاسْمُ الظَّاهِرُ الْأَوَّلُ، إِذْ إِنَّا نَقُولُ لَزِيدَ إِذَا أَكْرَمَ غَلَامَهُ: أَكْرَمَ زِيدَ غَلَامَهُ، وَلَا نَقُولُ أَكْرَمَ زِيدَ غَلَامَ زِيدَ؛ لِأَنَّهُ يُفَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْإِكْرَامَ إِنَّمَا حَصَلَ لِغَلَامٍ رَجُلٍ آخَرَ اسْمُهُ زِيدٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ سائِعًا مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ، لَمْ يَكُنْ لِلْاسْتِعْمَالِ لَهُ وَجْهٌ.

فَتَكُونُ الرِّوَايَةُ عِنْدَ هُؤُلَاءِ ضَعِيفَةً مِنْ حِثِّ اللُّغَةِ، فَيُجْتَمِعُ فِيهَا الْضَّعْفُ رِوَايَةً وَلُغَةً.

وَأَمَّا القول الثاني: فَقَالُوا يَصْحُّ ذَلِكَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَشَعَّ الْعَرَبُ مَا يَجْوِزُ ذَلِكَ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿يَوْمَ نَخْسُرُ الْمُتَقْبِينَ إِلَى الْجَنَّةِ وَفَدَا﴾ [مريم: 85]، وَلَمْ يَقُلْ - سُبْحَانَهُ - إِلَيْنَا أَوْ إِلَيْهِ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَلَا تَصْرِفُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [النَّحْل: 74]، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُ يَعْلَمُ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 25]، وَلَمْ يَقُلْ الْحَمْدُ لَهُ.

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زِيدٍ<sup>(5)</sup>:

<sup>1</sup> وهو الدكتور سمير الزهيري - حفظه الله -.

<sup>2</sup> انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة 95/1 (الهامش).

<sup>3</sup> انظر: الفراء، أبو بعلى محمد بن الحسين (ت 458هـ)، إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبد الله محمد بن حمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت - الجهراء، (د. ت)، ج 1، ص 91-90 و 95. وصحیح الأنباء المسند من أحادیث الانبياء ص 28 (الهامش).

<sup>4</sup> انظر: عقيدة أهل الإيمان ص 42-16.

<sup>5</sup> هو عدي بن زيد بن حمار بن تميم، يكنى أبا عمر نصراني عبادي، سكن الحيرة فلان لسانه وسهل منطقة، وكان أثيل أهل الحيرة وأجدوه من منزلة، وكان كاتباً لكسري هو وأخ له: عمير بن زيد، وكان يحب الصيد واللهو، انظر: المرزبانى، الإمام أبو عبيد الله محمد

لَا أَرِيَ الْمَوْتَ يَسِّبُقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ<sup>(1)</sup> نَعْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغَنَىِ وَالْفَقِيرَاً<sup>(2)</sup>.

فأعاد ذكر الموت بلفظه، ولم يُكَنْ عنه بالهاء ولم يُقَلْ لَا أَرِيَ الموت يسبقه شيء.

وعليه فإنَّ الرواية عند هؤلاء صحيحة من حيث اللغة، ويبقى ضعفها من حيث الرواية<sup>(3)</sup>.

فيما يرى الباحث أنَّ الظاهر من الشواهد القرآنية والشعرية أنَّ القول الراجح هو: القول الثاني، بمعنى أنَّه يجوز في العربية إعادة ذكر اسم ظاهر يعود إلى اسم ظاهر متقدم عليه، والسيقان يبيّنه.

وعليه فإنَّ الحديث ضعيف من حيث الرواية، ولا يصح للعلل التي أوردها أهل الصنعة الحديثة قديماً، وحديثاً كما يبيّناها آنفاً. ولكن يبقى الفيصل في هذه المسألة لبيان عود الضمير هو اللغة.

فالالأصل في اللغة: أنَّ الضمير إذا سبقه مفسران أو أكثر فإنه يعود إلى أحدهما بقرينة تدل عليه، فإن لم يكن هناك قرينة تدل على أحدهما فإنه يعود إلى أقرب مذكور في الكلام.

وحيث أنَّ "خلق الله آدم على صورته" فيه مفسران هما: لفظ الجلالة (الله)، وأدم - عليه السلام - والضمير في (صورته) يعود إلى أحدهما، ولما لم يتعين المفسر الذي يعود إليه الضمير، ولا توجد قرينة تدل على أحدهما، كان لزاماً أنْ يعود الضمير إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور إلى الضمير هو أدم - عليه السلام -.

وعليه فإنَّ الضمير في حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعود إلى آدم - عليه السلام -،

معنى أنَّ الله - سبحانه - خلق آدم على صورة آدم - عليه السلام - التي خلقه عليها بيده<sup>(4)</sup>.

= بن عمران (ت 384هـ)، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1402هـ، ص 249-250.

<sup>1</sup> وردت في الديوان شيئاً والصواب ما أثبتاه.

<sup>2</sup> العبادي، عدي بن زيد (ت 587هـ - 35ق.هـ)، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع محمد جبار المعبيد، وزارة الثقافة والإرشاد (سلسلة كتب التراث)، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد، ط 1965م، ص 65.

<sup>3</sup> انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات للفراء 92/1. والبيان والتحصيل لأبي الوليد الفطبي 16/405. والأبي، الإمام أبو عبد الله محمد بن خالفة الوشتناني (ت 827هـ أو 828هـ)، إكمال إكمال المعلم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 7، ص 54.

<sup>4</sup> قال الله - تعالى - لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا حَكَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: 75]، وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة، باب ذكر إثبات اليد لله الخالق البارئ - جل وعلا - 1/126، حديث رقم 62، والذهبى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد =

ولذلك قال الخطابي (ت 388هـ) فيما نقله عنه البيهقي (ت 458هـ) في الأسماء والصفات: "قوله: "خلق الله آدم على صورته" الهاء وقعت كناية بين اسمين ظاهرين، فلم تصلح أن تُصرف إلى الله - عز وجل -".<sup>(1)</sup>

وقال أبو الوليد القرطبي (ت 520هـ) في البيان والتحصيل: "ومنها أن الكناية في قوله على صورته راجعة إلى الله - عز وجل -، وهو أضعف التأويلات؛ لأنّ الأولى أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور، إلا أن يدل دليلاً على رجوعه إلى الأبعد، ولا دليل على ذلك".<sup>(2)</sup>

وقال أبو العباس القرطبي (ت 656هـ) في المفهوم لما أشِكَّل من تلخيص كتاب مسلم: " قوله: "خلق الله آدم على صورته" هذا الضمير عائد إلى أقرب مذكور، وهو آدم، وهو أعمّ، وهذا الأصل في عود الضمائر".<sup>(3)</sup>

وقال العيني (ت 855هـ)<sup>(4)</sup> في عمدة القاري: " قوله: (على صورته) أي صورة آدم؛ لأنَّه أقرب"<sup>(5)</sup> يعني أقرب مذكور للضمير.

وتؤيد قول القائلين بأنَّ الضمير يعود إلى آدم - عليه السلام - رواية طوله ستون ذراعاً<sup>(6)</sup>، فتكون اللغة قد وافقت النقل في بيان عود الضمير، ورفع الإشكال، وإزاحة التشابه، كما بين ذلك

---

= (ت 748هـ)، مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، حقه واختصره مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 2 1412هـ، ص 248.

<sup>1</sup> الأسماء والصفات للبيهقي 61/2، حديث رقم 635.

<sup>2</sup> البيان والتحصيل لأبي الوليد القرطبي 16/405.

<sup>3</sup> القرطبي، أبو عباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656هـ)، المفهوم لما أشِكَّل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب مستو وأخرين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط 1417هـ، ج 7، ص 183.

<sup>4</sup> هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو مُعَمَّد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، عالمة، من كبار المحدثين. أصله من حلب وموطنه في عيتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرَّب من الملك المؤيد حتى عُذَّ من أخصائه. ولما ولَّ الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري - ط) أحد عشر مجلداً، و (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار - خ) مجلدان، في مصطلح الحديث ورجاله، و (العلم العجيب في شرح الكلم الطيب - خ) لابن تيمية، و (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - خ) كبير، انتهى فيه إلى سنة 850هـ. انظر: الأعلام للزركي 7/163.

<sup>5</sup> العيني، أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد (ت 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، ج 22، ص 229.

<sup>6</sup> انظر: التخريج ص 176، هامش رقم 11.

القاضي عياض (ت 544هـ) في إكمال المعلم بفوائد مسلم بقوله: "وقوله هنا: " طوله ستون ذراعاً " يبيّن الإشكال، ويزبح التشابه، ويُوضّح أنَّ الضمير راجع إلى آدم نفسه"<sup>(1)</sup>.

### وخلصة القول:

فإنَّ الباحث يرى أنَّ الضمير في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "خلق الله آدم على صورته" يعود إلى آدم - عليه السلام - للأدلة النقلية، واللغوية التي ذكرناها سابقاً، ويكون بذلك مؤيداً لما ذهب إليه ابن بدران - رحمه الله تعالى - صاحب العلم الرازخ، والاطلاع الباهر في معرفته، ودرايته بعلوم الحديث واللغة.

فالمعنى أنَّ الله - سبحانه وتعالى - أوجد آدم - عليه السلام - على هيئته التي خلقه عليها طوله ستون ذراعاً، إذ إنَّه لم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً، فلم يخلفه صغيراً كبيراً، ولا ضعيفاً فقيراً، بل خلقه رجلاً كاملاً سوياً قوياً، بخلاف السنة التي جعلها الله - جل وعز - في ذريته، أن يكونوا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يصيروا صوراً أحجنة في الأرحام إلى أن تتم مدة الحمل، فيولدون وينشئون صغاراً إلى أن يكبروا، فيتم طول أجسادهم، فآدم - عليه السلام - لم يكن خلقه على هذه الصفة، ثم إنَّ الله - عز وجل - خلقه يوم خلقه على الصورة التي كان عليها بالأرض، إذ إنَّه - عليه السلام - لم يكن في الجنة على صورة أخرى مغایرة، فصورته في الجنة هي صورته في الأرض، فلم تختلف صفاته، ولا صورته، كما تختلف صفات، وصور الملائكة، والجن<sup>(2)</sup>.

### فصل:

ممَّا ينبغي التبيه إليه في هذا المقام، إثبات الصورة الله - عز وجل - من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، فكما أَنَّا نُؤْمِن، ونثبت ما جاء في القرآن الكريم من صفات الله - سبحانه - من

<sup>1</sup> القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت 544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 1419هـ، ج 8، ص 374.

<sup>2</sup> انظر: المفہم لما أشكل من تلخیص كتاب مسلم لأئمۃ العباس القرطبی، 7/183-184. وشرح السنة للبغوي 12/255. وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض 8/374. وعمدة القاری للعینی 229/22. والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج للبغوي 17/178. وفتح الباری 6/366. وغريب الحديث للخطابی 2/158.

اليدين، والأصابع، والعين؛ فإننا نُثِّبُ ما جاء في السنة النبوية الصحيحة من صفات الله - سبحانه وتعالى -. <sup>١</sup>

قال ابن قتيبة (ت 276هـ) في تأويل مختلف الحديث: "والذي عندي - والله أعلم - : إنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلْفُ لتكلٍّك؛ لمجيئها في القرآن، ووَقَعَتْ الوحشة لهذه؛ لأنَّها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفيَّة ولا حدَّ ". <sup>(١)</sup>

فقد ثبت في أحاديث صحيحة صفة الصورة لله - تعالى - غير الحديث الذي كُنَّا بصدده وبينَّا ضعفه وهو رواية "على صورة الرحمن". فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في الشفاعة مرفوعاً، وفيه "فَبِأَنْتِمُهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرُفُونَ، فَيَقُولُونَ: أَنَا رِبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رِبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، ... " الحديث <sup>(٢)</sup>.

وحدث اختصار الملا الأعلى، وفيه "رأيت ربِّي في أحسن صورة ". <sup>(٣)</sup>

فَنَحْنُ إِنْ كُنَّا اخْتَرْنَا بَعْضَ أَقْوَالِ السَّلْفِ فِي تَقْسِيرِ قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "عَلَى صُورَتِهِ" عَلَى مَنْ يَعُودُ الضَّمِيرُ؛ إِلَّا أَنَّا نَتَّقَقُ مَعْهُمْ جَمِيعاً فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصَّفَةِ لله <sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 322.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 9/128، حديث رقم 7437، باب وجوه قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَأْصِرُهُ إِلَى رَجِهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23].

<sup>3</sup> ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الصَّحَّافِ (ت 287هـ)، الآحاد والمثنى، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية - الرياض، ط 1411هـ، ج 5، ص 48، حديث رقم 2585. والبَزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت 292هـ)، البحر الزخار، تحقيق عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط 1988-2009م، ج 11، ص 42، حديث رقم 4727. والتوحيد لابن خزيمة 191/1. والمعجم الكبير للطبراني 1/317، حديث رقم 938، والدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت 385هـ)، رؤية الله، تحقيق إبراهيم محمد العلي وأحمد فخرى الرفاعي، مكتبة المثار، الزرقاء - الأردن، سنة النشر 1411هـ، ص 323 و 326 و 347، حديث رقم 239 و 241 و 267. والدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت 255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1412هـ، ج 2، ص 1365، حديث رقم 2195، ومختصر العلو للعلي العظيم للذهبي 119/1. وموسوعة الألباني في العقيدة 6/113. والألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف - الرياض، ط 1415هـ، ج 1، ص 12، و ط 1422هـ، ج 7، ص 502 و 505، حديث رقم 3169.

<sup>4</sup> صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء ص 28 (الهامش).

قال الذهبي (ت 748هـ) في ميزان الاعتدال: "أما معنى حديث الصورة فنردد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن ليس كمثله شيء" <sup>(1)</sup>.

ثم إن الذين صحّحوا رواية "على صورة الرحمن" وقالوا بعود الضمير إلى الرحمن لم يقولوا بتشبيه الرب وتمثيله، ولم يخرجوا عن عقيدة أهل السنة، والجماعة في إمارة آيات الصفات، وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف، ولا تكليف، ولا تمثيل، بل يثبتون أسماءه، وصفاته إثباتاً بلا تمثيل، وينزّهونه - سبحانه - عن مشابهة خلقه تنزيهاً بلا تعطيل، خلافاً لأهل البدع من المعطلة والمتشبهة <sup>(2)</sup>.

وأختتم القول بكلام نفيس للإمام الذهبي (ت 748هـ) - رحمه الله -: "إننا نؤمن بما صح منها، وبما اتفق السلف على إمارته، واقراره، فأمّا ما في إسناده مقال، أو اختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإننا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة، ونبين حاله" <sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ميزان الاعتدال 420/2.

<sup>2</sup> انظر: صحيح الأئمة المسند عن أحاديث الأئمة ص 27 (الهامش). وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره ابن الموصلـي محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 774هـ)، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط 1422هـ، ص 5390.

<sup>3</sup> مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي 1/92.

## المسألة التاسعة:

**أَثْر دلالة زمن الفعل في بيان استمرار جرائم اليهود في قوله - تعالى - : ﴿فَإِمَّا**  
**تَقْسُطُوا تَأْنِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 91].**

قال ابن بدران - رحمه الله - : "وفي الإن bian بصيغة المضارع تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة، ورمز إلى أنّهم لو قدرُوا الآن لفَعَلُوا مثل فعل أسلافهم؛ لأنَّ التقدير: وتصرون على قتليهم من بعد، وفيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، تحذيراً منهم، ولقد صدق هذا الإيماء الواقع، فقد عزم بنو النمير على أن يُلْقُوا صخرةً على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسمّه أهل خير" <sup>(1)</sup>.

اعتمد ابن بدران على قاعدة نحوية في جواز الخطاب بالمستقبل لأمر قد مضى؛ لبيان مراد الله - عز وجل - في إخباره عن اليهود.

والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه<sup>(2)</sup>.

قال سيبويه (ت 180هـ) في الكتاب: "وقد تقع (نفع) في موضع ( فعلنا ) في بعض الموارد، ومثل ذلك قوله<sup>(3)</sup> لرجل من بنى سلولٍ مُولَّدٍ:

ولقد أُمِرَّ عَلَى الْأَئِمَّةِ يَسْبُّنِي فَمَضِيَتْ ثُمَّ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي

واعلم أنَّ (أسيير) بمنزلة (سرت) إذا أردت (أسيير) معنى (سرت) " (4) .

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 262-263.

<sup>2</sup> انظر: التفسير البسيط للواحدي 185 / 3 و 15 / 341.

<sup>3</sup> هو شمر بن عمرو الحنفي، جاهلي، انظر: الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216هـ)، الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - مصر، ط 7 1993م، ص 126، وفيه: ولقد مررت على اللئيم....

الكتاب لسيبوه 3/24<sup>4</sup>

وقد رجح مذهب سيبويه جمهراً من علماء اللغة والنحو في جواز وضع المضارع موضع الماضي<sup>(1)</sup>.

وقد اهتموا به أياً اهتمام، فأفردوا له أبواباً في بطون كتبهم؛ لأهميته، وكثرة وروده في القرآن الكريم واستعمال العرب له في لغتهم وأشعارهم.

قال ابن فارس (ت 395هـ)<sup>(2)</sup> في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: "باب الفعل يأتي بلفظ الماضي، وهو راهن، أو مستقبل، و بلفظ المستقبل وهو ماضٍ: قال الله - جل ثناؤه - ﴿كُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] أي: أنتم. وقال - جل ثناؤه - ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1] أي: يأتي. ويجيء بلفظ المستقبل، وهو في المعنى ماضٍ. قال الشاعر:

ولقد أُمِرَّ عَلَى الْلَّئِيمِ يَسْبُّنِي فَمَضَيْتُ عَنْهِ<sup>(3)</sup> وَقَلْتُ لَا يَعْنِينِي

فقال "أُمِرَّ" ثم قال: "مضيت". وقال<sup>(5)</sup>:

<sup>1</sup> انظر : الرازى، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفى (ت 666هـ)، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آى التزيل، تحقيق د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض، ط 1413هـ، ج 1، ص 236، والكشف والبيان للشاعرى 9/2، ومعالم التزيل للبغوى 176/1، ومدارك التزيل للنسفى 110/1، وزاد المسير في علم التفسير 1/88، وتفسير القرآن للسعانى 1/109.

<sup>2</sup> هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازى اللغوى؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه "المجمل في اللغة"، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب "حلية الفقهاء"، وله "رسائل أنيقة"، و "مسائل في اللغة" ، ويعاين بها الفقهاء، ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب، ووضع المسائل الفقهية في المقامات الطيبة، وهي مئة مسألة. وكان مقيناً بهمدان، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات. توفي سنة تسعين وثلاثمائة - رحمه الله تعالى - بالري، ودفن مقابل مشهد القاضى علي بن عبد العزىز الجرجانى. وقيل: إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالمح مدية، والأول أشهر. من تصانيفه (مقاييس اللغة) ، و (المجمل) ، و (الصحابي) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، و (التيروز) في نوادر المخطوطات، و (الإتياع والمزاوجة) و (الحماسة المحدثة) و (الفصيح) و ( تمام الفصيح) و (متغير الألفاظ) و (ذم الخطأ في الشعر) و (اللامات) و (أوجز السير لخير البشر) ، و (كتاب الثلاثة) في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متصلة، وله شعر حسن. انظر: وفيات الأعيان 1/118-119، والأعلام للزرکلى 1/193.

<sup>3</sup> هكذا في الأصل، وأظنها (ثمت)، انظر: ص 188.

<sup>4</sup> انظر: ص 188، هامش رقم 3-4.

<sup>5</sup> انظر: أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1412هـ، ص 107. وفيه: رأته منكم في كوفة بلا عزو. وغيره الحديث للخطابي 189/2، بدون عزو. ولسان العرب 9/311، مادة "كوفة" قال: وأنشد ابن بري، وفيه: وإني منكم في كوفة والكوفة (بتشديد الواو): الاختلاط والشدة والعناء.

وَمَا أُضْحِيَ لَا أَمْسَيْتُ إِلَّا

رَأَوْنِي مِنْهُمْ فِي كَوْفَانٍ<sup>(1)</sup>

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ شَاءَهُ - : ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَئْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ﴾ [البقرة: 91]

وَقَالَ : ﴿وَآتَيْتُمَا تَقْتُلُوا الْمُشَيَّطِينَ﴾ [البقرة: 102] أَيْ مَا تَلَّتُ . وَقَالَ آخَرُ<sup>(2)</sup> :

وَتَدَمَّانِ يَزِيدُ الْكَأسَ طِيبًا  
سَقَيْتُ إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ " <sup>(3)</sup>.

وَأَيَّدَهُ أَبُو مُنْصُورُ التَّعَالَبِيِّ (ت 429هـ)<sup>(4)</sup> فِي فَقْهِ الْلُّغَةِ وَسُرُّ الْعَرَبِيةِ<sup>(5)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ هَشَامَ (ت 761هـ) فِي الْمَغْنِيِّ : " الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّهُمْ يُعْبَرُونَ عَنِ الْمَاضِي  
وَالْآتِيِّ ، كَمَا يُعْبَرُونَ عَنِ الشَّيْءِ الْحَاضِرِ ؛ قَصْدًا لِإِحْضَارِهِ فِي الدَّهْنِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُشَاهِدٌ حَالَة  
الْإِخْبَارِ"<sup>(6)</sup>.

وَجَاءَ فِي الْمَزَهَرِ لِلْسَّيُوطِيِّ (ت 911هـ) : "مِنْ سُنَّتِ الْعَرَبِ أَنْ تَأْتِي بِالْفَعْلِ بِلِفْظِ الْمَاضِيِّ ، وَهُوَ  
حَاضِرٌ ، أَوْ مُسْتَقْبِلٌ ، أَوْ بِلِفْظِ الْمُسْتَقْبِلِ ، وَهُوَ مَاضٍ نَحْوَ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ﴾ [النَّحْلُ : 1]

<sup>1</sup> فِي الأَصْلِ كَرْفَانُ، وَالصَّوَابُ (كَوْفَانُ)، اَنْظُرْ : هامش (4).

<sup>2</sup> هُوَ الْبَرْجُ بْنُ مَسْهُرٍ بْنُ الْأَرْتِ الطَّائِيُّ : شَاعِرٌ ، مِنْ مَعْرِيِّ الْجَاهِلِيَّةِ . كَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي دِيَارِ طَيْبٍ (بِلَادِ شَمْرٍ ، الْيَوْمِ بِنْجَدٍ). اَخْتَارَ أَبُو نَمَامَ (فِي الْحَمَاسَةِ) أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرِهِ . وَلَهُ خَبْرٌ مَعَ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ الدُّوْسِيِّ أَيَّامَ كَهَانَتِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ (تَنَحُوكَهُ 30 ق.هـ). اَنْظُرْ : الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ / 47، وَالْأَصْفَهَانِيُّ ، أَبُو الْفَرجِ عَلَيُّ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت 356هـ) ، الْأَغَانِيُّ ، تَحْقِيقُ سَمِيرِ جَابِرِ ، دَارِ  
الْفَكْرِ - بَيْرُوتُ ، طِ 2، جِ 14، صِ 14، وَانْظُرْ مَعْنَى الْلَّبِيبِ فِي شَرْحِ الشَّوَاهِدِ / 130.

<sup>3</sup> اَبُنْ فَارِسٍ ، أَبُو الْحَسِينِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ بْنِ زَكْرِيَّاءِ (ت 395هـ) ، الصَّاحِبِيُّ فِي فَقْهِ الْلُّغَةِ وَمَسَانِهِ وَسُنَّتِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا ، النَّاشرُ مُحَمَّدٌ  
عَلَى بَيْضَوْنِ ، طِ 1418هـ ، صِ 167.

<sup>4</sup> هُوَ أَبُو مُنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ التَّعَالَبِيِّ الْنِيَسابُورِيُّ ; قَالَ ابْنُ بَسَامَ صَاحِبُ "الذِّخِيرَةِ" فِي حَقِّهِ : " كَانَ فِي وَقْتِهِ رَاعِيُّ  
تَلَعَّبِ الْعِلْمِ ، وَجَامِعُ أَشْتَانِ النَّثْرِ وَالنَّظَمِ ، رَأْسُ الْمُؤْلِفِينَ فِي زَمَانِهِ ، إِمامُ الْمُصَنَّفِينَ بِحُكْمِ قَرَانِهِ ، سَارَ ذَكْرُهُ سَيِّرَ الْمُتَلَّثِ ، وَضَرَبَتِ إِلَيْهِ آبَاطَ  
الْإِبْلِ ، وَطَلَعَتِ دُوَوِينَهُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ طَلْعَ النَّجَمِ فِي الْغَيَابِ ، وَتَوَالَّفَهُ أَشْهَرُ مَوَاضِعِهِ وَأَبْهَرُ مَطَالِعِهِ وَأَكْثَرُ رَأِيَّهَا  
يُسْتَوْفِيهَا حَدٌّ أَوْ وَصْفٌ ، أَوْ يُوْفِيَهَا حَقْوَقَهَا نَظَمٌ أَوْ رَصْفٌ ، وَلَهُ مِنَ التَّوَالِيفِ (يَتِيمَةُ الْدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ) وَهُوَ أَكْبَرُ كَتَبِهِ  
وَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَعَهَا ، وَلَهُ أَيْضًا كَتَابُ (فَقْهِ الْلُّغَةِ) وَ(سَحْرِ الْبَلَاغَةِ وَسُرُّ الْبِرَاعَةِ) وَ(مِنْ غَابِ عِنْهُمُ الْمَطْرُبِ) وَشَيْءٍ  
كَثِيرٍ جَمِيعٍ فِيهَا أَشْعَارُ النَّاسِ وَرِسَائِلُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَثْرَةِ اطْلَاعِهِ . وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ . وَكَانَتْ وَلَادَتِهِ سَنَةُ خَمْسِينَ وَثَلَاثَمَائَةٌ  
وَتَوَفَّى سَنَةً تَسْعَ وَعَشْرَينَ وَأَرْبَعِمَائَةَ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . وَالْتَّعَالَبِيُّ : بَفْتَحِ النَّاءِ الْمَتَّلِّهِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَهِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ لَامَ مَكْسُورَهُ وَبَعْدَهَا بَاءٌ  
مُوحَدَهُ هَذِهِ النَّسْبَهُ إِلَى خِيَاطَهُ جَلُودَ النَّعَالِبِ وَعَمَلَهُ ، قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لَأَنَّهُ كَانَ فَرَاءً . اَنْظُرْ : وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ / 3-178.

<sup>5</sup> اَنْظُرْ : التَّعَالَبِيُّ ، أَبُو مُنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ (ت 429هـ) ، فَقْهِ الْلُّغَةِ وَسُرُّ الْعَرَبِيةِ ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْمُهَدِّيِّ ، إِحْيَا  
الْتَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، طِ 1422هـ ، صِ 228.

<sup>6</sup> مَعْنَى الْلَّبِيبِ / 1 . 905/.

أي يأتي. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] أي أنتم. ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُ الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: 102] أي ما ثلث<sup>(1)</sup>.

وجاء في معاني النحو للسامري<sup>2</sup> عند ذكر أزمنة الفعل المضارع، وبيان أنه يدل على أزمنة متعددة منها: دلالته على الماضي، ويكون ذلك في مواضع منها: "حكاية الحال الماضية: والمقصود بحكاية الحال الماضية أن يعبر عن الحدث الماضي بما يدل على الحاضر، استحضاراً لصورته في الذهن كأنه شاهد مرئي في وقت الإخبار... ومثله قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 91]؛ فالقتل حصل فيما مضى، ألا ترى إلى قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ولكنَّه عبر عنه بالفعل المضارع؛ استحضاراً لهذه الصورة الشنيعة من قتل أنبياء الله، فخلع على المشهد صورة الحياة، والحركة بجعله ماثلاً أمام عين الرائي<sup>(2)</sup>.

ويرى الباحث بعد الاطلاع على أقوال علماء اللغة، والنحو، والتفسير في قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 91] أنهم يجوزون وضع المضارع موضع الماضي، والآية شاهد على ذلك. ولكنَّهم اختلفوا في تأويل قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 91] على قولين<sup>(3)</sup>:

أما القول الأول: قالوا: إنَّ معنى الآية ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 91] : فلم قتلتُمُّ أنبياءَ الله من قبل، وذهب إلى هذا القول بعض البصريين<sup>(4)</sup>.

قال الأخفش (ت 215هـ) في معاني القرآن: " و (تقْتُلُون) في معنى (قتلتم) كما قال الشاعر:

فَمَضَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ لَا يَعْنِي  
وَلَقَدْ أُمِرْتُ عَلَى اللَّئِمِ يَسْبُبُنِي

<sup>1</sup> المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى 1 / 265.

<sup>2</sup> معاني النحو للسامري 3/ 288-289.

<sup>3</sup> انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبرى 2/ 350-353.

<sup>4</sup> انظر: المرجع السابق 2/ 350-351.

يريد " لقد مررت " بقوله " أمر " <sup>(1)</sup>.

وذهب جمّع من المفسّرين إلى هذا القول منهم:

مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) في تفسيره بقوله: " ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ يقول: فلم قتلتُمْ أنبياءَ الله من قبل؟ يعني آباءَهم وقد جاءوا بالآيات، والقرآن " <sup>(2)</sup>.

والثعلبي (ت 427هـ) <sup>(3)</sup> في تفسيره بقوله: " وقد تضع العرب لفظ الاستقبال موضع الماضي كقوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ [البقرة: 91] أي قتلتُم " <sup>(4)</sup>.

والجرجاني (ت 471هـ) في تفسيره بقوله: " (قتلون) مستقبل بمعنى الماضي بدلاً منه قوله: ﴿قَاتَلُوكُمْ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 183] <sup>(5)</sup>.

والبغوي (ت 516هـ) في تفسيره بقوله: " وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي، كما قال الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ [البقرة: 91] أي فلم قتلتُمُوهُم " <sup>(6)</sup>.

وأبو القاسم النيسابوري (ت 550هـ) في تفسيره بقوله: " ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾، والمُراد: لم قتّلُتمْ؛ لأنَّه كالصَّفة اللازمَة لهم، كقولك للكاذب: لم تكذب؟ بمعنى: لم كذبت" <sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> معاني القرآن للأخفش 144-145، وانظر: إعراب القرآن للباقولي 103، والتبيان في إعراب القرآن للعكري 1/93، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى 131، وشرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية، تحقيق عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقرب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط 1420، ج 1، ص 216-217.

<sup>2</sup> تفسير مقاتل بن سليمان ص 123.

<sup>3</sup> هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور؛ كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير. وله كتاب "العرائش في قصص الأنبياء" - صلوات الله وسلامه عليهم - وغير ذلك. ذكره السمعاني وقال: يقال له: الثعلبي والثعلبي، وهو لقب له وليس بنسب، قاله بعض العلماء. توفي سنة سبع وعشرين وأربعينه، وقال غيره: توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعينه. وقال غيره: توفي يوم الأربعاء لسبعين بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعينه - رحمه الله تعالى -. والثعلبي بفتح الثناء المثلثة وسكون العين المهملة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة. انظر: وفيات الأعيان 1/79-80.

<sup>4</sup> الكشف والبيان من تفسير القرآن 9/2، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني 1/109، وزاد المسير في علم التفسير 1/88.

<sup>5</sup> درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني 1/231.

<sup>6</sup> معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/176.

<sup>7</sup> إيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري 1/114، وانظر: النكت والعيون للماوردي 1/159.

والنسفي (ت 710 هـ) في تفسيره بقوله: "﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ﴾، أي: فلِم قَتَلْتُم، فوضع المستقبل موضع الماضي" <sup>(1)</sup>.

وأبو حيّان (ت 745 هـ) في البحر المحيط بقوله: "وجاء يقتلون بصورة المضارع، والمُراد الماضي، إذ المعنى: قل فلِم قَتَلْتُم، وأوضح ذلك أن هؤلاء الذين بحضره رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يصدر منهم قتل الأنبياء، وأنه قَيْدٌ بقوله: ﴿مِنْ قَبْلٍ﴾، فعل على تقدم القتل" <sup>(2)</sup>.

أما القول الثاني: قال بعض نحوّي الكوفيّين: إنما قيل: "﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾، مخاطبهم بالمستقبل من الفعل، ومعناه الماضي" <sup>(3)</sup>.

وقال الفراء (ت 207 هـ) في معاني القرآن: "وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ [البقرة: 91]، وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلاقهم الذين مضوا فتلّوهم على ذلك، ورضوا به فُسِّبَ القتل إليهم" <sup>(4)</sup>.

قال مساعد الطيار في كتابه "التفسير اللغوي للقرآن الكريم" تحت عنوان الأسلوب العربي في الخطاب القرآني إن الفراء قد بين كثيراً من الأساليب العربية النحوية واستشهد منها بأمثلة توضحها، ثم نقل كلام الفراء في معاني القرآن <sup>(5)</sup> بتمامه وكماله تحت عنوان الخطاب بالمستقبل لأمِرٍ قد مضى: "بين الفراء (ت 207 هـ) في هذا النص أنه جاز الحديث عن الماضي بفعل دالٌ على الاستقبال؛ لأنَّ في الكلام دليلاً على إرادة الماضي... كما بين الفراء (ت 207 هـ) أنه جاز خطاب الحاضرين

<sup>1</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي/110. وانظر: الإشبيلي عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الريبع القرشي الأموي العثماني (ت 688 هـ)، تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، تحقيق علي بن سلطان الحكمي، الجامعة الإسلامية بالدینة المنورة، الطبعة: الأعداد 100 السنوات 22 - 25 المحرم 1410 هـ - ذو الحجة 1413 هـ، ج 1، ص 362، والموسوعة القرآنية خصائص السور 252/4.

<sup>2</sup> البحر المحيط 493/1.

<sup>3</sup> جامع البيان للطبراني 352/2.

<sup>4</sup> معاني القرآن للفراء 1/61.

<sup>5</sup> انظر: المرجع السابق 60/1-61.

بما فعله الأسلاف منهم؛ لرضاهم بهذا العمل، حتى صاروا لأنهم فعلوه بأنفسهم، إذ الرّاضي كالفاعل،  
وما ذُكر من نَسْبِ القتل إلى حاضري التنزيل أسلوب عربى عريق <sup>(١)</sup>.

وقال الزجاج (ت 311هـ) في معاني القرآن واعرabe: "فَانْ قَالَ قَائِلٌ فَلَمْ قُيلْ لَهُمْ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوْنَ أَئِيَّاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾، وهؤلاء لم يقتلوا نبياً فقط؟ قيل له: قال أهل اللغة في هذا قولين:  
أحدهما إن الخطاب لمن شوهد من أهل مكّة ومن غاب خطاب واحد، فإذا قتل أسلافهم الأنبياء وهم  
مُقيمون على ذلك المذهب، فقد شركوهم في قتلهم، وقيل أيضاً: لم رضيتم بذلك الفعل؟ وهذا القول  
الثاني يرجع إلى معنى الأول. وإنما جاز أن يذكر هنا لفظ الاستقبال والمعنى المُضي لقوله <sup>﴿مِنْ قَبْلُ﴾</sup> <sup>(٢)</sup>.

وذهب إلى هذا القول الجصاص (ت 370هـ) في أحكام القرآن بقوله: "﴿فَلَمَّا تَقْتُلُوْنَ أَئِيَّاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾٦١﴿ فَأَضَافَ الْقَتْلَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَبَاشِرُوهُ، وَلَمْ يَقْتُلُوهُ إِذْ كَانُوا رَاضِيِّنَ بِأَفْعَالِ الْقَاتِلِيْنَ﴾" <sup>(٣)</sup>.

والزرκشي (ت 794هـ) في البرهان بقوله: "والمخاطبون على عهد النبوي - صلى الله عليه وسلم - لم يقتلوا الأنبياء إنما باشره آباءهم، لكن مذهبهم في ذلك واحد" <sup>(٤)</sup>.

وقال بهذا القول جمع من المفسرين منهم:

الواحدي (ت 468هـ) في تفسيره بقوله: "وأضاف القتل ها هنا إلى المخاطبين، وإن كان  
آباءهم قتلوا؛ لأنهم كانوا يتلون الذين قتلوا منهم على مذهبهم، وإذا كانوا على ذلك المذهب فهم

<sup>١</sup> الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط 1432هـ، ج 1، ص 294، وانظر: المرجع نفسه 292/1-293.

<sup>2</sup> معاني القرآن واعرabe للزجاج 1/175.

<sup>3</sup> أحكام القرآن للجصاص 319/2، وانظر المرجع نفسه 287 و 332 و 4/202.

<sup>4</sup> البرهان في علوم القرآن للزرκشي 1/418.

شركوهم<sup>(1)</sup>. ثم نقل كلام الأنباري (ت 328هـ) بقوله: "وقال ابن الأنباري: تأويله: فلم توليتهم آباءكم القاتلين ورضيتم ما كانوا عليه، وصوبتم أفعالهم"<sup>(2)</sup>.

وابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره بقوله: "ألا ترى أن حاضري محمد - صلى الله عليه وسلم - لما كانوا راضين بفعل أسلافهم، بقي لهم من قتل الأنبياء جزء"<sup>(3)</sup>.

والقرطبي (ت 761هـ) في تفسيره بقوله: "فالخطاب لمن حضر مُحَمَّداً - صلى الله عليه وسلم - والمراد أسلافهم. وإنما توجّه الخطاب لأنبائهم؛ لأنهم كانوا يتولون أولئك الذين قتلوا، كما قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا أَنْهَدُوهُمْ أُولَئِكَ﴾ [المائدة: 81] فإذا تولّوهم فهم بمنزلتهم. وقيل: لأنهم رضوا فعلهم فنسب ذلك إليهم. وجاء "نقتلون" بلفظ الاستقبال، وهو بمعنى المُضيّ لـما ارتفع الإشكال بقوله: "من قبل". وإذا لم يُشكِّل فجائز أن يأتي الماضي بمعنى المستقبل، والمستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة<sup>(4)</sup>:

أنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ<sup>(5)</sup> شَهَدَ الْحُطَيْةَ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ

شهد بمعنى يشهد<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> التفسير البسيط للواحدى 3/156، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 1/82، ومحاسن التأويل للقاسمي 1/352.

<sup>2</sup> التفسير البسيط للواحدى 3/156، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي 3/604، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى 1/94، وزاد المسير في علم التفسير 1/88.

<sup>3</sup> المحرب الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/179. وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 3/304. وتأويلات أهل السنة للمازري 1/510. وفتح القدير للشوكاني 1/132-133. ومجموعة من الأستاذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، 1423هـ، ص 472. والبحر المحيط 1/493.

<sup>4</sup> هو جرول بن أوس، من بنى قطيبة بن عبس، ولقب الحطيئة، لقصره وقربه من الأرض وبكى أبو مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهلي إسلامي، ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسلم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة 1/310، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 2/149، والبطيئة، أبو مليكة جرول بن أوس (ت 45هـ)، ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكري (ت 246هـ)، دراسة وتبويب د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1413هـ، ص 110.

<sup>5</sup> ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكري ص 110، والأغاني 5/138 و 140.

<sup>6</sup> الجامع لأحكام القرآن 2/30، وانظر: عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى) 2/204، والتحرير والتتوير لابن عاشور 1/608.

والسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ (ت 756هـ) في الدر المصنون بقوله: " وَ { تَقْتُلُونَ } وَإِنْ كَانَ بِصِيغَةِ  
الْمَضَارِعِ فَهُوَ فِي مَعْنَى الْمَاضِي لِفَهْمِ الْمَعْنَى، وَأَيْضًا فِيمَعَهُ قَوْلُهُ { مِنْ قَبْلُ }، وَجَازَ إِسْنَادُ القَتْلِ  
إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَتَعَاوُهُ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا رَاضِينَ بِفَعْلِ أَسْلَافِهِمْ جَعَلُوا كَانَهُمْ فَعَلُوا هُمْ أَنفُسُهُمْ " <sup>(1)</sup>.

وَبِرِيَ الْبَاحِثُ بَعْدَ سَرْدِ أَقْوَالِ الْفَرِيقَيْنِ وَبِيَانِ أَدَلَّهُمْ، أَنَّ الْقَوْلَ الرَّاجِحَ فِي هَذِهِ الْمَسَأَةِ هُوَ  
الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؛ إِذْ لَيْسَ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الْإِتِيَانَ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ مَوْضِعَ الْمَاضِي يَحْتَمِلُ  
الْأَمْرَيْنِ، فَالْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ وَالْجَرِيمَةُ النَّكَرَاءُ، وَسَفَكُ الدَّمَاءِ لِأَلْيَاءِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْأَنْبِيَاءِ  
الْأَصْفَيَاءِ، إِنَّمَا حَصَلَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَسْلَافِهِمْ، فَلَمَّا أَقْرَرُوا بِهِ، وَرَضُوْهُ كَانُوا شُرَكَاءَهُمْ فِيمَا فَعَلُوا وَصَنَعُوا.

وَلَأَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا فَعَلْتَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَرِهَهَا، وَأَنْكَرَهَا بَرِيَّهَا، وَمَنْ رَضِيَهَا كَانَ مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ  
لَمْ يَفْعُلْهَا <sup>(2)</sup>.

وَهُذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ بَدْرَانَ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِقَوْلِهِ: " ثُمَّ بَيْنَ أَنْ كَفَرُوهُمْ بِهَذَا الْقَتْلِ إِنَّمَا  
هُوَ بِطَرِيقَةِ الرَّضَاءِ بِقَتْلِ أَسْلَافِهِمْ، { مِنْ قَبْلُ } " <sup>(3)</sup>.

أَيْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا كَمَا كَفَرَ آبَاؤُهُمْ، وَأَسْلَافُهُمْ مِنْ قَبْلِ بِجَرِيمَةِ الْقَتْلِ لِلْأَنْبِيَاءِ، حَقِيقَةُ لِمَنْ سَلَفَ،  
وَالرَّضَا لِمَنْ خَلَفَ.

ثُمَّ لَمَّا أَعْقَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - جَرِيمَةَ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ بِقَوْلِهِ: { مِنْ قَبْلُ } دَلَّ ذَلِكُ أَنَّ مَا  
حَصَلَ مِنْ قَتْلِ لِلْأَنْبِيَاءِ، إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَاضِيِّ،  
وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى زِيَادَةِ طَمَانَةِ قَلْبِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ إِنَّهُ لَمْ وَلَنْ يَحْدُثَ مَعَهُ مَا حَدَثَ  
مَعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَتْلٍ، وَسَفَكٍ لِلْدَمَاءِ. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - مُخَاطِبًا نَبِيًّا: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ

<sup>1</sup> الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب 517/1، وانظر تفسير الباب لابن عادل 299/1.

<sup>2</sup> انظر: تفسير الراغب الأصفهاني 260/1 وعزها إلى ابن عباس - رضي الله عنهما -، بلفظ: "إذا عمل المعصية، فمن أنكرها فقد برئ منها، ومن رضي بها كان كمن فعلها"، قال الباحث: ولم أجده له تحريراً في كتب الحديث ولكن ذكره الخازن في تفسيره لباب التأويل 82/1 بدون عزو.

<sup>3</sup> جواهر الأنوار ص 262.

إِنَّ أُنَتَائِنِ ﴿٦٧﴾ [المائدة: 67]، فأكَّدَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ - أَنَّ مَا جَرَى لِلنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ يَجْرِيَ مَعَكُمْ؛

لَيُثْبِتَ قَلْبُ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَنْزَعُ الْخَوْفَ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَهُ . فَكُفَّرُ الْيَهُودُ بِأَنْبَيَّاهُمْ أَدَى إِلَى قَتْلِهِمْ، وَسَفَكَ دَمَائِهِمُ الْمَكِيَّةَ، فَلَمَّا كَفَرَ الْيَهُودُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرَادَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَطْمَئِنَّ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ وَإِنْ كَفَرَ بِكَ هُؤُلَاءِ الْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَصْلُوُا إِلَيْكَ وَلَنْ يَؤْذُوكُمْ بِشَيْءٍ ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْآيَةَ بِقُولِهِ: ﴿مِنْ قَبْلٍ﴾ يعني أَنَّ مَا حَصَلَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا - مِنْ قَتْلٍ قَدْ اَنْتَهَى .

وَبِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَكُونُ قَدْ قَطَعَ آمَالَ كُلِّ مَنْ شَوَّلَ لَهُ نَفْسَهُ - مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ - إِذَا  
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَتَلَهُ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِعُوا فَعْلَ آبَائِهِمْ فِي قَتْلِ أَنْبَيَّاهُمْ وَالتَّخْلُصُ  
مِنْ دُعُوتِهِمْ، رَغْمَ مَحَاوِلَتِهِمُ التَّتْرَا فِي ذَلِكَ، فَقَدْ هُمُوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَارًا<sup>(١)</sup>،  
فَمَرَّةٌ حَاوَلُوا إِلَقاءِ الصَّخْرَةِ عَلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ الْعَامِرِيَّيْنِ الَّذِيْنِ قَتَلُوا  
عَمْرُو بْنَ أُمِّيَّةَ الْضَّمْرِيَّ<sup>(٢)</sup>. وَمَرَّةٌ دَسَّوْا لَهُ السُّمُّ فِي الشَّاةِ لَمَّا فُتِّحَ خَيْرٌ، فَأَمَرَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَمِعَ مِنْ كَانَ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ لَهُمْ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًاً؟" قَالُوا: نَعَمْ<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ الإِتِيَانَ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ لَهُ فَائِدَتَانِ فِي تَأْوِيلِ قُولِهِ - تَعَالَى -: ﴿فَلَمَّا تَقْتُلُونَ  
أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 91].

أَمَّا الْأُولَى: فَهِيَ تَصْوِيرٌ فَظَاعَةٌ، وَشَنَاعَةٌ مَا افْتَرَفَهُ أَسْلَافُهُمْ بِأَنْبَيَّاهُمْ مِنْ قَبْلِهِ، وَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، وَصَفْوَةُ  
خَلْقِهِ، إِذَا كَانَ مِنَ الْعَيْبِ الْمُشِينِ، وَالْجَرْمُ الْعَظِيمُ قَتْلُ رُسُلِ الْمُلُوكِ، فَكِيفَ بِرُسُلِ مَلَكِ الْمُلُوكِ -  
سَبَحَانَهُ - !؟

<sup>١</sup> انظر: دَرَازُ، مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ (ت 1377هـ)، النَّبِيُّ الْعَظِيمُ نَظَرَاتٌ جَدِيدَةٌ فِي الْقُرْآنِ، دَارُ الْقَافَةِ - الدُّوَّهَةِ، ط 1985م، ص 124-125.

وَتَفْسِيرُ الشَّعْرَوَيِّ - خَواطِرُ/1 463 و 1376/3 و 5495 و 9/15 و 9416 و 18 و 11220/18.

<sup>2</sup> انظر: ابْنُ هَشَامَ، أَبُو مُحَمَّدِ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ هَشَامَ بْنِ أَبِي بَحْرٍ الْحَمِيرِيِّ (ت 213هـ)، السِّيَرُ النَّبِيَّيَّةُ لِابْنِ هَشَامٍ، تَحْقِيقُ مُصْطَفَى السَّقَا، وَإِبْرَاهِيمَ الْأَبِيَّارِيِّ، وَعَبْدِ الْحَفِيظِ الشَّلْبِيِّ، شَرْكَةُ مَكْتَبَةٍ وَمَطَبَعَةٍ مَصْطَفَى الْبَابِيِّ الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِمَصْرٍ، ط 21375هـ، ج 1، ص 563.

<sup>3</sup> انظر: صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، بَابُ مَا يَذَكُرُ فِي سُمِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - 139/7، حَدِيثُ رَقْمِ 5777، وَمُشْكَاهَةُ الْمَصَابِيحِ/3 1669، حَدِيثُ رَقْمِ 5935.

وقد أشار إلى ذلك ابن بدران - رحمه الله تعالى - بقوله: "وفي الإتيان بصيغة المضارع تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة" <sup>(1)</sup>.

وقال ابن عاشور (ت 1393هـ) في التحرير والتنوير: " والإتيان بالمضارع في قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ مع أن القتل قد مضى؛ لقصد استحضار الحالة الفظيعة" <sup>(2)</sup>.

وأما الفائدة الثانية: فهي الاستمرار، والمداومة، والتجدّد. قال السامرائي في معاني النحو عند ذكر أزمنة المضارع: " الاستمرار التجدد: وذلك ك قوله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْرُطُ﴾ [البقرة: 245]، وك قوله: ﴿رَبِّ الَّذِي يُحِبِّ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] ... فهذه الأحداث تتكرر باستمرار" <sup>(3)</sup>.

فذكر المضارع بقوله - تعالى - ﴿فَلَمَ تَقْتُلُنَ﴾ [البقرة: 91]، يفيد الديمومة، والاستمرار في قتل اليهود للأنبياء.

وأشار إلى ذلك ابن بدران بقوله: "ورمزاً <sup>(4)</sup> إلى أنهم لو قدروا الآن لفعلوا مثل فعل أسلافهم؛ لأن التقدير: وتصرون على قتلهم من بعد، وفيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - تحذيراً منهم، ولقد صدق هذا الإيماء الواقع، فقد عزم بنو التضير على أن يلقوا صخرة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وسمه أهل خير" <sup>(5)</sup>.

قال الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في تفسيره: "إن عادة العرب إذا أرادوا أن يخبروا عن تعاطي فعل مداوم عليه قرروا لفظ الماضي بالمستقبل؛ تتبيناً على المداومة عليه" <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 262.

<sup>2</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور 1/608.

<sup>3</sup> معاني النحو للسامري 3/291.

<sup>4</sup> يعني الإتيان بصيغة المضارع.

<sup>5</sup> جواهر الأفكار ص 262-263.

<sup>6</sup> تفسير الراغب الأصفهاني 1/260.

وقال ابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره: " وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأنّ الأمر مستمرٌ" <sup>(1)</sup>.

وقال السيوطي (ت 911هـ) في الإنقان: " عكسه<sup>(2)</sup> لإفادة الدوام، والاستمرار فكانه وقع واستمر" <sup>(3)</sup>.

واستمرارية جرائم اليهود لا تتوقف عند قتل أنبيائهم كما فعل أسلافهم، ومحاولتهم لقتل النبي<sup>صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> - وفشلهم في ذلك لعصمة الله لنبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، بل تتعداه إلى قتل أتباع الأنبياء، ومن يدعون بدعوتهم والقرائن دالة على ذلك في تاريخهم، وقد أشار القرآن إلى ذلك في كثير من الآيات، وال سور ومنها قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوكُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 91]؛ فساقها الله بصيغة المضارع؛ لبيان استمرار قتلهم وجرائمهم، وعدائهم للأنبياء، وأتباعهم إلى يوم الدين؛ لأنّهم يحسدونهم على ما عندهم من الحق

قال - تعالى - : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحُقْقُ﴾ [البقرة: 109] فعداء اليهود المسلمين عداء عقيدة، و وجود، لا عداء أرض وحدود. لذلك فإنّ جرائمهم تترا إلى يومنا هذا، (بل إلى يوم القيمة) الواقع أدلّ دليل: وأكبر برهان على ذلك.

<sup>1</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/179، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 1/493، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 1/83.

<sup>2</sup> أي إطلاق المستقبل على الماضي لذكر قبل هذا السياق إطلاق الماضي على المستقبل ثم قال عكسه.

<sup>3</sup> الإنقان في علوم القرآن للسيوطى 3/131، وانظر: روح المعاني للألوسي 1/324.

فقد أخبر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ أَتَبَاعُ الدَّجَالَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مَنْ يَهُودُ أَصْبَهَانَ<sup>(1)</sup>، سَبْعَوْنَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةَ<sup>(2)</sup> .<sup>(3)</sup>

### وخلصة القول:

إن اللغة العربية كان لها بالغ الأثر في الخروج من الخلاف بين العلماء في تأويل قوله تعالى - ﴿فِإِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِذْ أَنْهَا الْفِيْصَلُ﴾ [البقرة: 91] ، إذ إنها الفيصل في الجمع بين أقوال العلماء، وبيان المعنى المُراد في الآية في إظهار جرائم اليهود بحق أنبياء الله، ورسله، ومنتبعهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك من خلال سياق الآية الكريمة في الإتيان بصيغة المضارع في موضع الماضي؛ لبيان جرائم السلف، واستمراره، وديمونته لبيان جرائم الخلف.

<sup>1</sup> أصفهان أو أصفهان وهي إحدى مدن إيران وتبعد 340كم جنوب طهران، ويكثر فيها اليهود حالياً.

<sup>2</sup> الطِّيَالِسَةُ: الواحد الطيليس أو الطيلسان، يعني خرقه وسخة ضمته النار حين اندحر. والطيليس والطيلسان ضرب من الأكسية وهو فارسي مُعرَّب، انظر: لسان العرب مادة (طيس)، 6 / 125.

<sup>3</sup> صحيح مسلم 207/8، حديث رقم 7502. والسلسلة الصحيحة للألباني 7/214، حديث رقم 3080. وصحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني 2/1328، حديث رقم 8016. وموسوعة الألباني في العقيدة 9/317.

## المسألة العاشرة:

أثر التعريف والتکیر في کلمة ﴿ حَيَاةٌ ﴾ في بيان استغراق تعلق اليهود بالدنيا  
في قوله - تعالى - : ﴿ وَتَجِدُهُمْ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [ البقرة: 96 ].

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - : " (أحرص الناس على حياة)، والحرص: طلب الاستغراب فيما يختص فيه الحظ، والتکیر في الدّ ﴿ حَيَاةٌ ﴾ للإشارة إلى أنّهم يحرضون على مطاقها، على أي صفة كانت، وهم قاطعون بأنّه لا يخلو يوم منها عن كدر؛ فإنّهم يعلمون أنّ الحياة، وإن كانت في غاية الكدر خير لهم مما بعد الموت " <sup>(1)</sup>.

ومفاد كلامه - رحمه الله تعالى - أنّ اليهود يحرضون على مطلق الحياة، سواءً أكانت رفيعة أم وضيعة، عزيزة أم ذليلة، رغيدة أم فقيرة، فالامر عندهم سواء، مع علمهم أنّ الحياة يشوبها الكدر والهم والغم، ومع ذلك فإنّها بالنسبة إليهم أفضل من الموت وما بعده.

معتمداً بذلك على اللغة العربية في سبب تکیر کلمة ﴿ حَيَاةٌ ﴾ في الآية الكريمة، للوقوف على توجيه المعنى لها، ومعرفة مراد الله منها.

وقد اختلف العلماء في سبب تکیر کلمة ﴿ حَيَاةٌ ﴾ على قولين:

الأول: قالوا التکیر في ﴿ حَيَاةٌ ﴾ تنبئه على أنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة، أو أراد طول حياة.

الثاني: قالوا التکیر في ﴿ حَيَاةٌ ﴾ تنبئه على أنه أراد مطلق حياة.

وللوقوف على القول الراجح في المسألة، وبيانها، ومعرفة مراد الله منها لا بدّ من الرجوع إلى باب التکیر لتعريفه، ومعرفة أسبابه، وأغراضه.

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 268-269.

و" لمَّا كان كثير من الأحكام الآتية ثُبْنَى على التعريف والتكيير وكانا كثيري الدُّور في أبواب العربية، صَدَرَ النَّحَاة كتب النَّحْو بذكرهما بعد الإعراب والبناء، وقد أكثر الناس حدودهما وليس منها حد سالم " <sup>(1)</sup>.

وقد اهتمَ به العلماء، لعظم شأنه، وجلال قدره في بيان المقصود من السياقات العربية شِعراً، ونثراً، كما أَنَّ له الأَنْتَرُ الْكَبِيرُ في توجيه المعنى في كثير من الآيات القرآنية.

#### تعريف النكرة:

فالنكرة: ما لم يَخْصَّ الْوَاحِدُ مِنْ جَنْسِهِ، نحو رجل وغلام <sup>(2)</sup>.

وقال الهرمي (ت 702هـ) <sup>(3)</sup> في المحرر: " كل اسم شائع في جنسه لا يختص به واحد دون آخر، كرجل وفرس <sup>(4)</sup>".

وقال ابن هشام (ت 761هـ) في شرح قطر الندى: " الاسم ضربان: نكرة، وهو ما شاع في جنس موجود: كرجل، أو مقدر: كشمس <sup>(5)</sup>".

#### وعلمة النكرة:

1. أن تقبل دخول (رُبْ) عليها، نحو رجل وغلام، تقول "رُبْ رجل" و "رُبْ غلام".
  2. أن تقبل دخول (ال) عليها، نحو كتاب ومهندس، تقول الكتاب، والمهندس <sup>(6)</sup>.
- وإذا أطلقت التكرة دللت على أحد أمرين:

<sup>1</sup> همع الهوامع في جمع الجوامع للسيوطى 1/218. وانظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي 1/241.

<sup>2</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، اللمنع في العربية، تحقيق فائز فارس، دار الكتب التقاافية - الكويت، ص 98.

<sup>3</sup> هو عمر بن عيسى بن إسماعيل، الهرمي بلداً الأشعري نسباً، أبو الخطاب: نحوي، أبيب. من الحنفية. من أهل اليمن. كان مقيناً في صناعة. له كتب، منها "المحرر - ط" في النحو. انظر: الأعلام للزركلي 5/58.

<sup>4</sup> المحرر في النحو للهرمي 1/213. وانظر: صالح، عبد علي حسن، النحو العربي - منهج في التعليم الذاتي، دار الفكر،الأردن - عمان، ط 1 2001م، ص 46، وانظر: فتح رب البرية شرح نظم الأجرامية ص 438.

<sup>5</sup> شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص 93.

<sup>6</sup> انظر: اللمنع في العربية ص 98، وفتح رب البرية شرح نظم الأجرامية 1/442، والمحرر في النحو للهرمي 1/216، وشرح شذور الذهب ص 164، والمقاصد الشافية 1/242، والنحو العربي ص 46، والنحو الوافي 1/209، ومغالسة، محمود حسني، النحو الشافي الشامل، دار المسيرة، عمان، ط 1 1427هـ، ص 171.

1. إرادة الوحدة، نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ [يس: 20].
2. إرادة الجنس، نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَلَامَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُكُمْ ﴾ [البقرة: 221].

وقد تحتمل الجنس والوحدة معاً كقولك: (جاعني اليوم رجل) فهذا يحتمل أنَّه جاءك رجل واحد، ويحتمل أنَّه جاءك رجل لا امرأة<sup>(1)</sup>.

### أغراض التَّكْبِير:

ومما ينبغي التَّبَيَّنُ إِلَيْهِ عِنْدِ الْحَدِيثِ عَنْ أَغْرَاضِ التَّكْبِيرِ وَمَعَانِيهَا: "أَنَّ التَّكْبِيرَ لَمْ تُقْدِهَا بِطَبَيْعَتِهَا، وَإِنَّمَا اسْتَفَادَتْهَا مِنْ الْمَقَامِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، فَكَائِنًا الْمَقَامُ هُوَ الَّذِي يَصِفُ التَّكْبِيرَ، وَيُحدِّدُ مَعْنَاهَا، فَكَلْمَةُ حَيَاةٍ مُثَلًا تَدْلِي عَلَى مَعْنَاهُ الْمَجْرَدُ، وَالْمَقَامُ يَهْبِئُهَا مَعْنَى التَّحْقِيرِ حِينًا، وَالتَّعْظِيمِ حِينًا آخَرَ، وَالنَّوْعِيَّةُ مِنْ مَوْضِعِ ثَالِثٍ"<sup>(2)</sup>.

### وَمِنْ مَعَانِي وَأَغْرَاضِ التَّكْبِيرِ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ الْمَقَامِ:

1. الإفراد نحو قوله - تعالى -: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمَانَ لِرَجُلٍ ﴾ [الزمر: 29].
2. النَّوْعِيَّةُ نحو قوله - تعالى -: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 38].
3. التَّعْظِيمُ نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَكَلَّمُ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ ﴾ [النمل: 6].
4. التَّهْوِيلُ نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ تَفْسِ شَيْئًا ﴾ [البقرة: 48].
5. التَّكْبِيرُ نحو قوله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم: 3].
6. التَّقْلِيلُ نحو قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: 44].

<sup>1</sup> معاني النَّحْوِ لِلسَّامِرَائِيِّ 38/1.

<sup>2</sup> الْبَدْوِيُّ، أَحْمَدُ أَحْمَدُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْلِيِّ (ت 1384هـ)، مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ، نَهْضَةِ مَصْرُ، الْقَاهْرَةُ، طِ5005م، ص102.

7. التَّخْصِيصُ نَحْوُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿مَنْ قَبِيلَ أَنْ نَطِمَسَ وُجُوهَهَا فَرَدَهَا عَلَى أَذْبَارِهَا﴾ [ النساء: 47 ] ، وَالْمَرَادُ بِالْوُجُوهِ هُنَّا وُجُوهُ الْكُفَّارِ، فَالنَّكْرَةُ عَامَّةٌ وَالْمَرَادُ بِهَا التَّخْصِيصُ.

8. التَّحْقِيرُ نَحْوُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحَرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [ البَقَرَةِ: 96 ].

9. التَّجَاهُلُ وَالْأَسْتَهْزَاءُ نَحْوُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿هَلْ نَدْلُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنِيشُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلَقٍ جَدِيدٍ﴾ [ سَبَا: 7 ] ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ<sup>(1)</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ التَّعْظِيمِ، وَالتَّكْثِيرِ، وَلَا بَيْنَ التَّحْقِيرِ، وَالتَّقْليلِ كَمَا بَيْنَ ذَلِكَ الْقَزوِينِيِّ (ت 739هـ) فِي الإِيْضَاحِ بِقَوْلِهِ: "وَالسَّكَاكِيُّ لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ التَّعْظِيمِ، وَالتَّكْثِيرِ، وَلَا بَيْنَ التَّحْقِيرِ، وَالتَّقْليلِ... وَفِي كُلِّيهِمَا نَظَرٌ"<sup>(2)</sup>.

وَقَالَ سَبِيُّوْيَهُ (ت 180هـ) فِي الْكِتَابِ: " وَيَقُولُ: أَتَانِي الْيَوْمَ رَجُلٌ، أَيْ فِي قُوَّتِهِ، وَنَفَادِهِ، فَتَقُولُ: مَا أَتَاكَ رَجُلٌ، أَيْ أَتَاكَ الْضَّعْفَاءِ"<sup>(3)</sup>، فَيُظَهِّرُ مِنْ مَثَلِ سَبِيُّوْيَهِ أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ التَّعْظِيمِ، وَالتَّكْثِيرِ إِذْ الْمَقْصُودُ فِي الْمَثَلِ التَّعْظِيمُ لَا التَّكْثِيرُ .

مِنْ هَنَا نَلَحِظُ أَنَّ الْخَلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِ كَلْمَةِ ﴿حَيَاةٍ﴾ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحَرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [ البَقَرَةِ: 96 ] ، نَاشِئٌ مِنَ الْغَرْضِ الْحَقِيقِيِّ لِلتَّحْقِيرِ فِي كَلْمَةِ حَيَاةٍ.

فَالَّذِينَ قَالُوا: حَيَاةٌ مُخْصُوصَةٌ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الْمَنْتَطَوْلَةُ اعْتَمَدُوا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْغَرْضَ مِنَ التَّحْقِيرِ هُوَ النَّوْعِيَّةُ، أَيْ نُوْعٌ مِنَ الْحَيَاةِ مُخْصُوصٌ، وَهُوَ الْحَيَاةُ الزَّائِدَةُ، كَأَنَّهُ قِيلَ " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحَرَصَ النَّاسَ - وَإِنْ عَاشُوا مَا عَاشُوا - عَلَى أَنْ يَزْدَادُوا إِلَى حَيَاتِهِمْ فِي الْمَاضِيِّ، وَالْحَاضِرِ حَيَاةً فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَإِنَّ

<sup>1</sup> انظر: الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل - بيروت، ط 3، ج 2، ص 36. والهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبداع، ضبط، وتدقيق، وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 121-122. والصعيدي، عبد المتعال (ت 1391هـ)، بغية الإيضاح لتأخير المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط 17 1426هـ، ج 1، ص 93-95. ومعاني النحو للسامرياني ص 39-40. والبرهان في علوم القرآن للزرتشي 90/4-93. والإتقان في علوم القرآن للستيوطي 347-346/2، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان 202/1-203. ومن بلاغة القرآن ص 102-104.

<sup>2</sup> الإيضاح غي علوم البلاغة 38/2، وبغية الإيضاح لتأخير المفتاح في علوم البلاغة للصعيدي 1/95.

<sup>3</sup> الكتاب 55/1

الإنسان لا يوصف بالحرص على شيء إلا إذا لم يكن ذلك الشيء موجوداً له حال وصفه بالحرص عليه ".<sup>(1)</sup>

أما الذين قالوا حياة مطلقة أي مطلق حياة، اعتمدوا في ذلك أنَّ الغرض من التَّكير هو التَّحقيق بمعنى أي حياة كانت، ولو كانت حقيرة مهينة<sup>(2)</sup>.

وممَّن قال بالقول الأول: إنَّ الحياة مخصوصة وهي الحياة المتزاولة:

الزمخري (ت 538هـ) في الكشاف بقوله: "فإن قلت: لم قال: على حَيَاةِ الْتَّكِيرِ؟ قلت: لأنَّه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتزاولة؛ ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي<sup>(3)</sup> (على الحياة)".<sup>(4)</sup>

وأبيه الرَّازِي (ت 606هـ) في تفسيره بقوله: "أي حياة كاملة تامة "<sup>(5)</sup>، والنَّسفي (ت 710هـ) في تفسيره<sup>(6)</sup>، وقال البيضاوي (ت 685هـ) في تفسيره: "وتَكِيرُ حَيَاةً؛ لَأَنَّه أَرِيدُ بِهَا فَرْدٌ مِّنْ أَفْرَادِهَا وَهِيَ الْحَيَاةُ الْمُتَزَاوِلَةُ"<sup>(7)</sup>. وقال الزركشي (ت 794هـ) في البرهان: "ولتجذبهم أحرون الناس على حياة؛ لأنَّهم لم يحرضوا على أصل الحياة حتى تُعرف، بل على الازدياد من نوع، وإنْ كان الزائد أقلَّ شيء ينطلق عليه اسم الحياة".<sup>(8)</sup>

<sup>1</sup> الإيضاح في علوم البلاغة ط دار الجيل 2/36، وانظر: دلائل الإعجاز للجرجاني 1/288-289.

<sup>2</sup> معاني اللُّحُو للسامري 1/40.

<sup>3</sup> انظر: معجم القراءات 1 / 156.

<sup>4</sup> الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 1/168. وانظر: محسن التأويل للقاسمي 1/355. وانظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط 2 1418هـ، ج 1، ص 229. ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن .61/1

<sup>5</sup> مفاتيح الغيب 3/609 و 14/340، وانظر: اللباب في علوم الكتاب 9/269.

<sup>6</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 1/112.

<sup>7</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/95. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/334. والمظيري، مُحَمَّد ثَنَاءُ الله (ت 1225هـ)، التفسير المظيري، تحقيق غلام بنى التونسي، مكتبة الرشيدية - الباكستان، ط 1412هـ، ج 1، ص 101، وطنطاوي، مُحَمَّد سِيد (ت 1431هـ)،

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، مصر، الفجالة - القاهرة، ط 1 1997م، ج 1، ص 211، وروح المعاني للألوسي 1/329.

<sup>8</sup> البرهان في علوم القرآن للزرκشي 4/91، وانظر: الإنقاذ في علوم القرآن للسيوطى 2/346، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان .202/1

وأَمَّا مَنْ قَالَ بِالْقُولِ الثَّانِي: أَنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى مَطْلَقِ حَيَاةٍ.

أَبُو حِيَّانَ الْأَنْدَلُسِي (ت 745هـ) فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ بِقَوْلِهِ: "وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى مَطْلَقِ حَيَاةٍ؛ لَأَنَّ مَنْ كَانَ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى مَطْلَقِ حَيَاةٍ، وَهُوَ تَحْقِيقُهَا بِأَدْنِي زَمَانٍ، فَلَأَنَّ يَكُونَ أَحْرَصُ عَلَى حَيَاةٍ طَوِيلَةً أَوْلَى، وَكَانُوا قَدْ دَمُوا بِأَنَّهُمْ أَشَدُ النَّاسَ حَرَصًا عَلَى حَيَاةٍ، وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً"<sup>(1)</sup>.

وَأَيَّدَهُ بِذَلِكَ السَّمَّيِنَ الْحَلَبِيَّ (ت 756هـ) فِي الدُّرُّ الْمَصُونِ بِقَوْلِهِ: "بَلْ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى مَطْلَقِ حَيَاةٍ، وَإِنْ قَلْتَ: فَكَيْفَ إِنْ كَبَرْتَ؟ فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي وَصْفِهِمْ بِذَلِكَ"<sup>(2)</sup>.

وَالشُّوكَانِي (ت 1250هـ) فِي تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: "وَتَنْكِيرُ حَيَاةٍ: لِلتَّحْقِيرِ؛ أَيْ أَنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى أَحْقَرِ حَيَاةٍ، وَأَقْلَلُ لُبْثَتِ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِحَيَاةٍ كَثِيرَةٍ وَلُبْثَتِ مَتَطَالِوْلِ"<sup>(3)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رَضَا (ت 1354هـ) فِي تَفْسِيرِهِ: "وَنَكَرَ الْحَيَاةَ لِلتَّحْقِيرِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُمْ شَدِيدُو الْحَرَصِ عَلَى الْحَيَاةِ، وَإِنْ كَانَتْ فِي بُؤْسٍ وَشَقَاءِ"<sup>(4)</sup>.

وَقَالَ سَيِّدُ قَطْبَ (ت 1385هـ)<sup>(5)</sup> فِي ظَلَالِ الْقُرْآنِ: "خَصْلَةٌ يَصُورُهَا الْقُرْآنُ، صُورَةٌ تَفِيضُ بِالْزَّرَاءِ وَتَنْضَحُ بِالْتَّحْقِيرِ وَالْمَهَانَةِ: (وَلَتَجَدُهُمْ أَحْرَصُ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ)... أَيْةٌ حَيَاةٌ، لَا يَهْمِّ أَنْ تَكُونَ حَيَاةٌ كَرِيمَةٌ، وَلَا حَيَاةٌ مَمِيزَةٌ عَلَى الإِطْلَاقِ! حَيَاةٌ فَقْطًا! حَيَاةٌ بِهَذَا التَّكْرِيرِ، وَالتَّحْقِيرِ! حَيَاةٌ دِيدَانٌ، أَوْ

<sup>1</sup> الْبَحْرُ الْمَحِيطُ 502/1.

<sup>2</sup> الدُّرُّ الْمَصُونُ 11/2.

<sup>3</sup> فَتْحُ الْقَدِيرِ لِلشُّوكَانِيِّ، 135/1، وَانْظُرْ: فَتْحُ الْبَيَانِ فِي مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ لِلْقَنْوَجِيِّ / 228.

<sup>4</sup> تَفْسِيرُ الْمَنَارِ 1/323، وَانْظُرْ: التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ لِابْنِ عَاشُورِ 1/617.

<sup>5</sup> هُوَ سَيِّدُ قَطْبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: مُفَكِّرٌ إِسْلَامِيٌّ مُصْرِيٌّ، مِنْ مَوَالِيِّدِ فَرِيهَةِ (مُوشَا) فِي أَسِيُوطٍ. تَخْرُجٌ بِكُلِّيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ (بِالْقَاهِرَةِ) سَنَةِ 1353هـ وَعَمِلَ فِي جَرِيدَةِ الْأَهْلَامِ. وَكَتَبَ فِي مَجَلَّتِيِّ (الرِّسَالَةِ) وَ(الْتَّقَافَةِ) وَعِينَ مَدْرَسَةِ الْعُرْبِيَّةِ، فَمُوَظَّفًا فِي دِيَوْنَ وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ. ثُمَّ (مَرَاقيْ فَنِيَا) لِلْوَزَرَةِ. وَأُوفِدَ فِي بَعْثَةٍ لِدِرَاسَةِ (بِرَامِجِ التَّعْلِيمِ) فِي أَمْرِيْكَا (1948 - 51) وَلِمَا عَادَ اِنْتَقَدَ الْبَرَامِجَ الْمَصْرِيَّةَ وَكَانَ يَرَاهَا مِنْ وَضْعِ الْإِنْجِلِيزِ، وَطَالَبَ بِبِرَامِجٍ تَنَمِّيَ وَفَكِيرَةِ إِسْلَامِيَّةٍ. وَبَنَى عَلَى هَذَا اِسْتِقْرَالِتَهِ (1953) فِي الْعَامِ الثَّانِي لِلثُّوَرَةِ. وَانْضَمَ إِلَيْهِ إِخْرَانُ الْمُسْلِمِينَ، فَفَرَّأَسَ قَسْمَ نَشْرِ الدِّعَوَةِ وَتَوْلِي تَحْرِيرِ جَرِيدَتِهِ (1953 - 54) وَسِجْنٌ مَعْهُمْ، فَعَكَفَ عَلَى تَأْلِيفِ الْكِتَابِ وَنَشَرَهَا وَهُوَ فِي سِجْنِهِ، إِلَى أَنْ صَدَرَ الْأَمْرُ بِإِعدَامِهِ، فَأُعْدِمَ.

قَالَ خَالِدُ مُحَيِّيِ الدِّينِ (أَحَدُ أَقْطَابِ الثُّوَرَةِ الْمَصْرِيَّةِ) فِيمَا كَتَبَ عَنْهُ: كَانَ سَيِّدُ قَطْبَ قَبْلَ الثُّوَرَةِ مِنْ أَكْثَرِ الْمُفَكِّرِينَ إِسْلَامِيِّينَ وَضَوْحًا، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّهُ اَنْفَلَبَ - بَعْدِ قِيَامِ الثُّوَرَةِ - نَاقِمًا مُتَرَدِّدًا عَلَى كُلِّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهُ، لَا يَرَاهُ إِلا جَاهِلِيَّةً مُظْلَمَةً. وَكَتَبَهُ كَثِيرًا مُطْبَوعَةً مُتَداوِلَةً، مِنْهَا (النَّقْدُ الْأَدْبَرِيُّ، أَصْوَلُهُ وَمَنَاهِجُهُ) وَ(الْعَدْلَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ فِي إِسْلَامِ) وَ(الْتَّصْوِيرُ الْفَنِيُّ فِي الْقُرْآنِ) وَ(مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآنِ) وَ(كِتَابُ وَشَخْصِيَّاتِ) وَ(أَشْوَالِ) وَ(الْإِسْلَامُ وَمُشَكَّلَاتُ الْحِضَارَةِ) وَ(السَّلَامُ الْعَالَمِيُّ وَالْإِسْلَامِ) وَ(الْمُسْتَقْبَلُ لِهَذَا الدِّينِ) وَ(فِي الْقُرْآنِ) وَ(مَعَالِمُ فِي الطَّرِيقِ) . الأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 3/147-148.

حشرات! حياة والسلام! إنها يهود، في ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها سواء، وما ترفع رأسها إلا حين  
تغيّب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجبار جبناً، وحرضاً على الحياة. أي  
حياة!»<sup>(1)</sup>.

وقال العثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره: «نَكَرَ حَيَاةً؛ لِيُفِيدَ أَنَّهُمْ يَرِصُونَ عَلَى أَيِّ  
حَيَاةٍ كَانَتْ، وَإِنْ قُلْتَ؛ حَتَّى لَوْ لَمْ يَأْتُهُمْ إِلَّا لَحْظَةٌ فَهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَيْهَا»<sup>(2)</sup>.

وقال أبو زهرة (ت 1394هـ) في زهرة التفاسير: «نَكَرَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حَيَاةً»  
في قوله - تعالى - : «عَلَى حَيَاةٍ»؛ لِتَعْلِيمِ مَعْنَى الْحَيَاةِ، فَهُمْ يَرِصُونَ عَلَى حَيَاةَ أَيَّاً كَانَتْ  
صُورَتُهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ حَيَاةً ذَلِّيَّةً أَمْ كَانَتْ حَيَاةً عَزَّ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ حَيَاةً اسْتَعْبَادَ أَمْ كَانَتْ حَيَاةً حَرَّيَّةً،  
وَسَوَاءٌ أَكَانَتْ تَحْكِمُهَا الْفَضْلَيَّةُ أَمْ كَانَتْ تَحْكِمُهَا الرَّذِيلَةُ، إِنَّهُمْ يَرِصُونَ عَلَى الْحَيَاةِ ذَاتَهَا مِنْ غَيْرِ  
نَظَرٍ إِلَى وَصْفِهَا سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَقِيَّةً فِي ذَاتِهَا، أَمْ كَانَتْ بَكْرَةً مِنْ غَيْرِ مَهَانَةٍ، وَإِنْ هَذَا يَدِلُ عَلَى  
كَمَالِ الْحَرَصِ»<sup>(3)</sup>.

ويرى الباحث بعد سرد أقوال الفريقيين، وبيان أدلةِهم، واستقراء المسألة، والنظر في سياق  
الآيات التي وردت فيها الآية الكريمة أنَّ الغرض من التكثير هو التَّحْقِيرُ. وعليه فإنَّ المراد من كلمة  
«حَيَاةً» مطلق حَيَاةٍ؛ بمعنى أَنَّهُمْ يَرِصُونَ كُلَّ الْحَرَصِ عَلَى الْحَيَاةِ، مَهْمَا كَانَتْ حَقِيرَةُ الْقَدْرِ  
ضَئِيلَةُ الْقِيمَةِ. مؤيِّداً بذلك قول الفريق الثاني الذين قالوا بهذا القول، وهذا هو قول ابن بدران - رحمة  
الله - كما بيَّنا ذلك في بداية المسألة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين (ت 1385هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط 17 1412هـ، ج 1، ص 92،  
وانظر: الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين (ت 1385هـ) التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط 17، ص 222.

<sup>2</sup> تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 1/309، وانظر: الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسير التفاسير لكتاب العلي الكبير،  
مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5 1424هـ، ج 1، ص 85.

<sup>3</sup> زهرة التفاسير 1/324، وانظر: الرابع، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلات للدراسات والترجمة والنشر - حلب،  
ط 1422هـ، ص 313، ومن بلاغة القرآن ص 52، وتفسير الشعراوي - الخواطر 1/477.

<sup>4</sup> انظر: ص 202.

ولعلّ هذا الرأي هو الأقرب للصواب، والأبين للحق والأوضح لمراد الله. وذلك لاعتبارات الآتية:

1. إنّ من قواعد التفسير تقليل المقدّر مهما أمكن؛ ليقلّ مخالفة الأصل<sup>(1)</sup>. فإذا كان الأصل واضحًا بيّنًا غير مشكل في معناه ولا توجد قرينة تدلّ على مقدّر مذوف؛ فإنّه لا يُلْجأ عندها إلى التقدير. فلما كانت كلمة ﴿حَيَاة﴾ واضحة الدلالة؛ فإنّها تبقى على ظاهرها، دون اللجوء إلى مقدّر مذوف يبعدها عن معناها الظاهر. ولما كان اعتماد الفريق الأوّل القائل إنّها بمعنى طول حياة، أو حياة متطاولة على تقدير مذوف: إمّا مضاف نحو: طول حياة، أو صفة: نحو حياة متطاولة، فلنا لا داعي للتقدير؛ لأنّ المعنى واضح جليّ.

قال أبو حيان (ت 745هـ) في البحر المحيط: ﴿عَلَى حَيَاة﴾: قدّروا فيه أنّه على حذف مضاف، أي على طول حياة، أو على حذف صفة، أي على حياة طويلة، ولو لم يُقدّر حذف لصّح المعنى<sup>(2)</sup>.

وأيّدَه بذلك السّمِينُ الْحَلَبِيُّ (ت 756هـ) في الدر المصنون بقوله: "وقيل: إن ذلك على حذف مضاف تقديره: على طول حياة، والظاهر أنّه لا يحتاج إلى تقدير صفة و لا مضاف " <sup>(3)</sup>.

2. إنّ الغرض من التّكير إنّما يُستفاد من السياق كما بيّنًا سابقاً<sup>(4)</sup>، فلما كان سياق الآيات إنّما هو على سبيل الذّمّ لليهود، وصنعيهم، ناسب ذلك أن يكون التّكير بمعنى التّحقيق.

3. إنّ العام<sup>(5)</sup> لا يُقيّد إلّا بمقيد، أو قرينة تدلّ عليه، ولمّا لم يكن شيء من ذلك بقي العام على عمومه. فكلمة حياة عامّة مطلقة تبقى على إطلاقها، وعمومها لعدم وجود مقيد لها. وأمّا من قيّدها بنوع مخصوص وهو طول الحياة فقط، فهذا مما لا دليل عليه.

4. يُورِدُ الكتاب المبين الألفاظ موارد حساسة، فلا تراها قاصرة على المعنى المتّبادر منها للبال عادة، بل تتّسع دلالتها حتى توحّي لك بمعنى أجلّ وأدقّ. خذ كلمة "حياة" أنت تشعر بأنّ كلمة "حياة" قد عبرت بدقة مرهفة عن حرص أولئك اليهود على أدنى قدر ممكّن من الحياة، ومهما

<sup>1</sup> السّبّت، خالد بن عثمان، مختصر في قواعد التفسير، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط 1426هـ، ص 12.

<sup>2</sup> البحر المحيط / 1.502.

<sup>3</sup> الدر المصنون / 2.11.

<sup>4</sup> انظر: ص 204-205.

<sup>5</sup> المراد العموم البديلي لا العموم الشمولي، وهو من أوصاف المطلق.

كان يسيراً خاوياً من آيَةٍ قيمةٍ كريمة، فَأَثَارَ ورودها بالتنكير معنى التَّحْقِيرِ، وأفادت بالتألي أنَّ اليهود أَشَدُ حرصاً على الحياة المتطاولة من باب أولى، فَعَبَرَتْ كَلْمَةً "حَيَاةً" في هذا المورد بِأَنَّ وَاحِدِ عن ضَالَّةٍ قيمةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَشَدَّةَ تَكَالِبِ الْيَهُودِ عَلَيْهَا<sup>(1)</sup>.

من هنا يتبيَّن لنا أهميَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالقواعدُ النَّحْوِيَّةُ في توجيهِ المعنى لِلآياتِ القراءَنِيَّةِ ومِرَادِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْهَا؛ إِذْ لَا يُسْتَطِعُ المفسِّرُ الغوصَ فِي غُمَارِهَا، وَمَعْرِفَةُ كُنْهِهَا إِلَّا مِنْ خَلَالِ امتلاكِ قواعدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَعْرِفَةِ أَسَاسِيَّاتِهَا، وَلَعَلَّ الآيَةُ الَّتِي نَحْنُ فِي صَدِّهَا أَدَلُّ دَلِيلٍ، وَأَكْبَرُ بَرهانٍ عَلَى ذَلِكَ، كَيْفَ لَا؟! وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ الَّتِي أَجْلَتَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ، وَالْمِرَادُ مِنَ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي بَيَانِ مَعْنَى ﴿حَيَاةٍ﴾، وَكَيْفَ أَنَّهَا كَشَفَتْ عَنْ حَقِيقَةِ يَهُودٍ فِي مَدِى تَمْسُّكِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَنَّهَا غَالِيَةٌ عِنْهُمْ كُلَّ الْغَلَاءِ، بِصِرْفِ النَّظَرِ عَنْ تَلْكَ الْحَيَاةِ رَفِيعَةٌ، أَمْ وَضِيعَةٌ، عَزِيزَةٌ، أَمْ حَقِيرَةٌ، مَعْ عِلْمِهِمْ عِلْمُ الْيَقِينِ مَا يَعْتَرِيَهُمْ مِنْ طُولِ أَعْمَارِهِمْ مِنْ كَدَّرٍ، وَهُمْ وَغَمْ إِلَّا أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ لَهُمْ مَمَّا يَنْتَظِرُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، لَا سِيَّما وَأَنَّهُمْ يَؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

<sup>1</sup> عَنْ، حَسَنِ ضِيَاءِ الدِّينِ (ت 1432هـ)، بِيَنَاتِ الْمَعْجَزَةِ الْخَالِدَةِ، دَارُ النَّصْرِ، حَلْبَ، ط 1975م، ص 253، وانظر: يَاسُوفُ، أَحْمَدُ، جَمَالِيَّاتُ الْمَفْرَدَةِ الْقَرَاءَنِيَّةِ، دَارُ الْمَكْتَبِيِّ، دَمْشَقُ، ط 2 1419هـ، ص 246.

المبحث الثاني: أثر القواعد البلاغية في الاختيارات التفسيرية عند ابن بدران في سورتي الفاتحة والبقرة حتى الآية 189.

### المسألة الأولى:

أثر الحقيقة والمجاز في مفهوم (المرض) في قوله - تعالى - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ

﴿ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: 10] :

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى -: " ولشبيه هذا المعنى يرمي قول ابن عباس: " في قلوبهم مرض" ، المرض: النفاق، وقول جمع من الصحابة: في قلوبهم شك، وقد لاح لك مما قدمناه، أننا حملنا المرض في الآية على حقيقته، وهو الموافق لبلاغة القرآن الكريم"<sup>(1)</sup>.

يظهر من كلام ابن بدران أنه حمل المرض على معناه الحقيقي وهو الوجع، والألم، والضعف، والفتور.

وقد اختلف العلماء في حمل المرض في قوله - تعالى - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: 10] هل هو على الحقيقة أم على المجاز؟! وللوقوف على القول الراجح في هذه المسألة، وبين مراد الله من ذكر المرض في كتابه العزيز، لا بد من تعريف المرض، وذكر أنواعه، وحالات وروده في القرآن:

قال ابن فارس (ت 395هـ): "(مَرِضٌ): الميم، والراء، والضاد، أصل صحيح؛ يدلّ على ما يخرج من الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان، منه العلة"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 72.

<sup>2</sup> ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج 5، ص 311، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 197/1.

وقال أبو هلال العسكري (ت 395هـ)<sup>(1)</sup>: "المرض أصله من الضعف، ومنه قيل: (امرأة مريضة للأحاظ، والنظر أي: ضعيفتها)، وسمى المرض مرضًا لأنَّه يُضعف الجسم، ومنه قيل: مرض في القول؛ إذا ضعف قوله، والتمريض: القيام على المريض"<sup>(2)</sup>.

وقال الأصفهاني (ت 502هـ): "المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان"<sup>(3)</sup>.

وقال ابن منظور (ت 711هـ): وقال "ابن الأعرابي: أصل المرض النقصان، وهو بدن مريض: ناقص القوة، وقلب مريض: ناقص الدين"<sup>(4)</sup>.

وقال مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ): "وقال ابن دريد: المرض: السقم، وهو نقىض الصحة، يكون للإنسان، و البعير، وهو اسم للجنس"<sup>(5)</sup>.

وقال أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): "المرض: مصدر مَرِضَ، ويطلق في اللغة على الضعف والفتور، ومنه قيل فلان يُمْرِضُ الحديث أي يُفسده ويُضعفه، وقال ابن عرفة: المرض في

<sup>1</sup> الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (معجم) في اللغة، و (جمهرة الأمثال) و (الحث على طلب العلم) رسالة، و (كتاب الصناعتين: النظم والنثر) و (شرح الحماسة) و (الأوائل) رسالة و (الفرق بين المعاني) و (العمدة) و (ديوان شعره) و (الغروف) في اللغة، و (ديوان المعاني). وهو ابن أخت أبي أحمد (الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري) وتلميذه قال ياقوت: أما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أنني وجدت في آخر كتاب (الأوائل) من تصنيفه: (وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء عشر خلت من شعبان سنة خمس وسبعين وثلاثة). انظر: الأعلام للزركي 196/2.

<sup>2</sup> أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت 395هـ)، *الوجوه والظواهر*، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1428هـ، ص 448. وانظر معاني القرآن للناس 1/91.

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق بيروت، ط 1412هـ، 1/765، وانظر: تفسير الراغب الأصفهاني 1/98، والفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، سنة النشر (ج 4 1412هـ - ج 2 1416هـ)، ج 4، ص 492، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/45، وتفسير القرآن الكريم لابن القيم 1/115.

<sup>4</sup> لسان العرب، مادة مرض 7/232، وناتج العروس، باب مرض 19/55.

<sup>5</sup> مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت 1205هـ)، ناتج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، حقق الجزء التاسع عشر عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت 1400هـ، باب مرض، ج 19، ص 53. ولسان العرب مادة (مرض) 7/231.

القلب: الفتور عن الحق، وفي البدن: فتور الأعضاء، وفي العين: فتور النظر. وقيل: المرض: الفساد، وقال أهل اللغة: المرض، والألم، والوجع نظائر<sup>(1)</sup>.

وقال محمد رشيد رضا (ت 1354هـ): "إن المرض في أصل اللغة: خروج البدن عن اعتدال مزاجه، وصحة أعضائه فيختل به بعض وظائفها، وأعمالها، وتعرض الآلام لها"<sup>(2)</sup>.

ولا يقتصر المرض على الأبدان فحسب؛ وإنما يكون في الدين كذلك؛ كما بين ذلك الزجاج (ت 311هـ) بقوله: "وقد يقال: السقم، والمرض في البدن، والدين جمياً، كما يقال: الصحة في البدن، والدين جمياً"<sup>(3)</sup>.

والمرض نوعان:

**الأول: المرض الجسمي:** وهو ما يصيب أعضاء الجسم؛ فيضعفها، ويخل في أداء وظائفها، وهو المذكور في قوله - تعالى - ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَغْرَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ [النور: 61]، قوله - تعالى - ﴿ لَيْسَ عَلَى الصُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الْذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبه: 91]، قوله - تعالى - ﴿ وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ [النساء: 43]، قوله - تعالى - ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ [البقرة: 184].

**الثاني: المرض النفسي:** وهو ما يصيب القلب فيعمل على الإخلال بصفاته الخلقية: كالجهل والبخل، والجبن، والحسد، وسائر الرذائل الخلقية، وهو المذكور في قوله - تعالى - ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ﴾.

<sup>1</sup> البحر المحيط 1/87، وانظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش 1/31، وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن سعد (ت 751هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعرفة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج 1، ص 16. والتحrir والتور لابن عاشور 1/279، وفتح القدير للشوکانی 1/49، ومحاسن التأويل للقاسمي 250/1.

<sup>2</sup> تفسير المنار 1/130، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم 1/38.

<sup>3</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/86، وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبرى 1/278.

مَرَضٌ ﴿الأحزاب: 32﴾، قوله - تعالى - : ﴿أَفَ قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُهُمْ﴾ [النور: 50]، قوله -

تعالى - : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدُوهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: 125].<sup>(1)</sup>

فَكُلُّ المرض في القرآن الكريم ورد على وجهين: مرض البدن، مرض القلب، وهما مذكوران

في القرآن<sup>(2)</sup>، فالآيات التي جاء فيها ذكر مرض البدن إنما هي آيات الأحكام<sup>(3)</sup> للتخفيف على

المريض مما أصابه من الضعف، والوهن، كآية التيمم في قوله - تعالى - : ﴿وَإِن كُنْتُمْ

مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَäاطِ أَوْ لَمْسَتْهُ الْمُسَäاءَ فَمَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَبَرَّمُوا

صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 6]، وآية الصيام في قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ

عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخْرَ﴾ [البقرة: 185]، وآية الجهاد في قوله - تعالى - : ﴿لَيَسْ

عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: 91].

وأمّا الآيات التي ورد فيها مرض القلب، أو القلوب؛ فجاءت لبيان خروج ذاك القلب عن صحته،

واعتداله.

### ومرض القلوب في القرآن على ضربين:

الأول: مرض الشبهات الباطلة: كالكفر، والتفاق، والشكوك، والبدع. في مثل قوله - تعالى - : ﴿وَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدُوهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: 125]، قوله - تعالى - : ﴿أَفَ

قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُهُمْ﴾ [النور: 50].

<sup>1</sup> انظر: تفسير الراغب الأصفهاني 1/98، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 1/765، وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، نزهة الأعين اللؤاظر في علم الوجوه والنطائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان، بيروت، ط 1404هـ، ص 544-546، ومحasan التأويل للفاسمي 43/5.

<sup>2</sup> انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن سعد (ت 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27 1415هـ، ج 4، ص 5.

<sup>3</sup> انظر: بنت الشاطئ، عاشة محمد على عبد الرحمن (ت 1419هـ)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط 3، ص 578.

**الثاني:** مرض الشهوات والغيّ: كالّزنا، ومحبة الفواحش، والمعاصي، وفعلها في مثل قوله - تعالى:

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32].<sup>(1)</sup>

ثم إنَّ الآيات التي ورد فيها ذكر مرض القلب، أو القلوب قد انصرف عن أصل معناها الحقيقي في عجزها عن أداء واجبها نحو الجسم من تغذيته، بالدم وتنقيتها من الشوائب<sup>(2)</sup> إلى الدلالة المجازية في الأعراض النفسانية التي تخل بكمال أفعالها مما يعرض عليها من شبهات، وشك، وشهوات، وغيّ، مما لا تعلق له بصحة الأبدان<sup>(3)</sup>.

نستنتج من ذلك أنَّ المرض في القرآن جاء على الحقيقة والمجاز.

**أمَّا الحقيقة:**

فهي كما عرفها الجُرجاني (ت 471هـ) في أسرار البلاغة بقوله: "كُلُّ كُلْمَةٍ أُرِيدَ بِهَا مَا وقَعَتْ لَهُ فِي وَضْعٍ وَاضْعِي – إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: فِي مَوَاضِعٍ، وَقَوْعًا لَا تَسْتَدِّ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ، وَهَذِهِ عَبَارَةٌ تَنْتَظِمُ الْوَضْعَ الْأَوَّلَ، وَمَا تَأْخُرُ عَنْهُ، كَلْغَةٌ تَحْدُثُ فِي قَبِيلَةِ الْأَرَبِ، أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَرَبِ، أَوْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَثَلًا".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القمي 5/4، وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن سعد (ت 751هـ)، الطب النبوى، دار الهلال - بيروت، ج 1، ص 15، والتلچي، شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله (ت 838هـ)، الفلاحة والمفلوكون، مطبعة الشعب، مصر، 1322هـ، ص 51. والدر المنثور في التفسير بالتأثر للسيوطى 6/599، ومحاسن التأويل للقاسمي 43/5، والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان، تحقيق عبد الرحمن بن معاذا التويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1420هـ، ص 42، وأضواء البيان 5/290، والمنياوى، أبو المنذر محمد بن محمد بن مصطفى، الأساليب والإطلاقات العربية، المكتبة الشاملة - مصر، ط 1432هـ، ص 96.

<sup>2</sup> انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت 1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط 1413هـ، ج 2، ص 310.

<sup>3</sup> انظر: الإعجاز البياني للقرآن لبني الشاطئ 1/578، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للمطعني 2/310، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم 1/38، والكشف للمخشري 1/59، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى 1/45، والسراج المنير للشرييني 1/23، وتفسیر المنار 1/130، والتحریر والتؤیر 1/279، والتفسير الوسيط للطنطاوى 1/56، وزهرة التفاسير 1/126، وفتح البيان 1/92، وغَائِبُ القرآن 1/164.

<sup>4</sup> الجُرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة، دار المدنى بجدة، ط 1412هـ، ص 350.

وقال الخطيب القزويني (ت 739هـ)<sup>(1)</sup>: "الحقيقة: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب، فقولنا: (المستعملة) احتراز عمّا لم يستعمل؛ فإنَّ الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة، وقولنا: (فيما وضعت له) احتراز عن شيئين: أحدهما: ما استُعمل في غير ما وضعت له غلطًا، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك: خذ هذا الكتاب، مشيرًا إلى كتاب بين يديك، فغلطت فقلت: خُذْ هذا الفرس، والثاني...".<sup>(2)</sup>

### وأمًا المجاز:

فقد عرَّفه الجرجاني (ت 471هـ) بقوله: "واعلم أنَّ المجاز على ضربين: مجازٌ من طريق اللغة، ومجازٌ من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المُفردة كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجازٌ في الإنسان، وكلٌّ ما ليس بالسبعين المعروفة، كان حُكمًا أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة؛ لأنَّا أردنا أنَّ المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة، وأوقعها على غير ذلك: إمَّا تشبيهاً، وإمَّا لصلةٍ، وملابسةٍ بين ما نقلها إليه، وما نقلها عنه. ومتنى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازًا من طريق المعقول دون اللغة؛ وذلك لأنَّ الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل، لا يصحُّ ردُّها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها؛ لأنَّ التأليف: هو إسنادٌ فعلٌ إلى اسم، واسم إلى اسم، وذلك شيءٌ يحصلُ بقصد المتكلم".<sup>(3)</sup>

وقال - أيضًا -: "كلَّ كلمة جُرِّبت بها ما وقعتْ به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً؛ لمحاجحة بين ما تجُوزُ بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعت له في وضعٍ واضعيها فهي مجاز".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> هو مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجي: قاض، من أباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولد القضاة في ناحية بالروم، ثم قضاة دمشق سنة 724هـ فقضاء القضاة بمصر (سنة 727هـ) وفاته السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة 738هـ ثم ولاد القضاة بها، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و(الإيضاح) في شرح التلخيص، و(السور المرجانى من شعر الأرجانى). وكان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً، كثير الفضائل. انظر: الأعلام للزركلي 192/6.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1424هـ، ص202-203، وانظر: المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3 1414هـ، ص247.

<sup>3</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص408.

<sup>4</sup> المرجع السابق ص352.

وعرّفه السّيّدُ أَحْمَدُ الْهَاشِمِيُّ (ت 1362هـ)<sup>(1)</sup> في جواهر البلاغة بقوله: "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب؛ لعلاقةٍ مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي،"<sup>(2)</sup>.

### والمجاز ضربان:

مرسل، واستعارة؛ لأنَّ العلاقة المصححة إنْ كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلا فهو مرسل.<sup>(3)</sup>

فالاستعارة كما عرّفها الجرجاني (ت 471هـ) بقوله: "اعلم أنَّ الاستعارة في الجملة، أنْ يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختصَّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم، فيكون هناك كالعارضية".<sup>(4)</sup>

وعرّفها الخطيب القزويني (ت 739هـ) بقوله: "فالاستعارة: ما تضمنَ تشبيه معناه بما وضع له".<sup>(5)</sup>

وعرّفها السّيّدُ أَحْمَدُ الْهَاشِمِيُّ (ت 1362هـ) في جواهر البلاغة بقوله: "الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المال: إذا طلبه عارية. واصطلاحاً: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له؛ علاقة (المتشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي".<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: أديب معلم مصري، من أهل القاهرة، ووفاته بها. كان مديرًا لثلاث مدارس أهلية، واحدة للذكور واثنتان للإناث، تتلمذ للشيخ محمد عبده، وصنف كتاباً منها (أسلوب الحكم) مجموع مقالات، و (جواهر الأدب) و (جواهر البلاغة) و (ميزان الذهب) و (مخترق الأحاديث النبوية). انظر: الأعلام للزركلي 90/1.

<sup>2</sup> جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي، ص 251.

<sup>3</sup> الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص 205.

<sup>4</sup> العارية بتشديد الياء، وجمعها "عواري" بتشديد الياء أيضاً فإنها منسوبة إلى "العار"؛ لأن طلبها عارٌ وعيب، ويقال لها: "العار" أيضاً، وهو اسم من "الإعارة"، يقال: "أعرته الشيء إعارة وعارة"، كما قالوا: أطعنه إطاعة وطاعة، والذي في المخطوط "كالعار"، وهذا سوء، انظر أسرار البلاغة للجرجاني ص 30 هامش رقم (1).

<sup>5</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص 30.

<sup>6</sup> الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص 213.

<sup>7</sup> جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي، ص 258.

والمجاز أعمٌ من الاستعارة<sup>(1)</sup>. وتوضيحه أنَّ كُلَّ استعارة مجاز، وليس كُلَّ مجاز استعارة<sup>(2)</sup>، " والاستعارة: ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتنسقُّ في الأفهام، والأذهان، لا الأسماء، والآذان"<sup>(3)</sup>.

ثم إنَّ الاستعارة تُعدُّ مجازاً لغوياً لا عقلياً، وهذا ما ذهب إليه الجمهور، كما بين ذلك المراغي ت 1371هـ بقوله: "يرى الجمهور أنَّ الاستعارة مجاز لغوي وأبيه الإمام في "أسرار البلاغة"، وحاجتهم على ذلك لأنَّ إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع؛ فإنَّا لا ندعُ له صورة الأسد، وشكله، وعَبَالَة<sup>(4)</sup> عنقه، ومُخالبه، ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة التي تبدو للعيون، وتشاهد بالحواس، وإنما ندعُ له ذلك من أجل اختصاصه بالشجاعة التي هي من أخصّ أوصاف الأسد وأمكنها"<sup>(5)</sup>.

بمعنى أنَّ الاستعارة مجاز لغوي؛ لكونها موضوعة للمُشبِّه به، لا للمُشبَّه، ولا لأمر أعمَّ منها<sup>(6)</sup>.

"وليس الاستعارة مختصة بالشعر، وإنما هي: ضرب من البديع يتسع في النثر كاتساعه في النظم، وقد كثُر ذلك في القرآن، فمنه استعارة الجناح للذلِّ في قوله - تعالى - موصيًّا للولد بوالديه - : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، أراد: لِنْ لهما من مبالغتك في الرحمة جانبك متذللاً"<sup>(7)</sup>.

"فالاستعارة تتضمن من زيادة الفائدة ما لا تتضمنه الحقيقة، ولو لا ذلك كان استعمال الحقيقة أولى"<sup>(8)</sup> وأنواعها ثلاثة: تصريحية، ومكنية، وتخيلية.<sup>(9)</sup>

<sup>1</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص29، وانظر: أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ص286.

<sup>2</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص398.

<sup>3</sup> المرجع السابق ص20.

<sup>4</sup> عَبْلُ: الضَّحْمُ مِنْ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ عَبْلُ، بِالضَّحْمِ، عَبَالَةً، انظر: لسان العرب - فصل العين المهملة 420/11.

<sup>5</sup> علوم البلاغة للمراغي ص263، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرزوني ص216-218، وحيثَّة، عبد الرحمن بن حسن الميداني المشقي (ت 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1416هـ، ج2، ص233-235، والصعيدي عبد المتعال (ت 1391هـ)، بغية الإيضاح لتأخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط1426هـ، ج3، ص484.

<sup>6</sup> انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرزوني ص216.

<sup>7</sup> أمالى ابن الشجري، 1 / 342 .

<sup>8</sup> المرجع السابق 1/344.

<sup>9</sup> جواهر البلاغة للهاشمي ص261.

فالْمُسْتَقْرِي لِكَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَشْعَارِهِ يَجْدُهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَجازِ، وَالْاسْتِعْرَاتِ؛ لِأَنَّهَا أَبْلَغَ مِنْ الْحَقِيقَةِ، كَمَا بَيْنَ ذَلِكَ الطَّالِبِي (ت 745هـ) بِقَوْلِهِ: "اَعْلَمُ أَنَّ اَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ وَجَهَابِذَةَ اَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَطْبَقُونَ عَلَى أَنَّ الْمَجازَ فِي الْاسْتِعْمَالِ أَبْلَغَ مِنْ الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّهُ يُلْطِفُ الْكَلَامَ، وَيُكْسِبُهُ حَلاوةً، وَيُكْسُوُهُ رِشَاقةً" <sup>(1)</sup>. وَقَالَ - أَيْضًا -: "اَعْلَمُ أَنَّ اَرْبَابَ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ مَتَقْفُونَ عَلَى أَنَّ الْمَجازَ أَبْلَغَ مِنْ الْحَقِيقَةِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى، وَعَلَى أَنَّ الْاسْتِعْرَةَ أَقْوَى مِنَ التَّصْرِيفِ، وَأَنَّ الْكَنَاءَ أَدْخُلَ فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى مِنْ تَلِكَ الصَّرَائِحِ الْمَوْضِوِعَةِ" <sup>(2)</sup>.

فَهَذِهِ مَقْدِمَةٌ وَجِبْزَةٌ جَعَلْتُهَا بَيْنَ يَدِي الْمَسْأَلَةِ الَّتِي نَحْنُ بَصَدِّهَا؛ لِبَيَانِ وَجْهِ الْحَقِّ فِيهَا، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البَقْرَةُ: 10]؛ لِيَتَمَكَّنَ الْبَاحِثُ مِنَ التَّرْجِيحِ فِيهَا عَلَى بَصِيرَةِ وَلِيَحِيَا مِنْ حَيٍّ عَلَى بَيِّنَةٍ. وَلَذِلِكَ، فَإِنَّ مِنَ الْأَهْمَيَّةِ بِمَكَانِ عَرْضِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَبِبَيَانِ أَدْلَتِهِمْ، وَتَرْجِيحاَتِهِمْ.

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانُ:

الْأَوَّلُ: قَالُوا إِنَّ مَفْهُومَ الْمَرْضِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البَقْرَةُ: 10]، يَبْقَى عَلَى مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ: وَهُوَ الْأَلَمُ، وَالْوَجْعُ، وَالْعَسْفُ، وَالْفَتْرُ.

وَبَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ الْأَلْوَسِيِّ (ت 1270هـ) - مَعَ دُمَّتِيَّةِ لَهُذَا الْقَوْلِ - فِي تَقْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: "وَلَا مَانِعٌ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَنْ يُحْمَلَ الْمَرْضُ عَلَى حَقِيقَتِهِ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ" ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ أَهُوَ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النُّورُ: 40]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ﴾ [البَقْرَةُ: 257]، وَكَذَا عَلَى الْأَلَمِ؛ فَإِنَّ فِي قُلُوبِ أُولَئِكَ أَلْمًا عَظِيمًا بِوَاسِطَةِ شُوَكَةِ الْإِسْلَامِ وَانْتِظَامِ أَمْرِهِمْ غَايَةِ الْاِنْتِظَامِ فَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مُحْتَمَلَةٌ لِلْمَعْنَيَيْنِ" <sup>(3)</sup>.

وَقَدْ أَطْلَطَ النَّظَرُ، وَالْبَحْثُ فِي أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْلُّغَةِ، وَالْبَلَاغَةِ، وَالتَّقْسِيرِ مَمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَلَمْ أَجِدْ - عَلَى حَسْبِ اطْلَاعِي - مَنْ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ غَيْرَ صَاحِبِ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ (ت

<sup>1</sup> الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز 6/2.

<sup>2</sup> المرجع السابق 1/156، وانظر: مفتاح العلوم للسكاكى 1/412، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة 3/555.

<sup>3</sup> روح المعاني 1/151.

606هـ)، وتبعه صاحب جواهر الأفكار ابن بدران (ت 1346هـ)<sup>(1)</sup>، وصاحب زهرة التفاسير محمد ابن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ).

إذ يقول الرازى (ت 606هـ) في تفسيره - بعد أن ذكر وجوه تأويل المرض - : " الخامس: أن يُحمل المرض على ألم القلب؛ وذلك أن الإنسان إذا صار مُبتلى بالحسد، والتفاق، ومُشاهدة المكروه، فإذا دام به ذلك فربما صار ذلك سبباً لغير مزاج القلب وتلّمه، وحمل اللفظ على هذا الوجه حمل له على حقيقته، فكان أولى من سائر الوجوه"<sup>(2)</sup>.

وقال أبو زهرة (ت 1394هـ) في تفسيره - عند تفسير قوله - تعالى - : "في قلوبهم مرض" - : "إطلاق كلمة مرض هنا، يصح أن يكون من قبل الحقيقة<sup>(3)</sup>؛ لأنَّ المرض هو ما يؤذى النفس، ويلقي بها الضعف، وليس ذلك مقصراً على المرض الذي يصيب الجسم؛ بل هو يشمل ما يصيبه في أعصابه: كالجنون الذي يستر العقل، وكالعَتَه الذي يمنع الإدراك، وكالسُّفَه الذي لا يدرِي النفع من الضرر، فهذه كلها أمراض، وتعُدُّ في اللغة أمراضًا. كذلك مرض التفاق الذي يصيب النفوس باللوهن، والحيرة، والحدق، والبغض لخير الناس، وأن يكون صاحب هذا المرض غير مستقر بل هو في بلبال مستمر، تزداد حاله كلما تمكَّن فيه هذا الداء، وهو ساكن في النفس لا تخرج مظاهره، وكلما استتر، واستكَنَ ازداد قوَّةً وإيغالاً في النفس حتى يصعب علاجه؛ فإذا كان الكذب المجرد قد يعالج، فالتفاق مرض لا علاج له"<sup>(4)</sup>.

ومع أنهما - أي ابن بدران وأبو زهرة - تبنّياً هذا الرأي إلا أنهما جوّزا القول بالمجاز؛ قال ابن بدران (ت 1346هـ) في تفسيره: "ولا مانع من أن يُحمل المرض على معناه المجازي؛ فتجعله استعارة لبعض أمراض القلب: كسوء الاعتقاد، والغلُّ، والحسد، والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الجبن، والضعف، وغير ذلك مِمَّا هو فساد وآفة، شبّهه بالمرض، كما استعيرت الصّحة، والسلامة في ضد هذه المذكورات"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: ص 211.

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب 2/ 305.

<sup>3</sup> في الأصل الحقيق.

<sup>4</sup> زهرة التفاسير 1/ 125-126.

<sup>5</sup> جواهر الأفكار ص 72.

وقال أبو زهرة (ت 1393هـ) في المعجزة الكبرى القرآن: " ومن الاستعارة: التعبير عن النفاق بالمرض، وإن ذلك كثير في القرآن، ومنه قوله - تعالى - في وصف المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الظَّالِمُونَ فَمَا تُؤْمِنُوا فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشُونَ﴾ [آل عمران: 124] - [النوبة: 125]، وفي الآيتين الكريمتين نجده - سبحانه وتعالى - عَبَرَ عن النفاق بالمرض؛ وذلك للتشابه بين مرض الأجساد، والنفاق، فهو يفسد القلوب، والعقول، والمدارك، كما يفسد المرض الأجساد ويضعف الحركات، وقد يشلُّها، ومعه الوهن دائماً<sup>(1)</sup>.

وارد أبو زهرة (ت 1493هـ) بالمجاز من باب تشبيه النفاق بالمرض الذي لا يُرجى بُرُوهُ، بقوله: " وكان يراد المجاز بتشبيه النفاق بالمرض الذي لا يشفى، ومرض النفاق فساد القلب"<sup>(2)</sup>. وأما القول الثاني: فقالوا: إنَّ مفهوم المرض في قوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، يُحْمَلُ على معناه المجازي فيما يُعرض على القلب من الشبهات الباطلة كالشك، والنفاق. وقد بيَّن السمعاني (ت 489هـ) في تفسيره أنَّ هذا القول هو إجماع المفسرين، بقوله: " قوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، أراد بالمرض: الشك، والنفاق بإجماع المفسرين، ويوصف القلب، والدين بالمرض، والصحة كما يوصف البدن به"<sup>(3)</sup>.

وسبقه في ذلك الواحدي (ت 468هـ) في تفسيره بقوله: " قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، قال ابن عباس، وابن مسعود، والحسن، وقتادة وجميع المفسرين: أي: شك ونفاق"<sup>(4)</sup>. وكأن من حكى الإجماع لم يعتد بقول من قال: إنَّ المقصود الزنا؛ فقد أورد ابن أبي حاتم (ت 327هـ) في تفسيره رواية عن عكرمة في تأويل ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] قال: الزنا<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة، ص 279.

<sup>2</sup> زهرة التفاسير 1/126.

<sup>3</sup> تفسير القرآن 1/48.

<sup>4</sup> الوسيط في تفسير القرآن المجيد 1/87.

<sup>5</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم 1/43.

قال الباحث: والظاهر أنَّه حصل وَهُمْ في هذه الرواية؛ إِمَّا مِنْ ابن أبي حاتم، أو النسخ عنه في معنى المرض في قوله - تعالى - : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] ، لاعتبارات الآتية:

1. وذلك لأنَّ ابن أبي حاتم ذكر أنَّ عكرمة مَمْنَن قالوا في تأویل قوله - تعالى - : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] يعني الشَّكَّ.

قال - رحمة الله - في تفسيره: " حدثنا عاصم بن رواد بن الجراح العسقلاني، ثنا<sup>(1)</sup> آدم بن أبي إِياس، ثنا أبو جعفر الرازبي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، يقول الله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني الشَّكَّ. قال أبو محمد<sup>(2)</sup>: وكذا رُوي عن مجاهد، والحسن، وعكرمة، والرَّبيع بن أنس، والسدِّي، وفتادة<sup>(3)</sup>. وقال - أيضاً - : " حدثنا محمد بن يحيى ثنا أبو غسان محمد بن عمرو، ثنا سلمة، عن محمد بن إِسحاق قال: فيما حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: في قلوبهم مرض: أي شَكٌ<sup>(4)</sup>".

2. روى الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره: " حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إِسحاق، عن محمد بن أبي محمود مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10]: أي شَكٌ<sup>(5)</sup>".

3. روى الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره: " حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَيَطَّمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32] ، قال: عكرمة: شهوة الزَّنا<sup>(6)</sup>".

<sup>1</sup> هي اختصار لكلمة (حَدَّثَنَا)، وهو مصطلح معروف لدى علماء الحديث.

<sup>2</sup> وهو عبد الرحمن محمد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازبي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنطة بالري، وإليهما نسبته، ولد سنة 240هـ وتوفي سنة 327هـ، له تصانيف منها (الجرح والتعديل)، و(التفسير)، و(الرد على الجهمية)، و(علل الحديث والمسند)، وغيرها كثیر. انظر: الأعلام للزرکلی 3/324.

<sup>3</sup> تفسير القرآن العظيم 1/43.

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1/43.

<sup>5</sup> جامع البيان للطبرى 1/280.

<sup>6</sup> المرجع السابق 20/258.

وروى ابن أبي حاتم (ت 327هـ) في تفسيره عند تأويل قوله - تعالى -: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32] : "عن عكرمة - رضي الله عنه - في قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ قال: شهوة الزنا"<sup>(1)</sup>.

فيكون تأويل المرض عن عكرمة في قوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] : الشك والنفاق، وفي قوله - تعالى -: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32] ، الزنا؛ لذلك فإن حمل المرض على الزنا في آية البقرة لا وجه له، ولا يثبت عن عكرمة.

ولاشك أن سياق الآية ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، يشهد لقول من حكم الإجماع، وكذلك الآية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [التوبه: 125]، فالمعنى بالمرض فيها مرض النفاق الاعتقادي، المخرج من الملة؛ ولذلك قال في آخرها: ﴿وَمَا تُؤْتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبه: 125]<sup>(2)</sup>.

وبيّن الطبرى (ت 310هـ) في تفسيره أن هذا القول هو ظاهر قول المفسرين بقوله: "والمرض الذي ذكر الله - جل ثناؤه - أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكهم في أمر محمد، وما جاء به من عند الله، وتحيزهم فيه؛ فلا هم به موقون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم، كما وصفهم الله - عز وجل - مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما يقال: فلان يمرض في هذا الأمر: أي يضعف العزم ولا يصحح الرواية فيه. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك، تظاهر القول في تفسيره من المفسرين"<sup>(3)</sup>.

ثم إن المتبع لأقوال المفسرين الذين جاؤوا بعد من نقل الإجماع ممن ذكرنا آنفاً يجد أنهم لم يخالفوا قول إجماع السلف في تأويل الآية إلا من ذكرنا ممن قال بالقول الأول - حسب اطلاع الباحث -.

<sup>1</sup> تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 3130/9.

<sup>2</sup> انظر: ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد (ت 792هـ)، تفسير ابن أبي العز، جمع ودراسة شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 1423هـ، ج 1، ص 30، هامش رقم (8).

<sup>3</sup> جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى 279/1-280.

قال أبو بكر الأنصاري (ت 328هـ): "قال الله - عز وجل - في قلوبهم مرض فزادهُم الله مرضًا" [البقرة: 10] فمعناه: الشك والنفاق<sup>(1)</sup>.  
وقال بذلك النحاس (ت 338هـ) في معاني القرآن<sup>(2)</sup>، والأزهري (ت 370هـ) في تهذيب اللغة<sup>(3)</sup>،  
وابن فارس (ت 395هـ) في معجم مقاييس اللغة بقوله: "والنفاق: مرض في قوله - تعالى: في قلوبهم مرض" <sup>(4)</sup>، والراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في المفردات في غريب القرآن<sup>(5)</sup>، وابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب بقوله: "المرض والمرض: الشك، ومنه قوله - تعالى: في قلوبهم مرض" <sup>(6)</sup>: أي شك ونفاق<sup>(7)</sup>، والسيوطى (ت 911هـ) في المزهر في علوم اللغة وأنواعها<sup>(8)</sup>.  
وذهب إلى هذا القول أكثر اللغويين والبلغيين<sup>(9)</sup>.  
وقال الألوسي (ت 1270هـ): "المنقول عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاحد، وفتادة،  
وسائل السلف الصالحة حمل المرض في الآية على المعنى المجازي"<sup>(10)</sup>.

<sup>1</sup> أبو بكر الأنصاري، محمد بن القاسم بن محمد بن شمار (ت 328هـ)، الظاهر في معاني كلام الناس، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1412هـ، ج 1، ص 475.

<sup>2</sup> انظر: معاني القرآن للنحاس / 1-90.

<sup>3</sup> انظر: تهذيب اللغة / 12- أبواب الصد والراء.

<sup>4</sup> معجم مقاييس اللغة / 5-311.

<sup>5</sup> انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني / 1-765.

<sup>6</sup> لسان العرب / 7-232 مادة مرض.

<sup>7</sup> المزهر في علوم اللغة وأنواعها / 1-352.

<sup>8</sup> انظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت 406هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق الدكتور علي محمود مقداد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ص 29. والنكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للقصّاب / 97، والجدول في إعراب القرآن لمحمود الصافي / 51، والنورسي، بديع الزمان سعيد (ت 1379هـ)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر - القاهرة، ط 3-2002م، ص 93-1-96.  
والأساليب والإطلاقات العربية / 1-96، والدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3-1980، ص 433، والبلاغة العربية / 1-301، والأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت 421هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق غريب الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1-1424هـ، ص 168 و 243. والنوري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت 733هـ)، نهاية الأربع في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1-1423هـ، ج 16، ص 361.

<sup>9</sup> روح المعاني / 1-151.

قال الشريبي (ت 977هـ)<sup>(1)</sup>: "والآية تحتمل الحقيقة، والمجاز، وعلى المجاز اقتصر أكثر المفسرين؛ لأنَّه أبلغ من الحقيقة"<sup>(2)</sup>.

وممَّن قال بهذا القول من الصحابة والتابعين:

حَبْرُ الْأُمَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مُسْعُودٍ، وَأَكْثَرُ الصَّحَّابَةِ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَقَاتَدَةُ، وَعَكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبَّرٍ، وَمَجَاهِدُ، وَأَبُو الْعَالِيَّةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ.<sup>(3)</sup>

وبتعميمهم على هذا القول من المفسِّرين: مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) في تفسيره بقوله:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: يعني الشَّكُّ باللهِ، وبِمُحَمَّدٍ<sup>(4)</sup>.

والماتريدي (ت 333هـ) في تفسيره بقوله: "قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ، يقال: شك، ونفاق سمى - عَزَّ وَجَلَّ - المنافقين مرضى؛ لاضطرابهم في الدين؛ لأنَّهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول، ويضمرون الخلاف لهم بالقلب؛ فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحياة؛ إذ المريض يشرف - ربما - على الموت، ويرجو الإقبال عليه منه ثانيةً، فهو مضطرب بين ذلك، فكذلك هم؛ لِمَا كانوا مضطربين في دينهم سماهم: مرضى"<sup>(5)</sup>.

والسمرقandi (ت 375هـ) في بحر العلوم بقوله: " قوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: شكًا، ونفاقًا، وظلمةً، وضعفًا<sup>(6)</sup>.

والتعلبي (ت 427هـ) في تفسيره بقوله: "في قلوبهم مرض؛ شك، ونفاق"<sup>(7)</sup>.

والقشيري (ت 465هـ) في تفسيره بقوله: "في قلوب المنافقين مرض الشَّك"<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> هو مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّرِيبِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها (*السَّرَاجُ الْمُنِيرُ لِلشَّرِيبِيِّ* )، في تفسير القرآن، و (*الإقطاع في حل ألفاظ أبي شجاع* )، و (*شرح شواهد القطر* ) و (*معنى المحتاج* )، في شرح منهاج الطالبين للنبوة، فقه، و (*تقديرات على المطول* ) في البلاغة، و (*مناسك الحج* ). الأعلام للزرکلي 6/6.

<sup>2</sup> *السَّرَاجُ الْمُنِيرُ لِلشَّرِيبِيِّ* 23/1.

<sup>3</sup> انظر: *جامع البيان للطبراني* 1/278-282، و*تفسير الوسيط للواحدي* 1/87، و*تفسير القرآن العظيم لابن كثير* 1/178-179، والذري *المنثور للسيوطى* 1/75-76، والذري *العيون للماوردي* 1/73-74، و*تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم* 1/43، و*زاد المسير في علم التفسير للجوزي* 1/32.

<sup>4</sup> *تفسير مقاتل بن سليمان* 1/89.

<sup>5</sup> *تأويلات أهل السنة* 1/383.

<sup>6</sup> *تفسير السمرقandi المسمى ببحر العلوم* 1/95.

<sup>7</sup> *الكشف والبيان عن تفسير القرآن* 1/154.

<sup>8</sup> *لطائف الإشارات* 1/61.

والبغوي (ت 510هـ) في تفسيره بقوله: "في قلوبهم مرض؛ شك، ونفاق". وأصل المرض الضعف، سُمِّيَ الشَّكُّ في الدين مرضًا لأنَّه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن"<sup>(1)</sup>. وهذا الذي ذهب إليه أكثر المفسرين<sup>(2)</sup>:

وذهب بعض المفسرين إلى المعنى الأوسع لمرض القلوب، وعدم حصره في النفاق والشك فحسب، بل هو أعم وأشمل في كل ما يمرض القلب من سوء اعتقاد، وغلٌ، وحسدٌ، وغيرها؛ مما يجعله متذبذبًا بين الكفر، والإيمان فيما يعرض عليه من شبهات قد تخرجه من دائرة الإيمان إلى الكفر، والخلود في النار، مثل: الشَّكُ والنفاق، أو متذبذبًا بين ازدياد الإيمان، ونقصانه فيما يعرض على القلب من شهوات، وميل إلى المعاصي.

قال الزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف: "المجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد، والغل، والحسد، والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الهوى، والجبن، والضعف، وغير ذلك مما هو فساد، وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة، وسلامة في نفائض ذلك. والمراد به هنا: ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد، والكفر، أو من الغل، والحسد، والبغضاء"<sup>(3)</sup>.

وقال ابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره: "المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين؛ وذلك إما أن يكون شكًا، وإما جحدها؛ بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون، وبنحو هذا فسر المتأولون، وقال قوم: المرض غمّهم بظهور أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> معلم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي 88/1.

<sup>2</sup> انظر: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام 1/103، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للشافعي 1/49، وتفسير القرآن الكريم لابن القيم 1/116، والسراج المير للشرييني 1/26، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد 1/78، وفتح القدير للشوكاني 1/49، ومحاسن التأويل للقاسمي 1/250، وتفسير المراغي 1/51، والحرمي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل (ت 1376هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حفظه وخرج أحديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الله آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان، الفسيم - بريدة، ط 1416هـ، ج 1، ص 102. وأضواء البيان للشققيطي 5/290، وتفسير الشعراوي 1/152، وتفسير العثيمين 1/42 و 44، وتفسير الوسيط للطنطاوي 1/56، وفتح البيان لصديق خان 1/92، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 1/33، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري، 1/24.

<sup>3</sup> الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل 1/59.

<sup>4</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/92.

وتابعه بذلك القرطبي (ت 671هـ) في تفسيره<sup>(1)</sup>، والنسيابوري (ت 850هـ) في تفسيره<sup>(2)</sup>، وأبو زيد الثعالبي (ت 875هـ) في تفسيره<sup>(3)</sup>، والألوسي (ت 1270هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>. ولم ير الباحث خلافاً لهذا القول - حسب اطلاعه - عند علماء اللغة والبلاغة. قال أبو عبيدة (ت 209هـ) في مجاز القرآن: "في قلوبهم مرض" أي شك ونفاق<sup>(5)</sup>.

وقال الزجاج (ت 311هـ) في معاني القرآن: "قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فَرَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا" [البقرة: 10] معناه نفاق، وقد يقال: السُّقم والمرض في البدن، وفي الدين جميعاً كما يقال: الصحة في البدن، والدين جميعاً<sup>(6)</sup>.

ومما سبق يظهر لنا أنَّ القول بالمجاز هو قول أكثر علماء اللغة، والبلاغة، والتفسير، وهذا الذي ذهب إليه الباحث ورجحه، مخالفاً بذلك قول ابن بدران ومن قال بقوله وذلك للأمور الآتية:

1. إنَّ القول بالمجاز هو قول أعلم الناس بالتفسير، والتأويل وهم الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم -.

2. إنَّ الكلمة تكاد تجتمع بين علماء اللغة، والبلاغة، والتفسير على حمل المرض على المجاز لا الحقيقة في قوله - تعالى - : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10].

3. إنَّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة وتضفي على السياق جمالاً، ورونقاً وفيها من الفوائد ما ليس في الحقيقة؛ وهذا ما يناسب بلاغة القرآن، وفصاحته، الذي تحدى الله به العرب من جنس ما يشتهرون به ويُعرفون، وإنَّما الذي دفع أحد العرب الأفاح وهو الوليد بن المغيرة مع شدَّة عداوته للنبي - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الكريم. إلى أن يقول عند سماع آيات من القرآن: " والله إنَّ له لحلوة، وإنَّ عليه لطلوة، وإنَّ أعلاه لمثير وإنَّ أسفله لمعدق وما يقول هذا بشر"<sup>(7)</sup>. فهذا اعتراف

<sup>1</sup> انظر: الجامع لاحكام القرآن 1/197.

<sup>2</sup> انظر: غرائب القرآن وغرائب الفرقان للنساينيوري 1/164.

<sup>3</sup> انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/188.

<sup>4</sup> روح المعاني 1/151.

<sup>5</sup> أبو عبيدة، معمراً بن مثنى التيمي البصري (ت 209هـ)، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سرقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1381هـ، ج 1، ص 32. وانظر تهذيب اللغة 12/27 أبواب الضاد والراء، ولسان العرب مادة مرض 7/232، ومعاني القرآن للزجاج 1/86.

<sup>6</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/86.

<sup>7</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت 458هـ)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أصحاب الحديث، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الأفاق الجديدة - بيروت، ط 1401هـ، ص 268. قال البيهقي: "ورأينا عن عكرمة مرسلاً في قصة الوليد بن المغيرة أنه قال: وذكر كلامه".، وانظر: دلائل الإعجاز ص 388، والبرهان في علوم القرآن للزرتشي 2/104، والإتقان

صريح يسجله الوليد بن المغيرة بأنَّ بلاغة القرآن تفوق بلاغة العرب، وهم أرباب البيان، وأساطين القول<sup>(1)</sup>.

4. إنَّ العرب كانت تستعمل لفظ المرض في معناه المجازي، وتستخدمه في أشعارها وحديثها؛ إذ لم يكن شيئاً جديداً عليها فكانوا يعرفون أنَّ المرض يأتي بمعنى النفاق وغيرها مما يطرأ على القلب من سوء الأخلاق، أو الرذائل الخُلُقية.

قال أبو بكر الأنصاري (ت 328هـ): "سمعت أبا العباس يقول: يكون المرض عند العرب: الظلمة. وأنشدا:

وليلٌ مِرْضٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ  
فَمَا يُضِيءُ لَهَا نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ<sup>(2)</sup>

ويقال - أيضاً - في غير هذا المعنى: قد مرض قلب هذا الرجل: إذا شك ونافق. قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10] فمعناه: الشك والنفاق. وقالت ليلى الأخيلية<sup>(3)</sup>:

إِذَا هَبَطَ الْحَجَاجُ أَرْضًا مَرِيضًا  
تَتَبَعَّ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا<sup>(4)</sup>

ترى بالمربيضة التي بها شك ونفاق<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> في علوم القرآن للسيوطى 4/16، و التفسير البسيط للواحدى 22/426، و لطائف الاشارات للقشيري 3/649، والكتاف 4/649، ومفاتيح الغيب 20/259، والبحر المحيط 1/18.

<sup>2</sup> انظر: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية ص 62.

<sup>3</sup> الثميري، أبو حية الهيثم بن الربيع (ت 183هـ)، شعر أبي حية الثميري، جمعه وحقق الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975، ص 148، وانظر: البحر المحيط 1/87.

<sup>4</sup> هي ليلى بنت عبد الله بن الرجال بن شداد بن كعب، الأخيلية من بنى عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأغانيها مع تويبة بن الحمير. قال لها عبد الملك بن مروان: ما رأى منك تويبة حتى عشقك؟ - وكانت امرأة مسنة - فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة! ووفدت على "الحجاج" مرات، فكان يكرمنها وبقيتها. وطبقتها في الشعر تلي طبة النساء. وكانت بينها وبين النابغة الجعدي مهاجة. وأبلغ شعرها قصيتها في رثاء تويبة، منها: "تويبة أحيى من فتاة حبيبة ... وأجرأ من ليث بخافن خادر". وسألت الحاج وهو في الكوفة أن يكتب لها إلى عامله بالري، فكتب، ورحلت، فلما كانت في "ساوة" ماتت ودفنت هناك (نحو 80هـ)، وقام بجمع الباقي من شعرها خليل وجليل العطية، في "ديوان ليلى الأخيلية - ط". انظر: الأعلام للزرکلي 5/249.

<sup>5</sup> الأخيلية، ليلى بنت عبد الله بن الرجال بن شداد (ت نحو 85هـ)، ديوان ليلى الأخيلية، عنى بجمعه وتحقيقه خليل إبراهيم العطية وجليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، ص 121

<sup>6</sup> الظاهر في معاني كلمات الناس 1/475-476، وانظر: تفسير القرآن الكريم لابن القيم 1/116.

وسائل ابن عباس - رضي الله عنه - عن قوله - تعالى -: "في قلوبهم مرض" قال: النفاق، قال نافع بن الأزرق: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر<sup>(1)</sup>:

أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاً وَقَدْ أُرِى  
صُدُورُهُمْ تَغْلِي عَلَيْهِ مِرَاضُهَا<sup>(3)</sup>.

وجاء في شرح ديوان الحماسة لأحمد الأصفهاني (ت 421هـ):

وَدَوَى ضِبَابٌ مَظَهِرِينَ عَدَاؤَهُ  
قَرْحٌ لِفُلُوبٍ مَعاوِدِي الْأَفَادَ<sup>(4)</sup>

وذكر قرح القلب مثلاً في العداوة، كما يذكر مرضه مثلاً في النفاق، على ذلك قول الله تعالى -:

قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ أَللَّهُ مَرَضًا<sup>(5)</sup> [البقرة: 10].

وجاء أيضاً:

وَمَا بَرَحَ النَّيْمَ يَعْتَرُونَ وَزْرٌ  
قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ<sup>(6)</sup> [البقرة: 10].

وقوله "السقيم" يجوز أن يكون كنايةً عن المناق المداعي، كما في قوله - تعالى - لمَّا وصفهم:

قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ<sup>(7)</sup> [البقرة: 10].

وكانت العرب تكتي بداء القلب عن الحقد، والهوى<sup>(8)</sup>. وقال أبو المندن المنياوي: "العرب تسمى انطواء القلب على الأمور الخبيثة: مرضًا؛ وذلك معروف في لغتهم"<sup>(9)</sup>.

<sup>1</sup> هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبة لبيد والذابحة.

كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً. وكان أرجز الناس على البديهة. جمع بعض شعره في (ديوان - ط) شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان. وأخباره كثيرة. قال البغدادي وأخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه. انظر: الأعلام للزركلي 3/175.

<sup>2</sup> الذبياني، الشماخ بن ضرار (ت 22هـ)، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر - القاهرة، ص 215.

<sup>3</sup> انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطى 2/103.

<sup>4</sup> أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ)، ديوان الحماسة، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجوالبي (ت 540هـ)، شرحه وعلق عليه أحمد حسن بيتج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1418هـ، ص 41. الضباب: جمع ضباب: وهو حيوان صحراوي، وقد حد هنا الحقد الخفي، الإفتداد: مصدر فند وهو الفحش، والخطأ في الرأي. قوله: قوم ذوو ضباب أي: ذوو أحقاد.

<sup>5</sup> شرح ديوان الحماسة 1/168.

<sup>6</sup> ديوان الحماسة لأبي تمام ص 63. والبيت: (ما بَرَحَ النَّيْمَ يَعْتَرُونَ وَسُمْ  
رُّ الْخَطُّ تُشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقِيمٍ). ويعترون: ينتسبون. والخط يعني الأسنة.

<sup>7</sup> المرجع السابق 1 / 242-243.

<sup>8</sup> انظر: الفراهي، عبد الحميد الهندي (ت 1349هـ)، مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية - تحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط 1 2002م، ص 376-378.

<sup>9</sup> الأساليب والإطلاقات العربية 1/96.

وقال السيوطي (ت 911هـ) في الدر المنثور: "وأخرج الطستي عن ابن عباس - رضي الله

عنهم-

أنَّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله "فيطمع الذي في قلبه مرض"<sup>(1)</sup> قال: الفجور والزنا  
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الأعشى<sup>(2)</sup> وهو يقول:

حافظُ للفرجِ راضٍ بالثُّقْفِ  
لِيسَ مِنْ قَلْبِهِ فِيهِ مَرْضٌ<sup>(3)</sup>.

5. إنَّ الآيات التي ذُكر فيها المرض على معناه الحقيقي إنَّما جاءت في سياق الرحمة، والتخفيف  
عن المؤمنين من الأحكام الشرعية التي فرضها الله عليهم؛ لأنَّه - سبحانه - لا يكُفُّ نفساً إلا  
وسعها؛ فلما نزل بهم من قضاء الله، وقدَّره ما يحول بينهم، وبين الإتيان بشرائع الله المفروضة عليهم  
(على الوجه الذي يريد الله)؛ فيحصل بذلك عليهم من المشقة الزائدة جاء التخفيف من الله - سبحانه -  
رحمة، ورأفة لعباده المؤمنين في كثير من الأحكام منها: التnim في قوله - تعالى - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ  
مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَایْطِ أَوْ لَمْسَتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَحْدُوا مَاءَ فَتَيَمَّمُوا  
صَعِيدَا طَيِّبَا﴾ [المائدة: 6]، وإفطار الصائم في قوله - تعالى - ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ  
مَرْضِى أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَدَّهُ مِنْ أَيَّامِ أُخْرَ﴾ [البقرة: 184]، والجهاد في قوله - تعالى - ﴿لَيْسَ  
عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الْذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ  
وَرَسُولِهِ﴾ [التوبه: 91]، وغيرها.

أمَّا الآيات التي ذُكر فيها المرض على معناه المجازي فجاء المرض فيها مقرولاً بالقلوب،  
ثم إنها جاءت في سياق الشدة، والغلظة، والتهديد، والوعيد من مثل قوله - تعالى - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرْضٌ فَرَزَادُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْرِهُونَ﴾ [البقرة: 10]، وقوله -  
 تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَرَأَدُوهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تُؤْمِنُ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

<sup>1</sup> الأحزاب آية 32.

<sup>2</sup> بحثت عنه في ديوان الأعشى تحقيق د. محمد محمد حسين وديوان الأعشى تحقيق محمود الرضوانى فلم أجده.

<sup>3</sup> الدر المنثور 6/599، وانظر: الإنegan في علوم القرآن 2/75، والسراج المنير للشريبي 3/243، وأصوات البيان 5/290 و 6/245، والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت 1393هـ)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التقسيم، تحقيق خالد بن عثمان السبت، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 2 1426هـ، ج 5، ص 105.

[التوبه: 125]، قوله - تعالى - : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 5]، قوله - تعالى - : ﴿أَفَ قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُهُمْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 50]، قوله - تعالى - : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ [محمد: 29]، قوله - تعالى - : ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَفَرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدثر: 31]، وغيرها.

فلما حوسب أصحاب القلوب المريضة على ما في قلوبهم من مرض دل ذلك على أن هذا المرض هو من كسب أيديهم؛ وليس مما رفعت فيه المؤاخذة عنهم، ومما يؤخذ المرء عليه؛ الكفر واللّفّاق والشك ورذائل الأخلاق والأعمال التي محلها القلب فتمرضه. وأمّا الإيمان، واليقين، وفضائل الأخلاق، والأعمال التي محلها القلب فإنّها تصلحه.

ولما ذكر الله - سبحانه وتعالى - القلب المريض وما له من التهديد والوعيد ذكر القلب السليم وما له من الوعد والنعيم، لأن آياته - جل وعز - مثاني تذكر الشيء وضده، مثل: الجنة والنار، والنعيم والجحيم، والوعد والوعيد، والترغيب والتهديد، والقلب المريض والقلب السليم. قال - تعالى - : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89]،

وقول - تعالى - : ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُو بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: 84].

ويؤكد ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".<sup>(1)</sup>

6. إن الآية: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] جاءت في سياق الآيات التي تحدثت عن المنافقين، وأوصافهم، فدل ذلك على أن المنافقين قلوبهم مريضة، لما فيها من نفاق و شك بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - .

<sup>1</sup> صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لبنيه 20/1 حديث رقم 52. صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب الحال بين والحرام بين 50/5 حديث رقم 4101.

وبيّن ذلك الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره بقوله: "حدثنا الحسين بن يحيى<sup>(1)</sup>، قال: أربأنا عبد الرزاق، قال: أربأنا معمر، عن قنادة في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، حتى بلغ: ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦]، قال: هذه في المنافقين<sup>(2)</sup> وذكر ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وابن جريج، والربيع ابن أنس<sup>(3)</sup>.

قال محمد المكي الناصري (ت 1414هـ) في تفسيره: "ثم تطرق كتاب الله لوصف الطائفة الثالثة طائفة المنافقين، فأطال الحديث عنها، وخصص للكشف عن نفاقها ثلاث عشرة آية كاملة، ابتداء من قوله - تعالى -: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨] يُخَالِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ إِيمَانُهُمْ وَمَا يَحْدُثُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [٩] فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ [١٠] [البقرة: ٨ - ١٠]، إلى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠]<sup>(4)</sup>.

7. إنَّ الذين خالفوا الإجماع، والجمهور قالوا بجواز حمل المرض على معناه المجازي في قوله-

تعالى -: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: 10]<sup>(5)</sup>.

وخلاصة القول:

إنَّ مفهوم المرض في قوله - تعالى -: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: 10] يُحمل على معناه المجازي فيما يُعرض على القلب من الشبهات الباطلة: كالشك والنفاق. فجاء مرض القلوب استعارة تصريحية، استعير عن له لما ران على قلوبهم من سوء عقيدة وحب للمعاصي.

<sup>1</sup> الصواب، الحسن بن يحيى، شيخ الطبرى، انظر: جامع البيان/1 269 هامش (2).

<sup>2</sup> جامع البيان في تأويل القرآن/1 269.

<sup>3</sup> انظر: المرجع السابق/1 270-269.

<sup>4</sup> الناصري، محمد المكي (ت 1414هـ)، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 1405هـ، ج 1، ص 25.

<sup>5</sup> انظر: ص 219-218.

**فصل:**

مما ينبغي التنبئ إليه أنَّ ألفاظ القرآن لا تُحمل على المعنى المجازي إلَّا إذا دَلَّ السياق أو دَلَّتُ القراءن على ذلك؛ لأنَّ الأصل في حَمْلِ مفهوم ألفاظ القرآن أن يكون على الحقيقة لا على المجاز، وعلى الظاهر لا على الباطن.

## المسألة الثانية:

أثر الإسناد المجازي في تأويل قوله - تعالى - : ﴿ فَمَا رَيَحَتْ تِجَرَّتُهُمْ ﴾

[البقرة: 16].

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - : " فإن قلت: كيف أُسند عدم الربح إلى التجارة، وإنما هو لأصحابها لا لها؟ قيل: هو من الإسناد المجازي، وهو أن يُسند الفعل إلى شيء يُتبَّس بالذى هو في الحقيقة له، كما تُبَّسَّت التجارة بالمشترى، وذلك أنَّ الله - تعالى - خاطب عرباً فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم مسلك خطاب بعضهم بعضاً، وبيانهم المستعمل بينهم، وأنت إذا تأملت الكتاب العزيز، وجدته سالكاً هذا الأسلوب البديع من التعبير بالحقيقة، حيث تكون البلاغة في جانبها، وبالمجاز حيث تكون البلاغة في جانبه، وبالوصاف التي تعرفها العرب كما في وصف الجنَّة من آنَّ فيها: فاكهةً ونخلاً ورماناً، والنار من آنَّ فيها: سلاسل، وأغلالاً، وسعيراً، وإنْ كانت حقيقة ما فيهما وراء ذلك، وما هو إلا وصف للشيء بما يقاربه يقربه للعقل، وهذه القاعدة تتفع في كثير من تفسير الكتاب العزيز"<sup>(1)</sup>.

يعتمد ابن بدران في تأويل قوله - تعالى - : ﴿ فَمَا رَيَحَتْ تِجَرَّتُهُمْ ﴾ [البقرة: 16]

على قاعدة بلاغية، وكنز من كنوزها ألا وهو المجاز الحكمي، وقد تطرق إليه علماء البلاغة، وذكروه في بطون كتبهم؛ فهذا عالم العلماء وليلي البلغاء عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) يقول في كتابه دلائل الإعجاز: " اعلم أنَّ طريق المجاز، والاتساع في الذي ذكرناه قبل<sup>(2)</sup> أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تزيد معناها ولكن تزيد معنى ما هو رِدف له، أو شبيه فتجوَّزت بذلك في ذات الكلمة، وفي اللُّفْظ نفسه وإن قد عرفت ذلك فاعلم أنَّ في الكلام مجازاً على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التجوَّز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصوداً في نفسه، ومراداً من غير تورية، ولا تعريض. والمثال فيه قولهم: " نهارك صائم وليلك قائم " و " نام ليلى وتجلَّى همي "، وقوله - تعالى - : ﴿ فَمَا رَيَحَتْ تِجَرَّتُهُمْ ﴾ [البقرة: 16]، وقول الفرزدق:

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 81.

<sup>2</sup> يعني ما ذكرناه تحت باب الكنية والاستعارة والتَّمثيل بالاستعارة، فصل: في اللُّفْظ بطلق والمراد به غير ظاهره، بيان في الكنية والمجاز والاستعارة. انظر: دلائل الإعجاز ص 66-79.

سَقْنَهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ، لَمْ تَكُنْ عِلَاطًا، وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاغِمِ<sup>(1)</sup>

أَنْتَ تَرَى مَجَازًا فِي هَذَا كُلَّهُ، وَلَكِنْ لَا فِي ذَوَاتِ الْكَلِمِ وَأَنْفُسِ الْأَلْفَاظِ، وَلَكِنْ فِي أَحْكَامِ أَجْرِيتَ عَلَيْهَا"<sup>(2)</sup>.  
وَقَالَ أَيْضًا: "أَفْلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ أَرِيدَ بِهِ مَعْنَاهُ الَّذِي وُضِعَ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَحْقِيقَتِهِ فَلَمْ يُرِدْ بِصَائِمِ غَيْرِ الصَّومِ، وَلَا بِقَائِمِ غَيْرِ الْقِيَامِ، وَلَا بِ(رِيحَتِ) غَيْرِ الرِّيحِ وَلَا بِ(سَقْتِ) غَيْرِ السَّقِيِّ"<sup>(3)</sup>.

ثُمَّ قَالَ: "وَهَذَا الضَّرِبُ مِنَ الْمَجَازِ عَلَى حَدَّتِهِ كَنْزٌ مِنْ كَنْزَ الْبَلَاغَةِ، وَمَادِهُ الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ، وَالْكَاتِبُ الْبَلِيجُ فِي الْإِبْدَاعِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالْإِتْسَاعِ فِي طَرْقِ الْبَيَانِ، وَأَنْ يَجِيءُ بِالْكَلَامِ مَطْبُوعًا مَصْنُوعًا، وَأَنْ يَضْعُهُ بَعْدَهُ الْمَرَامِ، قَرِيبًا مِنَ الْأَفْهَامِ "<sup>(4)</sup>.

وَقَالَ السَّكَاكِيُّ (ت 626هـ) فِي مَفْتَاحِ الْعِلُومِ: "وَاعْلَمُ أَنَّ الْمَجَازَ الْحَكْمِيَّ كَثِيرُ الْوَقْوَعِ فِي كَلَامِ رَبِّ الْعَزَّةِ. قَالَ - عَزِّيْزُ الْمُؤْمِنِيْنَ - ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ... بِإِسْنَادِ الْأَفْعَالِ فِي هَذِهِ كُلُّهَا عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ لَهَا عِنْدَ الْعُقْلِ كَمَا تَرَى زَانِلًا الْحُكْمَ الْعُقْلِيَّ فِيهَا عَنْ مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ، إِذْ مَكَانُهُ الْأَصْلِيِّ إِسْنَادُ الرِّيحِ عَلَى أَصْحَابِ التِّجَارَةِ "<sup>(5)</sup>.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فَدِيمَا الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ (ت 170هـ) فِي كِتَابِهِ الْجُمْلَ فِي الْتَّحْوِيَّةِ بِقَوْلِهِ: "وَكَذَلِكَ يُلْزِمُونَ الشَّيْءَ الْفَعْلَ، وَلَا فَعْلَ، وَإِنَّمَا هَذَا عَلَى الْمَجَازِ كَوْلُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - فِي الْبَقَرَةِ ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ وَالْتِجَارَةُ لَا تَرِبْ؛ فَلَمَّا كَانَ الرِّيحُ فِيهَا نُسِبَّ الْفَعْلِ إِلَيْهَا "<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> لِيْسَ فِي دِيْوَانِ الْفَرِزِيقِ، وَهُوَ لِهِ فِي الْكَاملِ لِلْمِبْرَدِ 64/1، وَالضَّمِيرُ فِي سَقْنَهَا لِلْأَبْلِ وَ"الْعِلَاطُ" وَسَمْ يَكُونُ فِي عَنْقِ الْبَعِيرِ عَرَضاً، خَطَّاً، أَوْ خَطِينَ، أَوْ خَطْوَةً فِي كُلِّ جَانِبٍ. وَ"الْخِبَاطُ": سِمَةٌ فَوْقَ الْحَدَّ، وَالنَّاقَةُ. "مَخْبُوطَةٌ" عَلَيْهَا هَذِهِ السِّمَةُ. وَ"الْمَلَاغِمُ"، مَا حَوْلَ الْفَمِ مَا يَبْلُغُ الْلِّسَانَ وَيَصُلُّ إِلَيْهِ، مِنَ الْلِّغَامِ، وَهُوَ زِيدٌ لِفَوَاهِ الْأَبْلِ. وَيَقُولُ: لَمْ تَكُنْ هَذِهِ سِمَاتٌ إِلَيْهِ، بَلْ سِمَاتُهَا خُرُوقٌ فِي آذَانِهَا، فَلَمَّا رَأَهَا الْذَّائِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ سَقُوهَا، وَإِنَّمَا يَسْقُونَهَا لَعْزَةَ أَصْحَابِهَا. فَكَانَ الْخُرُوقُ فِي الْمَسَامِعِ هِيَ الَّتِي أُورَدَتْهَا الْمَاءُ وَكَفَتِ الْذَّائِدُونَ عَنْهَا. اَنْظُرْ: دِلَائلُ الْإِعْجَازِ 1/293 هامش رقم (3).

<sup>2</sup> دِلَائلُ الْإِعْجَازِ ص 293-294.

<sup>3</sup> المَرْجُعُ السَّابِقُ ص 294.

<sup>4</sup> المَرْجُعُ السَّابِقُ ص 295.

<sup>5</sup> مَفْتَاحُ الْعِلُومِ لِلْسَّكَاكِيِّ ص 397.

<sup>6</sup> الْفَرَاهِيدِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ عَمْرُو بْنِ تَمِيمٍ (ت 170هـ)، الْجُمْلَ فِي الْتَّحْوِيَّةِ، تَحْقِيقُ دُ. فَخْرِ الدِّينِ قِبَاوَةَ، ط 5 1416هـ، ص 72.

وسيبوه (ت 180هـ) في الكتاب بقوله: "من ذلك قول النساء (ت 24هـ)":<sup>(1)</sup>

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتُ، حَتَّى إِذَا ادْكَرْتُ  
فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ<sup>(2)</sup>

يجعلها الإقبال والإدبار، فجاز على سَعَةِ الكلام، كقولك: نهارك صائم وليلك قائم " <sup>(3)</sup>.

وفي العربية تناوب أحياناً الصيغ الصرفية ف يأتي اسم المفعول مثلاً بمعنى اسم الفاعل، نحو قوله - تعالى - : ﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥] بمعنى ساتراً، وفي النحو يأتي المفعول بمعنى الفاعل، كما في قوله - تعالى - : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ فالتجارة لا تربح وإنما يربح التجار فيها، وهذا كله مجاز محتمل في كلام العرب <sup>(4)</sup>.

وتعدّدت مسميات المجاز الحكمي، فمنهم من يسميه: مجاز الملابسة، ومنهم من يسميه: المجاز النسبي، ومنهم من يسميه: المجاز في الإثبات، ويسميه بعضهم: المجاز في الجملة، أو المجاز التركيبي، ومنهم من يسميه بالمجاز العقلي، ولعل الأخير هو أشهر أسمائه <sup>(5)</sup>، واختلاف المسميات لا يعني اختلاف المضمنون؛ إذ المضمنون واحد ولا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح.

وقد عرف السكاكي (ت 626هـ) المجاز العقلي بقوله: "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلّم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع، كقولك: أثبتت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض " <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> والنساء: اسمها تماضر، بضم الثناء المثلثة من فوقها وفتح الميم وبعد الألف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء، وهي ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بنى سليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شاعر العرب، وأشهرهن على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع قومها بنى سليم، فكان رسول الله يسترشد بها ويعجبها شعرها، وكانت تتندّد وهو يقول: هي يا خنساء! أكثر شعرها وأجوهه رثاؤها لأنوثتها (صخر ومعاوية) وكانت قد قتلا في الجاهلية. لها (ديوان شعر - ط) فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (سنة 16هـ) فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم! والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأنف، ولذلك قيل لها الخنساء؛ لأنها كانت على هذه الصفة. انظر: وفيات الأعيان/34، والأعلام للزركي/86/2.

<sup>2</sup> النساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي (ت نحو 50هـ)، ديوان النساء، اعترى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 2 1425هـ، ص 46.

<sup>3</sup> الكتاب 337/1.

<sup>4</sup> انظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 370هـ)، ليس في كلام العرب، تحقيق محمد عبد الغفور عطار، مكتبة المكرمة، ط 2 1399هـ، ص 318.

<sup>5</sup> انظر: أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط 7، ص 115-116.

<sup>6</sup> مفتاح العلوم للسقاكي ص 393، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرزوني ط دار الجيل 90/1، وخصائص التراكيب ص 114، وبغية الإيضاح 57/1.

وعرفة الهاشمي (ت 1362هـ) في جواهر البلاغة بقوله: " هو إسناد الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم؛ لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له " <sup>(1)</sup>.

وقال الصعيدي (ت 1391هـ) في بُغية الإيضاح بقوله: " وأما المجاز فهو: إسناد الفعل، أو معناه، إلى ملابس له، غير ما هو له بتاؤل " <sup>(2)</sup>.

وتکاد تجتمع كلمة العلماء في قوله - تعالى - : ﴿فَمَا رَبِحَتْ تَجَرَّتْهُم﴾ [البقرة: 16]، على أنها من باب الإسناد المجازي، أو الحكمي، أو العقلي بل زاد بعضهم في ربطها بما قبلها من قوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَقُوا الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: 16]، فجعلها استعارة موشحة، بمعنى أنه لما استعار لفظ الشراء عقبه ذكر لازمه، وحكمه، وهو الربح توشحًا للاستعارة<sup>(3)</sup>، وسمها بعضهم استعارة مرشحة، كما بين ذلك الحموي (ت 837هـ)<sup>(4)</sup> في خزانة الأدب وغاية الأرب بقوله: " والذي اتفق عليه علماء البديع، أن الاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا الباب <sup>(5)</sup>، وليس فوق رتبتها في البديع رتبة، وأعلاها، وأعلاها قوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَقُوا الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تَجَرَّتْهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16] فإن الاستعارة الأولى، وهي لفظ الشراء، رشحت الثانية، وهي لفظ الربح، والتجارة " <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي ص 255.

<sup>2</sup> بُغية الإيضاح 1/53، وانظر: فتح القدير للشوكتاني 1/54.

<sup>3</sup> انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز للطاطلي 1/123.

<sup>4</sup> هو أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تقى الدين ابن حجة: إمام أهل الأدب في عصره. وكان شاعرًا جيداً للإنشاء. من أهل حماة (بسوبرية) ولد ونشأ ومات فيها. زار القاهرة والتلقى بعلمائها واتصل بملوكها. وكان طويلاً في النظم والنشر، حسن الأخلاق والمرءة، فيه شيء من الزهو والإعجاب. اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له، في صباحاته، فنسب إليها. مصنفاته كثيرة، منها (خزانة الأدب) في شرح بدعيته له، و(شمرات الأوراق) و(كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) و(حديقة زهير) و(قهوة الإنشاء)، جمع فيه ما أنشأه من التقاليد السلطانية والمناشير عن الملوك الذين عمل في دواوينهم، و(بلغ المرام من سيرة ابن هشام)، و(بلغ المراد من الحيوان والنبات والجماد)، و(الشمرات الشهيبة من الفواكه الحموية) نظم، و(تأهيل الغريب) وقوله في حماة معروفة. انظر: الأعلام للزركلي 67/2.

<sup>5</sup> يعني ذكر الاستعارة انظر 109/1.

<sup>6</sup> ابن حجة الحموي، تقى الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت 837هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شفيق، دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار - بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م، ج 1، ص 111، وانظر: الكشكول 2/113، وتحرير التجبير لابن أبي الإصبع ص 99، وجواهر البلاغة للهاشمي، ص 272، وبُغية الإيضاح 3/508-509، والكشف 1/70، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/49، والتسهيل لعلوم التنزيل لجعفر 1/72، والبحر المحيط لأبي حيان 1/119، والدر المصنون للسمين الحلبي 1/152-154.

مِنْ هَنَا نُلْحَظُ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - أَسْنَدَ الرِّيحَ إِلَى التِّجَارَةِ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ، وَالخَسْرَانَ إِنَّمَا يَكُونُانَ فِي التِّجَارَةِ كَمَا بَيْنَ ذَلِكَ الْفَرَاءِ (ت 207هـ) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ بِقُولِهِ: "وَقُولُهُ: ﴿فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البَّقْرَةُ: 16]، رَبِّمَا قَالَ الْفَائِلُ: كَيْفَ تَرِيعُ التِّجَارَةَ؛ وَإِنَّمَا يَرِيعُ الرَّجُلَ التَّاجِرَ؟ وَذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: رِيحٌ بَيْعُكَ، وَخَسْرَانٌ بَيْعُكَ، فَحَسْنُ الْقُولِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ وَالخَسْرَانَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي التِّجَارَةِ، فَعُلِمَ مَعْنَاهُ. وَمِثْلُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: هَذَا لَيلٌ نَّايمٌ، وَمِثْلُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَإِذَا عَرَمَ الْأَمْرُ﴾ [مُحَمَّدٌ: 7] وَإِنَّمَا الْعَزِيمَةُ لِلرِّجَالِ، وَلَا يَجُوزُ الضَّمِيرُ إِلَّا فِي مِثْلِهِ" <sup>(1)</sup>.

وَالْأَخْفَشُ (ت 215هـ) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ بِقُولِهِ: "وَقُولُهُ: ﴿فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾ فِيهَا عَلَى قُولِ الْعَرَبِ: "خَابَ سَعْيُكَ" وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي خَابَ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ "فَمَا رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ" وَمِثْلُهُ <sup>(2)</sup> ﴿بَلْ مَكَرُ الْيَتِيلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سَبَا: 33]، وَ﴿وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البَّقْرَةُ: 177] إِنَّمَا هُوَ "وَلَكِنَّ الْبَرَّ بُرُّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ" ، وَقَالَ الشَّاعِرُ <sup>(2)</sup>:

كَيْفَ ثُواصِلُ مِنْ أَصْبَحَتْ  
خَلَالَتِهِ كَأَبِي مَرْحَبٍ <sup>(3)</sup>

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيْتٌ وَسُطْطَ أَهْلِهِ  
كَهْلُكِ الْفَتَاهِ أَسْلَمَ الْحَيِّ حَاضِرٌهُ <sup>(4)</sup>  
إِنَّمَا يَرِيدُ وَشَرُّ الْمَنَايَا مَنِيَّةً مَيْتٌ وَسُطْطَ أَهْلِهِ" <sup>(5)</sup>.

= واللباب في علوم الكتاب لابن عادل 368/1-369، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود 49/1، وروح البيان لأبي الفداء 64/1، والتحرير والتقوير لابن عاشور 1/300، واعتراض القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش 1/42.

<sup>1</sup> معاني القرآن للفراء 14/14-15، وانظر: معاني القرآن للحاس 100/1-101، وجامع البيان للطبراني 1/317.

<sup>2</sup> هو قيس بن عبد الله بن دعس بن ربعة الجعدي العامري، أبو ليلي: شاعر مفلق، صحابي: من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمى "النابغة" لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان من هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وأله - فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي. ثم سكن الكوفة، فسيّر معاوية إلى أصحابه مع أحد ولاتها، فمات فيها وقد كفَّ بصره، وجاوز المئة. وأخباره كثيرة. انظر: الأعلام للزركي 5/207، وسیر أعلام النبلاء 3/177-178.

<sup>3</sup> النابغة الجعدي، أبو ليلي عبد الله بن قيس بن جعدة بن حبيب بن ربعة (ت نحو 50هـ)، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط 1998م، ص 39. وانظر: الكتاب لسيبوبيه 1/215. والبيت: وكيف تواصل ... . الخلالة: الصدقة التي ليس فيها خلل. أبو مرحبا: كنية تقال للرجل الحسن الوجه لا باطن له، وقيل: أبو مرحبا: هو الذئب.

<sup>4</sup> هو للخطيبة، من أبيات ليست في ديوانه، بل في طبقات حول الشعراء لابن سلامة 1/112، والكتاب لسيبوبيه 1/215، وجامع البيان 317/1.

<sup>5</sup> معاني القرآن للأخفش 1/52، وانظر: معاني القرآن واعتراضاته للزجاج 1/92-93.

وبناءً على ما سبق فإن تأويل قوله - تعالى - : ﴿فَمَا رَبِحَتْ تَجَرَّتْهُ﴾ [البقرة: 16] أن المنافقين لما اشتروا الضلال بالهوى خسروا ولم يربحوا؛ لأنهم استبدلوا الذي هو خير؛ فضلوا سبيلهم، وابعدوا عن الطريق المستقيم؛ فاستحقوا عيدهم، وعذابه، وعقابه.

قال الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره - في تأويل قوله - تعالى - : ﴿فَمَا رَبِحَتْ تَجَرَّتْهُ﴾ : "وتأويل ذلك أنَّ المنافقين - بشرائهم الضلال بالهوى - خسروا ولم يربحوا؛ لأنَّ الرابح من التجار: المستبدل من سلطته المملوكة عليه بدلاً هو أنفس من سلطته المملوكة، أو أفضل من ثمنها الذي يبتاعها به. فأما المستبدل من سلطته بدلاً دونها، ودون الثمن الذي ابتاعها به فهو الخاسر في تجارته لا شك. فكذلك الكافر والمنافق؛ لأنَّهما اختارا الحِيَةَ والعمى على الرشاد والهوى، والخوف والرعب على الحفظ والأمن، واستبدلا في العاجل: بالرشاد الحِيَةَ، وبالهوى الضلال، وبالحفظ الخوف، وبالأمن الرعب، مع ما قد أُدِّعَ لهما في الآجل من أليم العقاب، وشديد العذاب، فخابا وخسرا، ذلك هو الخسران المبين<sup>(1)</sup>. وبنحو الذي قلنا في ذلك كان قتادة يقول<sup>(2)</sup> .

وإلى هذا المعنى ذهب جُل علماء التفسير ومن أشهرهم:

الماتريدي (ت 333هـ) في تفسيره<sup>(3)</sup>، والسمرقندى (ت 373هـ) في بحر العلوم<sup>(4)</sup>، والثعلبي (ت 427هـ) في تفسيره<sup>(5)</sup>، والواحدى (ت 468هـ) في تفسيره<sup>(6)</sup>، وعبد القاهر الجرجانى (ت 471هـ) في درج الدرر<sup>(7)</sup>، والكرمانى (ت 505هـ) في غرائب التفسير<sup>(8)</sup>، والبغوي (ت 516هـ) في تفسيره<sup>(9)</sup> .

<sup>1</sup> جامع البيان للطبرى / 1-315-316.

<sup>2</sup> انظر: المرجع السابق / 1-316-317، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم / 1-50، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير / 1-186، والدر المنثور في التفسير بالتأثر للسيوطى / 1-80، وفتح القيمة للشوكاني / 1-54.

<sup>3</sup> انظر: تأويلات أهل السنة / 1-389.

<sup>4</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندى / 1-98.

<sup>5</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن / 1-159.

<sup>6</sup> انظر: التفسير البسيط للواحدى / 1-322.

<sup>7</sup> انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور / 1-111.

<sup>8</sup> انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى / 1-122.

<sup>9</sup> انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن / 1-90.

والزمخشي (ت 538هـ) في الكشاف<sup>(1)</sup>، وابن عطية (ت 542هـ) في المحرر الوجيز<sup>(2)</sup>، وأبو الفرج الجوزي (ت 597هـ) في تفسيره<sup>(3)</sup>، والرازي (ت 606هـ) في مفاتيح الغيب<sup>(4)</sup>، والقرطبي (ت 671هـ) في تفسيره<sup>(5)</sup>، والبيضاوي (ت 685هـ) في أنوار التنزيل<sup>(6)</sup>، والنوفي (ت 710هـ) في مدارك التنزيل<sup>(7)</sup>، والخازن (ت 741هـ) في لباب التأويل<sup>(8)</sup>، وأبو حيّان (ت 745هـ) في البحر المحيط<sup>(9)</sup>، والشريبي (ت 977هـ) في السراج المنير<sup>(10)</sup>.

وأبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره بقوله: " والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء؛ لتحصيل الربح: وهو الفضل على رأس المال. يقال: ربح فلان في تجارتة؛ أي استثفَ فيها، وأصاب الربح، وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسارة إليها، وهو لأربابها بناءً على التوسيع المبني على ما بينهما من الملابسة، وفائدة المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار، وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يُلِيسُّهم" <sup>(11)</sup>، وأبو الفداء الخلوق (ت 1127هـ) في روح البيان<sup>(12)</sup>، وأبو العباس الأنجري (ت 1224هـ) في البحر المديد<sup>(13)</sup>، والشوكاني (ت 1250هـ) في فتح القدير<sup>(14)</sup>، ومُحَمَّد صديق خان (ت 1307هـ) في تفسيره<sup>(15)</sup>، والقاسمي (ت 1332هـ) في محاسن التأويل<sup>(16)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الكشاف 70/1-72.

<sup>2</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/98.

<sup>3</sup> انظر: زاد المسير في علم التفسير 1/36.

<sup>4</sup> انظر: مفاتيح الغيب 2/311.

<sup>5</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/211.

<sup>6</sup> انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/49.

<sup>7</sup> انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنوفي 1/54.

<sup>8</sup> انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل 1/28.

<sup>9</sup> انظر: البحر المحيط 1/118-120.

<sup>10</sup> انظر: السراج المنير للشريبي 1/27.

<sup>11</sup> إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 1/49.

<sup>12</sup> انظر: روح البيان 1/64.

<sup>13</sup> انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 1/82.

<sup>14</sup> انظر: فتح القدير للشوكاني، 1/54.

<sup>15</sup> انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقويري 1/97.

<sup>16</sup> انظر: محاسن التأويل للقاسمي 1/255.

ومُحَمَّد رشيد رضا (ت 1354هـ) في تفسيره بقوله: "﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ في الدنيا، إذ لم تثمر لهم ثمرة حقيقة، بل خسروا وhabوا بإهمالهم الصحيح الذي لا تقوم المصالح، و لا تحفظ المنافع إلا به، وإناد الربح إلى التجارة عربي في غاية الفصاحة؛ لأن الربح: هو النماء في التجار، وهذه المقاوضة هي التي من شأنها أن تثمر الربح، فإناد إلها نفياً، أو إثباتاً إسناد صحيح لا يحتاج إلى التأويل كأنه قيل: فلم يكن نماء في تجارتهم، على أن ذلك التأويل - المعروف من أن إسناد الربح إلى التجارة؛ لأنها سببه والوسيلة إليه، وأن العبرة من المجاز العقلي - تأويل يتفق مع البلاغة، ولا ينافيها، ولا زال المجاز العقلي من أفضل ما يُزيّن البلاغة به كلامهم، ويبلغون به ما يشاؤون من تفخيم معانيهم<sup>(1)</sup>، ومُحَمَّد الطاهر عاشور (ت 1393هـ) في التحرير والتنوير<sup>(2)</sup>، والشعراوي (ت 1418هـ) في تفسيره<sup>(3)</sup>، وابن العثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>.

من هنا بات واضحًا وضوح الشمس في رابعة النهار، مدى اعتماد المفسرين على القواعد البلاغية في توجيه المعنى في الآيات القرآنية؛ لأن البلاغة هي التي تميز بها لسان العرب الذي نزل به كتاب الله - جل وعز -؛ ليفهموا عن الله مراده وخطابه؛ بياناً لهم وجحة عليهم، فعمدوا إلى تفسير كتابه - سبحانه - لفهم معانيه، واستنباط أحكامه، من خلال فهم علوم العربية، ودرستها، وإنقانها كما بين ذلك الخطيب البغدادي (ت 463هـ) فيما أسنده إلى أبي الدرداء - رضي الله عنه - بقوله: " لا تُفْقِهُ كُلُّ الْفِقْهِ، حَتَّى تَرِي لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً" ، ثُمَّ تَعْقِبَهُ بِقُولِهِ: " فِي حِاجَةِ النَّاظِرِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، إِلَى حِفْظِ الْآتَارِ، وَدَرْسِ النَّحْوِ، وَعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْلُّغَةِ" ، إذ كان الله - تعالى - إنما أنزله بلسان العرب، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]<sup>(5)</sup>.

لذلك لا بد من فهم اللغة العربية، ومعرفتها؛ فهي شرط في فهم القرآن، وتفسيره، إذ من الحال فهمه وتفسيره لغير عارف العربية؛ لأنه لا شك أنه سيقع في الرلل والخطأ، بل وسيحرّف الكلم عن موضعه.

<sup>1</sup> تفسير المنار 1/140.

<sup>2</sup> انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 1/299-300.

<sup>3</sup> انظر: تفسير الشعراوي - الخواطر 1/163-164.

<sup>4</sup> انظر: تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 1/60-61.

<sup>5</sup> الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي (ت 463هـ)، الفقيه و المتفقه، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، ط 2 1421هـ، ج 1، ص 198.

وإنّ من الأهميّة بمكان، عنایة المفسّرين بالبلاغة - التي هي جزء مهمّ من العربيّة - والبراعة فيها، لاسيّما في علمي البيان والمعاني، وهذا ما أكّده الزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف بقوله: "واللغوي وإن علّك اللغات بقوّة لحيّه لا يتصدّى منهم أحدٌ لسلوكِ تلك الطرائق، ولا يغوصُ على شيءٍ من تلك الحقائق إلّا رجل قد بَرَعَ في علميْن مختصّين بالقرآن، وهما علم المعاني، وعلم البيان، وتمهّلَ في ارتياحِهما آونة، وتعب في التقدير عنهما أزمنة" <sup>(1)</sup>.

ويرى الباحث أنَّ ابن بدران - رحمه الله تعالى - لحق الركب في اعتماده لقواعد البلاغية في تأويل قوله - تعالى - ﴿فَمَا رَبِحَتْ تَجَرَّهُ﴾ [البقرة: 16]، فنجده ينقل كلام الرازي <sup>(2)</sup> بتمامه وكماله في تأويل الآية <sup>(3)</sup> ثم يضيف بقوله: "استبدلوا الدين القيم الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها بالضلالة، فكلّ من ضلَّ فهو مستبدل خلاف الفطرة" <sup>(4)</sup>. ثم بعد ذلك يعلّل اعتماده هذا التأويل بناءً على القاعدة البلاغية بقوله: "فإنْ قلت: كيف أسد عدم الربح إلى التجارة، وإنما هو لأصحابها لا لها؟ قيل: هو من الإسناد المجازي" <sup>(5)</sup>، كما بيّنا ذلك.

ويؤيد الباحث ابن بدران، وعلماء اللغة، والتفسير الذين سبقوه بقوله، وسلكوا هذا المسلك؛ لأنَّ غاية التفسير هو معرفة مراد الله - جلَّ وعزَّ - في آياته، وإصابة وجه الحقّ فيها من خلال العربية التي لا تتفصل عن علوم الدين؛ لأنَّها لغة التنزيل، وكلام سيد المرسلين.

تنبيه:

وهذا لا يعني أنَّ تفسير القرآن قائم فقط على علوم العربية، كما بيّن ذلك ابن عباس بقوله: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله - تعالى ذكره -" <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> الكشاف 2/1.

<sup>2</sup> انظر: كلام الرازي 2/311.

<sup>3</sup> انظر: جواهر الأحكار ص 80-81.

<sup>4</sup> المرجع السابق ص 81.

<sup>5</sup> المرجع السابق ص 81.

<sup>6</sup> جامع البيان في تأويل القرآن 1/75.

لذلك فإنَّ العلماء وضعوا ضوابط، وقواعد للتفصير القائم على اللغة، وهو ما يُعرف بالتفصير اللغوي. وقد بيَّناها، وفصَّلناها سابقاً تحت عنوان: ضوابط التفصير باللغة<sup>(1)</sup>.

وقد عرَّفه مساعد الطيار بقوله: " هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، أمَّا الشَّقُّ الأول من التعريف، وهو بيان معاني القرآن: فإنَّه عامٌ يشملُ كلَّ مصادر البيان في التفصير: كالقرآن والسنَّة، وأسباب النزول، وغيرها. أمَّا الشَّقُّ الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنَّه قيدٌ واصفٌ لنوع البيان الذي وقع لتفصير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب....، والمرادُ بما ورد في لغة العرب: ألفاظها، وأساليبها التي نزل بها القرآن " <sup>(2)</sup>.

#### وخلالمة القول:

إنَّ تأويل قوله - تعالى - : ﴿فَمَا رَيَحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ قائم على القاعدة البلاغية: وهي الإسناد المجازي، أو المجاز الحكمي، أو العقلي، في بيان خسارة المنافقين في تجارتهم؛ بشرائهم الضلال بالهوى، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وذلك هو الخسران المبين.

<sup>1</sup> انظر: ص43-47.

<sup>2</sup> التفصير اللغوي للقرآن الكريم لمساعد الطيار ص38-39.

### المسألة الثالثة:

أَثْرُ خُرُوجِ كَيْفَ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهَا فِي تَوْجِيهِ مَقْنَى قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿كَيْفَ تَكُونُوا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 28].

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - : "إِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي تَصْدِيرِهِ - تَعَالَى - هَذِهِ الْآيَةِ: بِ(كَيْفَ) الَّتِي مَعَنَاهَا الْاسْتِفْهَامُ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهَا؟ وَالْاسْتِفْهَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ خَفِيَّ عَنْهُ حَالَ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ، وَهُوَ مُحَالٌ عَلَيْهِ - تَعَالَى - لَأَنَّهُ عَلَمُ الْغَيْوَبِ. قَلَّا: لَيْسُ الْاسْتِفْهَامُ هُنَا عَلَى حَقِيقَتِهِ كَمَا أَشْرَنَا إِلَيْهِ سَابِقًا، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْحَالُ حَالُ الْعِلْمِ بِالصَّانِعِ، الْمُوجَبَةُ لِلصِّرْفِ عَنِ الْكُفْرِ، وَكَانَ صُدُورُ الْكُفْرِ مِنْ لَهُمْ صُورَةً اخْتِيَارٍ فِي التَّرْكِ مَعَ الصَّارِفِ الْقَوِيِّ مَظْنَةً تَعْجِبَ وَتَعْجِيبَ، وَإِنْكَارَ وَتَوْبِيخَ، صَارَ كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: مَا أَعْجَبَ كُفَّارَكُمْ!"<sup>(1)</sup>.

فيظهر من كلامه - رحمه الله تعالى - أنَّه عَدَلَ عَنْ حَقِيقَةِ الْاسْتِفْهَامِ إِلَى مَعْنَى مَعْنَاهِ وَهُوَ: التَّعْجِبُ، وَالْإِنْكَارُ، وَالتَّوْبِيخُ، بِمَا يَتَنَاسَبُ وَسِيَاقَ الْآيَةِ؛ لِبَيَانِ كَنْهِهَا، وَمَرَادِ اللَّهِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ الْاسْتِفْهَامِ، وَحَقِيقَتِهِ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَمُ الْغَيْوَبِ، الَّذِي لَا يَخْفِي عَنْهُ حَالَ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ.

وللوقوف على حقيقة المسألة، وبيان الحق فيها، ودلائل إعجازها، ومَرَادُ اللَّهِ مِنْهَا، لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْاسْتِفْهَامِ وَدَلَالَتِهِ وَأَغْرِاصِهِ.

عَرَفَ الْعَكْبَرِيُّ (ت 616هـ) الْاسْتِفْهَامَ بِقَوْلِهِ: "الْاسْتِفْهَامُ: طَلْبُ الْإِفْهَامِ، وَالْإِفْهَامُ: تَحْصِيلُ الْفَهْمِ، وَالْاسْتِفْهَامُ، وَالْاسْتَعْلَامُ، وَالْاسْتَخْبَارُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"<sup>(2)</sup>.

وَعَرَفَ الْهَاشَمِيُّ (ت 1362هـ) بِقَوْلِهِ: "هُوَ طَلْبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ مِنْ إِحْدَى أَدَوَاتِهِ الْآتِيَةِ وَهِيَ: الْهَمْزَةُ، وَهُلُّ، وَمَا، وَمَتَى، وَأَيَّانُ، وَكَيْفُ، وَأَيْنُ، وَأَتَى، وَكَمُّ، وَأَيِّ"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> جواهر الأفكار ص 139-140.

<sup>2</sup> العكّوري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت 616هـ)، الباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط 1416هـ، ج 2، ص 129.

<sup>3</sup> جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبداع للهاشمي ص 78.

وعرفة الغلايبي (ت 1364هـ)<sup>(1)</sup> بقوله: "اسم الاستفهام: هو اسم مُبهم يُستعلم به عن شيء، نحو من جاء؟ كيف أنت؟"<sup>(2)</sup>

ومن أسماء الاستفهام: كيف، قال ابن قتيبة: "كيف بمعنى: على أي حال، تقول: كيف أنت؟ تزيد بأي حال أنت"<sup>(3)</sup>، وهي: "اسم يُستفهم به عن حالة الشيء، نحو كيف أنت؟، أي: على أيّة حال أنت". والغرض من الاستفهام بهذه الأسماء عموم السؤال المقتضي للجواب بالمسؤول عنه، وهذا لا يحصل من الاستفهام بالحرف؛ لأنَّ المستفهم عنه يختصُّ ببعض الجنس، كقولك أزيد في الدار؟ فيمكن المجيب أن يقول: لا، ولا يلزمُ شيء آخر بمقتضى هذا السؤال؛ فيحتاجُ أنْ يحدد سؤالاً آخر وربما تسلسل<sup>(4)</sup>.

وقد يخرج الاستفهام عن أصل دلالته إلى معانٍ أخرى كما بين ذلك ابن الشجري (ت 542هـ) في أماليه<sup>(5)</sup>، وعبد الرحمن حبَّكتة (ت 1425هـ) بقوله: "كثيراً ما يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإِفْهَام والإِعْلَام إلى معانٍ أخرى أشار إليها به، ويُسْتَدَلُّ عليهَا مِنْ قرائِنِ الْحَالِ، أو قرائِنِ الْمَقَالِ، إِذْ يَسْتَغْنُي الْبُلْغَاء بعبارات الاستفهام عن ذكر الألفاظ الدالة دلالة صَرِيحَةً على مَا يُرِيدُونَ التَّعْبِيرَ عَنْهُ مِنَ الْمَعَانِي، وبلغة الدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي بأسْلُوبِ الْإِسْتَفْهَامِ آتِيَّةً مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْهَا بصورة غير مباشرة، وهي دلائلٌ تُتصَدِّدُ بالذَّكَاءِ. قال شمس الدين ابن الصائغ في كتابه (روض الأفهام في أقسام الاستفهام): "وقد توسيع العرب؛ فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ، أو أشرته

<sup>1</sup> هو مصطفى بن محمد سليم الغلايبي: شاعر، من الكتاب الخطباء. من أعضاء المجمع العلمي العربي. مولده ووفاته بيروت. تعلم بها وبمصر، وتتلمذ للشيخ محمد عبده (سنة 1320هـ) ولما كان الدستور العثماني أصدر مجلة (النبراس) سنتين، بيروت، ووظف فيها أستاذًا للعربية في المدرسة السلطانية أربع سنوات، وعين خطيباً للجيش الرابع (العماني) في الحرب العالمية الأولى، فصحبه من دمشق مخترقاً الصحراً إلى ترعة السويس من جهة الإسماعيلية وحضر المعركة والهزيمة. وعاد إلى بيروت، مدرساً. وبعد الحرب أقام مدةً في دمشق، وتطوع للعمل في جيشه العربي. وعاد إلى بيروت فاعتقل بتهمة الاشتراك في مقتل (أسعد بك) المعروف بمدير الداخلية (سنة 1922) وأُفرج عنه فرحاً إلى شرق الأردن، فعهد إليه أميرها (الشريف عبد الله) بتعليم ابنه، فمكث مدةً وانصرف إلى بيروت، فنصب رئيساً للمجلس الإسلامي فيها، وقضياً شرعاً إلى أن توفي. من كتبه (نظارات في اللغة والأدب - ط) و(عظة الناشئين - ط) و(باب الخيار في سيرة النبي المختار - ط) رسالة اختصرها من كتابه ( الخيار المقول في سيرة الرسول - خ) و(الإسلام روح المدنية - ط) في البر على كروم، و(نظارات في كتاب السفور والحجاب - ط) و(الثريا المضية في الدروس العروضية - ط) و(أريج الزهر - ط) مجموع مقالات له، و(رجال المعلمات العشر - ط) و(الدروس العربية - ط) مدرستي، و(ديوان الغلايبي - ط). انظر: الأعلام للزركي 7-244-245.

<sup>2</sup> جامع الدروس العربية للغلابي 1/139.

<sup>3</sup> انظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص 115، واللّمع في العربية ص 228. والبلاغة العربية 1/266، واللّمة في شرح الملحمة لابن الصانع 2/907، والمحرر في النّحو للهرمي 1/465، والنّحو الشافعي ص 160، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 730، والبرهان في علوم القرآن للزرتشي 4/330، وجامع الدروس العربية للغلابي 1/143.

<sup>4</sup> الباب في علل البناء والإعراب للعككري 2/131.

<sup>5</sup> انظر: أمالى ابن الشجري 1/402-410.

ذلك المعاني". وقد أحصى البلاغيون معاني كثيرة خرج إليها الاستفهام عن حقيقته، إذ تتبّهوا إليها لدى دراسة مختلف النصوص، وهي ما يلي: 1. الإنكار 2- التوبيخ 3- التقرير 4- التعجب أو التعجب 5- العتاب 6- التذكير 7- الافتخار، ...<sup>(1)</sup>. وهذا ما أشار إليه القزويني (ت 739هـ) في كتابه الإيضاح بقوله: "الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام: ثم إنَّ هذه الألفاظ كثيراً ما تُستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام"<sup>(2)</sup>. ثم ذكرها مفصّلة.<sup>(3)</sup>

لذلك فإنَّ لكلَّ اسم من أسماء الاستفهام معنى خرج عن أصل دلالته الحقيقة فاسم الاستفهام (كيف) له عدّة وجوه بينها ابن فارس (ت 395هـ) بقوله: "وقال بعض أهل اللغة: لها ثلاثة أوجه: أحدها: سؤال محض عن حال، تقول: كيَفَ زيد؟. والوجه الآخر: حال لا سؤال معه، كقولك: لآخر منك كيف كنتَ أي: على أي حال كنت. والوجه الثالث: (كيف) بمعنى التعجب، وعلى هذين الوجهين يُفسِّر قوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَر﴾ [المدثر: 19] قالوا: معناها "على أي حال قدر" وتعجب أيضاً. ومن التعجب قوله جل ثناوه: ﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمَوَاتًا فَأَحَدَكُمْ﴾ [آل عمران: 28].

وقد يكون كيف بمعنى النفي. قال<sup>(4)</sup>:

كيف يرجون سقاطي بعدما	لاح في الرأس مثيب وصالع <sup>(5)</sup>
ومنه قوله جل ثناوه: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدُ اللَّهِ﴾ [التوبه: 7] و ﴿كَيْفَ	
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم﴾ [آل عمران: 86]. وتكون توبيناً، كقوله جل ثناوه:	
﴿وَكَيْفَ تَكُفُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَّ عَلَيْكُمْ إِيَّاهُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 101]. فاما قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا	

<sup>1</sup> البلاغة العربية لحبشة 1/269-270، وانظر: درج الدرر 2/37.

<sup>2</sup> الإيضاح في علوم البلاغة ط دار الجيل 3/68.

<sup>3</sup> انظر: المرجع السابق 3/68-80.

<sup>4</sup> يعني: سويد بن أبي كاهل (غطيف، أو شبيب) ابن حارثة بن حسل، الذياني الكناني اليشكري، أبو سعد: شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. عَدَه ابن سلام في طبقة عنترة. كان يسكن بادية العراق. وسجن بالكوفة، لمهاجاته أحد بنى يشكر، فعمل بنو عبس وذبيان على إخراجه، لمديحه لهم، فأطلق بعد أن حلف على أن لا يعود إلى المهاجاة. أشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية (البيتيمة) وهي من أطول القصائد، حفظ الرواة منها نيفاً ومنه بيت، مطلعها: (أرق العين خيال لم يدع من سليمي ففادي منتز) وجمع معاصرنا شاكر العاثور ما وجد من شعره في (ديوان - ط) بالبصرة. انظر: الأعلام 3/146.

<sup>5</sup> اليشكري، أبو سعد سويد بن أبي كاهل غطيف بن حارثة (ت نحو 600هـ)، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق شاكر العاثور، مراجعة محمد جبار المعبي، دار الطباعة الحديثة، بصرة - عراق، ط 1972م، ص 32.

جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴿النساء: 41﴾ فهو توكيد لِمَا تَقَدَّمَ من خبر وتحقيق لِمَا بعده، على تأويل: إن الله لا يظلم متقاً ذرَّةً في الدنيا فكيف في الآخرة<sup>(1)</sup>.

وقال الزجاجي (ت 337هـ)<sup>(2)</sup> في كتابه حروف المعاني: "كيف لها ثلاثة مواضع تقع بمنزلة (كما) واستفهاماً عن حال، تقول: أعلمُه كيف تشاء، كما تقول: أعلمُه كما تشاء، وتقول في الاستفهام: كيف أبوك صانع إذا سألته عن صنيعه؟ فإذا سأله عن نفسه قلت: كيف زيد؟ فيقال صالح. فهي تسأل بها عن حال الشيء وهيئة. وتقع كيف بمعنى التعجب قوله - تعالى - : ﴿كَيْفَ تَكُونُ إِلَّا وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحِمَّكُم﴾ [ البقرة: 28]<sup>(3)</sup>.

وقد تخرج كيف من الاستفهام الحقيقي إلى أغراض عدّة منها:

1. التعجب، نحو قوله - تعالى - : ﴿كَيْفَ تَكُونُ إِلَّا وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحِمَّكُم﴾ [ البقرة: 28]<sup>(4)</sup>. فتكون صيغة التعجب هنا لما يدل عليه بالقرينة؛ لأنَّ صيغة التعجب لما يدل عليه الوضع صيغتان: ما أفعله نحو: ما أحسن الصدق! وأفعل به نحو أحسن به!<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس ص 115-116، وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبيادي 401/4.

<sup>2</sup> أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النهاودي البغدادي داراً ونشأة، النهاوندي أصلاً وموطأ، كان إماماً في علم النحو، وصنف فيه كتاب "الجمل الكبرى" وهو كتاب نافع لولا طوله بكثرة الأمثلة. أخذ النحو عن محمد بن العباس اليزيدي وأبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأتباري، وصاحب أبا إسحاق إبراهيم بن السري النزاج فنسب إليه وعرف به، وسكن دمشق وانتفع الناس به وتخرجوا عليه. وتوفي في رجب سنة سبع وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل في شهر رمضان سنة أربعين، والأول أصح، بدمشق وقيل بطبرية - رحمه الله - وكان قد خرج من دمشق مع ابن الحارث عامل الضياع الإخشيديه فمات بطبرية. وكتابه (الجمل) من الكتب المباركة لم يستغل به أحد إلا وانتفع به، ويقال إنه صنفه بمكة - حرسها الله تعالى - وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا الله - تعالى - أن يغفر له وأن ينفع به فارئه. والزجاجي: بفتح الزي وتشديد الجيم وبعد الألف جيم ثانية. انظر: وفيات الأعيان 3/136.

<sup>3</sup> الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي (ت 337هـ)، حروف المعاني والصفات، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1984م، ص 35. وانظر: ص 59.

<sup>4</sup> انظر: تأويل مشكل القرآن 1/278، اللῆمة في شرح الملحقة لابن الصائغ 2/907، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام 2/224، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك 2/262، وشرح التصرير على التوضيح 2/57، والحملاوي، أحمد بن محمد (ت 1351هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، ص 70، وجامع الدروس العربية للغلايبي ص 65، والنحو الوفي 3/340، ومعاني النحو للسامري 4/224، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص 115، وحروف المعاني والصفات للزجاجي ص 59، وبغية الإيضاح 2/266، والبلاغة العربية 1/169، ومفتاح العلوم للسكاكيني ص 314، والبرهان في علوم القرآن للزركي 2/344، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/107، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى 3/270.

<sup>5</sup> انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطى 3/259، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام 3/227-225، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك 2/263، شرح التصرير على التوضيح 2/57-59. شذا العرف في فن الصرف، ص 70. وجامع الدروس العربية للغلايبي .65/1

وعدها بعضهم ثلاثة فأضاف (فَعُل) مثل فَضْل زيد<sup>(1)</sup>.

وصيغ التعجب إما سمعية وإما قياسية:

**أمّا القياسية:** فهي التي تدلّ بلفظها ومعناها على التعجب، فهي بلفظها معدّة لذلك صرفيًا، وهي بمعناها تدلّ على التعجب - وهكذا استعملتها العرب - وهذا اثنان: ما أَفْعَلَ، وَأَفْعِلْ به، على التفصيل المذكور آنفًا.

**وأمّا السمعية:** فهي الأساليب المستعملة في اللغة لغير التعجب؛ ولكنها تدلّ عليه بالاستعمال المجازي، فمعاني ألفاظها لا يفهم منها التعجب، إلا بالقرائن عن طريق المجاز أو التغريم. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمَوَاتًا ﴾ [البقرة: 28]، فكلمة (كيف) أصلها بلفظها و معناها للاستفهام، ولكنها دلت على التعجب دلالة عارضة على سبيل المجاز، وقول القائل: سبحان الله! فسبحان الله: بلفظها و معناها للدعاء والعبادة، ثم استخدمت في التعجب على غير الأصل<sup>(2)</sup>. وهكذا دواليك.

2. التوبيخ، نحو قوله - تعالى -: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: 36]<sup>(3)</sup>.

3. النفي، نحو قوله - تعالى -: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [آل عمران: 86]. والمعنى: لا يهدي الله قوماً كفروا.<sup>(4)</sup>

4. التحذير، نحو قوله - تعالى -: ﴿ فَإِنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيقَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: 137]<sup>(5)</sup>.

5. الإنكار، نحو قوله - تعالى -: ﴿ كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: 28]<sup>(6)</sup>. إلى غير ذلك من المعاني.<sup>(7)</sup>

<sup>1</sup> انظر: شرح شدور الذهب للجوجري 2 / 731، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى 259/3، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن 1/321.

<sup>2</sup> انظر: بصائر ذوي التمييز للقبروز أبادي 401/2-402، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيان للهاشمى ص 69.

<sup>3</sup> انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ط دار الجيل 3/79، ومعاني النحو للسامرائي 4/224، والصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص 116، وبغية الإيضاح 2/266، ومفتاح العلوم للسكاكى ص 314، والمفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص 730، والبرهان فى علوم القرآن 331/4، والجدول فى إعراب القرآن لمحمود صافى 7/110.

<sup>4</sup> معانى النحو للسامرائي 4/224، والصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص 115، وبصائر ذوي التمييز للقبروز أبادي 401/4، والجدول فى إعراب القرآن لمحمود صافى 7/110.

<sup>5</sup> معانى النحو للسامرائي 4/225، والبرهان فى علوم القرآن للزرکشى 4/331.

<sup>6</sup> انظر: مفتاح العلوم للسكاكى 1/314، والجدول فى إعراب القرآن لمحمود صافى 7/110، ودرج الدرر للجرجاني 2/37.

<sup>7</sup> انظر: معانى النحو للسامرائي 4/225، والبرهان فى علوم القرآن للزرکشى 4/330-331.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة عن الاستفهام، ودلالته الحقيقة والمجازية يظهر لنا أنَّ خروج الاستفهام عن أصل حقيقته معلوم بالعربية، إذ إن المستقرى لكلام العرب وأشعارهم يجده مليئاً فيه، ولذلك فإنَّ علماء اللُّغَةِ، والنَّحْوِ، والبَلَاغَةِ قد اهتموا فيه أَيْمَا اهتماماً، حتى إنَّا نجدهم قد صنفوا فيه المصنفات، وأفردوا له أبواباً في بطون المؤلفات، دلالة على أهميته وضرورته في مقصود الكلام ومرماه، ولعلَّ كلام الله وآياتِه أَجَلٌ ما يُنظر إليه لبيان مراده وكنهه؛ لاستبطاط أحكامه وشريعته. وقد أفاد علماء التفسير من كلام علماء النَّحْوِ والبلاغة في هذا الباب؛ ليُظْهِرُوا تأويل الآيات ويفسُّرُوها على الوجه الذي أراده الله - سبحانه وتعالى - لإصابة الحق ومعرفة الصحيح.

من هنا فإنَّ جُلَّ العلماء وجمهورَهُم قالوا في تأويل قول الله - تعالى - : ﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 28] : إنَّ الاستفهام في هذه الآية خرج عن أصل حقيقته إلى دلالته المجازية، وهي التعجب، والتعجب، والإنكار، والتوبیخ معتمدين قاعدة بلاغية من القواعد البلاغية المستقرة من كلام الله - جلَّ وعزَّ - ثمَّ من كلام العرب، وأشعارهم التي تدلُّ على الفصاحة، والبلاغة، والبيان.

وقد تنوَّعت ألفاظ العلماء في الدلالة على المعنى المجازي لاسم الاستفهام (كيف) :  
فمن قائل بالتعجب والتوبیخ، ومنهم:

الفراء (ت 207هـ) في معاني القرآن بقوله: "وقوله: ﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ﴾ وَكُنْنُمْ أَمْوَاتًا" [البقرة: 28] ، على وجه التعجب والتوبیخ، لا على الاستفهام المحس، أي: وَيُحَمِّلُونَ كيف تكفرون! وهو قوله: ﴿فَإِنَّ تَذَهَّبُونَ﴾ [التكوير: 26] [^1].

وقال بقوله الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره<sup>(2)</sup>، والسمرقندى (ت 373هـ) في بحر العلوم<sup>(3)</sup>، والماوردى (ت 450هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>، والكرمانى (ت 505هـ) في غرائب التفسير<sup>(5)</sup>، وابن عطية

<sup>1</sup> معانى القرآن للفراء 23/1، وانظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهانى ص 730، والبرهان في علوم القرآن للزرتشي 330/4، وبصائر ذوى التمييز للقىروز أبادى 401/4، ومعترك الأقران للسيوطى 330/1، وفتاح العلوم للسكاكى 314/1، والتفسير البسيط للواحدى 289/2.

<sup>2</sup> انظر: جامع البيان للطبرى 427/1.

<sup>3</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندى 106/1.

<sup>4</sup> انظر: النكت والعيون 90/1.

<sup>5</sup> انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى 129/1.

( ت 542 هـ ) في تفسيره<sup>(1)</sup> ، والجوzi ( ت 597 هـ ) في تفسيره<sup>(2)</sup> ، والقرطبي ( ت 671 هـ ) في تفسيره<sup>(3)</sup> ، والسمّيin الحَلَبِي ( ت 756 هـ ) في الدر المصنون<sup>(4)</sup> ، والنسيابوري ( ت 850 هـ ) في تفسيره<sup>(5)</sup> والألوسي ( ت 1270 هـ ) في تفسيره<sup>(6)</sup> ، والسعدي ( ت 1376 هـ ) في تفسيره<sup>(7)</sup> ، والزحيلي في تفسيره<sup>(8)</sup> ، وأبو زهرة ( ت 1394 هـ ) في تفسيره<sup>(9)</sup> .

ومنْ قائل بِالْتَّبَكِيتِ وَالتَّعْنِيفِ، وَمِنْهُمْ:

الرازي ( ت 606 هـ ) في مفاتيح الغيب بقوله: " واعلم أنّ قوله: ﴿ كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ ﴾ إِنْ كَانَ بِصُورَةِ الْإِسْتِخْبَارِ فَالْمَرَادُ بِهِ التَّبَكِيتُ وَالتَّعْنِيفُ؛ لِأَنَّ عَظَمَ النِّعْمَةِ يَقْتَضِي عِظَمَ مُعْصِيَةِ الْمُنْعَمِ " <sup>(10)</sup> .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالْتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ:

أبو حيّان الأندلسي ( ت 745 هـ ) في البحر المحيط بقوله: " كيف: قد تقدّم أَنَّه اسم استفهام عن حال، وصَاحِبُهُ معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام " <sup>(11)</sup> ، وقال بهذا أبو زيد الشعالي ( ت 875 هـ ) في تفسيره بقوله: " قوله - تعالى - : ﴿ كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ ﴾ هو تقرير وتوبيخ، أي: كيف تكفرون، ونعمه عليكم وقدرته هذه " <sup>(12)</sup> .  
وَمِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ عَنِ الْإِسْتِفَاهَمِ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ وَالْمُتَعَجِّبِ:

عبد القاهر الجرجاني ( ت 471 ) في درج الدرر بقوله: " (كيف) استفهام بمعنى الإنكار، وفيه تبيين أَنَّه موضع لِتَعْجِبِ الْمُتَعَجِّبِ حيث يكفرون بمن تولّ إنشاءهم، وحفظهم، وإفناءهم وإعادتهم

<sup>1</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه 114/1.

<sup>2</sup> انظر: زاد المسير في علم التفسير 48/1.

<sup>3</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن 1/249.

<sup>4</sup> انظر: الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون 1/237.

<sup>5</sup> انظر: غرائب القرآن وغرائب الفرقان للنسيابوري 1/208.

<sup>6</sup> انظر: روح المعاني 1/214.

<sup>7</sup> انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي 1/48.

<sup>8</sup> انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج 1/116.

<sup>9</sup> انظر: زهرة التفاسير 1/185.

<sup>10</sup> مفاتيح الغيب 2/375.

<sup>11</sup> البحر المحيط في التفسير 1/208.

<sup>12</sup> الجوادر الحسان في تفسير القرآن 1/203.

من النشأة الآخرة، ويخالفون قضيّة اللبّ، ويُكابرُون العقل<sup>(1)</sup>، وقال بهذا الكرماني (ت 505هـ) في غرائب التفسير<sup>(2)</sup>، والزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف<sup>(3)</sup>، والبيضاوي (ت 685هـ) في تفسيره: "كيف تكفرون بالله استخبار فيه إنكار، وتعجب لكرهم بإنكار المحال التي يقع على الطريق البرهاني"<sup>(4)</sup>، والنوفي (ت 710هـ) في مدارك التنزيل<sup>(5)</sup>، وذكره أبو حيّان الأندلسي (ت 745هـ) في تفسيره بقوله: "وقيل<sup>(6)</sup>: صَحَبَهُ الْإِنْكَارُ وَالتَّعْجُبُ، أَيْ إِنَّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنَ الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ وَالتَّصَرُّفِ التَّامِّ، وَالْمَرْجُعُ إِلَيْهِ آخَرًا فَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ – لَا يُلِيقُ أَنْ يُكَفَّرَ بِهِ"<sup>(7)</sup>، والنيسابوري (ت 850هـ) في غرائب القرآن بقوله: "فَصَدُورُ الْفَعْلِ عَمَّنْ لَهُ صُورَةُ اخْتِيَارٍ فِي التَّرْكِ مَعَ الصَّارِفِ الْقَوِيِّ مَظَاهِرَتَهُ تَعْجَبٌ وَتَعْجِيبٌ، وَإِنْكَارٌ وَتَوْبِيخٌ فَكَأَنَّهُ قَيْلٌ: مَا أَعْجَبَ كُفُّرَكُمْ وَالْحَالُ أَنْكُمْ عَالَمُونَ بِهَذِهِ الْقَصَّةِ!"<sup>(8)</sup>، والشوکانی (ت 1250هـ) في فتح القدیر<sup>(9)</sup>، والقاسمي (ت 1332هـ) في محسن التأويل بقوله: "وَالاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي بِمَعْنَى إِنْكَارِ الْوَاقِعِ، وَاسْتِبْعَادِهِ، وَالتَّعْجِيبُ مِنْهُ؛ لَأَنَّ مَعْهُمْ مَا يَصْرُفُ عَنِ الْكُفُرِ، وَيَدْعُونَ إِلَى الإِيمَانِ"<sup>(10)</sup>، ومُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاصِمٍ (ت 1393هـ) في التحرير والتواتر<sup>(11)</sup>، والعثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره<sup>(12)</sup>، والألوسي (ت 1270هـ) في روح المعانی بقوله: "وَهِيَ هُنَا لِلْاستِخْبَارِ مُنْضَمًّا إِلَيْهِ إِنْكَارُ وَالتَّعْجِيبِ؛ لِكُفُّرِهِمْ إِنْكَارُ الْحَالِ الَّذِي لَهُ مُزِيدٌ اخْتِصَاصٌ بِهَا، وَهِيَ الْعِلْمُ بِالصَّانِعِ وَالْجَهْلُ بِهِ"<sup>(13)</sup>، ومُحَمَّدُ صَافِي (ت 1376هـ) في الجدول<sup>(14)</sup>.

وممّا سبق نلاحظ أنَّ كلمة العلماء تكاد تجتمع على خروج (كيف) عن أصل دلالتها في قوله - تعالى - ﴿ كَيْفَ تَكُونُونَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: 28]، وإن تنوّعت ألفاظهم في المعنى

<sup>1</sup> درج الدرر في تفسير الآي وال سور 1/127.

<sup>2</sup> انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني 1/129.

<sup>3</sup> انظر: الكشاف عن حقائق غامض التنزيل 1/121.

<sup>4</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/65.

<sup>5</sup> انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنوفي 1/76.

<sup>6</sup> يعني الاستفهام.

<sup>7</sup> البحر المحيط في التفسير 1/208.

<sup>8</sup> غرائب القرآن ورَغَائِبُ الْفُرْقَانِ للنَّيْسَابُوريِّ 1/209.

<sup>9</sup> انظر: فتح القدير للشوکانی، 1/70.

<sup>10</sup> محسن التأويل للقاسمي 1/281.

<sup>11</sup> انظر: التحرير والتواتر لابن عاشور 1/374.

<sup>12</sup> انظر: تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 1/105.

<sup>13</sup> روح المعانی في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانی 1/214.

<sup>14</sup> انظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمد صافي 3/240.

الذي أشارت إليه؛ فمن قائل: التعجب والتوبيخ، ومن قائل: التبكيت والتعنيف، ومنهم من قال: التقرير والتوبيخ، ومنهم من قال: الإنكار والتعجب، على التفصيل الذي ذكرنا آنفاً. والظاهر أنَّه لا مشاحة في الاصطلاح، فكُلُّها تصلح إلى ما أشارت إليه (كيف)؛ لأنَّ اسم الاستفهام قد يدلُّ على غير معنى بحسب السياق الذي يرد فيه، وهذا ظاهر واضح في العربية والآيات القرآنية، ولعل الآية التي نحن بصددها أدل دليل على ذلك. وهذا ما دفع ابن بدران - رحمه الله تعالى - أن يجمع هذه المعاني كلَّها في تأويل قوله - تعالى -: ﴿كَيْفَ تَكُونُوا فُرُونَ بِاللَّهِ﴾ للوصول إلى المعنى الحق المراد في الآية، وكنهاها، والوقوف على وجه الصواب فيها.

ولقد نقل ابن بدران - رحمه الله - كلام الرازبي وهو: "لكن المراد به التبكيت والتعنيف"<sup>(1)</sup>، ثم قال: "مَظْنَةٌ تَعْجَبُ وَتَعْجَبُ، وَإِنْكَارٌ وَتَوْبِيْخٌ"<sup>(2)</sup>، وهذا يدلُّ على سعة اطلاقه، ومعرفته بالعربية وفنونها، وحذقه بالبلاغة وعلومها، وتفنته في توظيف القواعد البلاغية في تأويل الآيات القرآنية، ومعرفة مراد الله منها.

ويرى الباحث أنَّ ما ذهب إليه ابن بدران وجُلَّ علماء العربية والتفسير - رحمهم الله جميعاً - هو الحقُّ والصواب؛ لتضافر الأدلة الدامغة، والفرائض الواضحة على ذلك.  
إذ إنَّه مُحال غير ذلك؛ لمخالفة العربية من ناحيةٍ، والقواعد التفسيرية من ناحية أخرى؛ لأنَّه من غير المُمكن القول بحقيقة الاستفهام الذي لا يكون إلَّا ممَّن حَفِي عنـه حال المُسْتَفْهَم عنه، وهذا مُحال عليه - سبحانه وتعالي -؛ لأنَّه عَلَمُ الغيوب.

### وخلاصة القول:

إنَّ اسم الاستفهام (كيف) في قوله - تعالى -: ﴿كَيْفَ تَكُونُوا فُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 28] خرج عن أصل دلالته وحقيقة معناه المجازي وهو: التعجب، والتعجب، والإنكار، والتوبيخ؛ بحسب ما يقتضيه السياق.

<sup>1</sup> انظر: جواهر الأفكار ص 139، ومفاتيح الغيب للرازي 2/ 375.

<sup>2</sup> انظر: جواهر الأفكار ص 139-140.

## المسألة الرابعة:

**أثر الكنية في توجيه معنى الكلمة ﴿الرَّفْث﴾ في قوله - تعالى - : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187].**

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - : " ﴿الرَّفْث﴾ كنایة عن الجماع في هذا الموضوع، يقال: هو ﴿الرَّفْث﴾ والرفوث، وقد روي أنها في قراءة عبد الله بن مسعود: " أحل لكم ليلة الصيام الرفوث إلى نسائكم " ، وهو قول قتادة ومجاهد، وسلم بن عبد الله، والسدي، وابن عباس، وقال: " ﴿الرَّفْث﴾ الجماع، ولكن الله كريم يكفي " ، و ﴿الرَّفْث﴾ في غير هذا الموضع: الإفحاش في المنطق، كما قال العجاج<sup>(1)</sup>:

عن اللّغّا ورفث التّكلّم<sup>(2)</sup>

وَعَدَّي الرَّفْث بـ (إِلَى)، مع أَنَّه يَتَعَدَّى بِالبَاءِ؛ لِتَضْمِنَه مَعْنَى الإِفْضَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَفْخَنَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 21]، كَأَنَّه قَيلَ: أَحِلَّ لَكُمُ الْإِفْضَاءَ إِلَى نِسَائِكُم بِالرَّفْث " .<sup>(3)</sup>

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله - : " وَقَدْ تضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٌ مِّنَ الْبَيَانِ:

الطباق المعنوي بقوله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ ... .

والكنية بقوله: ﴿الرَّفْث﴾ الذي هو كنایة عن الجماع. والاستعارة البديعة في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُم﴾ ... ".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب واسم: أبو الشعثاء عبد الله - ابن رؤبة البصري التميمي السعدي؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران، كل منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وهما مجيدان في رجزهما، وكان بصيراً باللغة بحoshiها وغريبيها. توفى سنة خمس وأربعين ومئة وكان قد أسن - رحمه الله تعالى - . ورؤبة - بضم الراء وسكون المهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء، وجمعها رثاب، وباسمها سمى الراجز المذكور. انظر: وفيات الأعيان 2/303 .305

<sup>2</sup> العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر (ت نحو 90هـ)، ديوان العجاج (رواية عبد الملك بن قريب الأصمسي وشرحه)، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ الساطي، مكتبة الدكتور مروان العطية، المطبعة التعاونية بدمشق 1971، ج 1، ص 456.

والبيت تماماً: ورَبُّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظْمَ عن اللّغّا ورَفْثِ التّكْلُم.

<sup>3</sup> جواهر الأفكار ص 514.

<sup>4</sup> المرجع السابق ص 515.

يبين ابن بدران أنَّ في الآية نوعاً من أنواع البيان وهو الكنية، وأنَّ الله - عَزَّ وجلَّ - كريم يُكِنُّ، فذكر - سبحانه - ﴿أَرْفَثُ﴾ كناية عن الجماع، والرفث في غير هذا الموضع يعني الإفحاش في المنطق.

ولبيان المسألة والوقوف على وجه الحق والصواب فيها، ومعرفة مراد الله منها، لا بد من تعريف الكنية، وبيان أقسامها وأثرها في توجيهه معنى ﴿أَرْفَثُ﴾ في قوله - تعالى - : ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيَلَةَ الْصِّيَامِ أَرْفَثُ إِلَى نَسَاءٍ كُمْ﴾ [البقرة: 187].

لقد اعتنى العلماء بالكنية واهتموا بها؛ لأنَّ العرب تكثر من استخدامها في كلامهم وأشعارهم، فأفردوا لها أبواباً خاصة في كتبهم بينوا من خلالها تعريفها، وأبوابها، وأقسامها، وشواهدها.

قال الطالبي (ت 745هـ) في الطراز لأسرار البلاغة: "اعلم أنَّ الكنية وادٍ من أودية البلاغة، وركن من أركان المجاز، وتختص بدقة وغموض" <sup>(1)</sup>.

وقال أيضاً: "والكنية في عرف اللغة مقوله على ما يتكلّم به الإنسان، ويريد به غيره، وأنشد الجوهرى لأبى زياد:

وإِنِّي لَا كُنُو عَنْ قُدُورٍ<sup>(2)</sup> بِغَيْرِهَا  
وأُغْرِبُ أَحَيَا نَبِهَا، فَأُصَارِحُ<sup>(3)</sup>

والكنية بالضم والكسر في فائتها واحدة الكنى، وانتقادها من الستر، يقال: كنيت الشيء، إذا سترته، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام، لأنَّه يستر معنى ويظهر غيره، فلا جرم سميت كناية، فالعرف متداول للعبارة كما نرى <sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز 1/185.

<sup>2</sup> قدر: قدرٌ ضِدُ النَّطَافَةِ؛ وشَيْءٌ قَدْرٌ بَيْنَ الْقَدَارَةِ. قَدْرُ الشَّيْءِ قَدْرًا وَقَدْرٌ وَقَدْرٌ يَقْدُرُ قَدَارَةً، فَهُوَ قَدْرٌ وَقَدْرٌ وَقَدْرٌ وَقَدْرٌ. وَالْقَدُورُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي تَنْتَرِهُ عَنِ الْأَذَارِ. وَرَجُلٌ مَقْدُورٌ: تَجْتَبِيهُ النَّاسُ، وَهُوَ فِي شِعْرِ الْهَذَانِيِّ. وَرَجُلٌ قَدُورٌ وَقَادُورٌ وَقَادُورَةٌ: لَا يُخَالِطُ النَّاسَ. انظر: لسان العرب 5/80-81، فصل القاف ، مادة قدر.

<sup>3</sup> الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4/1407هـ، ج 6 / ص 2477، ولسان العرب 1/589، وانظر: الحميري، نشوان بن سعيد (ت 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري ومظہر بن علی الاریانی ود. یوسف محمد عبد الله، دار الفکر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفکر (دمشق - سوريا)، ط 1/1420هـ، ج 9، ص 5912، وبطال، أبو عبد الله محمد بن سليمان (ت 633هـ)، النظم المستعدب في تفسير غريب ألفاظ المهدب، تحقيق د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط 1988م-1991م، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس 5/139، ولسان العرب، فصل الصاد 2/511، وتأج العروس لمرتضى الزبيدي 39/421.

<sup>4</sup> الطراز لأسرار البلاغة 1/186، وانظر: الصتاحي في فقه اللغة لابن فارس 1/200، والباب في قواعد اللغة ص 177، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 6/2477، والتعريفات 1/187، وابن أبي الحميد، عَزَّ الدِّينُ أَبُو حَمَدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت 656هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طباعة، دار نهضة مصر، الفجاله - القاهرة، ج 4، ص 292. وأبو حبيب، =

وقال المراغي (ت 1371هـ) في علوم البلاغة: "الكنية فنٌ من التعبير توخّاه العرب؛ استثنائاً للآلفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني، وبها يتتوافقون في الأساليب، ويُرِيَّدون ضروب التعبير، ويكترون من وجوه الدلالة، انظر إلى امرئ القيس<sup>(1)</sup> تجده كئي عن المرأة ببيضة الخدر في قوله:

وَبَيْضَةٌ خَدْرٌ لَا يُرَامُ حِبَاوَهَا  
تمتَّعْتُ مِنْ لَهُوِّ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلٍ<sup>(2)</sup>.

وقال السراج في اللباب: " هي من أبلغ أنواع الكلام، وأرفعه شأناً، وأدقه فكرة، لا يدرك مراميها إلا كلّ قطٍّ فهمٍ لما تحويه من دقة الإشارة وبعد الاستعارة"<sup>(4)</sup>.

#### أما الكنية في عرف البلاغيين وعلماء البيان:

فقد عرفها الجرجاني<sup>(ت 471هـ)</sup> بقوله: " والمراد بالكنية هنا أن يريد المتكلّم إثباتاً معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، في يومئ إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثل ذلك قولهم: " هو طويل النجاد" ، يريدون طويل القامة "<sup>(5)</sup>. وعرفها السكاكى<sup>(ت 626هـ)</sup> في مفتاح العلوم بقوله: " الكنية هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزم، لينتقل من المذكور على المتروك كما نقول: فلان طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزم وهو طول القامة "<sup>(6)</sup>.

---

= سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط 2 1408هـ، ص 325. وناج العروس لمرتضى الزبيدي 421/39، والتعريفات 187/1، والرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيشانى محمد، المكتبة المصرية - الدار النمذجية، بيروت - صيدا، ط 5 1420هـ، ص 274.

<sup>1</sup> هو امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل الموار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمانى الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاكى باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وخطفان. وأمه اخت المهلل الشاعر، فلقنه المهلل الشعر، فقال له وهو غلام، يجعل يشبب ويلهو ويعاشر صالحيك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشائره. ويعرف امرئ القيس بالملك الفتليل (لاضطراب أمره طول حياته) وذى القروح (لما أصابه في مرض موته) وكتب الأدب مشحونة بأبهاره. انظر: الأعلام للزركلى 12-11/2.

<sup>2</sup> امرئ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر بن حجر (ت نحو 544 م - 80ق.هـ)، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط 5، القسم الأول رواية الأصمعي من نسخة الأعلم ص 13.

<sup>3</sup> علوم البلاغة للمراغي ص 308.

<sup>4</sup> السراج، محمد على، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعرض واللغة والمثل، مراجعة خير الدين شمسى باشا، دار الفكر - دمشق، ط 1 1403هـ، ص 176.

<sup>5</sup> دلائل الإعجاز ص 66، وانظر: الطراز لأسرار البلاغة 1/186، وخزانة الأدب وغاية الأرب 2/263.

<sup>6</sup> مفتاح العلوم للسكاكى ص 402، وانظر: بغية الإيضاح لتألخيص المفتاح للصعیدي 3/538.

وَعَرَفَهَا الشَّرِيفُ الْجُرجَانِيُّ (ت 816هـ) فِي التَّعْرِيفَاتِ بِقَوْلِهِ: "كَلَامٌ اسْتَثْرَ المَرَادُ مِنْهُ بِالْاسْتِعْمَالِ، وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ ظَاهِرًا فِي الْلُّغَةِ، سَوَاءً كَانَ المَرَادُ بِالْحَقِيقَةِ أَوِ الْمَجَازِ" <sup>(1)</sup>.  
وَقَالَ السَّيُوطِيُّ (ت 911هـ) فِي الإِتقَانِ: "الْكَنَاءُ أَبْلَغٌ مِنَ التَّصْرِيفِ وَعَرَفَهَا أَهْلُ الْبَيَانِ بِأَنَّهَا لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ" <sup>(2)</sup>.

وَعَرَفَهَا حَبَّنَكَةُ (ت 1425هـ) فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِقَوْلِهِ: "هِيَ الْفَظُّ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ فِي اسْطِلاخِ التَّخاطِبِ؛ لِدَلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى آخَرِ لَازِمٍ لَهُ، أَوْ مَصَاحِبِ لَهُ، أَوْ يُشارُ بِهِ عَادَةً إِلَيْهِ؛ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَابِسَةِ بِوْجَهٍ مِنَ الْوَجُوهِ" <sup>(3)</sup>.  
أَمَّا أَقْسَامُهَا: فَقَدْ قَسَّمَهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

1. كَنَاءٌ عَنْ صَفَةٍ: أَيْ طَلْبُ نَفْسِ الصَّفَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: "طَوِيلُ النِّجَاد" كَنَاءٌ عَنْ طَولِ الْقَامَةِ.
2. كَنَاءٌ عَنْ مَوْصُوفٍ: أَيْ طَلْبُ نَفْسِ الْمَوْصُوفِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: "جَاءَ قَابِضٌ يَدَهُ" كَنَاءٌ عَنْ بَخْلِهِ.
3. كَنَاءٌ عَنْ نَسْبَةِ حِكْمَةٍ بَيْنَ الْمَسْنَدِ وَالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ: أَيْ تَخْصِيصُ الصَّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ <sup>(4)</sup>:

فِي قَبَةِ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِ <sup>(5)</sup>  
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدِي

فَخَصَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْثَّلَاثَةُ فِي ابْنِ الْحَشْرِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ، بَلْ كَنَاءٌ بَجْعَلَهَا فِي قَبَةِ ضُرِبَتْ لَهُ <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> التعريفات 1/187، وانظر: القاموس الفقهي ص325، والكلمات ص761، والفالك الدائر على المثل السائر 4/292.

<sup>2</sup> الإتقان 3/159.

<sup>3</sup> البلاغة العربية 2/127.

<sup>4</sup> هو زيد بن سليمان - أو سليم - الأعجم، أبو أمامة العبدى، مولى بنى عبد القيس: من شعراء الدولة الأموية. جزء الشعر، فصبح الأنفاظ، كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم. وهو من فحول الشعراء. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها. عاصر المهلب بن أبي صفرة، وله فيه مدادح ومراث. وكان هجاءً، بداريه المهلب وبخشى نفته. وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلائهم. وكان الفرزدق يتحاشى أن يهجو بنى عبد القيس خوفاً منه، ويقول: ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد. ويقال: إنه شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الأشعري. وله وفادة على هشام بن عبد الملك. وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

خرج له: أبو داود، والتزمي، وابن ماجه - والله أعلم -. انظر: سير أعلام النبلاء 4/5597، والأعلام للزركي 3/54.

<sup>5</sup> الأعجم، أبو أمامة زيد بن جابر بن عمرو بن عامر (ت 125هـ)، شعر زيد الأعجم، جمع وتحقيق دراسة الدكتور يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط 1403هـ، ص 49.

<sup>6</sup> انظر: مفتاح العلوم للسگاكى ص403-407، واللباب في قواعد اللغة ص177، والكلمات للكفوى ص761، وعلوم البلاغة للمراغي ص302-303، والمنهاج الواضح للبلاغة 1/150، وجواهر البلاغة للهاشمي ص288، وبغية الإيضاح 3/539، والبلاغة العربية 2/136.

وأَمَّا ضروبها:

فقد بيَّنَها المبرد (ت 285هـ) في الكامل بقوله: "والكناية تقع على ثلاثة أضرب:  
أحدها: التَّعْمِيَةُ وَالتَّغْطِيَةُ، كَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفَيَاتٍ كُلُّ مُكْتَمٍ<sup>(1)</sup>"

ثم قال:

والضرب الثاني: "ويكُنْي من الكناية - وذاك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال تعالى - قوله المثل الأعلى - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةً أَصْبَامِ الرَّقْبِ إِلَى نِسَاءِ كُنْمِ﴾ [البقرة: 187]، وقال: ﴿أَوْ لَمْسُتُرِ النِّسَاءَ﴾ [النساء: 43].

ثم قال:

"والضرُبُ الثالثُ من الكناية: التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ، وَمِنْهُ اشْتَقَّتُ الكنايةُ وَهُوَ أَنْ يُعْظَمَ الرَّجُلُ أَنْ يُدعَى  
بِاسْمِهِ"<sup>(2)</sup>.

وأَمَّا أسبابها:

فقد بيَّنَها السيوطي (ت 911هـ) في الإتقان بقوله: "وللكناية أسباب:  
أحدها: التَّتِيبَةُ عَلَى عِظَمِ الْفُدْرَةِ نَحْوَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ﴾ [الأعراف: 189]  
كناية عن آدم.

ثانيها: تَرْكُ الْلَّفْظِ إِلَى مَا هُوَ أَجْمَلُ، نَحْوَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخْيَرُهُو تِسْعٌ وَتَسْعُونَ تَجْهَةً وَلِيَتَعْجَهُ وَلَهُدَةٌ﴾ [ص: 23]  
فكني بالتجهة عن المرأة كعادة العرب في ذلك؛ لأنّ ترك التصريح بذكر النساء أجمل  
منه ...<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ديوان النابغة الجعدي ص 157.

<sup>2</sup> انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3 1417هـ، ج 2، ص 215-216، وابن رشيق القمياني، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي (ت 463هـ)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط 5 1401هـ، ج 1، ص 313، وابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين محمد بن عبد الكريم الجزي (ت 637هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، ص 164-166.

<sup>3</sup> هذا على قول من قال: إنّ المقصود بالتعاج في الآية النساء، وهذا قول باطل على أصحّ أقوال المفسرين، انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 3 / 149-151.

ثالثها: أن يكون التصريح مما يُستَّبِّح ذكره: كنایة الله عن الجماع باللامسة، والمباعدة، والإفشاء، والرُّفت، والدخول، والسرّ في قوله ﴿لَا تُؤَدِّعُوهُنَّ سِرًا﴾ [البقرة: 235]، والغشيان في قوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّهَا﴾ [الأعراف: 189] <sup>(١)</sup>.

والكنایة عمّا يُستَّبِّح ذكره بما يستحسن لفظه هي من سنن العرب <sup>(٢)</sup>، ومثله في القرآن، وفي كلام الفصحاء كثير <sup>(٣)</sup>، وعدها المبرد أحسن ضروب الكنایة <sup>(٤)</sup>؛ لما فيها من حُسن التأطّف في اطْرَاح الألفاظ المستهجنة <sup>(٥)</sup>؛ للتعبير عنها ببعض مصاحبات الشيء للدلالة بها عليه، مثل: الكنایة عن الجماع باللامسة، أو المباعدة، أو الدخول، أو الغشيان، أو نحو ذلك <sup>(٦)</sup>، ف تكون الكنایة أوقع من الإفصاح <sup>(٧)</sup>.

بل إن الجرجاني (ت 471هـ) أكد الإجماع على ذلك في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: "قد أجمع الجميع على أن "الكنایة" أبلغ من الإفصاح" <sup>(٨)</sup>.

وقد نظم السيوطي (ت 911هـ) في كتابه "عُودُ الْجُمَانِ" تعريف الكنایة، وأنواعها، وأقسامها، وهو نظم لكتاب "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني (ت 739هـ).

فال:

لَفْظٌ أُرِيدَ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعْنَاهُ تَبَعُ  
جَوَازٍ أَنْ يُقْصَدَ مَعْنَاهُ مَعْنَاهُ تَبَعُ  
وَمِنْ هُنَّا ثُخَالِفُ الْمَجَازِ  
أَقْسَامُهَا ثَلَاثَةُ مَا انْحَازَ  
إِلَى آخر الأبيات ... <sup>(٩)</sup>.

فهذه مقدمة وجيبة جعلها الباحث بين يدي المسألة للوقوف على الحق والصواب فيها في توجيهه معنى (الرُّفت) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187].

<sup>١</sup> الإنقان 159/3.

<sup>٢</sup> انظر: فقه اللغة وسر العربية ص 276.

<sup>٣</sup> انظر: العمدة في محاسن الشعر وأدبها 1/313.

<sup>٤</sup> انظر: الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد 2/215.

<sup>٥</sup> انظر: علوم البلاغة للمراغي ص 309، والجامع الكبير ص 166.

<sup>٦</sup> انظر: البلاغة العربية 2/139.

<sup>٧</sup> انظر: مفتاح العلوم للسكنائي ص 413.

<sup>٨</sup> دلائل الإعجاز ص 70، وانظر: المنهاج الواضح للبلاغة 1/158، وإنقان 3/159.

<sup>٩</sup> انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، عُودُ الْجُمَانِ في علم المعاني والبيان، تحقيق وضبط عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم، القاهرة، ط 1 1433هـ، ص 92-94.

وقد ذهب عامة علماء اللغة والبلاغة إلى أن الرفت يُكَنِّي به عن الجماع.

قال الجصاص (ت 370هـ) في أحكام القرآن: "والرفث للذكر: هو الجماع لا خلاف بين أهل العلم فيه، واسم الرفت يقع على الجماع، وعلى الكلام الفاحش، ويُكَنِّي به عن الجماع"<sup>(1)</sup>. ومن أشهر العلماء الذين قالوا بهذا القول:

الفراهيدى (ت 170هـ) في العين بقوله: "رفث: الرفت: الجماع، رفت إليها وترفت، وهذه كنایة. وفلانٌ يرثُ، أي يقول: الفحش، وقال ابن عباس: الرفت ما قيل عند النساء، قوله - عز وجَّلَ - ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ﴾ [البقرة: 197]، إنما نهى عن قول الفحش"<sup>(2)</sup>.

وابن فارس (ت 395هـ) في مقاييس اللغة بقوله: "(رفث) الراء، والفاء، والثاء، أصلٌ واحدٌ، وهو كُلُّ كلام يُستَحْيِي من إظهاره. وأصلُه الرفت، وهو النكاح. قال الله - جل شأنه - : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187]. والرفث: (الفحش) في الكلام. يقال: أرْفَثَ وَرَفَثَ"<sup>(3)</sup>.

والزمخري (ت 538هـ) في أساس البلاغة بقوله: "رفث في كلامه، وأرْفَثَ، وترفتَ : أفحش، وأفصح بما يجب أن يُكَنِّي عنه من ذكر النكاح . وقد ترافث الرجال، ورافث صاحبه مرافثة. وتقول: ما هذه منافحة، إنما هي مرافحة . وإياك والرفث، ومالك ترفث... ورفث إلى امرأته: أفضى إليها ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187] وقيل الرفت بالفرج : الجماع، وباللسان: المواجهة للجماع، وبالعين الغمز للجماع"<sup>(4)</sup>.

وابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب بقوله: "رفث: الرفت: الجماع، وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته، يعني التقبيل والمغازلة وتحوّهُما، مما يكون في حالة الجماع، وأصله: قول الفحش. والرفث أيضاً: الفحش من القول، وكلام النساء في الجماع، تقول منه: رفت الرجل وأرْفَثَ، قال العجاج:

<sup>1</sup> أحكام القرآن للجصاص، ص 281.

<sup>2</sup> العين 8/220، باب الثناء، والراء، والفاء، معهما رفث، فرث، ثرفث، مستعملات، وانظر: تهذيب اللغة 15/58، أبواب الثناء والراء، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1/284، والمخصص لابن سيده 1 / 499.

<sup>3</sup> معجم مقاييس اللغة لابن فارس 2/421، وانظر: وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 4 / 2568 و 4/2578-2579، القاموس المحيط 1/170.

<sup>4</sup> أساس البلاغة 1/367.

وَرْبُّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظْمٌ عن الْلَّغَا وَرَفِقُ التَّكَلْمُ "^(1)^(2).

والفراء (ت 207هـ) في معاني القرآن^(3)، وأبو عبيدة (ت 209هـ) في مجاز القرآن^(4)، والأخفش (ت 215هـ) في معاني القرآن^(5)، والزجاج (ت 311هـ) في معاني القرآن وإعرابه بقوله: "الرَّفَثُ" كلمة جامعه لكلّ ما يريد الرجل من المرأة، والمعنى ههنا: كنایة عن الجماع: أي أحّل لكم ليلة الصيام الجماع^(6)، والنحاس (ت 338هـ) في علوم القرآن^(7)، وأبو جعفر الطحاوي (ت 321هـ) في أحكام القرآن الكريم^(8)، وابن العربي (ت 543هـ) في أحكام القرآن بقوله: "يُقال: رَفَثَ يَرْفَثُ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَضَمِّهَا، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْفَعْلِ مِنَ الْجَمَاعِ وَالْمَبَاشِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - : ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نَسَاءِكُمْ﴾ [البقرة: 187]"^(9)، والزرκشي (ت 794هـ) في البرهان^(10)، والفيروز أبادي (ت 817هـ) في بصائر ذوي التمييز^(11)، والسيوطى (ت 911هـ) في الإكليل^(12)، ومحمود صافى (ت 1376هـ) في الجدول^(13)، والصابونى في رواعى البيان^(14)، ومساعد الطيار فى مفهوم التفسير^(15)، ومحمد نديم فاضل فى التضمين النحوى بقوله: "أقول: الرفت:

<sup>1</sup> انظر: ص253، هامش رقم 2.

<sup>2</sup> لسان العرب 2/153-154، وناتج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي 5/263-264.

<sup>3</sup> انظر: معاني القرآن للفراء ص114.

<sup>4</sup> مجاز القرآن لأبي عبيدة 1/67، وانظر: التفسير البسيط للواحدى 3/598.

<sup>5</sup> انظر: معاني القرآن للأخفش 1/139.

<sup>6</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/255، وانظر: معلم التنزيل للبغوى 1/228، والتفسير البسيط للواحدى 3/597، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 2/315، وانظر: تهذيب اللغة 15/58، أبواب الثاء والراء.

<sup>7</sup> انظر: معاني القرآن للثخاس ص132.

<sup>8</sup> الطحاوى، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت 321هـ)، أحكام القرآن الكريم، تحقيق الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحث الإسلامى، ط 1، (م 1416هـ، م 2 1418هـ)، ج 2، ص31.

<sup>9</sup> ابن العربي، القاضى محمد بن عبد الله أبو بكر (ت 543هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 3 1424هـ، ج 1، ص188.

<sup>10</sup> البرهان في علوم القرآن للزرκشي 4/61.

<sup>11</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي 1/177.

<sup>12</sup> الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطى ص41. وانظر: درج الدرر في التفسير بالتأثر للسيوطى 1/476.

<sup>13</sup> الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمد صافى 2/383.

<sup>14</sup> الصابونى، محمد على، رواعى البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة الغزالى – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط 3 1400هـ، ج 1، ص90. وانظر: الصابونى، محمد على، صفة التقاسير، دار الصابونى – القاهرة، ط 1 1417هـ، ص109.

<sup>15</sup> الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتذير والمفسر، دار ابن الجوزى، المملكة العربية السعودية، ط 2 1427هـ، ص162.

الإفحاش. وهو بالفُرج: الجماع وباللسان: المواجهة للجماع، فتضمن الرُّفت وهو مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها معنى الإفضاء<sup>(1)</sup>.

وذهب - أيضاً - أهل التأويل إلى أنَّ ﴿الرَّفْتُ﴾ في هذا الموضع كناية عن الجماع.

قال الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره: "فَأَمَّا "الرُّفتُ" فِإِنَّهُ: كناية عن الجماع في هذا الموضع، يُقال "هو الرُّفتُ والرُّفُوتُ". ويمثل الذي قلنا في تأويل "الرُّفتُ" قال أهل التأويل<sup>(2)</sup>. وأشهر من قال بهذا القول:

حَبْرُ الْأَمَّةَ وترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنه - بقوله: "الرُّفتُ، الجماع، ولكنَّ الله يَكْنِي"<sup>(3)</sup>. وقال أيضاً: "الرُّفتُ النِّكَاحُ"<sup>(4)</sup>.

وعلي بن أبي طالب، ومعاوية ابن أبي سفيان - رضي الله عنهم - وقتادة، ومجاهد، وسالم بن عبد الله، والسدي<sup>(5)</sup>.

وقال ابن أبي حاتم (ت 327هـ) في تفسيره: "عن ابن عباس قال: الرُّفتُ: الجماع. ورويَ عن عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وطاوس، والحسن، والضحاك، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والسدي، وعمر بن دينار، وقتادة، والزهري، ومقاتل بن حيان، وعطاء الخراساني، نحو ذلك"<sup>(6)</sup>.

وقال ابن المنذر (ت 319هـ)<sup>(7)</sup> في تفسيره: "قال ابن عباس: "الدخول، والتغشى، والإفضاء، وال المباشرة، والرُّفتُ، واللمس هو: الجماع غير أنَّ الله حبيَّ كريمٌ يَكْنِي بما يشاء عن مَنْ يشاء"<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> فاضل، محمد نديم، التضمين التأوي في القرآن الكريم (أصل الكتاب: أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم)، دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط 1426هـ، ج 1، ص 367.

<sup>2</sup> جامع البيان للطبرى 487/3.

<sup>3</sup> جامع البيان للطبرى 487/3، وانظر: تتوير المقباس من تفسير ابن عباس 1/26.

<sup>4</sup> جامع البيان للطبرى 488/3.

<sup>5</sup> المرجع السابق 488/3.

<sup>6</sup> تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1/315.

<sup>7</sup> الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف ك (الإشراف في اختلاف العلماء)، وكتاب (الإجماع)، وكتاب (المبسot)، وغير ذلك. ولد: في حدود موت أحمد بن حنبل. ولابن المنذر (تفسير) كبير في بضعة عشر مجلداً، يقضى له بالإمامية في علم التأويل أيضاً. انظر سير أعلام النبلاء 14/490-492.

<sup>8</sup> ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم (ت 319هـ)، كتاب تفسير القرآن، قدم له الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور سعد بن محمد السعد، دار الماثر - المدينة النبوية، ط 1423هـ، ج 2، ص 630. وانظر: معلم التنزيل للبغوي 1/228، ومفاتيح الغيب 10/89، وابن عطية 1/257-256، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 2/315.

ومقاتل بن سليمان (ت 150هـ) في تفسيره<sup>(1)</sup>، والماتريدي (ت 333هـ) في تأویلات أهل السنة<sup>(2)</sup>، والسمرقندي (ت 373هـ) في بحر العلوم<sup>(3)</sup>، والماوردي (ت 450هـ) في النكت والعيون<sup>(4)</sup>، والواحدي (ت 468هـ) في تفسيره<sup>(5)</sup>، وقال الجرجاني (ت 471هـ) في درج الدرر: "والرفث هو الجماع"<sup>(6)</sup>، والسمعاني (ت 489هـ) في تفسيره بقوله: "والرفث: كلّ ما يريده الرجل من امرأته، وهو معنى الوطء هاهنا. قال ابن عباس: "إِنَّ اللَّهَ حَبِيَّ كَرِيمٌ، يَكْنِي بِالْحَسْنَ عنِ الْقَبِيجِ" "<sup>(7)</sup>، والراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في تفسيره<sup>(8)</sup>، والزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف<sup>(9)</sup>، والرازي (ت 606هـ) في تفسيره بقوله - بعد ذكره لرواية ابن عباس لما أنسد وهو مُحْرِمٌ فقيل له: أترفث؟ فقال: إنما الرفث ما كان عند النساء -: "فثبت أنّ الأصل في الرفث: هو قول الفحش، ثمّ جعل ذلك اسمًا لما يُتَكَّمِّل به عند النساء من معانٍ الإفضاء، ثمّ جعل كنایةً عن الجماع وعن كلّ ما يَتَبَعُه"<sup>(10)</sup>، والقرطبي (ت 671هـ) في الجامع لأحكام القرآن<sup>(11)</sup>، والبيضاوي (ت 685هـ) في أنوار التنزيل<sup>(12)</sup>، والنسفي (ت 710هـ) في مدارك التنزيل<sup>(13)</sup>، والخازن (ت 741هـ) في لباب التأویل<sup>(14)</sup>، وأبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) في البحر المحيط<sup>(15)</sup>، والسمّين الحلبي (ت 756هـ) في الدر المصنون<sup>(16)</sup>، وابن كثير (ت 774هـ) في تفسيره<sup>(17)</sup>، وأبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره<sup>(18)</sup>، والشوکانی (ت 1250هـ)

<sup>1</sup> انظر: تفسير مقاتل بن سليمان 164/1.

<sup>2</sup> تأویلات أهل السنة 49/2.

<sup>3</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندي 185/1.

<sup>4</sup> النكت والعيون 244/1.

<sup>5</sup> انظر: التفسير البسيط للواحدي 598/3.

<sup>6</sup> درج الدرر في تفسير الآي والسور 366/1.

<sup>7</sup> تفسير القرآن للسمعاني 186/1.

<sup>8</sup> تفسير الراغب الأصفهاني 397/1.

<sup>9</sup> الكشاف 229/1-230/1.

<sup>10</sup> مفاتيح الغيب 269/5.

<sup>11</sup> الجامع لأحكام القرآن 315/2-316/2.

<sup>12</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأویل 126/1.

<sup>13</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأویل للنسفي 161/1.

<sup>14</sup> لباب التأویل في معانٍ التنزيل 116/1.

<sup>15</sup> البحر المحيط 211/2.

<sup>16</sup> الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون 294/2.

<sup>17</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير 511/1.

<sup>18</sup> إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 201/1.

في فتح القدير<sup>(1)</sup>، والألوسي (ت 1270هـ) في روح المعاني<sup>(2)</sup>، والقاسمي (ت 1332هـ) في محسن التأويل<sup>(3)</sup>، ومحمد رشيد رضا (ت 1354هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>، والشنقيطي (ت 1393هـ) في أضواء البيان<sup>(5)</sup>، وأبو زهرة (ت 1394هـ) في زهرة التفاسير<sup>(6)</sup>، والشعراوي (ت 1418هـ) في تفسيره<sup>(7)</sup>، والعثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره<sup>(8)</sup>، وأبو بكر الجزائري في تفسيره<sup>(9)</sup>.

ويرى الباحث بعد عرض أقوال علماء اللغة، والبلاغة، والتفسير، أنَّ كلمتهم مُطبقةٌ على تأويل ﴿الرَّفْثُ﴾ بالجماع في قوله - تعالى - : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِ كُمْ﴾ [البقرة: 187] كما بين ذلك الطبرى (ت 311هـ) في تفسيره<sup>(10)</sup>، والجصاص (ت 370هـ) في أحكام القرآن<sup>(11)</sup>.

وبعد تتبع أقوال العلماء، وسبر تأويلاتهم، وترجيحاتهم، فإنَّ الباحث يرى أنَّ الإجماع ما زال قائماً حتى عصرنا الحاضر على أنَّ كلمة الرَّفْث كنایة عن الجماع في قوله - تعالى - : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِ كُمْ﴾ [البقرة: 187]. وهذا ما ذهب إليه ابن بدران في تفسيره بقوله: "﴿الرَّفْثُ﴾ كنایة عن الجماع في هذا الموضع"<sup>(12)</sup>، فيكون بذلك قد وافق أقوال العلماء من ناحية، والقاعدة البلاغية من ناحية أخرى، في أنَّ يُكَنِّى عَمَّا يُستَقْبِحُ ذكره، و"كُونُ المُكَنَّى عنه مَا يَحْسُنُ سَرْهُ، ويَقْبُحُ فِي الْأَدْبِ الرَّفِيعِ التَّصْرِيْحُ بِهِ، إِذْ هُوَ مِنَ الْعُورَاتِ، أَوْ مِنَ الْمُسْتَقْذِرَاتِ، أَوْ مِنَ الْمُسْتَقْبَحَاتِ"<sup>(13)</sup>.

<sup>1</sup> فتح القدير للشوكاني، 214/1.

<sup>2</sup> روح المعاني 1/461.

<sup>3</sup> محسن التأويل للقاسمي 41/2.

<sup>4</sup> تفسير المنار 2/141.

<sup>5</sup> أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 5/13.

<sup>6</sup> زهرة التفاسير 2/565.

<sup>7</sup> تفسير الشعراوى - الخواطر 2/791.

<sup>8</sup> تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 2/346.

<sup>9</sup> أيسر القاسىر لكلام العلي الكبير للجزائري 1/166.

<sup>10</sup> جامع البيان في تأويل القرآن.

<sup>11</sup> أحكام القرآن للجصاص ص 281.

<sup>12</sup> جواهر الأفكار ص 514.

<sup>13</sup> البلاغة العربية 2/144.

ويؤيد الباحث ابن بدران وإجماع العلماء فيما ذهبا إليه من أنَّ ﴿الرَّفْثُ﴾ كناية عن الجماع في قوله - تعالى - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187]. وذلك لاعتبارات الآتية:

1. إنَّ هذا القول هو قول الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وهو مما أجمعت الأمة عليه، ومعلوم أنَّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلال، لقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " لا تجتمع أمَّتي على ضلال " <sup>(1)</sup>.

2. إنَّ الكناية عما يُستنقب ذكره معلوم في العربية، ومعروف لدى أصحابها في كلامهم وأشعارهم.

3. إنَّ سياق الآيات يدلُّ على أنَّ الرَّفْثَ كناية عن الجماع لاسيما أنَّ الآية نزلت في حقِّ بعض الصحابة ممن أصاب امرأته بعد العشاء، أو بعد نومها؛ لأنَّه كان يحرم عليه ذلك كما بين ذلك ابن عباس - رضي الله عنه - بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا قَدِمُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183] فكان الناس على عهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا صَلَّوُا العَتَمَةَ، حَرَمُوا عليهم الطعام، والشراب، والنساء، وصاموا إلى القابلة، فاختنان رجل نفسه، فجامع امرأته، وقد صلَّى العشاء ولم يُفطر، فأراد الله أن يجعل ذلك يُسراً لمن بقي، ورُحْصةً ومنفعة، فقال سبحانه: ﴿عِلْمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187]، وكان هذا مما نفع الله به الناس، ورُحْصَن لهم ويُسرُّ <sup>(2)</sup>.

4. إنَّ الأصل في الرَّفْث التعدية بالباء (رفث بها) ولكن لما عُدِّي بحرف الجر (إلى) تضمن معنى الإفضاء الذي هو: الجماع كما في قوله - تعالى - ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضَكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 21]. قال ابن الشجري (ت 542هـ) في أماليه: " فمنها تعدية الرفث بالي في قوله تعالى جده - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187]. وأنَّ لا تقول: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملابسة في مثل قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضَكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 21] <sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م 13/4، وأداب الزفاف للألباني ص 240.

<sup>2</sup> صحيح أبي داود - الأئم للألباني 7/81، باب مبدأ فرض الصيام، وسنن البيهقي الكبرى 4/201.

<sup>3</sup> أمالى ابن الشجري 1/223، وانظر: المخصص لابن سيدة 1 / 484.

### وخلصة القول:

إن تأويل ﴿الرَّفْث﴾ في قوله - تعالى - : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187] ، كناية عن الجماع، فتكون الكناية قد عملت على توجيهه معنى ﴿الرَّفْث﴾ في الآية الكريمة لبيان مُراد الله - عز وجل - .

قال السيوطي (ت 911) في الإنقان: " الفرائد: هو مُختص بالفصاحة دون البلاغة ؛ لأنَّه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد - وهي الجوهرة التي لا نظير لها - تدلُّ على عِظم فصاحة هذا الكلام، وقوَّة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالحة عريته، بحيث لو أُسقِطَت من الكلام عزَّت على الفصحاء " غرابتها ". ومنه لفظ (حَصْحَصَ) في قوله: ﴿أَلْفَنَ حَصْحَصَ أَحْنُ﴾ [يوسف: 51] ، و(الرفث) في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفْثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾ [البقرة: 187] <sup>(1)</sup>.

## المسألة الخامسة:

**أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ فِي قُولِهِ - تَعَالَى - : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجَرِ ﴾ [البقرة: 187].**

قال ابن بدران - رحمه الله تعالى - في تأويل هذه الآية: " ﴿ الْخَيْطُ الْأَبَيْضُ ﴾ ، هو: أول ما يبدو من الفجر المعرض في الأفق، فالخيط الممدود ﴿ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ ما يمتد معه من غبش الليل، شَبَهَهُما بخيطين أبيض وأسود، وتشبيههما بالخيط معروف في كلام العرب. قال أبو دؤاد<sup>(1)</sup>:

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةً  
وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارًا<sup>(2)</sup>

وعليه فيكون المعنى: وكلوا بالليل في شهر صومكم واشربوا، وبashروا نساعكم مبعدين ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلع الفجر من ظلمة الليل وسواده<sup>(3)</sup>.

والظاهر من كلام ابن بدران أنه اعتمد المعنى المجازي في تأويل الآية، إذ يبین - رحمه الله - أن بياض أول النهار مع ما يُخالطُه من سواد الليل، شُبِّهَا بخيطين أبيض وأسود، مستبطاً من ذلك حُكماً شرعاً في ابتداء صيام الصائم ودخول نهاره الشرعي. وقد بيّنا سابقاً تعريف الحقيقة والمجاز<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن ذكر الخيط في الآية له دلالة عظيمة في توضيح المعنى وبيان المقصود، وإظهار التشبيه، إذ يظهر ذلك جلياً من خلال تعريف الخيط وبيانه.

<sup>1</sup> هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد ابن سلام بن مالك بن عبد هند بن لخم بن مالك بن قنص بن منعة بن برحان بن دوس ابن الدليل بن أمية بن حذافة بن زهر بن إياد بن نزار بن معن بن عدنان الإيادي القاضي؛ كان معروفاً بالمرءة والعصبية، وله مع المعتصم في ذلك أخبار مأثورة، ذكره أبو عبد الله المرزباني في كتاب المرشد في أخبار المتكلمين فقال: إن أصحابهم من قرية بقترين، واتجر أبوه إلى الشام، وأخرجه معه وهو حدث فنشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام، حتى بلغ ما بلغ، وصاحب هياج بن العلاء السلمي، وكان من أصحاب واصل بن عطاء، فصار إلى الاعتزال. ومات الواشق راضيا عنه. وتولى المتوكل، فلقي ابن أبي دواد في أول خلافته سنة 233 هـ وتوفي مفلوجاً ببغداد انظر: وفيات الأعيان 1/81، والأعلام للزركي 1/124.

<sup>2</sup> انظر: الصاحب تاج اللغة وصحاح العربية 3/1125، وتهذيب اللغة 7/209، ولسان العرب 7/299، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي 19/281، ويعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، ط 1417هـ، ج 3، ص 86.

<sup>3</sup> جواهر الأفكار ص 516-517.

<sup>4</sup> انظر: المسألة الأولى في أثر القواعد البلاغية في الاختيارات القسرية ص 215-218.

فقد عرّفه ابن المرزيان (ت 347هـ)<sup>(1)</sup> في تصحيح الفصيح وشرحه بقوله: "والخيط من الخيوط، بفتح الخاء، وخيط من النعام للقطعة منها، يعني بكسر الخاء؛ فإنَّ الخيط بالفتح معروف، وهو السُّلُكُ الذي يُخاطب به، وكلَّ ما دقَّ وطال، جاز أنْ يُسمَّى خيطاً، على التشبيه به"<sup>(2)</sup>.

وقال الجوهرى (ت 393هـ)<sup>(3)</sup> في الصاحب: "الخيط السُّلُكُ، وجمعه خيوط وخيوطة"<sup>(4)</sup>. ولما كان ضوء الفجر في أول نولده يمتد ويطول في الأفق شُبِّه بالخيط الدقيق الطويل في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187].

قال ابن المرزيان (ت 347هـ) في تصحيح الفصيح: "يعني ما امتدّ وطال من بياض الفجر في سود الليل، وليس يعني أنْ ينظر إلى الخيط الأبيض والخيط الأسود في وقت الفجر، حتى يُعرفا"<sup>(5)</sup>.

وقال أبو بكر الأنباري (ت 328هـ) في إيضاح الوقف والابداء: "قال نافع بن الأزرق: يا ابن عباس إني أريد أن أسألك عن أشياء فأخبرني بها، قال: سُلْ عَمَا شِئْتُ، قال: أخبرني عن قول الله - تعالى -: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]

<sup>1</sup> هو أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزيان البغدادي الفقيه الشافعى؛ كان فقيها ورعاً من جلة العلماء، أحد الفقه عن أبي الحسين ابن القطنان، وعنده أحد الشيخ أبو حامد الإسپراني أول قدومه بغداد. وحكي عنه أنه قال: ما أعلم أن لأحد على مظلمة، وقد كان فقيها يعلم أن الغيبة من المظالم، وكان مدرساً ببغداد وله وجه في مذهب الشافعى. وتوفي في رجب سنة ست وستين وثلاثمائة - رحمه الله تعالى -. والمرزيان: بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون، وهو لفظ فارسي معناه صاحب الحد، ومرز هو الحد، وبان صاحب، وهو في الأصل اسم لمدن كان دون الملك. انظر: وفيات الأعيان 3/281.

<sup>2</sup> ابن المرزيان، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه (ت 347هـ)، تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق د. محمد بدوى المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، 1419هـ، ص316. وانظر: البحر المحيط 2/216.

<sup>3</sup> هو إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، الأنباري - وأئرار: هي مدينة فاراب - مصنف كتاب (الصحاب)، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي الخط المنسوب، يعد مع ابن مقلة وابن البواب ومهلول والبريدي. وكان يحب الأسفار والتغرب، دخل بلاد ربيعة ومضر في تطلب لسان العرب، ودار الشام والعراق، ثم عاد إلى خراسان، فأقام بنيسابور يدرس ويصنف، ويعلم الكتابة، وينسخ المصاحف. وانفرد أهل مصر برواية (الصحاب) عن ابن القطاع، فيقال: ركب له إسناداً. وفي (الصحاب) أوهام قد عمل عليها حواش. استولت السوداء على أبي نصر حتى شد له دفين كجناحين، وقال: أريد أن أطير، فضحكوا، ثم طفر وطار، فقططحن. وقد أخذ العربية عن: أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي، وحاله صاحب (ديوان الأدب) أبي إبراهيم الفارابي. وللجوهرى نظم حسن، ومقمة في اللحو. قال جمال الدين علي بن يوسف القسطنطي: مات الجوهرى متربياً من سطح داره بنيسابور، في سنة ثلث وتسعين وثلاث مئة. ثم قال: وقيل: مات في حدود سنة أربع مئة - رحمه الله -. انظر: سير أعلام النبلاء 17/80-82، والأعلام للزرکي 1/313.

<sup>4</sup> الصاحب تاج اللغة وصحاب العربية 3 / 1125، باب خيط، وانظر: مختار الصحاح ص99، ولسان العرب مادة (خيط) 7/298، ونتاج العروس لمرتضى الزبيدي، باب خ ي ط 19/277.

<sup>5</sup> تصحيح الفصيح وشرحه لابن المرزيان ص316.

قال: **الخيط الأبيض**: ضوء النهار، والخيط الأسود: سواد الليل، قال: فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل القرآن قال: نعم، قال أمية بن أبي الصلت<sup>(1)</sup>:

**الخيطُ الْأَبْيَضُ ضَوْءُ الصُّبْحِ مُنْفَلِقٌ**      **الخيطُ الْأَسْوَدُ لُونُ اللَّيلِ مَكْمُومٌ.**<sup>(3)</sup>

قال أبو بكر النصب في منافق أجدو على الحال<sup>(4)</sup>.

وقال الأزهري (ت 370هـ) في تهذيب اللغة: "والعرب تشتبه النور بالحل والخيط قال الله:

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187] فالخيط

الأبيض: هو نور الصبح إذا تبيّن للأ بصار وانفاق، والخيط الأسود دونه في الإنارة لغابة سواد الليل عليه؛ ولذلك ثُعُت بالأسود، وثُعُت الآخر بالأبيض<sup>(5)</sup>.

ثم قال أبو إسحاق: هما فجران، أحدهما يبدو أسود معترضاً وهو الخيط الأسود، والآخر يبدو طالعاً مستطيلاً يملأ الأفق فهو الخيط الأبيض، وحقيقة حتى يتبيّن لكم الليل من النهار، وقول أبي دُواد: أضاءت لنا سُدْفَةً، هي هنا: الظلمة. لاح من الصبح أي بدا وظهر.<sup>(6)</sup>

وقال الجوهرى (ت 393هـ) في الصلاح: "والخيط الأسود: الفجر المستطيل، ويقال: سواد الليل، والخيط الأبيض: الفجر المعترض، قال أبو دُواد الإيادي:

<sup>1</sup> هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف التقى: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو من حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين فأقام ثمانين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد الله على الحق، قالوا: هل تتبعه؟ فقال: حتى انظر في أمره، وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك الله. فكتبتها قريش. قال الأصمسي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر ابن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب. انظر: الأعلام 23/2.

<sup>2</sup> في الديوان ضوء.

<sup>3</sup> ابن أبي الصلت، أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزدة (ت نحو 8هـ)، ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه الدكتور سجع جمبل الجبيلي، دار صادر بيروت - لبنان، ط 1998، ص 119، وانظر: لسان العرب 299/7، وناتج العروس لمرتضى الزبيدي 19/281، والمجمع المفصل في شواهد العربية 7/219، والإتقان للسيوطى 2/92-93.

<sup>4</sup> أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ)، إيضاح الوقف والابداء، تحقيق محبي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ، ج 1، ص 78. وانظر: ابن الأزرق، أبو راشد نافع بن الأزرق الحنظلي التميمي (ت 65هـ)، مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس، (من طريقتين، روایة أبي بكر الخلّي (ت 365هـ)، وروایة أبي طاهر (ت 442هـ)), تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الجfan والجابي للطباعة والنشر، ط 1413هـ، ص 132-133.

<sup>5</sup> تهذيب اللغة 5/52.

<sup>6</sup> تهذيب اللغة 7/209، وانظر: لسان العرب 299/7، وناتج العروس لمرتضى الزبيدي، باب خ ي ط 19/281.

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةً  
وَلَا حَرَّ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارًا.<sup>(1)</sup> " <sup>(2)</sup>.

وقال ابن منظور (ت 711هـ) في اللسان: " قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾؛ يعني بياض الصبح، وسود الليل، وهو على التشبيه بالخيط لدقته".<sup>(3)</sup>

وقال التيفاشي (ت 651هـ)<sup>(4)</sup> في سرور النفس: " وفي التنزيل العزيز: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ والعرب تُشَبِّهُ رِقَّةَ الْبَيَاضِ الْبَادِيِّ مِنَ الْفَجْرِ أَوْ رِقَّةَ السُّوَادِ الْحَافِّ بِهِ بَخِيطَيْنِ أَبْيَاضَ وَأَسْوَدَ عَلَىِ جَهَةِ الْإِسْتِعَارَةِ وَالْتَّمَثِيلِ".<sup>(5)</sup>

ومما سبق يظهر لنا أنَّ الخيط الأبيض، والخيط الأسود معلوم لدى العرب، ومعروف في كلامهم وأشعارهم، وإنْ خَفِيَ عن بعض أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ولكنَّ بعضهم زال الإشكال والخفاء عنده لما نزل قول الله - تعالى -: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]، وبعضهم الآخر بين له النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المُرَادُ من ذلك.

عن سهل بن سعد، قال: "أنزلت: ﴿ وَكُلُوا وَأْشَرُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة: 187]، ولم ينزل ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]، فكان رجال إذا

<sup>1</sup> سبق عزوته، انظر: ص 266، هامش 2.

<sup>2</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1125/3.

<sup>3</sup> لسان العرب مادة (خيط) 299/7.

<sup>4</sup> هو أحمد بن يوسف بن أبي بكر ابن حمدون، شرف الدين القيسى التيفاشي: عالم بالحجارة الكريمة غزير العلم بالأدب وغيره، من أهل تيفاش (من قرى قصبة، بإفريقية) ولد بها، وتعلم بمصر، وولي القضاء في بلده، ثم عاد إلى القاهرة وتوفي بها. من كتبه (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار)، و (الأحجار التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء) و (خواص الأحجار ومنافعها) و (فصل الخطاب، في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب) موسوعة كبيرة، اختصرها ابن منظور - صاحب لسان العرب - وسمى الجزء الأول منها (نثار الأزهار، في الليل والنهر) و (نزهة الألباب، فيما لا يوجد في كتاب)، أدب ومجنون. و (متعة الأسماع في علم السماع). انظر: الأعلام للزركلي 273/1-274.

<sup>5</sup> التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت 651هـ)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، هذبه ابن منظور محمد بن جلال الدين المكرم (ت 711هـ)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط 1 1980م، ص 82.

أرادوا الصّوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض، والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبيّن له رؤيتهم فأنزل الله بعده ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] فلعلموا أنّه إنما يعني الليل والنهر<sup>(1)</sup>.  
فزال الإشكال وارتفع الاشتباه<sup>(2)</sup> عندهم وعرفوا مراد الله - جلّ وعزّ - ببيان الله - سبحانه -  
لمراده بقوله ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ فكانت بياناً، وشرحًا للمراد من كلمة الخيط الأبيض التي قبلها وتعني  
بروز الفجر الصادق.<sup>(3)</sup>

وقال الجرجاني (ت 471هـ) في درج الدرر: " قوله ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ للتفسير<sup>(4)</sup>.  
ولكن بعضهم من مثل عدي بن حاتم - رضي الله عنه - ظلّ عنده الإشكال، وفهم الخيط  
الأبيض والخيط الأسود على معناه الحقيقي. حتى بين له النبي - صلّى الله عليه وسلم - المعنى  
المراد.

عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه -، قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ  
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187] عمدْتُ إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض فجعلتهما  
تحت وسادي فجعلت أنظر في الليل، فلا يسبّين لي، فعدوت على رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم -، فذكرت له ذلك فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"<sup>(5)</sup> فيبين النبي - صلّى الله عليه  
 وسلم - لعدي ومن معه - رضوان الله عليهم - المراد من الآية فزال الإشكال والإبهام.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187]  
<sup>2</sup> حديث رقم 1917، صحيح مسلم، باب ﴿وَكُلُوا وَاشْرُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 128/3]  
<sup>3</sup> حديث رقم 2501، وانظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخامس ص 82.

<sup>2</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندی 186/1.

<sup>3</sup> انظر: منهاج العرفان في علوم القرآن للزرقاني 2/12، ومدارك التزيل للسفّي 1/162، وتفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 2/348.

<sup>4</sup> درج الدرر في تفسير الآي والسور 352/1.

<sup>5</sup> ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ)، مسنّ الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وأخرين، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1 1421هـ، ج 32، ص 113، ح 1421، حدث رقم 19370، صحيح البخاري باب قول الله - تعالى -: ﴿وَكُلُوا وَاشْرُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187]  
<sup>2</sup> حديث رقم 1916، صحيح مسلم، باب وكلوا واشروا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود 3/128 حدث رقم 2500.

فكان قول الله - عز وجل - ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّمَا ذلك سواد الليل وبياض النهار " الفيصل في أن المراد من الآية إنما هو المعنى المجازي لا المعنى الحقيقي.

ثم إن في قوله - تعالى - ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] لفتهُ بлагيَّةً أشار إليها الزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف بقوله: " فإن قلت: أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله: (من الفجر) أخرج من باب الاستعارة كما أن قوله: رأيتأسداً، مجاز. فإذا زدت " من فلان " رجع تشبيهاً. فإن قلت: فلم زيد (من الفجر) حتى كان تشبيهاً وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت: لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر (من الفجر) لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد (من الفجر) فكان تشبيهاً بلغاً وخرج من أن يكون استعارة<sup>(1)</sup>. وتابعه في ذلك الزركشي (ت 794هـ) في البرهان<sup>(2)</sup>.

قال الباحث: إن ما جاء به الزمخشري في اللفتهُ البلاغيَّة في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] يدل على علو كعبه وتقنه في هذا الباب، وقد أشار إلى ذلك الجرجاني (ت 471هـ) في أسرار البلاغة<sup>(3)</sup>، ولكن ثمة أمر لا بد من التنبيه إليه وهو قول الزمخشري: " ولو لم يذكر (من الفجر) لم يعلم أن الخيطين مستعاران ". ففي قوله - رحمة الله - نظر؛ لأن الخيطين معلومان لدى العرب ومعروfan في كلامهم وأشعارهم. على التفصيل الذي بيناه سابقاً.

وكما قال التيفاشي (ت 651هـ) في سرور النفس: " والكتاب العزيز نزل على ما نفهمه العرب في لغتها وتألfe في عرفها "<sup>(4)</sup>.

ثم إن الصحابة - رضوان الله عليهم - علموا مراد الله من الآية إلا فئة قليلة منهم استشكـل عليهم الأمر، فيبينه الله - تعالى - لهم، بقوله: ﴿مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] وهذا ظاهر حديث

<sup>1</sup> الكشاف 1/231، وانظر: البحر المحيط 215-216، والباب في علوم الكتاب لابن عادل 3/314، وغرائب القرآن ورغمات القرآن للثيبوري 514/1.

<sup>2</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي 3/419-420، وانظر: فتح القدير للشوكاني 1/214، والتفسير المنير للزحيلي 2/147، والمنهج الواضح للبلاغة 3/95-96، والبلاغة العربية 2/232.

<sup>3</sup> انظر: أسرار البلاغة ص 320-323.

<sup>4</sup> سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ص 82، وانظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ)، نثار الأزهار في الليل والنهار، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط 1 1298هـ، ص 66.

سهل بن سعد - رضي الله عنه - " فكان رجال إذا أرادوا الصوم <sup>(1)</sup> لا كما عَلِقَ الزمخشري - رحمة الله - الذكر - أي قوله من الفجر - بعدم العلم بالكلية؛ لأنَّ الخيط الأبيض والخيط الأسود قد يكونان معلومين وسائجين في لغة قريش دون غيرها من لغات العرب؛ لا سيما أنَّ الآية مدنية وقد أسلم من العرب من غير قريش الكثير، فأُشكِّلُ الأمر وأُبِهِمُ على بعض هؤلاء، ومنهم: عدي بن حاتم الطائي الذي قال له النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّمَا ذَلِكَ سُوادَ اللَّيلِ وَبِيَاضَ النَّهَارِ " <sup>(2)</sup>. فأنزل الله -

عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187] بياناً وتفسيراً لما قبلها. <sup>(3)</sup>

وقد أشار إلى ذلك أبو الحسن الطبرى المعروف بالكيا الهراسى (ت 504هـ) <sup>(4)</sup> في أحكام القرآن بقوله: " ويجوز أن يكون التجوز بالخيط الأبيض عن الفجر سائغاً في لغة قريش دون غيرها من اللغات، فأُشكِّلُ على قوم آخرين، حتى تبيَّن لهم بقوله من الفجر، ولا يجب أن يكون البيان بلغة يشترك في معرفتها جميع الناس قبل أن يتبيَّن لهم بلغة من كان بياناً في لغتهم " <sup>(5)</sup>. وقال محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) في التحرير والتنوير: " وأيَّاً ما كان فليس في هذا شيء من تأخير البيان؛ لأنَّ معنى الخيط في الآية ظاهر للعرب، فالتعبير به من قبيل الظاهر لا من قبيل المُجمل، وعدم فهم بعضهم المراد منه لا يقدح في ظهور الظاهر، فالذين اشتُّبِهُ عليهم معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود، فَهُمُوا أشهَرَ معاني الخيط وظنُوا أنَّ قوله: من الفجر مُتعلِّق بفعل يتبيَّن على أن تكون (من) تعليلاً؛ أي: يكون تبيُّنه بسبب ضوء الفجر، فصنعوا ما صنعوا " <sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: تخريج الحديث ص 270، هامش 1.

<sup>2</sup> سبق تخريج الحديث انظر: ص 270، هامش 5.

<sup>3</sup> انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني 1/352، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 12/2.

<sup>4</sup> هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى، الملقب عماد الدين، المعروف بالكيا الهراسى الفقيه الشافعى؛ كان من أهل طبرستان، وخرج إلى نيسابور وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالى الجويني مدة إلى أن برع، وكان حسن الوجه جهوري الصوت فصيبح العبارة حلو الكلام، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي. وذكرهحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في " سياق تاريخ نيسابور " فقال: كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين في الدرس. كانت ولادة الكيا في ذي القعدة سنة خمسين وأربعين. وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة أربع وخمسين ببغداد، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازى - رحمه الله تعالى -، واتّهم بمذهب الباطنية فُرُجِمَ، وأراد السلطان قتلَه فحمله المستظر، وشهد له وفي اللغة العجمية الكيا هو الكبير القرى المقدم بين الناس، وهو بكسر الكاف وفتح الياء المثلثة من تحتها وبعدها ألف. من كتبه " أحكام القرآن ". انظر: وفيات الأعيان 3/286-290، والأعلام للزرقانى 4/329.

<sup>5</sup> أبو الحسن الطبرى، علي بن محمد بن علي، الملقب بعماد الدين (ت 504هـ)، أحكام القرآن، تحقيق موسى محمد علي وعزبة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 1405هـ، ص 73.

<sup>6</sup> التحرير والتنوير لأبن عاشور 185/2.

وأشار إلى هذه اللفظة البلاغية - أيضاً - السّكاكى (ت 626هـ) في مفتاح العلوم بقوله: "فالخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله - عز وجل - : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ يُعدان من باب التشبيه حيث يُبَيِّنَا بقوله : ﴿ مِنَ الْفَجَرِ ﴾ ولو لا ذلك لكانا من باب الاستعارة"<sup>(1)</sup>.

والنسفي (ت 710هـ) في مدارك التنزيل بقوله: " قوله: ﴿ مِنَ الْفَجَرِ ﴾ أخرجه من باب الاستعارة وصيّره تشبيهاً بلغاً، كما أنَّ قوله: رأيْتُ أَسْدًا مجاز، فإذا أَزْدَتْ من فلان رجع تشبيهاً"<sup>(2)</sup>. وقال الشريف الرّضي (ت 406هـ)<sup>(3)</sup> في تلخيص البيان في مجازات القرآن: " قوله - سبحانه - : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجَرِ ﴾ [البقرة: 187]، وهذه استعارة عجيبة، والمراد بها على أحد التأويلات: حتى يتبيّن بياض الصبح من سواد الليل، والخيطان هنا مجاز، وإنما شبّها بذلك؛ لأنَّ خيط الصبح يكون في أول طلوعه مُسْتَدِقًا خافياً، ويكون سواد الليل منقضاً مُولِيًّا، فهما جميًعاً ضعيفان، إلَّا أنَّ هذا يزداد انتشاراً، وهذا يزداد استمراً"<sup>(4)(5)</sup>.

بل إنَّ السَّمِينَ الْحَلَبِيَّ (ت 756هـ) جعله من أحسن التشبيهات بقوله: " وهذا من أحسن التشبيهات حيث شبَّه بياض النهار بخيط أبيض، وسواد الليل بخيط أسود "<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح العلوم للسّكاكى 355/1.

<sup>2</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 1/162، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود 1/202.

<sup>3</sup> هو أبو الحسن مُحمد بن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن مُحمد ابن موسى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن مُحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر؛ ذكره الثعالبي في كتاب الينيمة فقال في ترجمته: ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أنشأ الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محدثة الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وأفر، ثم هو أشعر الطالبين من مضي منهم ومن غيره، على كثرة شعرائهم الملفقين. خلع عليه بالسواد، وجدد له التقليد سنة 403 هـ له (ديوان شعر)، وكتب منها (الحسن من شعر الحسين)، وهو مختارات من شعر ابن الحاج، و(المجازات النبوية) و(مجاز القرآن) باسم (تلخيص البيان عن مجاز القرآن) و(مختار شعر الصابي) و(مجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل) طبعت باسم (رسائل الصابي والشريف الرضي) و(حقائق التأويل في متشابه التنزيل) و(خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) و(رسائل) نشر بعضها. وشعره من الطبقة الأولى رصفاً وبياناً وإبداعاً. انظر: وفيات الأعيان 4/414-420، والأعلام للزرکلي 99/6.

<sup>4</sup> والإسمُ السَّرْرُ، والسرَّارُ مصْدَرُ سَارَرَتُ الرِّجْلَ سَرَارًا. واستسَرَّ الْهَلَالُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ: حَفَيْ؛ قال ابن سيده: لا يُفْطِرُ بِهِ إلَّا مَزِيدًا، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ: اسْتَحْجَرَ الطَّيْنَ. والسرَّرُ والسرَّارُ والسرَّارُ، كُلُّهُ: اللَّيْلُ الَّتِي يَسْتَشِرُ فِيهَا الْقَمَرُ. انظر: لسان العرب 4/357، فصل السَّيْنَ المهملة، مادة سَرَرَ.

<sup>5</sup> تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، ص 38-37.

<sup>6</sup> الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون 2/297، وانظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل 3/313.

وبناءً على ذلك فإن تأويل قوله - تعالى - : ﴿هَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبِيسُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] ، إنما هو بياض النهار من سواد الليل.

وبهذا قال عامة أهل اللغة ومن أشهرهم:

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) في العين بقوله: "الخيط الأبيض من الخيط الأسود يعني الصبح"<sup>(1)</sup>.

وأبو عبيدة (ت 209هـ) في مجاز القرآن بقوله: "الخيط الأبيض هو: الصبح المصدق، والخيط الأسود هو: الليل، والخيط هو: اللون"<sup>(2)</sup>.

والفراء (ت 207هـ) في معاني القرآن<sup>(3)</sup>، وابن قتيبة (ت 276هـ) في غريب القرآن<sup>(4)</sup>. والزجاج (ت 311هـ) في معاني القرآن وإعرابه بقوله: "وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿هَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبِيسُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجَرِ﴾ [البقرة: 187] ، مما فجرنا: أحدهما يبدو أسود معتراضاً وهو الخيط الأسود، والأبيض يطلع ساطعاً يملأ الأفق، وحقيقة: حتى يتبيّن لكم الليل من النهار"<sup>(5)</sup>، والسجستاني (ت 330هـ)<sup>(6)</sup> في غريب القرآن<sup>(7)</sup>، والزاغب الأصفهاني (ت 502هـ) في المفردات في غريب القرآن<sup>(8)</sup>، والفيروز أبادي (ت 817هـ) في بصائر ذوي التمييز<sup>(9)</sup>، والسيوطى (ت 911هـ) في الإنقان<sup>(10)</sup>.

<sup>1</sup> كتاب العين 4/293، باب الخاء والطاء.

<sup>2</sup> مجاز القرآن لأبي عبيدة 1 / 68.

<sup>3</sup> معاني القرآن للفراء ص 115.

<sup>4</sup> غريب القرآن ص 74.

<sup>5</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/257، وانظر: المرزوقي الأصفهاني، أبو علي محمد بن الحسن (ت 421هـ)، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1417هـ، ص 510، وتفسير القرآن للسعاني 1/188-189، والبحر المحيط لأبي حيان 2/216هـ.

<sup>6</sup> هو الإمام محمد بن عزيز السجستاني، أبو بكر التبريزى: مفسر، كان رجلاً فاضلاً خيراً اشتهر بكتابه (غريب القرآن - ط) على حروف المعجم، صنفه في 15 سنة وحرره، وراجع فيه أبي بن الأنباري، وغيره. رواه عنه: أبو عبد الله بن بطة، وعثمان بن أحمد بن سمعان، وعبد الله بن الحسين السامری المقرئ، وكان مقاماً ببغداد، لم يذكر له ابن النجار وفاته. وقيل: اسم أبيه (عزيز) بالراء. وهو الصحيح ، قال أبو زكريا التبريزى: رأيت بخط ابن عزير، وعليه علامة الراء غير المعجمة . وبقي ابن عزير إلى حدود الثلاثين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء 15/216-217، والأعلام للزرکلی 6/268.

<sup>7</sup> انظر: السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (ت 330هـ)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط 1416هـ، ص 205.

<sup>8</sup> انظر: المفردات في غريب القرآن ص 302.

<sup>9</sup> انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي 2/575.

<sup>10</sup> انظر: الإنقان في علوم القرآن للسيوطى 2/92.

وقال بهذا التأويل - أيضاً - عامّة أهل التفسير، قاله الواحدi (ت 468هـ) في تفسيره<sup>(1)</sup>، وقال ابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره: " والمراد فيما قال جميع العلماء: بياض النهار وسود الليل "<sup>(2)</sup>.

وأشهر من قال بهذا القول من علماء التفسير:

مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) في تفسيره بقوله: " ﴿وَكُلُوا وَأْشِرِّوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187] حتى يتبيّن لكم وجه الصبح؛ يعني بياض النهار من سود الليل من الفجر "<sup>(3)</sup>، والطبرi (ت 311هـ) في تفسيره<sup>(4)</sup>، وابن أبي حاتم (ت 327هـ) في تفسيره<sup>(5)</sup>، والسمرقندi (ت 373هـ) في بحر العلوم<sup>(6)</sup>، وابن أبي زمّن (ت 399هـ) في تفسيره<sup>(7)</sup>، والتلّعبي (ت 427هـ) في الكشف والبيان<sup>(8)</sup>، والماوردي (ت 450هـ) في النكت والعيون<sup>(9)</sup>، والسمعاني (ت 489هـ) في تفسيره<sup>(10)</sup>، والراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في تفسيره<sup>(11)</sup>، والكرمانi (ت 505هـ) في غرائب التفسير وعجائب التأويل<sup>(12)</sup>، والبغوي (ت 516هـ) في تفسيره بقوله: " يعني: بياض النهار من سود الليل، سُمِّيَا خيطين؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما يبدو في الابتداء مُمْتَداً كالخيط "<sup>(13)</sup>، والزمخشري (ت 538هـ) في الكشاف<sup>(14)</sup>، وابن عطية (ت 542هـ) في تفسيره<sup>(15)</sup>، والرازي (ت 606هـ) في مفاتيح الغيب<sup>(16)</sup>، والقرطبي (ت 671هـ) في الجامع لأحكام القرآن<sup>(17)</sup>، والبيضاوي (ت 685هـ)

<sup>1</sup> انظر: التفسير البسيط للواحدi 605/3.

<sup>2</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/258، وانظر: الجوهر الحسان في تفسير القرآن 1/393.

<sup>3</sup> تفسير مقاتل بن سليمان 164/1.

<sup>4</sup> انظر: جامع البيان 3/538.

<sup>5</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1/318.

<sup>6</sup> انظر: بحر العلوم للسمرقندi 1/186.

<sup>7</sup> تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمّن 1/203-202.

<sup>8</sup> انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 2/80.

<sup>9</sup> انظر: النكت والعيون 1/244-246.

<sup>10</sup> انظر: تفسير القرآن للسمعاني 1/188-189.

<sup>11</sup> انظر: تفسير الراغب الأصفهاني 1/399.

<sup>12</sup> انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانi 1/501.

<sup>13</sup> معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/229.

<sup>14</sup> انظر: الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل 1/231.

<sup>15</sup> انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 1/258.

<sup>16</sup> انظر: مفاتيح الغيب 5/273.

<sup>17</sup> الجامع لأحكام القرآن 2/318-320.

في أنوار التزيل<sup>(1)</sup>، والنوفي (ت 710هـ) في تفسيره بقوله: "﴿ وَكُلُوا وَأْشِرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْحُبَطُ الْأَبْيَضُ ﴾" هو أول ما يbedo من الفجر المعرض في الأفق كالخيط الممدود، ﴿ مِنْ الْحُبَطِ الْأَسْوَدِ ﴾ وهو ما يمتد من سواد الليل شُبُّها بخيطين أبيض وأسود؛ لامتدادهما ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ بيان أن الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره. واكتفى به عن بيان الخيط الأسود؛ لأنَّ بيان أحدهما بيان لآخر، أو مِنْ للتبعيض؛ لأنَّه بعض الفجر وأوله<sup>(2)</sup>، والخازن (ت 741هـ) في لباب التأويل<sup>(3)</sup>، وأبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) في البحر المحيط بقوله: "... ألا ترى أنَّ الصَّحَابَةَ عملَتْ بِهِ أعني بإجراه اللفظ على ظاهره إلى أنْ نزلتْ: من الفجر، فنسخ حمل الخيط الأبيض، والخيط الأسود على ظاهرهما، وصارا بذلك مَجَازِيْنَ<sup>(4)</sup>، شَبَّهَا بالخيط الأبيض ما يbedo من الفجر المعرض في الأفق، وبالأسود ما يمتد معه من غيش الليل، شُبُّها بخيطين أبيض وأسود"<sup>(5)</sup>، والسمَّين الحَلَبيَّ (ت 756هـ) في الدر المصنون<sup>(6)</sup>، وابن كثير (ت 774هـ) في تفسيره<sup>(7)</sup>، وابن عادل (ت 775هـ) في اللباب<sup>(8)</sup>، والنيسابوري (ت 850هـ) في غرائب القرآن<sup>(9)</sup>، وأبو زيد الشعالي (ت 875هـ) في الجوادر الحسان<sup>(10)</sup>، والسيوطى (ت 911هـ) في الدر المنثور<sup>(11)</sup>، وأبو السعود (ت 982هـ) في إرشاد العقل السليم<sup>(12)</sup>، والشوكتانى (ت 1250هـ) في تفسيره<sup>(13)</sup>، ومُحَمَّدُ رشيدُ رضا (ت 1354هـ) في تفسير المنار<sup>(14)</sup>، وابن العثيمين (ت 1421هـ) في تفسيره<sup>(15)</sup>.

<sup>1</sup> انظر: أنوار التزيل وأسرار التأويل 1.126/1.

<sup>2</sup> مدارك التزيل وحقائق التأويل للنوفي 1.162/1.

<sup>3</sup> انظر: لباب التأويل في معاني التزيل 1.117/1.

<sup>4</sup> وهذا الكلام فيه نظر، انظر: تعليق الباحث على الزمخشري ص 269-270.

<sup>5</sup> البحر المحيط 2.216/2.

<sup>6</sup> انظر: الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون 2.297-296.

<sup>7</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1.512/1-513.

<sup>8</sup> انظر: اللباب في علوم الكتاب 3.313-314.

<sup>9</sup> انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري 1.514/1.

<sup>10</sup> انظر: الجوادر الحسان في تفسير القرآن 1.393-394.

<sup>11</sup> انظر: الدر المنثور في التفسير بالتأثر 1.482-481.

<sup>12</sup> انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود 1.202/1.

<sup>13</sup> انظر: فتح القدير للشوكتانى، 1.214/1-216.

<sup>14</sup> انظر: تفسير المنار 2.145-146.

<sup>15</sup> انظر: تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين 2.348/2.

ويرى الباحث مما سبق عرضه وبيانه أن الكلمة تكاد تكون مجتمعة على أنَّ معنى الخيط الأبيض، والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187] "خرج عن المعنى المعهود والظاهر إلى معناه المجازي الذي بيَّنهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقوله: "إِنَّمَا ذَلِكَ سُوَادَ اللَّيلِ وَبِيَاضَ النَّهارِ"<sup>(1)</sup>، وأنَّ قوله - تعالى: "من الفجر" بيانٌ وتفسيرٌ لما قبلها، من باب التشبيه البليغ، إذ إنَّه شبَّه الفجر بالخيط الأبيض، والليل بالخيط الأسود بطريق المقابلة، فجاء بالمشبه صريحاً في الأول وضمنياً في الثاني، فيكون معنى قوله - تعالى - في الآية كلوا واشربوا حتى يتبيَّن لكم بياض النهار من سواد الليل. وهذا ما يوافق سماحة الشَّرِيعَة، ويسرها في رفع المشقة، والحرج عن المكلَّفين؛ إذ التَّكْلِيفُ مرهون بسعة المكْلَفِ واستطاعته، قال - تعالى - ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]، وقال - تعالى - ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا ﴾ [الطلاق: 7]، وقال النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَمْرَتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا أَسْتَطِعْتُمْ" <sup>(2)</sup>. ولا يخفى على عاقل ما في إثبات وقت الصيام بإحضار خطيطين أبيض وأسود في كل ليلة وتتبعها من مشقة وحرج والله ي يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر قال - سبحانه وتعالى - ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185].

وهذا ما ذهب إليه ابن بدران - رحمة الله تعالى - معتقداً بذلك أولاً: على حديث النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وثانياً: على اللغة العربية من خلال القاعدة البلاغية التي أخرجت المعنى عن حقيقته وظاهره إلى معناه المجازي؛ لتبيَّن مراد الله - جَلَّ شأنه - من الآية، واستبطاط الحكم الشرعي في بداية صيام النهار، ونهايته.

وبما أنَّ في المسألة إجماعاً من أهل التأويل، واللغة، فلا مناص للباحث من التسليم لما قررُوه، والاتباع لما سلكوه، والله الموفق، وهو الهدى إلى سبيل الرشاد.

<sup>1</sup> سبق تخرجه انظر: ص 270، هامش 5.

<sup>2</sup> مسند أحمد، باب: مسند أبي هريرة - رضي الله عنه - 325/12، حديث رقم 7367، صحيح البخاري، باب: الاقداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - 94/9، حديث رقم 7288، صحيح مسلم، باب: فرض الحجّ مرة في العمر 975/2، حديث رقم 1337، وانظر: إرواء الغليل للألباني 183/1، حديث رقم 155.

### وخلصة القول:

إن تأويل قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ ﴾ [ البقرة: 187 ] اعتماد على القاعدة البلاغية في خروج المعنى عن ظاهره الحقيقي إلى

معناه المجازي، في أنَّ الخيط الأبيض والخيط الأسود، إنما أريد بهما بياض النهار وسود الليل.

## الخاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، أجملها في الآتي:

### أولاً: النتائج:

قام الباحث بتفريغ القواعد التحْوِيَّة والبلاغيَّة في تفسير جواهر الأفكار فوجده زاخراً بها، وقد اعتمدَها ابن بدران في توجيهه المعنى لآيات القرآن، وقد قام الباحث بدراستها دراسة تطبيقية خلصَ من خلالها إلى مجموعة من النتائج ضمَّنَها في النقاط الآتية:

1. إنَّ تفسير القرآن الكريم لا ينفك عن علوم العربية، إذ إنَّ من رام الولوج في التفسير لا بدَّ أن يمتلك علوم العربية، لاسيما التَّحْوِيَّة والبلاغة.
2. إنَّ ثمة علاقة قوية بين علوم اللغة وأخصُّها التَّحْوِيَّة والبلاغة وعلم التفسير؛ إذ هما الفيصل في كثير من الأحایين في توجيهه معنى الآية، ومعرفة مراد الله منها؛ للخروج من الخلاف بين العلماء.
3. عَمَدَ ابن بدران إلى تفسير كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ولكنَّ المنية وافته قبل إتمامه حيث انتهى إلى تفسير الآية 189 من سورة البقرة.
4. إنَّ منهج ابن بدران في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، ثمَّ التفسير بـصحيح السُّنَّة المبئنة للقرآن، ثمَّ بأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ثمَّ بأقوال التابعين، وجمهور العلماء مع تحري الدقة في صحة الخبر والأثر.
5. اعتمد ابن بدران في تفسيره على اللغة العربية في توجيهه معنى الآيات القرآنية؛ إذ بها يتم الكشف، والإيضاح، والإفهام، والتبيين؛ لمعرفة مراد الله - سبحانه وتعالى - في الآية القرآنية.
6. إنَّ القواعد التحْوِيَّة والبلاغيَّة كان لها كبير الأثر في اختيارات ابن بدران التفسيرية، فيجعلها حجة للرد على من خالفه من العلماء، فهي الفيصل في الخروج من الخلاف.
7. عَمَدَ ابن بدران إلى الأخذ بـصحيح السُّنَّة وإنَّ خالفت الأشهر في لغة العرب؛ لأنَّ تأويل الوَحْيَيْن مقدمٌ عنده على ما سواهما.
8. استقلالية ابن بدران في رأيه، وعدم تقييدِه بمذهب معين ولزومه قول مفسر من المفسرين، فقد يؤيّدُه في رأي، ويخالفه في رأي آخر، غير آبه بكتلة مخالفيه، وإنْ كان الجمُور.

9. إِنَّ ابْنَ بَدْرَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَشْهِدُ بِأَقْوَالِ الْعَرَبِ، وَأَشْعَارِهِمْ؛ لِبَيَانِ صَحَّةِ رَأْيِهِ، أَوْ إِقَامَةِ الْحَجَّةِ عَلَى غَيْرِهِ.
10. إِنَّهُ - رَحْمَهُ اللَّهُ - كَثِيرًا مَا يَسْتَشْهِدُ بِالْقَاعِدَةِ النَّحُوِيَّةِ أَوِ الْبَلَاغِيَّةِ؛ لِإِثْبَاتِ صَحَّةِ تَأْوِيلِهِ، وَإِظْهَارِ مَرَادِ اللَّهِ مِنِ الْآيَةِ الْقَرآنِيَّةِ، مُسْتَأْنِسًا بِأَقْوَالِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ، التَّفْسِيرِ.
11. إِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ بِتَكْمِيمِهِ، وَكَمَالِهِ؛ لِبَيَانِ رَأْيِهِ مِنْ خَلْلِهِ، مُظَهِّرًا سَبَبَ تَبَيِّنِهِ هَذَا الرَّأْيِ.

## ثانياً: التوصيات:

يُعدُّ تفسير ابن بدران من التفاسير الفيضة العزيزة غير المتدولة والمعروفة بين طلاب العلم. بالرغم من دقة تأويله، وقوة حجته في الرد على من يخالفه في الرأي، وعرضه لكثير من أقوال العلماء، وتوظيفه لعلوم الحياة المستجدة في تأويله للآيات القرآنية من غير أن يخرج عن الجادة بما يخالف قواعد التفسير والتأويل.

وبناءً على ذلك فإنَّ الباحث يوصي بالأمور الآتية:

1. إنَّ تفسيره غير مخدوم، وبجاجة إلى تحقيق، وتحريج، وتعليق، ومزيد دراسة، وبحث.
2. إنَّ تفسيره قائم على منهج السلف في التفسير بالتأثير، والاعتماد على اللغة، وهو بجاجة إلى إتمام على منهج مؤلفه؛ إذ وافته المنية بعد إتمامه لنفسه الآية التاسعة والثمانين بعد المئة من سورة البقرة.

## قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- أباظين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 1282هـ)، رسائل وفتاویٰ عبد الله بن عبد الرحمن أباظين (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية الجزء الثاني)، دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، بمصر 1349هـ، النشرة الثالثة 1412هـ.
- الأبي، الإمام أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني (ت 827 أو 828هـ)، إكمال إكمال المعلم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د. ت).
- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم السيباني الجزري (ت 637هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.
- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت 360هـ)، الشريعة، تحقيق د. عبد الله بن عمر الدميжи، دار الوطن - الرياض - السعودية، ط 2 1420هـ.
- الأخيلية، ليلي بنت عبد الله بن الرحال بن شداد (ت نحو 85هـ)، ديوان ليلي الأخيلية، عني بجمعه وتحقيقه خليل إبراهيم العطية، وجليل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، (د. ت).
- الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (ت 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط 1 1423هـ.
- ابن الأزرق، أبو راشد نافع بن الأزرق الحنظلي التميمي (ت 65هـ)، مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله ابن عباس، (من طريقتين، روایة أبي بكر الخثّي (ت 365هـ)، وروایة أبي طاهر (ت 442هـ))، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط 1 1413هـ.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الھروي (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1 2001م.
- ابن أبي أسماء، أبو محمد الحارث بن محمد بن داھر التميمي (ت 282هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المتنقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط 1 1413هـ.

- الإشبيلي عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الريبع القرشي الأموي العثماني (ت 688هـ)، **تفسير الكتاب العزيز وإعرابه**، تحقيق علي بن سلطان الحكمي، الجامعة الإسلامية بالدینة المنورة، الطبعة: الأعداد 85 - 100 السنوات 22 - 25 المحرم 1410 هـ - ذو الحجة 1413 هـ.
- الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى (ت 900هـ)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1419هـ.
- الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر (ت 369هـ)، **العظمة**، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركافوري، دار العاصمة - الرياض، ط 1408هـ.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، السعادة - مصر، 1394هـ، دار الكتب العلمية، ط 1409هـ.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ)، **الأغاني**، تحقيق سمير جابر، دار الفكر - بيروت، ط 2، (د. ت).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط 1420هـ.
- الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت 421هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1424هـ.
- الأصمي، أبو سعيد عبد الملك بن قریب (ت 216هـ)، **الأصمیات اختیار الأصمی**، تحقيق أحمد محمد شاکر - عبد السلام محمد هارون، دار المعرفة، مصر، ط 7 1993م.
- الأعجم، أبو أمامة زياد بن جابر بن عمرو بن عامر (ت نحو 125هـ)، **شعر زياد الأعجم**، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط 1403هـ.
- الأفغاني، سعيد بن محمد (ت 1417هـ)، **من تاريخ النحو العربي**، مكتبة الفلاح، (د. ت).
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، **موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر**، صنائعه شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث، صنائع - اليمن، ط 1431هـ.

- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذة من محفوظه، دار باوزير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط 1424هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعرف - الرياض، ط 1415هـ، ط 1422هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، دار المعرف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1412هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ) صحيح أبي داود - الأم، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، ط 1، 1423هـ.
- الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، آداب الزفاف في السنّة المطهرة، دار السلام، الطبعة الشرعية الوحيدة 1423هـ.
- الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ط 3 1408هـ.
- الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي (ت 1420هـ)، إرواء الغليل في تحرير أحاديث منار السبيل، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1405هـ.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1415هـ.
- البارودي، فخرى بن محمود (ت 1386هـ)، مذكرات البارودي، مطبع دار الحياة، لبنان، بيروت، 1951م.
- الباقيولي، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي (ت نحو 543هـ)، إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتب اللبناني - بيروت - القاهرة / بيروت، ط 4 1420هـ.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1422هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ)، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه، وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني**، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط 4، 1418هـ.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، **الковаكب الذرية في تاريخ عبد الرحمن اليوسف**، صدر سوريا، مطبعة الفيحاء، دمشق، 1339هـ.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار**، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - لبنان - بيروت، ط 1999م.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، **ديوان الإمام عبد القادر بن بدران المسمى بـ(تسليمة الليب عن ذكرى الحبيب)**، اعتنى به نور الدين طالب، دار النوادر، ط 1428هـ.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**، تحقيق زهير شاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 2، 1985م.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد (ت 1346هـ)، **نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر**، دار الحديث بيروت مكتبة الهدى - الإمارات، ط 1، 1412هـ.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم (ت 1346هـ)، **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2، 1401هـ.
- البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي (ت 1384هـ)، **من بلاغة القرآن**، نهضة مصر، القاهرة، ط 2005م.
- أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت 577هـ)، **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1400هـ.

- أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت 577هـ)، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والковيين*، المكتبة العصرية، ط 1424هـ.
- أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت 577هـ)، *أسرار العربية*، دار الأرقام بن أبي الأرقام، ط 1420هـ.
- البارز، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت 292هـ)، *البحر الزخار*، تحقيق عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط 1988 - 2009.
- ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، *شرح صحيح البخاري لابن بطّال*، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط 1423هـ.
- بطّال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان (ت 633هـ)، *النظم المستغرب في تفسير غريب ألفاظ المهدب*، تحقيق د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة 1988م - 1991م.
- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد (ت 387هـ)، *الإبانة الكبرى لابن بطة*، تحقيق الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر وأخرين، دار الراية - الرياض، ط 1418هـ.
- البغوي، محبي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت 516هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق عبدالرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1420هـ.
- البغوي، محبي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516هـ)، *شرح السنة*، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط 2 1403هـ.
- الباقي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت 885هـ)، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن البشار (ت 328هـ)، *الزاهر في معاني كلمات الناس*، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1412هـ.
- أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ)، *ايضاح الوقف والابداء*، تحقيق محبي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ.

- البكري: أبو منذر الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة (ت نحو 50ق.هـ)، *ديوان الحارت بن عباد*، جمعه وحققه أنس عبد الهادي أبو هلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراجم "المجمع الثقافي"، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط 1429هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، *جمل من أنساب الأشراف*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، جمعية المستشرقين الألمانية، 1400هـ.
- ابن بَلْبَان، محمد بن بدر الدين الدمشقي الحنفي (ت 1006هـ)، *أخصَّ المختصرات في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، ومعه حاشية نفيسة للإمام عبد القادر بن أحمد بن بدران (ت 1346هـ)، حقّقه وعلّق عليه محمد بن باصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط 1416هـ.
- بلعيد، صالح، *التراتيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني*، *ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر*، 1994م.
- بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت 1419هـ)، *الإعجاز البياني للفقران ومسائل ابن الأزرق*، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط 3، (د. ت).
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيزاري (ت 685هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1418هـ.
- البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (ت 1335هـ)، *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر*، حقّقه، ونسّقه، وعلّق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط 1413هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، *الأسماء والصفات للبيهقي*، حقّقه وخرج أحديه عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له مقبل الوداعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط 1413هـ.
- البيهقي، أبو بكر محمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت 458هـ)، *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أصحاب الحديث*، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط 1401هـ.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد - الرياض، ط 1423هـ.
- التبريزي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت 741هـ)، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 3 1985م.
- الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ)، سنن الترمذى، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - مصر، ط 2، 1395هـ.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ)، ديوان الحماسة، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجوالىقى (ت 540هـ)، شرحه وعلق عليه أحمد حسن بساج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1418هـ.
- التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود (ت 1413هـ)، عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط 2 1409هـ.
- التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت 651هـ)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، هذب ابن منظور محمد بن جلال الدين المكرم (ت 711هـ)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط 1980.
- ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة الصحف - المدينة المنورة، ط 1426هـ.
- ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 1980م.
- ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1995م.
- ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط 7، 1419هـ.

- الشعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ)، *فقه اللغة وسر العربية*، تحقيق عبد الرزاق المهدى، إحياء التراث العربى، ط 1422هـ.
- الشعالي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت 875هـ)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تحقيق الشيخ محمد علي معرض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربى - بيروت، ط 1418هـ.
- الشعالي، أبو اسحق احمد بن محمد (ت 427هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ط 1422هـ.
- الثوري، أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق (ت 161هـ)، *تفسير الثوري*، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1403هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، *البيان والتبيين*، دار ومكتبة الهلال - بيروت، 1423هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، *رسائل الجاحظ*، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، *الرسائل الأدبية*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1423هـ.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ)، *أسرار البلاغة*، قراء وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة، دار المدنى بجدة، ط 1412هـ.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)، *درج الدر في تفسير الآي وال سور*، تحقيق القسم الأول: طلعت صلاح فرحان، والقسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، دار الفكر - عمان - الأردن، ط 1430هـ.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)، *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة - دار المدنى بجدة، ط 3 1413هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت 816هـ)، *التعريفات*، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 1403هـ.

- الجرجاوي، زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد المعروف بالولقاد (ت 905هـ)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط 1421هـ.
- الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5 1424هـ.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن يوسف (ت 833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط 1420هـ.
- ابن جريري، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام – بيروت، ط 1416هـ.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت 370هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1405هـ.
- الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، مطبعة مجلة صوت سوريا، ط 1، 1954م.
- الجندي، محمد سليم (ت 1375هـ)، تاريخ معمرة النعمان، حققه وعلق عليه عمر رضا كحالة، إصدارات وزارة الثقافة بسوريا، ط 1962م.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (ت 392هـ)، اللُّمْعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، (د. ت).
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (ت 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، (د. ت).
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (ت 392هـ)، سرُّ صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1421هـ.
- الجنحي، علي بن مناور بن ردة (2007م)، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي آل عمران والنساء. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- الجوّري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت 889هـ)، *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*، تحقيق نواف بن جزاء الحارثي، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب رسالة ماجستير للمحقق)، ط 1423هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ)، *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1422هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، *نرفة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان، بيروت، ط 1404هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ)، *صيد الخاطر*، عناية حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، ط 1425هـ.
- الجوّري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين - بيروت، ط 1407هـ.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327هـ)، *تفسير القرآن العظيم* لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط 3 1419هـ..
- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 737هـ)، *المدخل*، دار التراث، (د. ت).
- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت 646هـ)، *الكافية في علم النحو*، تحقيق د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط 2010 م.
- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت 646هـ)، *أمالى ابن الحاجب*، تحقيق د. فخر صالح سليمان قرار، دار عمار - الأردن، دار الجليل - بيروت، ط 1409هـ.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت 1067هـ)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، مكتبة المثنى - بغداد، 1941م.
- الحافظ، محمد مطیع، ونزار أباظة، *تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري*، تقديم الدكتور شكري فيصل، دمشق، دار الفكر، ط 1 1986.

- حَبَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1416هـ.
- أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط 2 1408هـ.
- ابن حجة الحموي، نقى الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت 837هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأربع**، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار - بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ط 1379هـ.
- وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1415هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، **الدُّرُرُ الْكَامِنَةُ فِي أَعْيَانِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ**، مراقبة محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر أباد / الهند، ط 2 1392هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط 1 2002م.
- ابن أبي الحميد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله بن محمد (ت 656هـ)، **الفلك الدائر على المثل السائر**، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طباعة، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، (د. ت).
- الحربي، محمد رمضان، **ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية**، مكتبة الآداب - القاهرة، ط 1، 2010م.
- الحريري، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل (ت 1376هـ)، **توفيق الرَّحْمَنَ فِي دروس القرآن**، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الله آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان، القسيم - بريدة، ط 1416هـ.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ)، *المحلى بالآثار*، دار الفكر - بيروت، (د. ت).
- أبو الحسن الطبرى، علي بن محمد بن علي، الملقب بعماد الدين (ت 504هـ)، *أحكام القرآن*، تحقيق موسى محمد وعزه عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1405هـ.
- الحصني، محمد أديب آل نقي الدين، *منتخبات التواريخ لدمشق* - دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1979م.
- الحطيئة، أبو مليكة جرول بن أوس (ت 45هـ)، *ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكري* (ت 246هـ)، دراسة وتنبيب د. مفید محمد قمیمة، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت - لبنان، ط 1413هـ.
- الحملوي، أحمد بن محمد (ت 1351هـ)، *شذا العرف في فن الصرف*، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ت).
- حمودة، عبد العزيز، *المرايا المقرعة نحو نظرية نقدية عربية*، سلسلة عالم المعرفة رقم 272، مطبع الوطن - الكويت، 1422هـ.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، *معجم الأدباء* (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1414هـ.
- الحميري، نشوان بن سعيد (ت 573هـ)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الأرياني - د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سوريا)، ط 1420هـ.
- ابن حنبل، أبو عبد الرحمن عبد الله أحمد (ت 290هـ)، *الستة*، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط 1406هـ.
- ابن حنبل، أبو عبدالله احمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط 1416هـ.
- ابن حنبل، أبو عبدالله احمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرين، إشراف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1421هـ.

- أبو حيان الأندلسي، مُحَمَّد بن يوسف بن علي (ت 745هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق صدقى مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت ط 1420هـ.
- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت 741هـ)، *باب التأويل في معاني التنزيل*، تصحیح محمد علي شاهین، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1415هـ.
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح، *القرآن ونقض مطاعن الرهبان*، دار القلم، دمشق، دمشق، ط 1428هـ.
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 370هـ)، *ليس في كلام العرب*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ، ط 1399هـ.
- الخثران، عبدالله بن حمد، *مراحل تطور الدرس النحوی*، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ط 1413.
- ابن خزيمة، أبو بكر مُحَمَّد بن إسحاق (ت 311هـ)، *كتاب التوحيد*، حققه وخرج أحاديثه د. سمير بن أمين الزهيري، دار المغني، السُّعُودِيَّةُ - الرِّيَاضُ، (د. ت).
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم (ت 388هـ)، *معالم السنن*، المطبعة العلمية - حلب، ط 1351هـ، ط 1401هـ.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم (ت 388هـ)، *غريب الحديث*، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرياوي، وخرج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط 1402هـ.
- الخطيب، عبد اللطيف مُحَمَّد، *معجم القراءات*، دار سعد الدين، مصر - القاهرة، ط 1430هـ.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ)، *تاريخ بغداد*، تحقيق الدكتور بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 2002م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ)، *الفقيه والمتفق عليه*، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، ط 2002هـ.
- الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ)، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تحقيق مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط 3، (د. ت).

- الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 1424هـ.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمى: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت، (د. ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبدالله بن الدرويش، دار يعرب - دمشق، ط 1425هـ.
- ابن حلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ط 1994.
- النساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي (ت نحو 50هـ)، ديوان النساء، اعتنى به، وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 2 1425هـ.
- الخولي، كامل، صور من تطور البيان العربي، دار الأنوار للطباعة والنشر ، 1962م.
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت 385هـ)، رؤية الله، تحقيق إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، سنة النشر 1411هـ.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت 255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1 1412هـ.
- دمام أفندي، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان (ت 1078هـ)، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ)، طبقات المفسرين للداودي، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ت).
- الدجني، فتحي عبد الفتاح، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، وكالة المطبوعات - الكويت، ط 1، 1974م.
- دراز، محمد عبدالله (ت 1377هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة - الدوحة، ط 1985م.

- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ)، *إعراب القرآن وبيانه*، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سوريا، ط 4 1415هـ.

- الدّلّجي، شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله (ت 838هـ)، *الفلاكة والمفلوكون*، مطبعة الشعب، مصر، 1322هـ.

- الذبياني، الشماخ بن ضرار (ت 22هـ)، *ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني*، حقّقه، وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر - القاهرة، (د. ت).

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، *مختصر العلو للعلي العظيم للذهبى*، حقّقه واختصره محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 2 1412هـ.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط 1 1382هـ.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت 748هـ)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1 2003م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، *سير أعلام النبلاء*، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3 1405هـ.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ.

- الذهبي، محمد السيد حسين (ت 1398هـ)، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهة، القاهرة، (د. ت).

- الرّازِي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606هـ)، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب* ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 1420هـ.

- الرّازِي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ)، *مخاتر الصحاح*، تحقيق يوسف الشیخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط 5 1420هـ.

- الرّازِي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322هـ)، *كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية*، عارضه بأصوله، وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمданى، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ط 1 1415هـ.

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت 666هـ)، **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل**، تحقيق د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطروودي، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض، ط 1413هـ.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق بيروت، ط 1412هـ.
- الراغب، عبد السلام أحمد، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، فصلات للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط 1422هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (ت 1356هـ)، **تحت راية القرآن**، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط 1423هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1356هـ)، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، (د. ت).
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي (ت 463هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5 1401هـ.
- رضا، محمد رشيد بن علي (ت 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، ط 2 1424هـ.
- الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، **بحث في أصول التفسير ومناهجه**، مكتبة التوبة، (د. ت).
- زين، عماد أحمد سليمان (2006م)، **أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره لرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم "الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم نموذجاً"**. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.
- الزبيري، أبو عبد مصعب بن عبد الله (ت 236هـ)، **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط 3، (د. ت).
- الرجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط 1408هـ.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق النهاوندي (ت 337هـ)، **حروف المعاني والصفات**، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1984م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط 1418هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملائين، ط 15، 2002م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 3، (د. ت).
- الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر (ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1376هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، **الكاف الشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3، 1407هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط 1993م.
- ابن أبي زمنين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى (ت 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق أبي عبدالله حسين بن عكاشه ومحمد بن مصطفى الكنزر، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، ط 1423هـ.
- أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (د. ت).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ)، **المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي، (د. ت).
- الزيارات، أحمد حسن وأخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا، ط 2، 1392هـ.
- السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، دار الفكر، الأردن - عمان، ط 5، 1432هـ.
- السبّت، خالد بن عثمان، **مختصر في قواعد التفسير**، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط 1426هـ.

- السُّبْكِي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن نقِي الدِّين (ت 771هـ)، معِيد النَّعْم ومبِيد النَّقْم، تحقيق مُحَمَّد النَّجَار، وأبي زيد شلبي، ومُحَمَّد أبو العيون، طبع بدار الكتاب العربي بمصر - القاهرة، ط 1948م.
- السُّبْكِي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن نقِي الدِّين (ت 771هـ)، الأشْباه والنَّظَائِر، دار الكتب العلمية، ط 1411هـ.
- السجستاني، أبو بكر مُحَمَّد بن عُزِيز (ت 330هـ)، غَرِيب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تحقيق مُحَمَّد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط 1416هـ.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د. ت).
- السراج، مُحَمَّد علي، الباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النَّخْو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، ط 1403هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معاذ اللويفي، مؤسسة الرسالة، ط 1420هـ.
- أبو السعود، العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (ت 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت).
- السَّكَّاكِي، يوسف بن بكر بن مُحَمَّد (ت 626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه، وكتب هوامشه، وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2 1407هـ.
- ابن سَلَام، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سَلَام بن عَبْدِ الله الجمحِي، (ت 232هـ)، طبقات فحول الشَّعْراء، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدنى - جدة، (د. ت).
- السَّلَمِي، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد بن الحسين بن موسى الأَرْذِي (ت 412هـ)، تفسير السَّلَمِي وهو حقائق التفسير، تحقيق سيد عمران ، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1421هـ.
- السمرقندِي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم (ت 375هـ)، تفسير السمرقندِي المسمى (بحر العلوم)، تحقيق، وتعليق علي مُحَمَّد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النُّوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1413هـ.

- السّمعاني، أبو المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار (ت 489هـ)، *تفسير القرآن*، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السُّعُودِيَّة، ط 1418هـ.
- السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، أبو العباس شهاب الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ (ت 756هـ)، *الدُّرُّ المَصْوَنُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ*، تحقيق الدكتور أَحْمَدُ مُحَمَّدُ الْخَرَاطِ، دار القلم - دمشق، (د. ت).
- السُّنِيْكِيُّ، زَيْنُ الدِّينِ أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَاً بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَكَرِيَاً (ت 926هـ)، *فتح الرَّحْمَنِ بِكَشْفِ مَا يَلْتَبِسُ فِي الْقُرْآنِ*، تحقيق مُحَمَّدٌ عَلَيِ الصَّابُونِيُّ، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط 1403هـ.
- سِيِّبوُيْهُ، أَبُو بَشَرٍ عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرِ الْحَارِشِيِّ (ت 180هـ)، *الْكِتَابُ*، تحقيق عبد السلام مُحَمَّدٌ هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 1408هـ.
- ابْنُ سِيدَهُ، أَبُو الْحَسْنِ عَلَيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ (ت 458هـ)، *الْمُخْصَصُ*، تحقيق خليل إبراهيم جَفَّال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1417هـ.
- السِّيرَافِيُّ، أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَرْزِبَانِ (ت 368هـ)، *أَخْبَارُ النَّحْوَيْنِ الْبَصْرِيَّيْنِ*، تحقيق طه الرِّينِيُّ، وَمُحَمَّدُ عَبْدِ الْمُنْعَمِ خَفَاجِيُّ، النَّاشرُ مصطفى الحلبي، ط 1373هـ.
- السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *الْمَزْهُرُ فِي عِلْمِ الْلُّغَةِ وَأَنْواعِهَا*، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1418هـ..
- السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *الْإِكْلِيلُ فِي اسْتِنبَاطِ التَّنْزِيلِ*، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1401هـ.
- السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *غُفُودُ الْجُمَانِ فِي عِلْمِ الْمَعْانِيِّ وَالْبَيَانِ*، تحقيق وضي عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم، القاهرة، ط 1433هـ.
- السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *سُبُّ وَضُعُ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ*، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، بيروت - دمشق، ط 1409هـ.
- السِّيُوطِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *تَارِيخُ الْخَلْفَاءِ*، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط 1425هـ.
- السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ت 911هـ)، *هُمُّ الْهَوَامِعِ فِي شَرِحِ جَمِيعِ الْجَوَامِعِ*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، (د. ت).

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 1396هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإنقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394هـ.
- الشاري، سيد قطب إبراهيم حسين (ت 1385هـ) التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط 17، (د. ت).
- الشاري، سيد قطب إبراهيم حسين (ت 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط 17 1412هـ.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1417هـ.
- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت 790هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط 1428هـ.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبى - مصر، ط 1358هـ.
- الشبلي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين محمد بن عبد الله (ت 769هـ)، آكام المرجان في أحكام الجن، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر - القاهرة، (د. ت).
- ابن الشجيري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت 542هـ)، أمالى ابن الشجيري، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1413هـ.
- الشدي، عادل بن علي بن أحمد، مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران جواهر الأفكار ومعادن الأسرار، دار الوطن للنشر والتوزيع - السعودية - الرياض، ط 1، (د. ت).

- الشريبي، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت 977هـ)، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الكبير*، مطبعة بولاق (الأميرة) - القاهرة، ط 1285هـ.
- وشرف الدين، جعفر، *الموسوعة القرآنية*، تحقيق عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقرب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط 1420هـ.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت 406هـ)، *تلخيص البيان في مجازات القرآن*، تحقيق الدكتور علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د. ت).
- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، *تفسير الشعراوي - خواطر*، مطابع أخبار اليوم، 1997.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكنى (ت 1393هـ)، *أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، 1415هـ.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت 1393هـ)، *الغضب التمييّز من مجالس الشنقيطي في التفسير*، تحقيق خالد بن عثمان السبت، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 1426هـ.
- شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (ت 1426هـ)، *المدارس النحوية*، دار المعارف، (د. ت).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت 1250هـ)، *فتح القدير*، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط 1414هـ.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 235هـ)، *المصنف في الحديث والآثار*، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1409هـ.
- الصابوني، محمد علي، *روايات البيان تفسير آيات الأحكام*، مكتبة الغزالى - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط 3 1400هـ.
- الصناعي، عبد الرزاق بن فراج، *أصول علم العَرَبِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ*، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط 28، العددان 105-106، 1417هـ - 1418هـ.
- صافي، محمود بن عبدالرحيم (ت 1376هـ)، *الجدول في إعراب القرآن الكريم*، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط 4 1418هـ.

- صالح، عبد علي حسن، *النحو العربي - منهج في التعليم الذاتي*، دار الفكر، الأردن - عمان، ط 1 2001 م.
- ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع (ت 720هـ)، *المحة في شرح الملة*، تحقيق إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة - المملكة العربية السعودية، ط 1 1424هـ.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت 1206هـ)، *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1 1417هـ.
- الصعيدي، عبد المتعال (ت 1391هـ)، *بغية الإيضاح لتألخيص المفتاح في علوم البلاغة*، مكتبة الآداب، ط 17 1426هـ.
- الصعيدي، عبد المتعال، *البلاغة العالية (علم المعاني)*، قدم له، وراجعه عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ومطبعتها، ط 2 1991م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ)، *أعيان العصر وأعوان النصر*، تحقيق د. علي أبي زيد، وآخرون، قدم له مازن عبد القادر المبارك دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط 1 1418هـ.
- ابن أبي الصلت، أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة (ت نحو 8هـ)، *ديوان أمية بن أبي الصلت*، جمعه وحقق وشرحه الدكتور سجيع جميل الحبيلي، دار صادر بيروت - لبنان، ط 1 1998.
- الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت 211هـ)، *تفسير عبد الرزاق*، دراسة وتحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 1419هـ.
- الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوى الملقب بالمؤيد بالله (ت 745هـ)، *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، المكتبة العنصرية - بيروت، ط 1 1423هـ.
- طبانة، بدوي، *دراسات في نقد الأدب العربي*، المطبعة الفنية الحديثة، ط 5، 1969م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ)، *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط 2، (د. ت).

- الطبرى، أو جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد (ت 310هـ)، *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1420هـ.
- الطبطبائى، عبد المحسن أحمد (2001م)، *تعدد التوجيه النحوى عند الطبرى في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، القاهرة.
- الطحاوى، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة (ت 321هـ)، *أحكام القرآن الكريم*، تحقيق الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامى، ط 1 (م 1416هـ، م 2 1418هـ).
- طنطاوى، مُحَمَّد سيد (ت 1431هـ)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، دار النهضة، مصر - الفجالة - القاهرة، ط 1 1997م.
- الطنطاوى، مُحَمَّد كُبِيشة (ت 1379هـ)، *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*، تحقيق أبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط 1 1426هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان، *أصول التفسير*، تقديم د. مُحَمَّد بن صالح الفوزان دار ابن الجوزي، ط 3 1420هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، *التفاسير اللغوي للقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، ط 1 1432هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، *مفهوم التفسير والتأويل والاستبطاط والتدبر والمفسر*، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 2 1427هـ.
- أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوى الحبى (ت 351هـ)، *مراتب النحويين*، حققه، وعلق عليه مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة - القاهرة، (د. ت.).
- ابن عابدين، مُحَمَّد أمين بن عمر (ت 1252هـ)، *رد المحتار على الدر المختار*، دار الفكر - بيروت، ط 2 1412هـ.
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقى النعmani (ت 775هـ)، *الباب في علوم الكتاب*، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط 1 1419 هـ.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطَّاهر بن مُحَمَّد (ت 393هـ)، *التحريير والتَّسوير* (تحريير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م.

- ابن عاشور، مُحَمَّد الفاضل بن مُحَمَّد الطاهر (ت 1390هـ)، *التفسيير ورجاله*، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، السنة الثانية - الكتاب الثالث عشر، سنة 1390هـ.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت 287هـ)، *الأحاديث المثنوي*، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الرأي - الرياض، ط 1411هـ.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ)، *السُّنَّة*، تحقيق مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1400هـ.
- العايد، سليمان بن إبراهيم بن مُحَمَّد، *عناية المسلمين باللغة العربية خدمة لقرآن الكريم*، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (د. ت).
- العبادي، عدي بن زيد (ت 587ق.هـ - 35ق.هـ)، *ديوان عدي بن زيد العبادي*، تحقيق وجمع مُحَمَّد جبار المعبي، وزارة الثقافة والإرشاد (سلسلة كتب التراث)، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد، ط 1965م.
- ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت 68هـ)، *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، جمعه مجد الدين أبو الطاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان، (د. ت).
- عبد الحميد، مُحَمَّد محبي الدين (ت 1392هـ)، *التحفة السنّية بشرح المقدمة الأجرامية*، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1416هـ.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي البصري (ت 209هـ)، *مجاز القرآن*، تحقيق مُحَمَّد فؤاد سرزي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط 1381هـ.
- العتابي، هاني كنهر عبد زيد (2013م)، *ابن مالك النحو في تفاسير القرآن الكريم*. رسالة ماجستير، جامعة واسط.
- عتر، حسن ضياء الدين (ت 1432هـ)، *بياتات المعجزة الخالدة*، دار النصر، حلب، ط 1975م.
- العثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد (ت 1421هـ)، *تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة)*، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط 1423هـ.
- العثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد (ت 1421هـ)، *تفسير القرآن الكريم الكهف*، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1423هـ.

- العثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد (ت 1421هـ)، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحَمَّد ابن صالح العثيمين**، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة 1413هـ.
- العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر (ت نحو 90هـ)، **ديوان العجاج** (رواية عبد الملك بن قريب الأصمي وشرحه)، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السلطاني، مكتبة الدكتور مروان العطية، المطبعة التعاونية بدمشق 1971.
- العجمي، مُحَمَّد بن ناصر، **علامة الشام عبدالقادر بن بدران الدمشقي حياته وأثاره**، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط 1417هـ.
- العجمي، مُحَمَّد بن ناصر، **علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته ومراسلاته العلمية وأثاره**، مركز البحث والدراسات الكويتية ، الكويت، 1415هـ.
- ابن العربي، القاضي مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله، وخرج أحاديثه، وعلق عليه مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 3 1424هـ.
- ابن أبي العز، صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد (ت 792هـ)، **تفسير ابن أبي العز**، جمع ودراسة شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 1423هـ.
- ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1422هـ.
- ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن (ت 769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط 2000هـ.
- العُكْبَرِي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت 616هـ)، **الباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط 1416هـ.
- العُكْبَرِي، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله (ت 616هـ)، **التبیان في إعراب القرآن**، تحقيق علي بن محمد البجّاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ت).
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت 1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط 1429هـ.

- أبو عمر القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 1412هـ.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد (ت 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت).
- الغزني، أبو القاسم محمد بن أبي الحسين علي بن الحسين النيسابوري (ت 553هـ)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق سعاد بنت صالح، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1419هـ.
- الغلايوني، مصطفى بن محمد سليم (ت 1364هـ)، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط 28 1414هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر محمد علي بيضون، ط 1418هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الفزويني الرازي (ت 395هـ)، مجلل اللغة لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2 1406هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.
- فاضل، محمد نديم، التضمين النحوي في القرآن الكريم، (أصل الكتاب: أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم)، دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط 1426هـ.
- الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين (ت 458هـ)، إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت - الجهراء، (د. ت).
- الفراهي، عبد الحميد الهندي (ت 1349هـ)، مفردات القرآن - نظارات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط 1 2002م.
- الفراهيدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت 170هـ)، الجمل في النحو، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط 5 1416هـ.
- الفراهيدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت 170هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ت).

- الفيروز أبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (ج 4 1412هـ، ج 2 1416هـ).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت 1332هـ)، محسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1418هـ.
- ابن قاضي شهبة، نقى الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأستاذ (ت 851هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط 1407هـ.
- القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت 544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 1419هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراق، ط 2 1419هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، عيون الأخبار، شرحه وضبطه د. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 3 1424هـ.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت 684هـ)، الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، الناشر عالم الكتب، (د. ت).
- الفراضي، يوسف، دور الفيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 1 1415هـ.
- القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليق لمسائل مستخرجة، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 2 1408هـ.
- القرطبي، أبو عباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب مستو وأخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط 1 1417هـ.

- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2 1384هـ

- القشيري، عبد الكريم بن هوان بن عبد الملك (ت 465هـ)، **لطائف الإشارات** (تفسير القشيري)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط 3، (د. ت).

- القصّاب، أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي (ت نحو 360هـ)، **النُّكْتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْبِيَانِ فِي أَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَالْأَحْكَامِ**، تحقيق إبراهيم بن منصور الجنيد، دار القيم - دار ابن عَفَانَ، ط 1424هـ.

- القطّان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، ط 3 1421هـ.

- القتوحي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي (ت 1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، عنابة عبدالله بن إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت 1412هـ.

- ابن القيّم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب (ت 751هـ)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

- ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ)، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، اختصره ابن الموصل، محمد بن محمد ابن الموصل محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 774هـ)، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط 1422هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ)، **إغاثة اللهاfan من مصايد الشيطان**، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعرف، الرياض - المملكة العربية السعودية، (د. ت).

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ)، **الطب النبوى**، دار الهلال - بيروت، (د. ت).

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27 1415هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **طبقات الشافعيين**، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1420هـ.
- الكرماني، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر (ت نحو 505هـ)، *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، دار القبلة للنقاقة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، (د. ت).
- الكفوبي، أبيوبن موسى (ت 1094هـ)، *الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية*، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (د. ت).
- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، والثانية، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدوسي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض، (د. ت).
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت 333هـ)، *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنّة)*، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط 1426هـ.
- المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي (ت 536هـ)، *المعلم بفوائد مسلم*، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النمير، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.
- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672هـ)، *الأفية ابن مالك*، دار التعاون، (د. ت).
- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672هـ)، *شرح تسهيل الفوائد*، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط 1410هـ.
- ابن مالك، محمد بن عبدالله (ت 672هـ)، *تسهيل الفوائد وتمكين المقاصد*، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط 1387هـ.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)، *الكامن في اللغة والأدب*، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3 1417هـ.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)، *الفاضل*، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 3 1421هـ.
- محمود، منيع بن عبد الحليم (ت 1430هـ). *مناهج المفسرين*، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، 2000م.

- مراد، وليد محمد، نظرية النظم وقيمتها العالية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط 1، 1983م.
- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (ت 749هـ)، الجنى الدانى في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1413هـ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، علوم البلاغة (البيان، المعاني البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 3 1414هـ.
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر بن حجر (ت نحو 544م - 80ق. هـ)، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرف - القاهرة، ط 5، القسم الأول رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، (د. ت).
- مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت 1400هـ.
- ابن المرزيان، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه (ت 347هـ)، تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق د. محمد بدوي المخنون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، 1419هـ.
- المرزياني، الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384هـ)، معجم الشعرا، تصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2 1402هـ.
- المرزوقي الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت 421هـ)، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1417هـ.
- مطري، عرفان، الجامع لفنون اللغة العربية والعرض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط 1 1407هـ.
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت 1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط 1 1413هـ.
- المظيري، محمد ثناء الله (ت 1225هـ)، التفسير المظيري، تحقيق غلام نبي التونسي، مكتبة الرشيدية، الباكستان، ط 1412هـ.
- مغالسة، محمود حسني، التحْوُ الشافِي الشامل، دار المسيرة، عمان، ط 1 1427هـ.

- مَكِّيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَمْوَشَ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت 437هـ)، **مُشْكِلٌ لِعِرَابِ الْقُرْآنِ**، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1405هـ.
- ابن المُنذر، أبو بكر مُحَمَّد بن إبراهيم (ت 319هـ)، **كتاب تفسير القرآن**، قدم له الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، حفظه، وعلق عليه الدكتور سعد بن مُحَمَّد السعد، دار المأثر - المدينة النبوية، ط 1423هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن علي (ت 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، ط 3 1414هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن علي (ت 711هـ)، **نشر الأزهار في الليل والنهر**، مطبعة الجواب، قسطنطينية، ط 1298هـ.
- ابن المنير، ناصر الدين أحمد بن مُحَمَّد الإسكندراني (ت 683هـ)، **الانتصاف** فيما تضمنه الكشاف، وهو مذيل في الحاشية من كتاب **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3، 1407هـ.
- المنيراوي، هديل مُحَمَّد عطيه (2009م). **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن "دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وأآل عمران والنساء"**. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- أبو موسى، مُحَمَّد مُحَمَّد، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، ط 7، (د. ت).
- النابغة الجعدي، أبو ليلي عبد الله بن قيس بن جعده بن كعب بن ربيعة (ت نحو 50هـ)، **ديوان النابغة الجعدي**، جمعه، وحققه، وشرحه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط 1998م.
- النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب (ت نحو 18ق هـ)، **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 3 1416.
- الناصري، مُحَمَّد المَكِّي (ت 1414هـ)، **التيسير في أحاديث التفسير**، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 1405هـ.
- ابن النَّاظِمِ، أَبُو عبدِ اللهِ بْنِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْإِمامِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكِ (ت 686هـ)، شرح **ابن النَّاظِمِ عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ**، تحقيق مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 1420هـ.

- النَّجَارُ، مُحَمَّدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، ضِيَاءُ السَّالِكِ إِلَى أَوْضَعِ الْمَسَالِكِ، مُؤْسِسَةُ الرِّسَالَةِ، ط 1422 هـ.
- النَّحَاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت 338 هـ)، مَعْانِي الْقُرْآنِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ عَلَى الصَّابُونِيِّ، جَامِعَةُ أَمِ الْقَرَى - مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ، ط 1409 هـ.
- النَّحَاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (ت 338 هـ)، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، عَلْقٌ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَنْعِمِ خَلِيلٌ إِبْرَاهِيمٌ، دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ - بَيْرُوتُ، ط 1421 هـ.
- ابْنُ النَّدِيمِ، أَبُو الفَرجِ مُحَمَّدُ بْنِ إِسْحَاقِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَرَاقِ، (ت 438 هـ)، الْفَهْرِسُ، تَحْقِيقُ إِبْرَاهِيمِ رَمْضَانَ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتُ - لَبَّانُ، ط 1417 هـ.
- النَّسَائِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنِ شَعْبَيْنِ بْنِ عَلَى (ت 303 هـ) الْمَجْتَبِيُّ مِنْ السَّنَنِ (السَّنَنُ الصَّغِيرِيُّ لِلنَّسَائِيِّ)، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْفَاتِحِ أَبُو غَدَّةِ، مَكْتَبُ الْمَطَبُوعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - حَلَبُ، ط 2 1406 هـ.
- وَالنَّسْفِيُّ، أَبُو الْبَرَّكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ حَافِظِ الدِّينِ (ت 710 هـ)، تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ (مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ)، حَقْقَهُ وَخَرَجَ أَحَادِيثَ يُوسُفَ عَلَيْهِ الْبَدِيُّوِيِّ، رَاجِعُهُ وَقَدْمُهُ لِمَحْيَيِ الدِّينِ دَبِيبِ مَسْتَوِيِّ، دَارُ الْكَلْمِ الطَّيِّبِ، بَيْرُوتُ، ط 1419 هـ.
- النَّمْلَةُ، عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أَصْوُلِ الْفِقْهِ الْمُقَارَنِ، مَكْتبَةُ الرُّشْدِ - الرِّيَاضُ، ط 1 1420 هـ.
- النَّمِيرِيُّ، أَبُو حَيَّةِ الْهَبِيثِ بْنِ الرَّبِيعِ (ت 183 هـ)، شِعْرُ أَبِي حَيَّةِ النَّمِيرِيِّ، جَمِيعُهُ وَحَقْقَهُ الدَّكْتُورُ يَحْيَى الْجَبُورِيُّ، مَنْشُورَاتُ وَزَارَةِ الْقُوَّاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمُسَلَّمِيَّةِ، دَمْشَقُ 1975 م.
- النَّورِيُّ، بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ (ت 1379 هـ)، إِشَارَاتُ الْإِعْجَازِ فِي مَظَانِ الْإِيْجَازِ، تَحْقِيقُ إِحسَانِ قَاسِمِ الصَّالِحِيِّ، شَرْكَةُ سُوزِلِرِ لِلْنَّشْرِ - الْقَاهِرَةُ، ط 3 2002 م.
- النَّوْوَوِيُّ، أَبُو زَكْرَيَا مَحْيَيِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ شَرْفِ (ت 676 هـ)، الْمَنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ، ط 2 1392 هـ.
- الْثُّوْبِرِيُّ، شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت 733 هـ)، نَهَايَةُ الْأَرْبَ في فُنُونِ الْأَدْبِ، دَارُ الْكِتَبِ وَالْوَثَائِقِ الْقُومِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ، ط 1 1423 هـ.
- وَالنَّيْسَابُوريُّ، أَبُو الْحَسِينِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقَشِيريِّ (ت 261 هـ)، الْمَسْنَدُ الصَّحِيفُ الْمُختَصُّ بِنَقلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحْقِيقُ مَجْمُوعَةِ الْمُحَقِّقِينَ، دَارُ الْجَيلِ - بَيْرُوتُ، الْطَّبْعَةُ : مَصْوَرَةٌ مِنَ الْطَّبْعَةِ الْتُّرْكِيَّةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي إِسْتَانْبُولِ سَنَةِ 1334 هـ.

- النّيسابوري، نجم الدّين أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين (ت نحو 550هـ)، إيجاز *البيان عن معانٍ القرآن*، تحقيق د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط 1415هـ.
- النّيسابوري، نظام الدين الحسين بن مُحَمَّد الحسين القمي (ت 850هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1416هـ.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت 1362هـ)، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط، وتدقيق، وتوثيق* د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت).
- الهرمي، عمر بن عيسى بن إسماعيل (ت 702هـ)، *المحرر في النحو*، تحقيق أ. د. منصور علي مُحَمَّد عبد السميم، دار السلام، مصر – القاهرة – الإسكندرية، ط 1429هـ.
- ابن هشام، أبو مُحَمَّد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*، تحقيق يوسف الشیخ مُحَمَّد البقاعي، دار الفكر، (د. ت).
- ابن هشام، أبو مُحَمَّد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الطّلائع للنشر والتوزيع – القاهرة، ط 11383هـ.
- ابن هشام، أبو مُحَمَّد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761هـ)، *مغني اللبيب عن كتب الأعريب*، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط 1424هـ.
- ابن هشام، أبو مُحَمَّد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ)، *السيرة النبوية لابن هشام*، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1375هـ.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو 395هـ)، *الوجوه والنّظائر*، تحقيق مُحَمَّد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1428هـ.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو 395هـ)، *الصناعتين*، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت 1419هـ.
- والهلالي، أبو أسامة سليم بن عيد، *صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء*، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط 1429هـ.

- الوادعي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت 468هـ)، **التفسير البسيط**، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1430هـ.
- ياسوف، أحمد، **جماليات المفردة القرآنية**، دار المكتبي، دمشق، ط 2 1419هـ.
- اليشكري، أبو سعد سعيد بن أبي كاهل غطيف بن حaritha (ت نحو 60هـ)، **ديوان سعيد بن أبي كاهل اليشكري**، جمع وتحقيق شاكر العاشور، مراجعة محمد جبار المعبيد، دار الطباعة الحديثة، بصرة - عراق، ط 1972م.
- يعقوب، إميل بديع، **المعجم المفصل في شواهد العربية**، دار الكتب العلمية، ط 1 1417هـ.
- اليعقوب، عبد الله بن يوسف بن عيسى، **المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف**، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ط 3 1428هـ.
- ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (ت 526هـ)، **طبقات الحنابلة**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، (د. ت).
- ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا (ت 643هـ)، **شرح المفصل للزمخري**، قدّم له د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1422.
- اليماني، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ت 1386هـ)، **مجموع رسائل التفسير**، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار علم الفوائد، ط 1434هـ.
- ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت 347هـ)، **تاريخ ابن يونس المصري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1421هـ.